الجزء الاول من الكشاف

٣٣

٢٩٩

T. C.
İSTANBUL
Fatih Kütüphanesi
SAYI

[illegible]
سلطان محمد كتابخانه [illegible]

Süleymaniye Kütüphanesi
Fatih
341

K. 429

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل القرآن كلاما مؤلفا منظما ونزله بحسب المصالح منجما وجعله
بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة مختتما واوحاه على قسمين متشابها ومحكما وفصله سورا وسوره آيات وميز
بينهن بفصول وغايات وما هي الا صفات مبتدئ مبتدع وسمات منشئ مخترع فسبحان من استأثر بالاولية والقدم ووسم كل شيء
سواه بالحدوث عن العدم انشأه كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه وحيا ناطقا ببينات وحجج قرآنا عربيا غير ذي عوج مفتاحا
للمنافع الدينية والدنياوية مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دائرا من بين سائر
الكتب على كل لسان في كل مكان افحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء وابكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء فلم يتصد
للاتيان بما يوازيه او يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على انهم كانوا اكثر من حصى البطحاء
واوفر عددا من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالافراط في المضادة والمضارة والقائهم الشراشر على
المعازة والمعارة ولقائهم دون المناضلة عن احسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط ان اتاهم احد بمفخرة اتوه
بمفاخر وان رماهم بمأثرة رموه بمآثر وقد جرد لهم الحجة اولا والسيف آخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده على ان السيف القاضب
مخراق لاعب ان لم تمض الحجة حده فما اعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم ان البحر قد زخر فطم على الكواكب وان الشمس قد اشرقت
فطمست نور الكواكب والصلوة على خير من اوحى اليه حبيب الله ابي القسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذي اللواء
المرفوع في بني لؤي وذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل
النبي الامي المكتوب في التورية والانجيل وعلى آله الاطهار وخلفائه من الاختان والاصهار وعلى جميع المهاجرين والانصار اعلم
ان متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية واقدام الصناع فيه متقاربة او متساوية ان سبق العالم العالم لم يسبقه الا بخطى يسيرة او تقدم الصانع
الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة وانما الذي تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستباق والتناضل وعظم فيه التفاوت
والتفاضل حتى انتهى الامر الى امد من الوهم متباعد وترقى الى ان عد الف بواحد ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر
ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفكر ومن غوامض اسرار محتجبة وراء استار لا يكشف عنها من الخاصة الا اوحدهم واخصهم والا
واسطتهم وفصهم وعامتهم عماة عن ادراك حقائقها باحداقهم عناة في يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم ثم ان
املأ العلوم بما يغمر القرائح وانهضها بما يبهر الالباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات اسرار يدق سلكها علم
التفسير الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن فالفقيه وان برز على الاقران في علم
الفتاوى والاحكام والمتكلم وان بز اهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرية احفظ والواعظ
وان كان من الحسن البصري اوعظ والنحوي وان كان انحى من سيبويه واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم احد لسلوك
تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل

في ارتيادهما آونة وتعب في التنقير عنهما ازمنة وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة
رسول الله بعد ان يكون آخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين امرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع اليه
ورد ورد عليه فارسا في علم الاعراب مقدما في حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقادها يقظان
النفس دراكا للمحة وان لطف شانها متنبها على الرمزة وان خفي مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا جافيا متصرفا ذا دربة باساليب النظم
والنثر مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف طالما دفع الى مضايقه ووقع في مداحضه
ومزالقه ولقد رايت اخواننا في الدين من افاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية كلما رجعوا الي في
تفسير آية فابرزت لهم بعض الحقائق من الحجب افاضوا في الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقا الى مصنف يضم اطرافا من ذلك حتى
اجتمعوا الي مقترحين ان املي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل فاستعفيت فابوا الا المراجعة و
الاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذي حداني على الاستعفاء على علمي انهم طلبوا ما الاجابة اليه علي واجبة لان الخوض فيه
كفرض العين ما ارى عليه الزمان من رثاثة احواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلا ان تترقى الى الكلام
المؤسس على علمي المعاني والبيان فامليت عليهم مسالة في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال
والجواب طويل الذيول والاذناب وانما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وان يكون لهم منارا ينتحونه ومثالا يحتذونه فلما صمم العزم على
معاودة جوار الله والاناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من اهلها وقليل ما هم عطشى الاكباد
الى العثور على ذلك المملى متطلعين الى ايناسه حراصا على اقتباسه فهز ما رايت من عطفي وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت الرحل بمكة اذا انا
بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية الامير الشريف الامام شرف آل رسول الله ابي الحسن علي بن حمزة بن وهاس ادام الله مجده وهو النكتة
والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم اعطش الناس كبدا والهبهم حشى واوفاهم رغبة حتى ذكر انه كان يحدث نفسه في
مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاده بقطع الفيافي وطي المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض فقلت
قد ضاقت علي المستقالة واعيت بي العلة ورايتني قد اخذت مني السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب
فاخذت في طريقة اخصر من الاولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة ابي بكر الصديق
وكان يقدر تمامه في اكثر من ثلثين سنة وما هي الا آية من آيات هذا البيت المحرم وبركة افيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم اسال الله تعالى
ان يجعل ما تعبت فيه منه سببا ينجيني ونورا لي على الصراط يسعى بين يدي وبيميني ونعم المسؤول سورة فاتحة الكتاب مكية
ومكية ومدنية لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى وتسمى ام القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله بما هو اهله
ومن التعبد بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلاة لانها تكون
فاضلة او مجزئة بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد انعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس

بسم الله الرحمن الرحيم

قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها

على أن التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وإنما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل أمر ذي بال وهو مذهب
أبي حنيفة ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقرّاء مكة والكوفة وفقهاؤهما على أنها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي
وأصحابه ولذلك يجهرون بها وقالوا قد أثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا أنها من القرآن لما
أثبتوها وعن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله فإن قلت بم تعلقت الباء قلت بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ
أو أتلو لأن الذي يتلو التسمية مقروء كما أن المسافر إذا حلّ أو ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله أحلّ وبسم الله أرتحل وكذلك
الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله ببسم الله كان مضمرًا ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله تعالى في تسع آيات إلى فرعون وقومه
أي اذهب في تسع آيات وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرّس بالرفاء والبنين وقول الأعرابي باليمن والبركة بمعنى أعرست أو نكحت ومنه قوله
فقلت إلى الطعام فقال منهم ❊ فريق نحسد الإنس الطعاما فإن قلت لم قدرت المحذوف متأخرًا قلت لأن الأهم من الفعل والمتعلق به
هو المتعلق به لأنهم كانوا يبدؤون بأسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب أن يقصد الموحّد معنى اختصاص اسم الله عز وعلا بالابتداء
وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل في قوله إياك نعبد حيث صرّح بتقديم الاسم إرادة للاختصاص والدليل عليه قوله بسم الله مجراها ومرساها
فإن قلت فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل قلت هناك تقديم الفعل أوقع لأنها أول سورة نزلت فكان الأمر بالقراءة أهم فإن قلت ما معنى
تعلق اسم الله تعالى بالقراءة قلت فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بها تعلّق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى أن المؤمن لما اعتقد
أن فعله لا يجيء معتدًا به في الشرع واقعًا على السنة حتى يصدّر بذكر اسم الله لقوله عليه السلم كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر إلا كان
فعلًا كلا فعل جعل فعله مفعولًا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني أن يتعلق بها تعلّق الدهن بالإنبات في قوله تنبت بالدهن على معنى
متبركًا باسم الله أقرأ وكذلك قول الداعي للمعرّس بالرفاء والبنين معناه أعرست ملتبسًا بالرفاء والبنين وهذا الوجه أعرب وأحسن فإن قلت فكيف
قال الله متبركًا باسم الله أقرأ قلت هذا مقول على ألسنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك قوله الحمد لله رب العالمين إلى آخره
وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه فإن قلت من حق حروف المعاني
التي جاءت على حرف واحد أن تبنى على الفتحة التي هي أخت السكون نحو كاف التشبيه وواو العطف وفائه ولام الابتداء وغير ذلك فما بال لام الإضافة
وبائها بنيتا على الكسر قلت أما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء وأما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم أحد الأسماء العشرة
التي بنوا أوائلها على السكون فإذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن إذ كان دأبهم أن يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على
الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الإحكام والرصانة وإذا وقعت في الدرج لم تفتقر إلى زيادة شيء ومنهم
من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سِمٌ وسُمٌ قال ❊ باسم الذي في كل سورة سِمُه ❊ وهو من الأسماء المحذوفة الأعجاز كيد ودم وأصله
سِمْوٌ بدليل تصريفه كأسماء وسُمَيّ وسمّيت واشتقاقه من السمو لأن التسمية تنويه بالمسمى وإشادة بذكره ومنه قيل للّقب النَّبَز من النبز وهو رفع
الصوت والنبز قشر النخلة الأعلى فإن قلت فلم حذفت الألف في الخط وأثبتت في قوله باسم ربك قلت قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج
دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا طوّلت الباء تعويضًا من طرح الألف وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال لكاتبه طوّل الباء

٢

وأظهر السينات ودوّر الميم والله أصله الإله قال ❊ معاذ الإله أن تكون كظبية ❊ ونظيره الناس أصله الأناس
قال ❊ إن المنايا يطّلعن على الأناس الآمنينا ❊ فحذفت الهمزة وعوّض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا إله والإله من
أسماء الأجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة
على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه وأما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم
اشتق تألّه وأله واستأله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر فإن قلت أاسم هو أم صفة قلت بل اسم غير صفة ألا تراك
تصفه ولا تصف به لا تقول شيء إله كما لا تقول شيء رجل وتقول إله واحد صمد كما تقول رجل كريم خيّر وأيضًا فإن صفاته تعالى لا بد لها من موصوف
تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال فإن قلت هل لهذا الاسم اشتقاق قلت معنى الاشتقاق
أن ينتظم الصيغتين فصاعدًا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم أله إذا تحيّر ومن أخواته دله وعله ينتظمهما معنى التحير والدهشة
وذلك أن الأوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقلّ النظر الصحيح فإن قلت هل تفخم لامه
قلت نعم قد ذكر الزجاج أن تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم وإطباقهم عليه دليل أنهم ورثوه كابرًا عن كابر الرحمن فعلان
من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم
ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون إن الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضبًا ومما
طنّ على أذني من ملح العرب أنهم يسمّون مركبًا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم
ما اسم هذا المحمل أردت المحمل العراقي فقال أليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى قال فهذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات
الغالبة كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وعلا كما أن الله من الأسماء الغالبة وأما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمان اليمامة وقول
شاعرهم فيه ❊ وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا ❊ فباب من تعنتهم في كفرهم فإن قلت كيف تقول الله رحمان أتصرفه أم لا قلت أقيسه
على أخواته من بابه أعني نحو عطشان وغرثان وسكران فلا أصرفه فإن قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان أن يكون فعلان فعلى واختصاصه بالله يحظر
أن يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف قلت كما حظر ذلك أن يكون له مؤنث على فعلى كعطشى فقد حظر أن يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فإذًا
لا عبرة بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع إلى الأصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره فإن قلت ما معنى وصف الله تعالى
بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها قلت هو مجاز عن إنعامه على عباده لأن الملك إذا عطف على رعيته ورقّ
لهم أصابهم بمعروفه وإنعامه كما أنه إذا أدركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه فإن قلت فلم قدّم ما هو أبلغ من الوصفين
على ما هو دونه والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض قلت لما قال الرحمن فتناول جلائل
النعم وعظائمها وأصولها أردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دقّ منها ولطف الحمد لله رب العالمين الحمد والمدح أخوان وهو الثناء
والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على إنعامه وحمدته على حسبه وشجاعته وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح
قال ❊ أفادتكم النعماء مني ثلاثة ❊ يدي ولساني والضمير المحجبا ❊ والحمد باللسان وحده فهو إحدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلم الحمد رأس الشكر

ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله رأس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي كل مشتبه والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله على انه من المصادر التي ينصبها العرب بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما اشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة افعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدل بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على ان ابراهيم صلوات الله عليه حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال على ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد **فان قلت** ما معنى التعريف فيه **قلت** هو نحو التعريف في ارسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرأ الحسن بكسر الدال لاتباعها اللام وقرأ ابراهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها الدال والذي جسرهما على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة واحدة لكثرة استعمالهما مقترنين واشف القراءتين قراءة ابراهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن الرب المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه قيل نحمد الله رب العالمين العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض **فان قلت** لم جمع **قلت** ليشمل كل جنس مما سمي به **فان قلت** هو اسم غير صفة وانما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء او ما في حكمها من الاعلام **قلت** ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم **الرحمن الرحيم** **مالك يوم الدين** قرئ ملك يوم الدين ومالك وملك بتخفيف اللام وقرأ ابو حنيفة ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرأ ابو هريرة مالك بالنصب وقرأ غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرأ مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة

ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا

فان قلت ما هذه الاضافة **قلت** هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم **فان قلت** فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة **قلت** انما تكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك

الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس او زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة ابي حنيفة ملك يوم الدين وهذه الاوصاف التي اجريت على الله سبحانه وتعالى من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه به حقيق في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء عليه بما هو اهله **اياك نعبد واياك نستعين** ايا ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في ارايتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فشيء شاذ لا يعول عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى قل افغير الله تأمروني اعبد قل اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي

فهياك والامر الذي ان تراحبت موارده ضاقت عليك مصادره

والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله تعالى لانه مولى اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع **فان قلت** لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب **قلت** هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة ابيات

تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الارمد
وذلك من نبأ جاءني وخبرته عن ابي الاسود

وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به **فان قلت** لم قرنت الاستعانة بالعبادة **قلت** ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته **فان قلت** فلم قدمت العبادة على الاستعانة **قلت** لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها **فان قلت** لم اطلقت الاستعانة **قلت** ليتناول كل مستعان فيه والاحسن ان تراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاؤم الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض وقرأ ابن حبيش نستعين بكسر النون **اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم** هدى اصله ان يتعدى باللام او بالى كقوله ان هذا القرآن

سلطان محمد خان غازی

يهدي للتي هي أقوم وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم نعومل بجاملة اختاره في قوله واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب
زيادة الهدى بمنح الألطاف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن علي وأبي رضي الله عنهما اهدنا
ثبتنا وصيغة الأمر والدعاء واحدة لأن كل واحد منهما طلب وإنما يتفاوتان في الرتبة وقرأ عبد الله أرشدنا السراط الجادة من سرط الشيء
إذا ابتلعه لأنه يسترط السابلة إذا سلكوه كما سمي لقما لأنه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لأجل الطاء كقولك مصيطر في مسيطر
وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن جميعا وفصحاهن إخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الإمام ويجمع سرطا نحو كتاب وكتب
ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الإسلام صراط الذين أنعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم
تكرير العامل كأنه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم فإن قلت ما فائدة البدل
وهلا قيل اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم قلت فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والإشعار بأن الطريق المستقيم بيانه وتفسيره
صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده كما تقول هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم
فلان فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الأكرم الأفضل لأنك ثنيت ذكره مجملا أولا ومفصلا ثانيا وأوقعت
فلانا تفسيرا وإيضاحا للأكرم الأفضل فجعلته علما في الكرم والفضل فكأنك قلت من أراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما
فيه غير مدافع ولا منازع والذين أنعمت عليهم هم المؤمنون وأطلق الإنعام ليشمل كل إنعام لأن من أنعم الله عليه بنعمة الإسلام لم تبق نعمة
إلا أصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس هم أصحاب موسى قبل أن يغيروا وقيل هم الأنبياء وقرأ ابن مسعود صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين غير المغضوب عليهم بدل من الذين أنعمت عليهم على معنى أن المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال
أو صفة على معنى أنهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الإيمان وبين السلامة من غضب الله والضلال فإن قلت كيف صح أن يقع غير صفة للمعرفة
وهو لا يتعرف وإن أضيف إلى المعارف قلت الذين أنعمت عليهم لا توقيت فيه كقوله ولقد أمر على اللئيم يسبني ولأن المغضوب عليهم
والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير إذن الإبهام الذي يأبى عليه أن يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل أنعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله
وغضب عليه والضالين هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل فإن قلت ما معنى غضب الله قلت هو إرادة الانتقام من العصاة وإنزال
العقوبة بهم وأن يفعل بهم ما يفعله الملك إذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته فإن قلت أي فرق
بين عليهم الأولى والثانية قلت الأولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية فإن قلت لم دخلت لا في
ولا الضالين قلت لما في غير من معنى النفي كأنه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول أنا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك أنا زيدا
مثل ضارب لأنه بمنزلة قولك أنا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلي رضي الله عنهما أنهما قرآ وغير الضالين وقرأ أيوب السختياني
ولا الضألين بالهمزة كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه أبو زيد شأبة ودأبة آمين
صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما أن رويد وحيهل وهلم أصوات سميت بها الأفعال التي هي أمهل وأسرع وأقبل وعن

ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان مد ألفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال
أمين فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال إنه كالختم على الكتاب وليس
من القرآن بدليل أنه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن لا يقولها الإمام لأنه الداعي وعن أبي حنيفة مثله والمشهور عنه وعن أصحابه أنه يخفيها
وروى الإخفاء عبد الله بن مغفل وأنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الشافعي يجهر بها وعن وائل بن حجر أن النبي صلعم كان إذا قرأ
ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي بن كعب ألا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والإنجيل والقرآن مثلها
قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته وعن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم
بذلك العذاب أربعين سنة

سورة البقرة مائتان وثمانون وسبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الم اعلم أن الألفاظ التي يتهجى بها أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فقولك
ضاد اسم سمي به ضه من ضرب إذا تهجيته وكذلك را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي أن
المسميات لما كانت ألفاظا كأساميها وهي حروف وحدان والأسامي عدد حروفها مرتق إلى الثلاثة اتجه لهم طريق إلى أن يدلوا في التسمية
على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى إلا الألف فإنهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لأنه لا يكون إلا ساكنا
ومما يضاهيها في إيداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل أن تكون ساكنة
الأعجاز موقوفة كأسماء الأعداد فيقال ألف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلاثة فإذا وليتها العوامل أدركها الإعراب كقولك هذه ألف
وكتبت ألفا ونظرت إلى ألف وهكذا كل اسم عمدت إلى تأدية ذاته فحسب قبل أن يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تأثيراتها فحقك أن
تلفظ به موقوفا ألا ترى أنك إذا أردت أن تلقي على الحاسب أجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها أغفالا من سمة الإعراب فتقول
دار غلام جارية ثوب بساط ولو أعربت ركبت شططا فإن قلت لم قضيت لهذه الألفاظ بالاسمية وهلا زعمت أنها حروف كما وقع في عبارات
المتقدمين قلت قد استوضحت بالبرهان النير أنها أسماء غير حروف فعلمت أن قولهم خليق بأن يصرف إلى التسامح وقد وجدناهم متسامحين
في تسمية كثير من الأسماء التي لا تقدح إشكالا في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك أن قولك ألف
دلالته على أوسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص لا فضل فيما يرجع إلى التسمية بين الدلالتين ألا ترى أن الحرف ما دل على معنى في
غيره وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه ولأنها متصرف فيها بالإمالة كقولك با تا وبالتفخيم كقولك يا ها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير
والوصف والإسناد والإضافة وجميع ما للأسماء المتصرفة ثم إني عثرت من جانب الخليل بن أحمد على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما
وسأل أصحابه كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول كاف فقال إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا
بالحرف وقال أقول كه به وذكر أبو علي في كتاب الحجة في ياسين وإمالة يا أنهم قالوا يا زيد في النداء فأمالوا وإن كان حرفا قال وإذا

كانوا قد امالوا ما لا امالة فيه من الحروف من اجل اليا فقالوا في بلى ويا فلان يميلوا الاسم الذي هو يا اجدر ألا ترى ان هذه الحروف اسما لما يلفظ بها فان قلت
من اي قبيل هي من الاسما أمعربة ام مبنية قلت بل هي اسما معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسما حيث لا يمسها اعراب
لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف وليس ببنا انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهؤلا ولم يقل صاد قاف نون مجموعا
فيها بين الساكنين فان قلت فلم لفظ المتهجي بما آخره الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقال هذه با وتا وها وذلك يخيل ان وزانها وزان
قولك لا مقصورة فاذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لاء قلت هذا التخييل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب في ان قصرت متهجاة ومدت
حين مسها الاعراب ان حال التهجي خليقة بالاخف الاوجز واستعمالها فيه اكثر فان قلت قد تبين انها اسما لحروف المعجم وانها من قبيل المعربة وان سكون
اعجازها عند الهجا لاجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح للسور قلت فيه عدة اوجه احدها وعليه اطباق الاكثر انها اسما السور
وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف باب اسما السور وهي في ذلك على ضربين احدهما ما لا يتاتى فيه
اعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتاتى فيه الاعراب وهو اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسما عدة مجموعها
على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لهابيل وقابيل وكذلك طسم يتاتى فيها ان تفتح نونها وتصير ميم مضمومة الى طس فيجعلا اسما واحدا
كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا واما النوع الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن
اوفى العبسي ⁘ يذكرني حاميم والرمح شاجر ⁘ فهلا تلا حاميم قبل التقدم ⁘ فاعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما اعرب من اخواتها
لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتانيث والحكاية ان تجي بالقول بعد نقله على استبقا صورته الاولى كقولك دعني
من تمرتان وبدات بالحمد لله وقرات سورة انزلناها وقال ⁘ وجدنا في كتاب بني تميم ⁘ احق الخيل بالركض المعار ⁘ وقال ذو الرمة ⁘
سمعت الناس ينتجعون غيثا ⁘ فقلت لصيدح انتجعي بلالا ⁘ وقال آخر ⁘ تنادوا بالرحيل غدا ⁘ وفي ترحالهم نفسي ⁘
وروي منصوبا ومجرورا ويقول اهل الحجاز في استعلام من يقول رايت زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت من العرب من يقول لا من اين يا فتى
فان قلت فما وجه قراءة من قرا صاد وقاف ونون مفتوحات قلت الوجه ان يقال ذاك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف
على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه مثل ذلك في حم وطس ويس لو قرئ به وحكى ابو سعيد السيرافي ان بعضهم
قرا يس ويجوز ان يقال حركت لالتقا الساكنين كما قرا من قرا ولا الضالين فان قلت هلا زعمت انها مقسم بها وانها نصبت نصب
قولهم نعم الله لافعلن واي الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم ⁘ وقال ⁘ ذو الرمة ⁘ الا رب من قلبي له الله ناصح ⁘ ومن
[illegible] قلت ان القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم عليه واحد
وقد استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخريان ليستا بمنزلة الاولى
ولكنهما الواوان اللتان تضمان الاسما الى الاسما في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة البا والتا قال سيبويه قلت للخليل
فلم لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما اقسم بهذه الاشيا على شي ولو كان انقضى قسمه بالاول على شي لجاز ان يستعمل كلاما آخر
فيكون كقولك بالله لافعلن تالله لاخرجن اليوم ولا يقوى ان تقول وحقك وحق زيد لافعلن والواو الآخرة واو قسم لا يجوز الا مستكرها

قال وتقول وحياتي ثم حياتك لافعلن فثم ههنا بمنزلة الواو ولا سبيل فيما نحن بصدده الى ان تجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني
الاول في الاعراب فان قلت فقدرها مجرورة باضمار البا القسمية لا بحذفها فقد جا عنهم الله لافعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه ابوك
غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير الى نحو ما اشرت اليه قلت هذا لا يبعد
عن الصواب ويعضده ما روي عن ابن عباس انه قال اقسم الله بهذه الحروف فان قلت فما وجه قراءة بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت
وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقا الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك ان الوقف لما استمر بهذه الاسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في
آخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة الآن واخرى معاملة هؤلا فان قلت هل تسوغ لي في المحكية مثل ما سوغت لي في المعربة
من ارادة معنى القسم قلت لا عليك في ذلك وان تقدر حرف القسم مضمرا في نحو قوله تعالى حم والكتاب المبين كانه قيل اقسم بهذه السورة
وبالكتاب المبين انا جعلناه واما قوله عليه السلام حم لا ينصرون فيصلح ان يقضى له بالنصب والجر جميعا على حذف الجار واضماره فان قلت فما معنى
تسمية السور بهذه الالفاظ خاصة قلت كان المعنى في ذلك الاشعار بان الفرقان ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات هذه
الالفاظ كما قال عز من قائل قرآنا عربيا فان قلت فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف انفسها لا على صور اساميها قلت لان الكلم لما
كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان يلفظ بالاسما وتقع في الكتابة الحروف انفسها
عمل على تلك الشاكلة المالوفة في كتابة هذه الفواتح وايضا فان شهرة امرها واقامة السن الاسود والاحمر لها وان اللافظ بها غير متهجاة
لا يحلى بطائل منها وان بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده امنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف اشيا
خارجة عن القياسات التي بني عليها علم الخط والهجا ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقا الحفظ وكان اتباع خط المصحف
سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه في كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجا خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة
وخط العروض لانه يثبت فيه ما اثبته اللفظ ويسقط عنه ما اسقطه والوجه الثاني ان يكون ورود هذه الاسما هكذا مسرودة على
نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم
كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن ان
ياتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم امرا الكلام وزعما الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب والمتهالكون
على الافتنان في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بزت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد
الخارج من قوى الفصحا ولم يقع ورا مطامح اعين البصرا الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة
والخلاقة بالقبول بمنزلة وناصره على الاول ان يقول ان القرآن انما نزل بلسان العرب مصبوبا في اساليبهم واستعمالاتهم والعرب
لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم احد منهم بمجموع ثلثة اسما واربعة وخمسة والقول بانها اسما السور حقيقة يخرج الى ما ليس في
لغة العرب ويؤدي ايضا الى صيرورة الاسم والمسمى واحدا ولهذا فان اعترضت عليه بانه قد يعقل على وجه الدهر وانه لا سبيل الى رده اجاب
بان لا محمل سوى ما ذهب اليه وانه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل لصاحبه ما قرات فيقول الحمد لله

وقف سلطان محمد خان غازى

وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في اولادكم والله نور السموات والارض وليست هذه الجمل باسامي هذه القصائد وهذه السور والآي وانما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة او الآية التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على اسلوب من يقصد التسمية واستفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة ويجيب عن الاعتراض الثاني على الوجه الاول ان تقول التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكرة لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا استنكار فيها لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية كما سموا بتابط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق او ببيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من اسماء حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك واما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا لانها تسمية مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين مضمومين اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا والوجه الثالث ان ترد السور مصدرة بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاغراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرا وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الامي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيئا من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة ان يتكلم بالرطانة من غير ان يسمعها من احد واعلم انك اذا تاملت ما اورده الله في الفواتح من هذه الاسماء وجدتها نصف اسامي حروف المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رايت الحروف التي الغى الله ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت ان معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكان الله عز اسمه عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت

لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه تغمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابراهيم وهود ويوسف والحجر فان قلت فهلا عددت باجمعها في اول القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور قلت لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقر له في الاسماع والقلوب من ان يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره فان قلت فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة احرف والمص والمر على اربعة احرف وكهيعص وحم عسق على خمسة احرف قلت هذا على عادة افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب وكما ان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك فان قلت فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تادية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو ولان الغرض

[illegible]

ومدها مثاني وحدها آيتين على طريق التوقيف فان قلت ما حكمها في باب الوقف قلت يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف كقوله عز وجل الم اي هذه الم ثم ابتدا فقال الله لا اله الا هو فان قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت نعم لها محل فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كسائر الاعلام فان قلت ما محلها قلت يحتمل الاوجه الثلاثة اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتداة وللمفردات المعددة ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين فان قلت لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمتقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به فان قلت لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة قلت لا اخلو من ان اجعل الكتاب

خبرا او صفة فان جعلته خبرا كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجرى عليه في التانيث في قولهم
من كانت امك وان جعلته صفة فانما اشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان
او ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني ۞ نبئت نعمى على الهجران عاتبة ۞ سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري ۞ فان قلت اخبرني عن تاليف
ذلك الكتاب مع الم قلت ان جعلت الم اسما للسورة ففي التاليف وجوه ان يكون الم مبتدا وذلك مبتدا ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدا
الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي الكامل
في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال ۞ وان الذي حانت بفلج دماؤهم ۞ هم القوم كل القوم يا ام خالد ۞
وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدا محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب
صفة وان تكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدا خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل
هو الكتاب الكامل او الكتاب صفة والخبر ما بعده او قدر مبتدا محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرا عبد الله
الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتاليف هذا ظاهر والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روي
الحسن بن علي قال سمعت رسول الله صلعم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمانينة اي فان كون الامر مشكوكا فيه
مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من
نوائبه ومنه انه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد بشيء فان قلت كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفى ان احدا
لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يحزروا انفسهم
ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة فان قلت فهلا
قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله لا فيها غول قلت لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا
باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولي الظرف لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول
تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كانه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرا ابو الشعثاء
لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم
انهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من ان ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا باس وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز والتقدير لا ريب
فيه فيه هدى والهدى مصدر على فعل كالسرى والبكا وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى وقال تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع
في خلاف معنى اصله الا ترى الى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك فان قلت فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون قلت هو
كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو انه

سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس اذا اراد احدكم الحج
فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا
الا فاجرا كفارا اي صائرا الى الفجور والكفر فان قلت فهلا قيل هدى للضالين قلت لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم
المطبوع على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفرقة الباقين على الضلالة فبقي ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة
عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وايضا فقد جعل ذلك سلما
الى تصدير السورة التي هي اولى الزهراوين وسنام القرآن واول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه
فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه ظلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره ان يصيبه ادنى شيء
يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغائر وقيل الصحيح انه لا يتناولها لانها تقع مكفرة
عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر ومحل هدى للمتقين
الرفع لانه خبر مبتدا محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدا اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او
الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه المحال صفحا وان يقال ان قوله الم جملة برأسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها
وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا
من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه
نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من اعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث
به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك
فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة
ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة
الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على اسرار كلامه
وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه **الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون** الذين يؤمنون اما موصول
بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني الذين يؤمنون او هم الذين يؤمنون واما منقطع عن المتقين مرفوع
على الابتداء مخبر عنه باولئك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان منقطعا كان وقفا تاما فان قلت
ما هذه الصفة اواردة بيانا وكشفا للمتقين ام مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها ام جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله تعالى
الجارية عليه تمجيدا قلت يحتمل ان ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات
اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلوة والصدقة لان هاتين اما العبادات البدنية والمالية

ومن فضل العبادات على غيرها لم تزل سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلوة وسمى
الزكوة قنطرة الاسلام وقال الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شانهما استجرار سائر العبادات
واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا بان استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي اذا وجد لم تتوقف اخواته ان يقترن
به مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين واما الترك فلذلك الاثر الى قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل ان لا يكون
بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل ان تكون مدحا للموصوفين بالتقوى
وتخصيصا للايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لانافتها على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والايمان
افعال من الامن يقال امنته وآمنته غيري ثم يقال آمنه اذا صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة واما تعديته بالباء فلتضمينه
معنى اقر واعترف واما ما حكى ابو زيد عن العرب ما آمنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فحقيقته صرت ذا امن به اي ذا سلوة وطمانينة
وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب اي يعترفون به او يثقون بانه حق ويجوز ان لا يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في موضع الحال
اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته متلبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه بالغيب ويعضده ما روي ان اصحاب
عبد الله ذكروا اصحاب رسول الله صلعم وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من ايمان بغيب
ثم قرأ هذه الآية فان قلت فما المراد بالغيب ان جعلته صلة وان جعلته حالا قلت ان جعلته صلة كان بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر
من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا وعن
النضر بن شميل شربت الابل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكلية اذا لطف الدابة انتفخت واما ان يكون فيعلا
خفف كما قيل قيل واصله قيل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه او نصب
لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب
والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء فان قلت ما الايمان الصحيح قلت ان يعتقد الحق ويعرب عنه
بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق ومعنى اقامة
الصلوة تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها من اقام العود اذا قومه او الدوام عليها والمحافظة كما قال عز وعلا
الذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها قال أقامت غزالة سوق الضراب
لاهل العراقين حولا قميطا لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون واذا عطلت
واضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه او التجلد والتشمر لادائها وان لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت
الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط او اداؤها فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه
بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا سبح اذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا انه كان من المسبحين والصلوة فعلة من صلى
كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفر

اليهودي اذا طأطأ راسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين وهما الكاذتان وقيل للداعي مصل تشبيها في تخشعه بالراكع والساجد
واسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستاهل ان يضاف الى الله ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة
لهم وكفا عن الاسراف المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به وجائز ان يراد به
الزكوة المفروضة لاقترانه باخت الزكوة وشقيقتها وهي الصلوة وان يراد هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح ان يتناول
كل منفق وانفق الشيء وانفده اخوان وعن يعقوب نفق الشيء ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك
اذا تاملت. والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون فان قلت والذين يؤمنون اهم غير الاولين ام هم
الاولون وانما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب قلت يحتمل ان يراد بهؤلاء مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه من الذين
آمنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله وايقنوا بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واجتماعهم على الاقرار بالنشأة الاخرى واعادة الارواح في الاجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال
تجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه آخرون فزعموا ان ذلك انما احتيج اليه في هذه الدار
من اجل نماء الاجسام ولمكان التوالد والتناسل واهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح
والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل ان يراد وصف الاولين ووسط العاطف على معنى انهم
الجامعون بين تلك الصفات وهذه فان قلت فاذا اريد بهؤلاء غير اولئك فهل يدخلون في جملة المتقين ام لا قلت ان عطفتهم على الذين يؤمنون
بالغيب دخلوا وكانت صفة المتقين مشتملة على المؤمنين من مؤمني اهل الكتاب وغيرهم وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكانه قيل
هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما انزل اليك فان قلت قوله بما انزل اليك ان عنى به القرآن باسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك
منزلا وقت ايمانهم فكيف قيل انزل بلفظ المضي وان اريد المقدار الذي سبق انزاله وقت ايمانهم فهو ايمان ببعض المنزل واشتمال الايمان
على الجميع ماضيه ومترقبه واجب قلت المراد المنزل كله وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد
كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال انا وانت فعلنا وانت وزيد تفعلان ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر
النزول جعل كان كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن
سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم به فهو حق وانت لا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الآتي
لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه وقرأ يزيد بن قطيب بما انزل اليك وما انزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم الآخرة
وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الآخرة على خلاف حقيقته وان قولهم ليس بصادر عن ايقان وان اليقين ما عليه
من آمن بما انزل اليك وما انزل من قبلك والايقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والآخرة تانيث الآخر الذي نقيض الاول وهي
صفة الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها

على اللام كقوله دابّة وشابّة وفي رواية النميري يؤقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو كأنها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه

لحبّ المؤقدان إليّ مؤسى وجعدة إذ أضاءهما الوقود **أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون** أولئك على هدى الجملة في محل

الرفع إن كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ وإلا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين أنك إذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت

به مذهب الاستئناف وذلك أنه لما قيل هدى للمتقين واختص المتقون بأن الكتاب لهم هدى اتجه لسائل أن يسأل فيقول ما بال المتقين

مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب إلى ساقته كأنه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم

التي استوجبوا بها من الله أن يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليس على صفتهم أي الذين هؤلاء عقائدهم وأعمالهم أحقاء بأن يهديهم الله

ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك أحبّ رسول الله الأنصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه أولئك أهل للمحبة وإن

جعلته تابعا للمتقين وقع الاستئناف على أولئك كأنه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فأجيب بأن أولئك الموصوفين

غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واعلم أن هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة بإعادة اسم من استؤنف

عنه الحديث كقولك أحسنت إلى زيد زيد حقيق بالإحسان وتارة بإعادة صفته كقولك أحسنت إلى زيد صديقك القديم أهل لذلك

منك فيكون الاستئناف بإعادة الصفة أحسن وأبلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه **فإن قلت** هل يجوز أن يجري الموصول الأول على

المتقين وأن يرتفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره **قلت** نعم على أن يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بأهل الكتاب الذين

لم يؤمنوا بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله تعالى وفي اسم الإشارة الذي

هو أولئك إيذان بأن ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك

ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب بقوله فذلك إن يهلك فحسنى ثناؤه وإن عاش لم يقعد ضعيفا مذمما

ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى من ربهم مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى

الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى

من ربهم أي منحوه من عنده وأوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على أعمال الخير والترقي إلى الأفضل فالأفضل

ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كأنه قيل على أي هدى كما تقول لو أبصرت فلانا لأبصرت رجلا وقال الهذلي

فلا وأبي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم والنون في من ربهم أدغمت بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد

وورش والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد أغنها الباقون إلا أبا عمرو فقد روي عنه فيها روايتان وفي تكرير أولئك تنبيه على أنهم كما ثبتت

لهم الأثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الأثرتين في تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها **فإن قلت**

لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون **قلت** قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل

العاطف بخلاف الخبرين ثمة فإنهما متفقان لأن التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما

في الأولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة

للمسند إليه دون غيره أو هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين

بلغك أنهم يفلحون في الآخرة كما إذا بلغك أن إنسانا قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب أي هو الذي أخبرت بتوبته

أو على أنهم الذين إن حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك

هل عرفت الأسد وما جبل عليه من فرط الإقدام إن زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله

أحد على طرق شتى وهي ذكر اسم الإشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا

وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق

به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذي انفتحت له وجوه

الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي بأمرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك أخواته

في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى **إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** لما قدم ذكر أوليائه وخالصة

عباده بصفاتهم التي أهلتهم لإصابة الزلفى عنده وبين أن الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على أثره بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة

من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وإنذار الرسول وسكوته **فإن قلت** لم قطعت

قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة **قلت** ليس وزان هاتين

القصتين وزان ما ذكرت لأن الأولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى للمتقين وسيقت الثانية لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت

فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف **فإن قلت** هذا إذا زعمت أن الذين يؤمنون جار على المتقين فأما

إذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر في صفة أضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة **قلت** قد مر لي أن الكلام المبتدأ

عقيب المتقين سبيله الاستئناف وأنه مبني على تقدير سؤال فذلك إدراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى وإن كان مبتدأ في اللفظ

فهو في الحقيقة كالجاري عليه والتعريف في الذين كفروا يجوز أن يكون للعهد وأن يراد بهم ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة

وأضرابهم وأن يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الإنذار وتركه

عليهم وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم في أربعة أيام سواء للسائلين

بمعنى مستوية وارتفاعه على أنه خبر لإن وأأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع المرتفع به على الفاعلية كأنه قيل إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه

كما تقول إن زيدا مختصم أخوه وابن عمه أو يكون أأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم إنذارك وعدمه

والجملة خبر لإن **فإن قلت** الفعل أبدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الإخبار عنه في هذا الكلام **قلت** هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ

إلى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك أكل

السمك وشرب اللبن وإن كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام

رأسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة يعني أن هذا جرى على صورة الاستفهام كما أن

ذا الجرى على صورة النداء والايذان ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم عنهما لانه قد علم ان احد الامرين كائن اما الانذار واما عدمه ولكن لا بعينه فكلاهما معلوم بعلم غير معين وفي أأنذرتهم تحقيق الهمزتين والتخفيف اعرب واكثر وتخفيف الثانية بين بين وتوسيط الف بينهما محققتين وبين بين وتوسيطها والثانية بين بين وحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح فان قلت ما تقول فيمن يقلب الثانية الفا قلت هو لاحن خارج عن كلام العرب خروجين احدهما الاقدام على جمع الساكنين على غير حده وحده ان يكون الاول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثاني اخطاء طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها ان تخرج بين بين فاما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة راس والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي فان قلت ما موقع لا يؤمنون قلت اما ان يكون جملة مؤكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض.

ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم

الختم والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل اليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة فان قلت ما معنى الختم على القلوب والاسماع وتغشية الابصار قلت لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل اما الاستعارة فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه وتعاف استماعه كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها اعين المعتبرين المستبصرين كانما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الاغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من اجلها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال:

ختم الاله على لسان عذافر ... ختما فليس على الكلام بقادر
واذا اراد النطق خلت لسانه ... لحما يحركه لصقر ناقر

فان قلت فلم اسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يامر بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل قلت القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى الله تعالى فلينبه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي الا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا اطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الاغتام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم او بحال قلوب البهائم انفسها او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة

وقف

وقد يسند الى هذه الاشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها للفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جراءته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر ونهر جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينة وناقة ضبوث حلوب وقال: اذا رد عافي القدر من يستعيرها. فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله سبحانه لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب ووجه رابع وهو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بانه لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء واذا لم يبق طريق الا ان يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد لا ينتهون عنه الا بالقسر والالجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي ووجه خامس وهو ان يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة فان قلت اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى ايهما يعول قلت على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم فان قلت اي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم قلت لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع في تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان ادل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن في قوله: كلوا في بعض بطنكم تعفوا. يفعلون ذلك اذا امن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن في قوله وفي آذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا اي وعلى حواس سمعهم وقرأ ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم فان قلت هل يجوز ان يكون ابو عمرو والكسائي قد امالا ابصارهم مع ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد قلت لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وكان فيها كسرتين وذلك اعون شيء على الامالة وان يمال ما لا يمال والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتامل وكانهما جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للابصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله اللهم اجرنا من عذابك ولا تبتلنا بسخطك

باواسع المغفرة ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين افتتح سبحانه بذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم
ألسنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا والسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بافواههم
ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا اخبث
الكفرة وابغضهم اليه وامقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك انزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم
واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة
وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة واصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة
وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان واناسي وانس وسموا لظهورهم وانهم يؤنسون اى يبصرون
كما سمي الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول الا تراك تقول في وزن قه افعل وليس معك الا العين وحدها
وهو من اسماء الجمع كرخال واما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره كانيسيان ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز ان تكون للعهد والاشارة الى
الذين كفروا المار ذكرهم كانه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن ابي واصحابه ومن كان في حالهم من اهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع
القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام ومن في من يقول موصوفة كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال ان جعلت
اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي فان قلت كيف يجعلون بعض اولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم قلت
الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة
والاستهزاء لا يخرجهم من ان يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات انما تأتي بالنوعية
ولا تأبى الدخول تحت الجنسية فان قلت لم اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الآخر قلت اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث
وتماديهم في الدعارة لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته
فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر
لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم واروهم انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر وايضا فقد
اوهموا في هذا المقال انهم اختاروا الايمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه واحاطوا باوله وآخره وفي تكرير الباء انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة
والاستحكام فان قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والاول في ذكر شأن الفعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل قلت
القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق ادى الى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان تكون
طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم بانهم في انفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة
عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل القطع والبت ونحوه قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها هو ابلغ من قولك
وما يخرجون منها فان قلت فلم جاء الايمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الاول قلت يحتمل ان يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه

وان

وان يراد بالاطلاق انهم ليسوا من الايمان في شيء قط لا من الايمان بالله وباليوم الآخر ولا من الايمان بغيرهما فان قلت ما المراد باليوم الآخر
قلت يجوز ان يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتأخره عن الاوقات المنقضية وان يراد الوقت المحدود من النشور
الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا
انفسهم وما يشعرون والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع اذا امر الحارش يده على باب جحره اوهمه
اقباله عليه ثم خرج من باب آخر فان قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل
القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله واستمطروا من قريش كل منخدع وقول ذي الرمة
ان الحليم وذا الاسلام يختلب فقد جاء الكتاب بالخداع وارتاب بالخدع قلت فيه وجوه احدها ان يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث
يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة واهل
الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم والثاني ان يكون
ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقا
بكل معلوم ولا انه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون لله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على
عباده ويخدعهم والثالث ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق عنه باوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم
كذا وانما القائل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق
ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع الله والرابع ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة
قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره
في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا بنفسه لانه كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة
وتمهيد لذكر فضله فان قلت هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح قلت وجهه ان يقال عني به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت
لان الزنة في اصلها للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي
اليه ويعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين آمنوا وهو ابو حيوة ويخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستأنفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين
وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون فان قلت ما كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعونهم عن اغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة
وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك
من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم فان قلت فلو اظهر عليهم حتى لا يبلغوا الى هذه
الاغراض بخداعهم عنها قلت لم يظهر عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء ابليس وذريته
ومتاركتهم وما هم عليه من اغواء المكلفين وتلقينهم النفاق اشد من ذلك ولكن الشبهة فيه ما علمه تعالى من الحكمة فان قلت ما المراد بقوله تعالى
وما يخادعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة الخادع الا انفسهم لان ضررها يلحقهم وكلها

تحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه لان دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد بحقيقة المخادعة اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يغرونها بالاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالاماني وان يراد وما يخدعون نجي به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدعون بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به او لان قولهم المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي وحقيقته نفس الرجل بمعنى عينه اصبت نفسه لقولهم صدر الرجل ونحوه وقولهم فلان يؤامر نفسيه اذا تردد في الامور اتجهت له رايان وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعي النفس وهاجسي النفس فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع لاحق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون

واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة ان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل والحسد والبغضاء لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله تعالى في قوله قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان تمسسكم حسنة تسؤهم وما اهلك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك او يراد بما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يحدثون به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواؤه يخفق اياما ثم يقر فضعفت حين ملكها الياس عند انزال الله على رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله واما لجراءتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله هو الذي زادهم ما ازدادوه اسنادا للفعل الى المسبب له كما اسنده الى السورة في قوله فزادتهم رجسا الى رجسهم لكونها سببا او كلما زاد رسوله نصرة وتبسطا في البلاد ونقصا من اطراف الارض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل ان يراد بزيادة المرض الطبع وقرا ابو عمرو في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله تحية بينهم ضرب وجيع وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمؤلم كما ان الجد للجاد والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز

الى

الى قبح الكذب وسماجته وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم ونحوه قوله مما خطيئاتهم اغرقوا والقوم كفرة وانما خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به وهو قبيح كله واما ما يروى عن ابرهيم صلوات الله عليه انه كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به وعن ابي بكر رضي الله عنه وروي مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وقرئ يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه ومن كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين وقلص الثوب وقلص او بمعنى الكثرة كقولهم موتت البهائم وبركت الابل او من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره ولذلك قيل له مذبذب وقال صلى الله عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون واذا قيل لهم معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف على يقول آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والاول اوجه والفساد خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة والفساد في الارض تهييج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت بين طي حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما هذه عاقبته وانما لقصر الحكم على شيء كقولك انما ينطلق زيد او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد كاتب ومعنى انما نحن مصلحون ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجوه الفساد والا مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا كقوله تعالى اليس ذلك بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلائعها اما والذي لا يعلم الغيب غيره اما والذي ابكى واضحك رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد وادله على سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما في كلتا الكلمتين الا وان من التاكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون توهم في النصح من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره الى الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم فكان من جوابهم ان سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة فان قلت كيف صح ان يسند قيل الى لا تفسدوا وآمنوا واسناد الفعل الى الفعل مما لا يصح قلت الذي لا يصح هو اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له الى لفظه كانه قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك الف ضرب من ثلثة احرف ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما آمن يجوز ان تكون كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما آمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم ومن ابناء جنسهم اي كما آمن اصحابكم واخوانكم او للجنس اي كما آمن الكاملون في الانسانية او جعل المؤمنون كانهم الناس على الحقيقة ومن عداهم

كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل والاستفهام في أنؤمن في معنى الانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس كما تقول لصاحبك
ان زيدا قد سعى بك فيقول او قد فعل السفيه ويجوز ان يكون للجنس وينطوي تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم اعرق الناس في السفه
فان قلت لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح قلت لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر وانصاف انفسهم اعتقدوا ان ما هم
فيه هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولانهم كانوا في رياسة وسطة في قومهم ويسار وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال
كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشانهم او ارادوا عبد الله بن سلام واشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من اسلامهم
وفت في اعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم انهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم فان قلت لم
فصلت هذه الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون قلت لان امر الديانة والوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر
واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة واما النفاق وما فيه من البغي المؤدي الى الفتنة والفساد في الارض فامر دنيوي مبني على العادات معلوم
عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل
فكان ذكر العلم معه احسن طباقا له **واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم
ويمدهم في طغيانهم يعمهون** مساق هذه الاية بخلاف ما سيقت له اول قصة المنافقين فليس بتكرير لان تلك في بيان مذهبهم والترجمة
عن نفاقهم وهذه في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم
الى شطارهم دينهم صدقوهم ما في قلوبهم وروي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عبد الله انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني
رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله
لرسول الله ثم اخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني
فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزلت ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وهو جاري ملاقي وقراءة وقرا ابو حنيفة رحمة الله عليه واذا لاقوا
وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به
اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا انهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك
فلانا واذمه اليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه اصلية وفي آخر زائدة والدليل
على اصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة ومن اسمائه الباطل
انا معكم انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم فان قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان
قلت ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا باقوى الكلامين واوكدهما لانهم في ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون
في الايمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر
عن اريحية وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في رواجه وهم

بين ظهراني المهاجرين والانصار الذين مثلهم في التوراة والانجيل الا ترى الى حكاية الله تعالى قول المؤمنين ربنا اننا آمنا واما مخاطبة اخوانهم
فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من ان يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح
للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد فان قلت انى تعلق قوله انما نحن مستهزؤن
بقوله انا معكم قلت هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزؤن رد للاسلام ودفع له
منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تاكيد لثباته او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم
الكفر او استئناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم فقالوا ان صح انكم معنا فلم توافقون اهل الاسلام فقالوا انما نحن
مستهزؤن والاستهزاء التحقير والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب
مشيت فلغبت فظننت لاهزأن على مكاني وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف فان قلت لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لانه متعال عن القبيح والسخرية
من باب العيب والجهل الا ترى الى قوله قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم قلت معناه انزال الهوان
والحقارة بهم لان المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد
لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله تعالى بالكفرة والمراد به تحقير شانهم وازدراء امرهم والدلالة على ان مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون
ويضحك الضاحكون ويجوز ان يراد به ما مر في يخادعون من انه تجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم وقيل
سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فان قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ
بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه ان الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء
الابلغ الذي ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه ان الله عز وجل
هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون
طبقا لقوله انما نحن مستهزؤن قلت لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم
وبلاياه النازلة بهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول
في شانهم واستشعار حذر من ان ينزل فيهم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون
ويمدهم في طغيانهم من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج
والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وامده اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه فان قلت
لم زعمت انه من المدد دون المد في العمر والاملاء والامهال قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن
ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم على ان الذي بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام كاملى له فان قلت فكيف جاز ان يوليهم الله مددا في الطغيان
وهو فعل الشياطين الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم في الغي قلت اما ان يحمل على انهم لما منعهم الله الطافه التي يمنحها المؤمنين
وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم بتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين

فسمى ذلك التزايد مددا وأسند إلى الله تعالى لأنه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم وإما على منع القسر والإلجاء وإما على أن يسند فعل الشيطان إلى الله تعالى لأنه بتمكينه وإقداره والتخلية بينه وبين إغواء عباده فإن قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالإمهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم إلى ذلك خوف الإقدام على أن يسندوا إلى الله ما أسندوا إلى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته وإلا كان بمنزلة الأروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فإذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وأن هؤلاء من أهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما في طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان فإن قلت أي نكتة في إضافته إليهم قلت فيها أن الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته نفوسهم واجترحته أيديهم وأن الله بريء منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما أشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند إسناد المد إلى ذاته تعالى لو لم يضف الطغيان إليهم أن الطغيان فعله فلما أسند المد إليه على الطريق الذي ذكر أضاف الطغيان إليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك أنه حين أسند المد إلى الشياطين أطلق الغي ولم يقيده بالإضافة في قوله وإخوانهم يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى إلا أن العمى عام في البصر والرأي والعمه في الرأي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري أين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه أي الذين لا رأي لهم ولا دراية بالطرق وسلكت أرضا عمهاء لا منار بها **أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين** ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لأن الاشتراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر ومنه

أخذت بالجمة رأسا أزعرا ... وبالثنايا الواضحات الدردرا

وبالطويل العمر عمرا جيدرا ... كما اشترى المسلم إذ تنصرا

وعن وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به بني إسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة فإن قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه وإعراضهم كأنه في أيديهم فإذا تركوه إلى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولأن الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي الشف من قولك أشف بعض ولده على بعض إذا فضله ولهذا على هذا شف والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة كأنها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرأ ابن أبي عبلة تجاراتهم فإن قلت كيف أسند الخسران إلى التجارة وهو لأصحابها قلت هو من الإسناد المجازي وهو أن يسند الفعل إلى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين فإن قلت هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الإسناد المجازي قلت نعم إذا دلت الحال وكذلك الشرط في صحة رأيت أسدا وأنت تريد المقدام إن لم تقم حال دالة لم يصح فإن قلت هب أن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبايعة على الحقيقة قلت هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو أن تساق كلمة المجاز ثم تقفى بأشكال لها وأخوات إذا تلاحقن لم تر كلاما أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب في البليد كأن أذني قلبه خطلاوان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه أذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة

تمثيلا لتحققها بلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه

ولما رأيت النسر عز ابن دأية ... وعشش في وكريه جاش له صدري

لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاك العرب في أمه

فما أم الردين وإن أدلت ... بعالمة بأخلاق الكرام

إذا الشيطان قصع في قفاها ... تنفقناه بالحبل التؤام

أي إذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى المحكم يريد إذا حردت وأساءت الخلق اجتهدنا في إزالة غضبها وإماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع أولا ثم ضم إليه التنفق ثم الحبل التؤام فكذلك لما ذكر سبحانه الشراء أتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه إليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته فإن قلت ما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قلت معناه أن الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيئان سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معا لأن رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في أيديهم إلا الضلالة لم يوصفوا بإصابة الربح وإن ظفروا بما ظفروا به من الأغراض الدنيوية لأن الضال خاسر دامر ولأنه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر

مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الألد وقمع لسورة الجامح الأبي ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله وفشت في كلام رسول الله وكلام الأنبياء عليهم السلام والحكماء قال الله تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ومن سور الإنجيل سورة الأمثال والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول إلا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير فإن قلت ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه أحد المثلين بصاحبه قلت قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون أي وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم أخذ في بيان عجائبها ولله المثل الأعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة مثلهم في التوراة أي صفتهم وشأنهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشأن فإن قلت كيف مثلت الجماعة بالواحد قلت وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات أمران أحدهما أن الذي لكونه وصلة إلى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في أسماء الفاعلين والمفعولين والثاني أن جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون إنما ذلك علامة لزيادة الدلالة ألا ترى أن سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذي استوقد نارا على أن المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد إنما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار

بجملتها فاما قوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها من اخواته وتكل في الجبل اذا اصعد وعلا
والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوؤها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا
والنور مشتق منها والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية ويحتمل ان تكون
غير متعدية مسندة الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء ويعضده قراءة ابن ابي عبلة ضاءت وفيه وجه
آخر وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة
وحوله نصب على الظرف وتاليفه للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور فان قلت اين جواب لما قلت فيه وجهان احدهما
ان جوابه ذهب الله بنورهم والثاني انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه لاستطالة الكلام مع امن الالباس للدال عليه
وكان الحذف اولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ في اداء المعنى كانه
قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار فان قلت فاذا قدر
الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم قلت يكون كلاما مستانفا كانهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض
سائل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان فان قلت
قد رجع الضمير في هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني قلت مرجعه الذي استوقد لانه في معنى الجمع واما جمع هذا الضمير
وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى فان قلت فما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى في قوله ذهب الله بنورهم قلت اذا
طفئت النار بسبب سماوي ريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد ووجه آخر وهو ان يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها
الله ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء الا ترى الى قوله كلما اوقدوا
نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العيث فاطفاها الله وخيب
امانيهم فان قلت كيف صح في النار المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد قلت هو خارج على طريقة المجاز المرشح فاحسن تدبره فان قلت
هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما اضاءت قلت ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم
الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا الا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة
عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون فان قلت
فلم وصفت بالاضاءة قلت هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لكل
طماح والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله
اخذه فلما ذهبوا به اذا لذهب كل اله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب
وقرا اليماني اذهب الله نورهم وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري
مجرى افعال القلوب كقول عنترة: فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله تعالى وتركهم في ظلمات اصله هم في ظلمات

ثم دخل ترك فنصب الجزئين والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك
لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرا الحسن ظلمات بسكون اللام وقرا اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك
المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير متعد اصلا نحو يعمهون في قوله ويذرهم في طغيانهم فان قلت فيم
شبهت حالهم بحال المستوقد قلت في انهم غب الاضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة فان قلت واين الاضاءة في حال المنافق
وهل هو ابدا الا حائر خابط في ظلماء الكفر قلت المراد ما استضاؤوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة
ظلمة النفاق التي ترمي بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على اسرارهم وما افتضحوا به
بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والاوجه ان يراد الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الآية تفسير آخر وهو انهم لما وصفوا بانهم
اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع
بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم **صم بكم عمي فهم لا يرجعون** كانت حواسهم سليمة ولكن
لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا باعينهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتقضت
بناها التي بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله: صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ۞ وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا
اصم عما ساءه سميع ۞ اصم عن الشيء الذي لا اريده ۞ واسمع خلق الله حين اريد ۞ فاصممت عمرا واعميته ۞ عن الجود والفخر يوم الفخار
فان قلت كيف طريقته عند علماء البيان قلت طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا في الصفات وذاك في الاسماء
وقد جاءت الاستعارة في الاسماء والصفات والافعال جميعا تقول رايت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الاسلام واضاء الحق فان قلت هل يسمى
ما في الآية استعارة قلت مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة
انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال او فحوى الكلام كقول
زهير: لدى اسد شاكي السلاح مقذف ۞ له لبد اظفاره لم تقلم ۞ ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه ويضربون
عن توهمه صفحا قال ابو تمام: ويصعد حتى يظن الجهول ۞ بان له حاجة في السماء ۞ وليعضهم: لا تحسبوا ان في سرباله رجلا ففيه غيث وليث
مسبل مشك ۞ وليس لقائل ان يقول طوي ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدا فاتسلق بذلك الى تسميته استعارة لانه في حكم المنطوق
به نظيره قول من يخاطب الحجاج: اسد علي وفي الحروب نعامة ۞ فتخاء تنفر من صفير الصافر ۞ ومعنى لا يرجعون انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان
باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون
ايتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدؤوا منه **او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في آذانهم من
الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين** ثنى الله سبحانه في شانهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا غب ايضاح وكما يجب على البليغ في
مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ: يرمون بالخطب الطوال وتارة
وحي الملاحظ خيفة الرقباء ۞ ومما ثني من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل

ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات والا ترى الى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته. اذاك ام نمش بالوشي اكرعه. اذاك ام خاضب بالسي مرتعه
فان قلت قد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه في التمثيل
الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد والبرق وبالصواعق قلت لقائل ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيا به حيوة الارض بالمطر
وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة
اهل الاسلام بالصواعق والمعنى او كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فان قلت هذا تشبيه
اشياء باشياء فاين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وفي قول امرئ القيس
كان قلوب الطير رطبا ويابسا . لدى وكرها العناب والحشف البالي قلت كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة
كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل
والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء يقدر
شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه ان العرب تاخذ اشياء فرادى معزولا بعضها من بعض لم ياخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها
بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء في القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا باخرى
مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الآية ~~وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا~~
باخرى مثلها الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي
الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفتيه من الكد والتعب وكقوله واضرب
لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فاما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها
ببعض ومصيرة شيئا واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر
عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق فان قلت
الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك او كمثل ذوي صيب هل تقدر مثله في المركب منه قلت لولا طلب الراجع
في قوله يجعلون اصابعهم في آذانهم ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لاني اراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي اولي حرف
التشبيه مفرد يتاتى التشبيه به ام لم يله الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا الآية كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء
ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد. وما الناس الا كالديار واهلها . بها يوم حلوها وغدوا بلاقع . لم يشبه الناس
بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول اهل الديار فيها وسرعة نهوضهم عنها وتركها خلاء خاوية فان قلت اي
التمثيلين ابلغ قلت الثاني لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخروهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ
فان قلت لم عطف احد التمثيلين على الآخر بحرف الشك قلت اوفي اصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي
في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان في استصواب ان تجالس ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا الآية

والكفور سواء في وجوب عصيانهما فكذلك قوله تعالى او كصيب معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتي هاتين القصتين وان القصتين
سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل
ويقع ويقال للسحاب صيب ايضا قال . الشماخ . واسحم دان صادق الرعد صيب . وتنكير صيب لانه اريد نوع من المطر شديد هائل
كما نكرت النار في التمثيل الاول وقرئ او كصايب والصيب ابلغ والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف فان قلت قوله من السماء
ما الفائدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء قلت الفائدة فيه انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب من سماء اي من افق واحد من بين سائر الآفاق
لان كل افق من آفاقها سماء كما ان كل طبقة من الطباق سماء في قوله تعالى واوحى في كل سماء امرها والدليل عليه قوله . ومن بعد ارض بيننا وسماء .
والمعنى انه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء وكما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير امده بذلك بان جعله مطبقا وفيه
ان السحاب من السماء ينحدر ومنها ياخذ ماءه لا كزعم من يزعم انه ياخذ من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد فان قلت بم
ارتفع ظلمات قلت بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب كان اجرام السحاب تضطرب وتنتقض
اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع فان قلت قد جعل الصيب مكانا للظلمات
فلا يخلو ان يراد به السحاب او المطر فايهما اريد فما ظلماته قلت اما ظلمات السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة
اليهما ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال الغمامة مع ظلمة الليل فان قلت كيف يكون المطر
مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب قلت اذا كانا في اعلاه ومصبه وملتبسين في الجملة بهما فهما فيه الا تراك تقول فلان في البلد وما هو منه
الا في حيز يشغله جرمه فان قلت هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول البحتري . يا عارضا متلفعا ببروده . يختال بين بروقه ورعوده .
وكما قيل ظلمات قلت فيه وجهان احدهما ان يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي
حكم اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد الحدثان كانه قيل وارعاد وابراق وانما جاءت هذه الاشياء منكرات
لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب كونه محذوفا
قايما مقامه الصيب كما قال تعالى او هم قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف عول على بقاء معناه في قوله
يسقون من ورد البريص عليهم . بردى يصفق بالرحيق السلسل . حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستانفا
لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكان قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف
حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم فان قلت رؤوس الاصابع هي التي تجعل في الآذان فهلا قيل اناملهم قلت هذا من
الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي
الى الرسغ وايضا ففي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل فان قلت فالاصبع التي تسد بها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون
الخاص قلت لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى بآداب القرآن الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة
والدعاءة فان قلت فهلا ذكر بعض هذه الكنايات قلت هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد وقوله من الصواعق

اناة جنته حول قراريه . تبر ابي مارية الكريم المفضل . بيض الوجوه كريمة احسابهم . شم الانوف من الطراز الاول .
يغشون حتى ما تهر كلابهم . لا يسالون عن السواد المقبل

متعلق بيجعلون اى من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم فى آذانهم كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار
قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهى نار لطيفة حديدة لا تمر بشىء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت
على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اى مات اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله تعالى
وخر موسى صعقا وقرأ الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البناءين سواء فى التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله الا تراك
تقول صقعه على رأسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ فى جذب ليس بقلبه لاستوائهما فى التصرف وبناؤها اما ان تكون
صفة لصقعة الرعد او للرعد والتاء مبالغة كما فى الراوية او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرأ ابن ابى ليلى حذار الموت وانتصب على انه مفعول له
كقوله ⁂ واغفر عوراء الكريم ادخاره ⁂ والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحيوة واحاطة الله بالكافرين
مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم
كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شىء قدير والخطف الاخذ بسرعة وقرأ
مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح افصح واعلى وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء واصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما
على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن على يخطف من خطف وعن ابى يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم استيناف ثالث
كأنه جواب لمن يقول كيف يصنعون فى تارتى خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم
من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا
خطوات يسيرة فاذا خفى وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد فى قصيف الرعد فاصمهم او فى ضوء البرق
فاعماهم واضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا فى مطرح نوره
وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن ابى عبلة كلما ضاء لهم والمشى جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعى فاذا ازداد فهو عدو فان قلت كيف قيل
مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا قلت لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان المشى وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة
انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس واظلم يحتمل ان يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة
يزيد بن قطيب اظلم على ما لم يسم فاعله وجاء فى شعر حبيب بن اوس ⁂ هما اظلما حالى ثمت اجليا ⁂ ظلاميهما عن وجه امرد اشيب
وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة
فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا فى مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد ومفعول شاء محذوف
لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف فى شاء واراد لا يكادون يبرزون المفعول
الا فى الشىء المستغرب كقوله ⁂ فلو شئت ان ابكى دما لبكيته ⁂ وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا لو اراد الله ان يتخذ ولدا ولو شاء الله لذهب
بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق وقرأ ابن ابى عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم والشىء ما صح
ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه فى ساقة الباب المترجم بباب مجارى اواخر الكلم من العربية وانما يخرج التأنيث من التذكير الا ترى ان الشىء

يقع على كل ما اخبر عنه من قبل ان يعلم اذكر هو ام انثى والشىء مذكر وهو اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجرى على الجسم والعرض والقديم تقول شىء لا كالاشياء
اى معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال فان قلت كيف قيل على كل شىء قدير وفى الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر
قلت مشروط فى حد القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى فى نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها فكأنه قيل على كل شىء مستقيم
قدير ونظيره فلان امير على الناس اى على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل بين قادرين فمختلف فيه فان قلت مم
اشتقاق القدير قلت من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى
خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون لما عدد الله فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم
وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله اياك نعبد واياك نستعين
وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما انك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط
منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة فى مجارى امورك وتستوى على جادة السداد فى مصادرك ومواردك نبهته
بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى ارشادك زيادة استدعاء واوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه ما لا يجده اذا استمررت
على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان فى الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول وبلغنا باسناد صحيح
عن ابرهيم عن علقمة ان كل شىء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكى ويا ايها الذين آمنوا فهو مدنى فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركى مكة
ويا حرف وضع فى اصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه واما نداء القريب فله اى والهمزة ثم استعمل فى مناداة من سها وغفل وان قرب
تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودى به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بان الخطاب الذى يتلوه معنى به جدا فان قلت فما بال الداعى يقول فى
جؤاره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد واسمع به وابصر قلت هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله
ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط فى جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لندائه وابتهاله واى وصلة الى نداء ما فيه
الالف واللام كما ان ذو والذى وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان
يردفه اسم جنس او ما يجرى مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذى يعمل فيه حرف النداء هو اى والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف الا ان
ايا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفى هذا التدريج من الابهام الى التوضيح ضرب من التأكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة
وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اى من الاضافة فان قلت لم كثر فى كتاب الله النداء على هذه
الطريقة ما لم يكثر فى غيره قلت لاستقلاله باوجه من التأكيد واسباب من المبالغة لان كل ما نادى الله له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره
ووعده ووعيده واقتصاص اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما انطق به كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها
ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان ينادوا بالآكد الابلغ فان قلت لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى
المؤمنين والكافرين جميعا او الى كفار مكة خاصة على ما روى عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف امروا بما هم متلبسون به وهل هو الا كقول
القائل ⁂ فلو انى فعلت كنت من تسأله وهو قائم ان يقوما ⁂ واما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه قلت المراد

بعبادة المؤمنين ازديادهم منها وإقبالهم وثباتهم عليها وأما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد منه وهو الإقرار كما يشترط على المأمور بالصلاة
شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الأمر به وإن لم يذكر حيث لم ينفعل إلا به وكان من لوازمه على أن مشركي مكة كانوا
يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فإن قلت فقد جعلت قوله اعبدوا متناولاً شيئين معاً الأمر بالعبادة والأمر بازديادها
قلت الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئاً آخر فإن قلت ربكم ما المراد به قلت كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم
فإن خص الخطاب بالمشركين فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والأرض والآلهة التي كانوا يسمونها أرباباً وكان قوله الذي خلقكم صفة موضحة مميزة وإن كان الخطاب
للفريقين جميعاً فالمراد به ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة إلا أن الأول
أوضح وأصح والخلق إيجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل إذا قدرها وسواها بالمقياس وقرأ أبو عمرو خلقكم بالإدغام وقرأ أبو السميفع وخلق
من قبلكم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها على إشكالها أن يقال أقحم الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيداً
كما أقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا أبا لكم تيماً الثاني بين الأول وما أضيف إليه وكإقحامهم لام الإضافة بين المضاف والمضاف إليه في لا أبا لكم
ولعل للترجي أو الإشفاق تقول لعل زيداً يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر أو يخشى لعل الساعة قريب ألا ترى إلى قوله
والذين آمنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الإطماع في مواضع من القرآن ولكن لأنه إطماع من كريم رحيم إذا أطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجري إطماعه
مجرى وعده المحتوم وفاؤه به قال من قال إن لعل في كلمة الله بمعنى كي ولعل لا يكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما ألقيت إليك وأيضاً فمن ديدن الملوك وما عليه أوضاع أمرهم
ورسومهم أن يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون أنفسهم على إنجازها على أن يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات أو يخيلوا إخالة أو يظفر منهم بالرمزة
أو الابتسامة أو النظرة الحلوة فإذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب ما عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملك
ذي العز والكبرياء أو يجيء على طريق الإطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم
فإن قلت فلعل التي في الآية ما معناها وما موقعها قلت ليست مما ذكرناه في شيء لأن قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز أن يحمل على رجاء الله تقواهم لأن
الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على أن يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد أيضاً ولكن لعل واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة لأن الله
عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وأزاح العلة في أقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في أيديهم زمام الاختيار
وأراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم أن يتقوا ليترجح أمرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين أن يفعل
وأن لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وإنما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء أمرهم على الاختيار فإن قلت
كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون كذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم قلت لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين
على الغائبين في اللفظ والمعنى على إرادتهم جميعاً فإن قلت فهلا قيل تعبدون لأجل اعبدوا أو اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم قلت ليست
التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك إلى تنافر النظم وإنما التقوى قصارى أمر العابد ومنتهى جهده فإذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على أقصى
غايات العبادة كان أبعث على العبادة وأشد إلزاماً لها وأثبت لها في النفوس ونحوه أن تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يميني إلا لجر
الأثقال ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع ثم إنه سبحانه من موجبات عبادته ولزوم ما ينبغي الشكر له خلقهم أحياء

قادرين وأن لا إله سابغة أصول النعم وفروعها والسبب المتمكن من العبادة والشكر بغيرهما الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء
ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ثم خلق الأرض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة
المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة
والمظلة بإنزال الماء منها عليها والإخراج به من بطنها أشباه النسل المنتج من الحيوان من ألوان الثمار رزقاً لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبراً ومتسلقاً إلى
النظر الموصل إلى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق أنفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وأن شيئاً من هذه
المخلوقات كلها لا يقدر على إيجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك أن لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوق منها له أنداداً وهم يعلمون أنها لا تقدر
على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته إما أن يكون في محل النصب وصفاً كالذي خلقكم أو على المدح والتعظيم وإما أن يكون رفعاً على الابتداء وفيه ما في النصب
من المدح وقرأ يزيد الشامي بساطاً وقرأ طلحة مهاداً ومعنى جعلها فراشاً وبساطاً ومهاداً للناس أنهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب
أحدهم على فراشه وبساطه ومهاده فإن قلت هل فيه دليل على أن الأرض مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه إلا أن الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش
وسواء كانت على شكل السطح أو شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد أطرافها وإذا كان متسهلاً في الجبل وهو وتد
من أوتاد الأرض فهو في الأرض ذات الطول والعرض أسهل والبناء مصدر سمي به المبني بيتاً كان أو قبة أو خباء أو طرافاً وأبنية العرب أخبيتهم ومنه بنى
على امرأته لأنهم كانوا إذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديداً فإن قلت ما معنى إخراج الثمرات بالماء وإنما خرجت بقدرته ومشيئته قلت المعنى أنه جعل الماء
سبباً في خروجها ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على أن ينشئ الأجناس كلها بلا أسباب ولا مواد كما أنشأ نفوس الأسباب والمواد ولكن له في
إنشاء الأشياء مدرجاً لها من حال إلى حال وناقلاً من مرتبة إلى مرتبة حكماً ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده
عبراً وأفكاراً صالحة وزيادة طمأنينة وسكون إلى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في إنشائها بغتة من غير تدريج وترتيب ومن في من الثمرات للتبعيض
بشهادة قوله فأخرجنا به من كل الثمرات وقوله فأخرجنا به ثمرات لأن المنكرين أعني ماء ورزقاً يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكأنه قيل
وأنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لأنه لم ينزل من السماء الماء كله ولا أخرج
بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز أن تكون للبيان كقولك أنفقت من الدراهم ألفاً فإن قلت فبم انتصب رزقاً قلت إن كانت
من للتبعيض كان انتصابه بأنه مفعول له وإن كانت مبينة كان مفعولاً لأخرج فإن قلت فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات
دون الثمر والثمار قلت فيه وجهان أحدهما أن يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان أدركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة
الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وإنما هي مدر متلاحق والثاني أن الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات
وثلاثة قروء ويعضد الوجه الأول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد ولكم صفة جارية على الرزق إن أريد به العين وإن جعل اسماً للمعنى فهو
مفعول به كأنه قيل رزقاً إياكم فإن قلت بم تعلق فلا تجعلوا قلت فيه ثلاثة أوجه أن يتعلق بالأمر أي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا له أنداداً لأن أصل
العبادة وأساسها التوحيد وأن لا يجعل لله ند ولا شريك أو بلعل على أن ينتصب تجعلوا انتصاب فأطلع في قوله عز وجل لعلي أبلغ الأسباب
أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى في رواية حفص عن عاصم أي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه أو بالذي جعل لكم إذا رفعته

الى الانداد اي هو الذي خصكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل
المخالف المناوي قال جرير أتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا اذا نفر ومعنى
قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه فان قلت كانوا يسمون اصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا
يزعمون انها تخالف الله وتناويه قلت لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته
ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم كما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شأنهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند
قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا
لله ندا فان قلت ما معنى وانتم تعلمون قلت معناه وحالكم وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق
الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنو الحرم من قريش وكنانة
لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كانه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد اي انتم
العرافون المميزون ثم ان ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر
وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله تعالى هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين لما احتج
عليهم بما اثبت الوحدانية وحققها وابطل الاشراك وهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله
وغطى على ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة واراهم
كيف يتعرفون أهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند نفسه كما يدعون بارشادهم الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته
فان قلت لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال قلت لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي
وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب
النوازل وكفاء الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيئا فشيئا حسب ما يعن لهم من الاحوال
المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسائله ضربة فلو انزله الله لانزله خلاف
هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج
فهاتوا انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من اصغر السور او آيات شتى مفتريات وهذا غاية التبكيت ومنتهى ازاحة
العلل وقرئ على عبادنا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلاث آيات وواوها ان كانت اصلا
فاما ان تسمى بسورة المدينة وهي حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم
واجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها واما ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة ولرهط حراب وقد سورة في المجد
ليس غرابها بمطار لاحد معنيين لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القارئ وهي ايضا في انفسها مترتبة طوال

لا اريد ان نهى القوم عند اكل النحل النهى بالحال
فقيل لهم لا تبادروا الى الفساد في حال فسادكم
لان القوم كانوا فسادين فقد قال فان قلت
التقييد بالحال يوهم ان النهي اشتغال الفساد
لا الفساد مطلقا قلت يختلف المعنى با
ختلاف المقام فالقوم لما كانوا اهل الفسادين
في الفساد نهوا عما كانوا عليه فالحال مؤكدة
ومن ثم قال في حال فسادكم اي الفساد
الذي خصت بكم وهو الفساد في الارض وقال
ابو البقا مفسدين حال مؤكدة لان قوله
لا تعثوا اي لا تفسدوا ه ط

واوساط وقصار او لرفعة شانها وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية
من الشيء والفضلة منه فان قلت ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا قلت ليست الفائدة في ذلك واحدة ولامر ما انزل الله التورية
والانجيل والزبور وسائر ما اوحاه الى انبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور
بالتراجم ومن فوائده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل وافخم من ان يكون بيانا واحدا ومنها ان القارئ اذا
ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له واهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر اذا علم
انه قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى راس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزأ القراء القرآن اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان
الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه
ويغتبط به ومنه حديث انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرا البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلوة بسورة تامة افضل ومنها
ان التفصيل بسبب تلاحق الاشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوائد والمنافع
من مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فاتوا والضمير للعبد فان قلت وما
مثله حتى ياتوا بسورة من ذلك المثل قلت معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم او فاتوا ممن هو على
حاله من كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرا الكتب ولم ياخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى للحجاج وقد قال له لاحملنك
على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج ورد
الضمير الى المنزل اوجه لقوله تعالى فاتوا بسورة مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولان القرآن جدير بسلامة الترتيب
والوقوع على اصح الاساليب والكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه
ان لا يفك عنه برد الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن منزل من عند الله فهاتوا انتم نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب
لو كان الضمير مردودا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولانهم اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير
بان ياتوا بطائفة يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليات واحد آخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير
هو الملائم لقوله وادعوا شهداءكم من دون الله والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء
الدون وهو الدني الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك اذا كان
احط منه قليلا ودونك هذا اصله خذه من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو
في الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد رام ان يثني عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم
الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية
يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله لم ينلك غيرها ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداءكم فان علقته
بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم

بين يدي الله من قول الاعشى * تريك القذى من دونها وهي دونه * اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا
بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم
انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تأبى
عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلي في عقولهم احالته
وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه جائز وان علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندعيه حق كما
يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوى عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان
لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا صادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي العجز وسقوط
القدرة وعن بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة او ادعوا من دون الله شهداءكم يعني ان الله شاهدكم
لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين اعناق رواحلكم والجن والانس شاهدتكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن
والانس الا الله تعالى لانه القادر وحده على ان يأتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في معنى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين لما ارشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون امر النبي صلى الله عليه وسلم
وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد صرح الحق
عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليل على اثبات النبوة وصحة كونه المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا
وهو غيب لا يعلمه الا الله فان قلت انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فلم جيء باذا الذي للوجوب دون ان الذي للشك قلت فيه وجهان احدهما
ان يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام
والثاني ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما به فان قلت
لم عبر عن الاتيان بالفعل واي فائدة في تركه اليه قلت لانه فعل من الافعال تقول اتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية
التي تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه الا ترى ان الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد
كيفيات وافعالا فتقول بئس ما فعلت ولو ذكرت ما انبت عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل من لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال
فان لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله فان قلت ولن تفعلوا ما محلها قلت لا محل لها لانها جملة اعتراضية فان قلت ما حقيقة لن
في باب النفي قلت لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا كما تفعل
في انا مقيم واني مقيم وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف
مقتضب لتأكيد نفي المستقبل فان قلت من اين لك انه اخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة قلت لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع ان يتواصفه
الناس ويتناقلوه اذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه اكثر عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم انه اخبار بالغيب
على ما هو به فكان معجزة فان قلت ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله قلت انهم اذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم

عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله صلعم واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم
ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى
النار ترك المعاندة ونظيره ان يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر
السخط وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القرآن وتهويل شأن العناد بانابة اتقاء النار
منابه وابرازه في صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع امرها والوقود ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه
وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود اكثر والوقود الحطب وقرأ عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما يقال
فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل قولك حيوة المصباح السليط اي ليس حيوته الا به وكان نفس السليط حيوته فان قلت صلة الذي
والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الآخرة توقد بالناس والحجارة قلت لا يمتنع ان تقدم لهم بذلك سمع من اهل الكتاب
او سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة فان قلت فلم جاءت النار الموصوفة
بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وههنا معرفة قلت تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا
بها الى ما عرفوه اولا فان قلت ما معنى قوله وقودها الناس والحجارة قلت معناه انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس
والحجارة وبان غيرها ان اريد احراق الناس بها او احماء الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه او احماؤه وتلك اعاذنا الله منها برحمته الواسعة
توقد بنفس ما تحرق وتحمى بالنار وبانها لافراط حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها فان قلت انار الجحيم كلها
موقدة بالناس والحجارة ام نيران شتى منها نار بهذه الصفة قلت بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله
قوا انفسكم واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها
هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب فان قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا قلت لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا
حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دونه قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه
فقوله انكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون
الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم
ابلاغا في ايلامهم واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكافرين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى
عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له
بمعاني التنزيل اعدت هيئت وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات
تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون
من عادته عز وعلا في كتابه ان يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف
فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي

وجوههم من الإحباط بالكفر والكبائر بالثواب فإن قلت من المأمور بقوله وبشر قلت يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن يكون كل أحد كما قال عليه السلام
بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة لم يأمر بذلك واحداً بعينه وإنما كل أحد مأمور به وهذا الوجه أحسن وأجزل
لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به فإن قلت علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر
ولا نهي يصح عطفه عليه قلت ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي يعطف عليه إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف
ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والإرهاق وبشر عمراً بالعفو والإطلاق ولك أن تقول هو معطوف
على قوله فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني أسد بإحساني إليهم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنه وبشر على لفظ
المبني للمفعول عطفاً على أعدت والبشارة الإخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء إذا قال لعبيده أيكم بشرني بقدوم فلان
فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم لأنه هو الذي أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني أخبرني عتقوا جميعاً لأنهم جميعاً أخبروه ومنه البشرة
لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من أوائل ضوئه وأما فبشرهم بعذاب أليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ
به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فأعتبوا بالصيلم والصالحة نحو الحسنة في جريها
مجرى الاسم قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لأم بظهر الغيب تأتيني والصالحات كل ما استقام
من الأعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فإن قلت أي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع قلت إذا
دخلت على المفرد كان صالحاً لأن يراد به الجنس إلى أن يحاط به وأن يراد به بعضه إلى الواحد منه وإذا دخلت على المجموع صلح أن يراد به جميع الجنس وأن
يراد به بعضه لا إلى الواحد لأن وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه فإن قلت فما
المراد بهذا المجموع مع اللام قلت الجملة من الأعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف والجنة البستان من النخل
والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه والتركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها وتظليلها
سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه إذا ستره كأنها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان فإن قلت الجنة
مخلوقة أم لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول إنها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة وبمجيئها في القرآن على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة
بالأعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها فإن قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة
مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فإن قلت أما يشترط في استحقاق الثواب بالإيمان والعمل الصالح
أن لا يحبطهما المكلف بالكفر والإقدام على الكبائر وأن لا يندم على ما أوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك قلت لما جعل الثواب
مستحقاً بالإيمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول أن الإحسان إنما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء إذا لم يتعقبه ما يفسده
ويذهب بحسنه وأنه لا يبقى مع وجود مفسد إحساناً وأعلم بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو أكرم الناس عليه وأعزهم لئن أشركت ليحبطن عملك وقال للمؤمنين
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم كان اشتراط حفظهما من الإحباط والندم كالداخل تحت الذكر فإن قلت كيف
صورة جري الأنهار من تحتها قلت كما ترى الأشجار النابتة على شواطئ الأنهار الجارية وعن مسروق أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود وأنزه البساتين

وأكرمها منظراً ما كانت أشجاره مظللة والأنهار في خلالها مطردة ولولا أن الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى وأن الجنان والرياض
وإن كانت آنق شيء وأحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الأنفس ولا تجلب الأريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء وإلا كان الأنس الأعظم فائتاً والسرور
الأوفر مفقوداً وكانت كتماثيل لا أرواح فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله تعالى بذكر الجنات مشفوعاً بذكر الأنهار الجارية من تحتها مسوقين على قران
كالشيئين لا بد لأحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل
نهر مصر واللغة العالية نهَر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة وإسناد الجري إلى الأنهار من الإسناد المجازي كقولهم بنو فلان يطؤهم
الطريق وصيد عليه يومان فإن قلت لم نكرت الجنات وعرفت الأنهار قلت أما تنكير الجنات فقد ذكر وأما تعريف الأنهار فأن يراد الجنس
كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب وألوان الفواكه تشير إلى الأجناس التي في علم المخاطب أو يراد أنهارها فعوض التعريف باللام
من تعريف الإضافة كقوله واشتعل الرأس شيباً أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه
الآية وقوله كلما رزقوا لا يخلو من أن يكون صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدأ محذوف أو جملة مستأنفة لأنه لما قيل إن لهم جنات لم يخل خلد السامع
أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس أخر لا تشابه هذه الأجناس فقيل إن ثمارها أشباه ثمار جنات الدنيا أي أجناسها أجناسها وإن
تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا الله تعالى فإن قلت ما موقع من ثمرة قلت هو كقولك كلما أكلت من بستانك من الرمان شيئاً حمدتك فموقع من ثمرة
موقع قولك من الرمان كأنه قيل كلما رزقوا من الجنات من أي ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو عنبها أو غير ذلك رزقاً قالوا ذلك فمن في الأولى والثانية كلتاهما
لابتداء الغاية لأن الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل أن تقول رزقني فلان فيقال لك من أين فتقول
من بستانه فيقال من أي ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وتحريره أن رزقوا جعل مطلقاً مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيداً بالابتداء
من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة على هذا التفسير وإنما المراد النوع من أنواع الثمار
ووجه آخر وهو أن يكون من ثمرة بياناً على منهاج قولك رأيت منك أسداً تريد أنت أسد وعلى هذا يصح أن يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة
فإن قلت كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل وكيف تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي
رزقناه من قبل وشبهه بدليل قوله وأتوا به متشابهاً وهذا كقولك أبو يوسف أبو حنيفة تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته فإن قلت إلام يرجع
الضمير في وأتوا به قلت إلى المرزوق في الدنيا والآخرة جميعاً لأن قوله هذا الذي رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره
قوله تعالى إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما أي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنياً أو فقيراً على الجنسين ولو رجع الضمير إلى المتكلم به لقيل أولى به
على التوحيد فإن قلت لأي غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم يكن أجناساً أخر قلت لأن الإنسان بالمألوف آنس وإلى المعهود
أميل وإذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولأنه إذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم معه ألف ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة
وتفاوتاً بيناً بينه وبين ما عهد بلغ أفرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنساً
لم يعهده وإن كان فائقاً حسب أن ذلك الجنس لا يكون إلا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين أبصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها
في الحجم وأن الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة

كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها كان ذلك ابين للفضل
واظهر للمزية واجلب للسرور وازيد في التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول
ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى ان ذلك التفاوت العظيم
هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل اوان وعن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال
كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في اتوا به
الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة ياتيهم متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن احدهم
بالصحفة فياكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه عليه السلام
والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة لياكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة
هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير الاول هو هو **فان قلت** كيف موقع قوله واتوا به متشابها من نظم الكلام **قلت** هو كقولك فلان
احسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى واجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل
التي تساق في الكلام معترضة للتقرير والمراد بتطهير الازواج ان طهرن مما يختص بالنساء وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس ويجوز
لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بانفسهن ومما ياخذنه من اعراق السوء
والمناصب الردية والمناشي المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن **فان قلت** فهلا جاءت الصفة مجموعة كالموصوف
قلت هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة

واذا العذارى بالدخان تقنعت ... واستعجلت نصب القدور فملت

والمعنى وجماعة ازواج مطهرة
وقرأ زيد بن علي مطهرات وقرأ عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما احوجني الى بيت الله فاطهر به اطهرة اي
فاتطهر به تطهرة **فان قلت** هلا قيل طاهرة **قلت** في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس
ذلك الا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس

الا انعم صباحا ايها الطلل البالي ... وهل ينعمن من كان في العصر الخالي
وهل ينعمن الا سعيد مخلد ... قليل الهموم ما يبيت باوجال

**ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله
بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين** سيقت هذه الآية لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء واهل العناد والمراء
من الكفار واستغربوه من ان تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل ان التمثيل انما يصار
اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله
وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل اذن الا امرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره

قوله فاذا سمعوا الصواب اذا سمعوا الا انه خبر ان ويجوز ان يقال ادخل الفاء نظرا لما في الموصول في قوله وان الكفار الذين علمهم لما اخبر فاذكر بعض الفضلاء انه لم يحقق الامتناع في دخول الفاء في خبر ان اذا دخل على الموصول خصوصا في هذا الموضع فان المستحق في هذا الموضع في حكم المكروة لانه وقع بعد ما سبق حكم العلم

الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا ابلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل
لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل ولذلك جعلت بيت
العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت اقل من الذباب واخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم
يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما
يحتذيه ويستدعيه ولبيان ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الامور بناظر العقل
اذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا انه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطا حوله وان الكفار الذين غلبهم
الجهل على عقولهم وغصبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقنون اذهانهم ان عرفوا انه الحق الا ان حب الرياسة وهوى الالف
والعادة لا يخليهم ان ينصفوا فاذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين
وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور واحناش الارض
والحشرات والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجمع من ذرة واجرأ من الذباب
واسمع من قراد واصرد من جرادة واضعف من فراشة وآكل من السوس وقالوا في البعوضة اضعف من بعوضة واعز من مخ البعوض وكلفتني
مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود والزنابير
والتمثيل بهذه الاشياء وباحقر منها مما لا تغبى استقامته وصحته على من به ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل
ولا متشبث بامارة ولا اقناع ان يرمي لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة
اذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا
ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله هذه الآية والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحياة يقال
حيي الرجل كما يقال نسي وخشي وشظي الفرس اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص
الحياة كما قالوا فلان هلك حياء من كذا ومات حياء ورأيت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد في مكانه خجلا **فان قلت**
كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي
كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا **قلت** هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد
وانه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب
المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب
مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول ابي تمام

من مبلغ افناء يعرب كلها ... اني بنيت الجار قبل المنزل

وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال الرجل انها
لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح

بآراء الجار وسوطة الشهادة لانسج بجيدها ولله در امر التنزيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت
عليه فيه على اقوم مناهجه واسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه. اذا ما استحيين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء
من الورد. وقرا ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه
واستحييته وهما محتملتان. حقها وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله صلعم
خاتما من ذهب وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما
تريد اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا
نصبت بعوضة فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما على الذي احسن
ووجه آخر حسن جميل وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي
ان يضرب للانداد ما شاء من الاشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي مما وهب ما دينار وديناران والمعنى ان
الله ان يتمثل للانداد وحقارة شانها بما لا شيء اصغر منه واقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزى وبما لا يدركه لتناهيه في صغره الا هو
وحده بلطفه او بالمعدوم كما تقول العرب فلان اقل من لا شيء في العدد ولقد الم به قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء
وهذه القراءة تعزى الى رؤبة بن العجاج وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما
اظنه ذهب في هذه القراءة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا او مفعول
ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصبا مفعولين فجرى ضرب مجرى جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو
القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وانشد. لنعم البيت بيت ابي دثار. اذا ما خاف بعض القوم بعضا
ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش. فما فوقها فيه معنيان احدهما
فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضرب فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس وانذلهم هو فوق ذلك
تريد ابلغ واعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها في الحجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب
المثل بالذباب والعنكبوت لانهما اكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته يشح بادنى شيء فيقول فلان يبخل بالدرهم
والدرهمين هو لا يبالي ان يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما يبخل فيه وهو الدرهم والدرهمان كانك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين
ويحتمل الاحتمالين ما يعناه في صحيح مسلم عن ابرهيم عن الاسود قال دخل شباب من قريش على عائشة رضي الله عنها وهي بمنى وهم يضحكون
فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت رسول الله صلعم
قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فيحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها في القلة وهي
نحو نخبة النملة في قوله عليه السلم ما اصاب المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وما جاوزها في العظم ما هو
اشد من الشوكة واوجع كالخرور على طنب الفسطاط فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في الصغر قلت

ليس كذلك فان جناح البعوضة اقل منها واصغر بدرجات وقد ضربه رسول الله صلعم مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان اصغر منها
ومن جناحها ربما رايت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد الا تحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا
لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك واعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها
ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم
ومما لا يعلمون وانشدت لبعضهم. يا من يرى مد البعوض جناحها. في ظلمة الليل البهيم الاليل. ويرى عروق نياطها في نحرها
والمخ في تلك العظام النحل. اغفر لعبد تاب من فرطاته. ما كان منه في الزمان الاول. واما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب
بالفاء وفائدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب
وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفائدتين بيان
كونه توكيدا وانه في معنى الشرط ففي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم
لامر المومنين واعتداد بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين اغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي
لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج وماذا فيه وجهان ان يكون ذا
اسما موصولا بمعنى الذي فتكون كلمتين وان تكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فتكون كلمة واحدة فهو على الوجه الاول مرفوع
المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله والاصوب في جوابه ان يجيء
على الاول مرفوعا وعلى الثاني منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول في جواب من قال ما رايت خير اي خير وفي جواب
ما الذي رايت خيرا اي رايت خيرا وقرى قوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين والارادة نقيض
الكراهة وهي مصدر اردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وفي حدود المتكلمين الارادة معنى يوجب للحي حالا لاجلها
يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا في ارادة الله فبعضهم على ان للبارى مثل صفة المريد منا التي هي القصد وهو امر زائد
على كونه عالما غير ساه وبعضهم على ان معنى ارادته لافعاله انه فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى ارادته لافعال غيره انه امر بها
والضمير في انه الحق للمثل او لان يضرب وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا استرذال واستحقار كما قالت عائشة في عبد الله بن عمرو بن العاص
يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل السلاح رديا كيف
تنتفع بهذا سلاحا او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين
المصدرتين باما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي
ازداد به المومنون نورا الى نورهم وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا في ظلماتهم فان قلت لم وصف
المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس اخبر تقله قلت
اهل الهدى كثير في انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهديين كثير في الحقيقة

وان قلّوا في الصورة فسمّوا ذهابا الى الحقيقة كثيرا قال: إن الكرام كثير في البلاد وإن قلّوا • كما غيرهم قلّ وإن كثروا •
وإسناد الإضلال الى الله تعالى إسناد الفعل الى السبب لأنه لما ضرب المثل فضلّ به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن
دينار أنه دخل على محبوس قد أخذ بمال عليه وقيّد فقال يا أبا يحيى أما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك رأسه فرأى سلّة فقال لمن هذه السلة
فقال لي فأمر بها تنزل فإذا دجاج وأخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلك وقرأ زيد بن علي يُضَلّ به كثير وكذلك وما يُضَلّ به
إلا الفاسقون والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة: فواسقا عن قصدها جوائرا • والفاسق في الشريعة الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة
وهو النازل بين المنزلتين أي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا إن أول من حدّ له هذا الحدّ أبو حذيفة واصل بن عطاء رضي الله عنه وعن
أشياعه وكونه بين بين أن حكمه حكم المؤمن في أنه يناكح ويوارث ويغسّل ويصلّى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم
واللعن والبراءة منه واعتقاد عداوته وأن لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن أنس والزيدية أن الصلوة لا تجزي خلفه ويقال للخلفاء المردة
من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان يريد اللمز والتنابز إن المنافقين هم الفاسقون
الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون
النقض الفسخ وفكّ التركيب فإن قلت من أين ساغ استعمال النقض في إبطال العهد قلت من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة
لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله إن بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى
إن الله أعزّك وأظهرك أن ترجع الى قومك وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه
فينبّهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع يفترس أقرانه وعالم يغترف منه الناس وإذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا إلا
وقد نبّهت على الشجاع والعالم بأنهما أسد وبحر وعلى المرأة بأنها فراش والعهد الموثق وعهد إليه في كذا إذا وصّاه به ووثّقه عليه واستعهد منه إذا
اشترط عليه واستوثق منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله أحبار اليهود المتعنتون أو منافقوهم أو الكفار جميعا فإن قلت فما المراد
بعهد الله قلت ما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كأنه أمر وصّاهم به ووثّقه عليهم وهو معنى قوله وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا
بلى أو أخذ الميثاق عليهم بأنهم إذا بعث إليهم رسول يصدّقه الله بمعجزاته صدّقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله
وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وبقوله في الإنجيل لعيسى عليه السلام سأنزل عليك كتابا فيه نبأ بني إسرائيل وما أريتهم إياه من الآيات وما أنعمت عليهم
وما نقضوا من ميثاقهم الذي وثّقوا به وما ضيّعوا من عهدي إليهم وحسن صنعي للذين قاموا بميثاق الله وأوفوا بعهده ونصوص بأسهم وكيف
أنزل بأسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا بعهده لأن اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد عليهما السلام من التحريف
والجحود وكفروا به كما كفروا به وقيل هو أخذ الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم وقيل عهد
الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد الأول الذي أخذه على جميع ذرية آدم الإقرار بربوبيته وهو قوله وإذ أخذ ربك وعهد خصّ به النبيين
أن يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله وإذ أخذ الله ميثاق
الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه للعهد وهو ما وثّقوا به عهد الله من قبوله وإلزامه أنفسهم ويجوز أن يكون

بمعنى توثقته كما ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز ان يرجع الضمير الى الله اى من بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق به عز وجل من آياته
وكتبه وانذار رسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد
والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض فان قلت ما الامر قلت طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي هو واحد
الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شبه بآمر يأمر به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كأنه مأمور به كما قيل له شأن والشأن الطلب
والقصد يقال شأنت شأنه اى قصدت قصده هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها
كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون معنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك أتكفرون بالله ومعكم
ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار والتعجب ونظيره قولك أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح فان قلت قولك اتطير بغير
جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكرت من الاماتة والاحياء قلت قد اخرج في صورة المستحيل لما قوي
من الصارف عن الكفر والداعي الى الايمان فان قلت فقد تبين امر الهمزة وانها لانكار الفعل والايذان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه
فما تقول في كيف حيث كان انكارا للحال التي يقع عليها كفرهم قلت حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان
انكار حال الكفر لانها تبيع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا
انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان
انكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو في قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت فكيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام
الامير ولكن وقد قام الا ان يضمر قد قلت لم تدخل الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى ترجعون كأنه قيل كيف
تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب آبائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت ثم
يحاسبكم فان قلت بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقع حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال
عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت هو العلم بالقصة كأنه قيل كيف تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة باولها وآخرها فان قلت فقد آل
المعنى الى قولك على اي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف الانكار وان انكار
الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكأنه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم
ثم يميتهم فلم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا
ثم عاندوا والاموات جمع ميت كالاقوال في جمع قيل فان قلت كيف قيل لهم امواتا في حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة من البنى
قلت بل يقال ذلك لعادم الحياة كقوله تعالى بلدة ميتا وآية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح
ولا احساس فان قلت ما المراد بالاحياء الثاني قلت يجوز ان يراد به الاحياء في القبر وبالرجوع النشور وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء
فان قلت لم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب بثم قلت لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ واما الموت فقد تراخى عن الاحياء والاحياء
الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا وان اريد به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ

عن النشور فان قلت من اين انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها قلت لاشتمالها على آيات بينات تصرفهم عن الكفر وعلى نعم جسام حقها
ان تشكر ولا تكفر قلت تحتمل الامرين جميعا لان ما عدده آيات وهي مع كونها آيات من اعظم النعم هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع
الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها لاشتماله على
اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع
المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها
ولم تجر مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها فان قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق
لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت ان اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء وتراد بها الجهات العلوية جاز ذلك فان
الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية جميعا نصب على الحال من الموصول الثاني والاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل
ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيئته
بعد خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد بالسماء جهات العلو كأنه قيل ثم استوى الى فوق والضمير في فسواهن ضمير مبهم
وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن
تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور او اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت
مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم فان قلت ما فسرت به معنى الاستواء الى السماء يناقضه ثم لاعطائه معنى
التراخي والمهلة قلت ثم هاهنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان
من الذين آمنوا على انه لو كان لمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك في
تضاعيف القصد اليها خلقا آخر فان قلت اما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها قلت لا لان جرم الارض تقدم خلقه
خلق السماء واما دحوها فمتأخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان
وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق واذ قال ربك للملائكة اني جاعل
في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون واذ نصب باضمار
اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل في جمع شمأل والحاق التاء لتأنيث الجمع وجاعل من جعل الذي
له مفعولان دخل على المبتدأ والخبر وهما قوله في الارض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصير في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره
والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذريته فان قلت فهلا قيل خلائف او خلفاء قلت اريد بالخليفة
آدم واستغني بذكره عن ذكر بنيه كما تستغني بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم او اريد من يخلفكم او خلفا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ
خليفة بالقاف ويجوز ان يريد خليفة مني لان آدم كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة في الارض فان قلت لاي غرض

المخبر منهم بذلك **قلت** ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت
استخلافهم وقيل لتعليم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا
عن المشاورة اتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير **فان قلت** من اين
عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب **قلت** عرفوه باخبار من الله او من جهة اللوح او ثبت في علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون
وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الآخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة وقرئ ويسفك بضم الفاء ويسفك
من اسفك وسفك والواو في ونحن للحال كما تقول اتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء وكذلك التقديس من سبح في
الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد وبحمدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا
بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم **فان قلت** هلا بين لهم تلك المصالح **قلت**
كفى العباد ان يعلموا ان افعال الله تعالى كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله
وعلم آدم الاسماء كلها **وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا**
انك انت العليم الحكيم قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين واشتقاقهم آدم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم
يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما آدم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كآزر وعازر وعابر وشالخ وفالغ
واشباه ذلك الاسماء كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام
كقوله واشتعل الراس شيبا **فان قلت** فهلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم آدم مسميات الاسماء
قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم فكما
علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها **فان قلت** فما معنى تعليمه اسماء المسميات
قلت اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها
من المنافع الدينية والدنيوية ثم عرضهم اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم
وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت ان كنتم صادقين يعني في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين
سفاكين للدماء ارادة للرد عليهم وان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد كلها ما يستأهلون لاجله ان
يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني اعلم ما لا تعلمون وقوله الم اقل لكم اني اعلم
غيب السموات والارض استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه ابسط من ذلك واشرح وقرئ وعلم آدم على
البناء للمفعول وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ ابي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسماء وقرئ انبيهم
بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة

لآدم وانا لا يوسف ولنحوه لو يجوز ان تختلف الاحوال والاوقات فيه وقرأ ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة
الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة
مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا ابى امتنع مما امر به واستكبر عنه وكان
من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه وقلنا يا آدم اسكن انت
وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه
وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين السكنى من السكون لانها نوع من اللبث
والاستقرار وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه ورغدا وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها وحيث للمكان المبهم
اي اي مكان من الجنة شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حيث لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض
المواضع الجامعة للمأكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفائتة للحصر وكانت الشجرة فيما قيل
الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي الشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابي عمرو انه
كرههما وقال يقرأ بها برابرة مكة وسودانها من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب
للنهي الضمير في عنها للشجرة اي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله
وما فعلته عن امري وقوله ينهون عن اكل وعن شرب وقيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عني
ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا وقرئ فازالهما فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة
في عنها وقرأ عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها فان قلت كيف
توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم قلت يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول
الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى
وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون قيل اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وابليس
وقيل والحية والصحيح انه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كأنهما الانس كلهم والدليل
عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو
ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع
وتمتع بالعيش الى حين يريد الى يوم القيمة وقيل الى الموت فتلقى الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم
ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به فان قلت ما هن قلت قوله ربنا ظلمنا انفسنا الآية وعن ابن مسعود رضي الله عنه
ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت

ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال الم تنفخ فيّ الروح
من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة آدم
دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه
فرجع عليه بالرحمة والقبول فان قلت لم كرر قلنا اهبطوا قلت للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله فاما يأتينكم مني هدى
فان قلت ما جواب الشرط الاول قلت الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك والمعنى فاما يأتينكم
مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي فان قلت فلم جيء بكلمة
الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه قلت للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب وانه ان لم
يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال فان قلت
الخطيئة التي اهبط بها آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج
من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة قلت
ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما
للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة
واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة وقرئ فمن تبع هدي على لغة هذيل فلا خوف بالفتح يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واوفوا
بعهدي اوف بعهدكم واياي فارهبون وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا واياي
فاتقون اسرائيل هو يعقوب عليه السلم لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة ابرهيم واسمعيل غير منصرف مثلهما لوجود العلمية
والعجمة وقرئ اسرائل واسرال اذكروا نعمتي ذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها واراد بها ما انعم به
على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة وغير ذلك وما انعم به عليهم
من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به في التوراة والانجيل والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدي
اي بما عاهدت عليه كقوله ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه ومعنى واوفوا بعهدي واوفوا بما عاهدتموني
عليه من الايمان بي والطاعة لي كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اوف بعهدكم
بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياي فارهبون فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في
افادة الاختصاص من اياك نعبد وقرئ اوف بالتشديد اي ابالغ في الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز ان يريد بقوله
واوفوا بعهدي ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم اول كافر به
اول من كفر به او اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا وهذا تعريض بانه كان يجب
ان يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحي اليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون

اياه عدوا اول كافر به فلما بعث كان امرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة الى قوله وما تفرق
الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من
اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا في التورية موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لانهم
اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله تعالى اشتروا الضلالة بالهدى وقوله ؛ كما اشترى المسلم اذ تنصرا ؛
وقوله ؛ فاني شريت الحلم بعدك بالجهل ؛ يعني ولا تستبدلوا بآياتي ثمنا قليلا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التي كانت
لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي
كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا
ويرشونهم الرشى على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الاموال ليكتموا او يحرفوا
ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واركعوا مع الراكعين اتامرون الناس بالبر وتنسون
انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون الباء التي في بالباطل ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء وخلطته به كان المعنى ولا
تكتبوا في التورية ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتي في قولك
كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه وتكتموا جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا
او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع اي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن فان قلت لبسهم وكتمانهم
ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق قلت بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا
من كتبهم في التورية ما ليس منها وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد في التورية صفة محمد او حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه
وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين وانتم تعلمون في حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه
واقيموا الصلوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود لا ركوع في صلوتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم
في دين الله ويجوز ان يراد بالركوع الصلوة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بان تصلى مع المصلين يعني في الجماعة كانه قيل واقيموا الصلوة
وصلوها مع المصلين لا منفردين اتامرون الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول
كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يامرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلعم ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون
بالصدقة ولا يتصدقون واذا اتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا
لهم قد كنتم تامروننا باشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نامركم بها ونخالف الى غيرها وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات
وانتم تتلون الكتاب تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون التورية وفيها نعت محمد صلعم او فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول
العمل افلا تعقلون توبيخ عظيم بمعنى افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكانكم في ذلك مسلوبو العقول
لان العقول تاباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين

وهب سلطان محمد خان

الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واستعينوا على حوائجكم
الى الله بالصبر والصلوة اي بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع
الوساوس ومراعاة الآداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار السموات ليسال فك الرقاب
عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها او واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة
عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وعن ابن عباس انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق
فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات
ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز ان يراد بالصلوة الدعاء وان يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعه
وانها الضمير للصلوة او للاستعانة ويجوز ان يكون لجميع الامور التي امر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي الى واستعينوا لكبيرة لشاقة
ثقيلة من قولك كبر علي هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فان قلت ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل قلت لانهم
يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون
فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه انه لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون واما من لم يوقن بالجزاء
ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال والصنائع اجرة
زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كانه يستلذ مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره بعض
الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول يا بلال روحنا والخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعة
للرملة المتطامنة واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينته واني فضلتكم نصب عطف على نعمتي اي اذكروا
نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا فيها للعالمين يقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة واتقوا يوما
لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون يوما يريد يوم القيمة لا تجزي لا تقضي عنها شيئا
من الحقوق ومنه الحديث في جذعة ابن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزاء
كقوله ولا يظلمون شيئا ومن قرأ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء وقرأ ابو السرار الغنوي لا تجزي
نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما فان قلت فاين العائد منها الى الموصوف قلت هو محذوف تقديره لا تجزي
فيه ونحوه ما انشده ابو علي ؛ تروحي اجدر ان تقيلي ؛ اي اجدر بان تقيلي فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فاجري مجرى المفعول به
فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله ؛ ام مال اصابوا ؛ ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء
وهو الاقناط الكلي القطاع للمطامع وكذلك قوله ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدى ومنه
الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل اي توبة ولا فدية وقرأ قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب
الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فأويسوا فان قلت هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة قلت

ثم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان تقبل منها شفاعة شفيع نعلم انها لا تقبل للعصاة فان قلت الضمير
في ولا يقبل منها الى اى النفسين يرجع قلت الى الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها
شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها
شيئا ولو اعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد
او الاناسي كما تقول ثلاثة انفس **واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء
من ربكم عظيم** اصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشأن كالملوك واشباههم ولا يقال آل
الاسكاف والحجام وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملح بعضهم
قد جاءه الموسى الكلوم فزاد في اقصى تفرعنه وفرط عرامه وقرئ انجيناكم ونجيتكم يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما
قال عمرو بن كلثوم اذا ما الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر الخسف فينا واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم
سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب
كله سيء اشده وافظعه كانه قبيح بالاضافة الى سائره يذبحون بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يضاهئون قول الذين
كفروا وقرا الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرا عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا
فرعون بانه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما انذر نمروذ فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ وكان ما شاء الله والبلاء المحنة
ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء **واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون
واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون**
فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرّقنا بمعنى فصّلنا يقال فرق بين الشيئين وفرّق بين الاشياء لان المسالك كانت
اثني عشر على عدد الاسباط فان قلت ما معنى بكم قلت فيه اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق
بين الشيئين بما يوسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم
والتريبا اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى
حتى نراهم فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحى اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا
وتسامعوا كلامهم وانتم تنظرون الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه
وعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقرئ
واعدنا لان الله وعده الوحي ووعد هو المجيء للميقات الى الطور من بعده من بعد مضيه الى الطور وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد
ذلك من بعد ارتكابكم الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم **واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان
لعلكم تهتدون** الكتاب والفرقان يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التوراة كقولك رايت الغيث

والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا يعني الجامع بين كونه فرقانا وضياء
وذكرا او التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات او الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق
البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد به يوم بدر **واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا
الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم** حمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم
بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة وروي بافنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد
طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهارون وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية
فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى سبعين الفا فان قلت ما الفرق بين الفاءات قلت الاولى
للتسبيب لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل
انفسهم ويجوز ان يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو
اما ان ينتظم في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات
فيكون التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم بارئكم فان قلت من اين اختص هذا الموضع بذكر البارئ قلت البارئ هو الذي خلق الخلق
بريا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك
عبادة العالم الحكيم الذي براهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة ابرياء من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة في
امثال العرب ابلد من ثور حتى عرضوا انفسهم لسخط الله ونزول امره بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم واشكالهم حين لم
يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها **واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم
تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون** قيل القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة آلاف منهم جهرة عيانا وهي مصدر من قولك
جهر بالقراءة وبالدعاء كان الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها
كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا الكلام
دليل على ان موسى عليه السلام رادّهم القول وعرفهم ان رؤية ما لا يجوز عليه ان يكون في جهة محال وان من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة
الاجسام او الاعراض فرادّوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجّوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط الله عليهم الصعقة كما سلط
على اولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة والصاعقة ما صعقهم اي اماتهم قيل نار وقعت من السماء فاحرقتهم
وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن
غشية بدليل قوله فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون وقرا علي رضي الله عنه فاخذتكم الصعقة لعلكم
تشكرون نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعد ما كفرتموها اذا رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت **وظللنا عليكم الغمام وانزلنا
عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون** وظللنا وجعلنا الغمام يظللكم وذلك في التيه سخر الله لهم

السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوءه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم المن وهو الترنجبين
مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه كلوا
على ارادة القول وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه واذ قلنا ادخلوا هذه القرية
فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين القرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى
الشام امروا بدخولها بعد التيه والباب باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام
امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات
وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على اوراكهم حطة فعلة من الحط كالجلسة والركبة
وهي خبر مبتدا محذوف اي مسئلتنا حطة او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات
كقوله صبر جميل فكلانا مبتلى والاصل صبرا على اصبر صبرا وقرأ ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط
في هذه القرية ونستقر فيها فان قلت هل يجوز ان تنصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة قلت لا يبعد والاجود
ان تنصب باضمار فعلها وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا وقرئ يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء وسنزيد المحسنين اي من كان
محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فانزلنا على
الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون بدل الذين ظلموا اي وضعوا مكان حطة قولا غيرها يعني انهم امروا بقول معناه التوبة
والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤا
بلفظ آخر لانهم لو جاؤا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا
وما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما
عند الله الى طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء
في سورة الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار والرجز العذاب وقرئ بضم الراء وروي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون
الفا وقيل سبعون الفا واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا
من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين عطشوا في التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام اما للعهد والاشارة
الى حجر معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه ثلث اعين لكل سبط عين تسيل في
جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب عليه السلام
فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبريل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر
فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا
اظهر في الحجة وابين في القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا القاه

وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة
وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل كان مثل راس الانسان وقيل كان من آس الجنة
طوله عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت الفاء متعلقة بمحذوف اى
فضرب فانفجرت او فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فصيحة لا تقع الا في كلام
بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التى يشربون منها كلوا على ارادة القول
من رزق الله مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه
ويشرب والعثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم
فاجتووا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت انفسهم الشقاء وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت
الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم
وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون على طعام واحد ارادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى فان قلت هما طعامان فما لهم قالوا على طعام
واحد قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا يأكل
فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ
والترف ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد الا ما الفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالبقول والحبوب ونحو ذلك
يخرج لنا يظهر لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التى ياكلها الناس كالنعناع والكرفس
والكراث واشباهها وقرئ وقثائها بالضم والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اى اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها
وهو للعدس والبصل اوفق الذي هو ادنى الذي هو اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو
داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل يريدون الرفعة والعلو وقرأ زهير الفرقبي ادنأ
بالهمز من الدناءة اهبطوا مصرا وقرئ اهبطوا بالضم انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج
وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين
فيه وهما التعريف والتانيث لسكون وسطه كقوله ونوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد
وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله وقرأ به الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرائيم
فعرب وضربت عليهم الذلة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت
بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على
الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية وباءوا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان

حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته اي صاروا احقاء بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا اشعيا وزكريا ويحيى وغيرهم فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرأ علي ويقتّلون بالتشديد ذلك تكرار للاشارة بما عصوا بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ان الذين آمنوا بالسنتهم من غير مواطأة القلوب وهم المنافقون والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود والنصارى وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة قال نصرانة لم تحنف والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري سموا لانهم نصروا المسيح والصابئين وهو من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا اصيلا وعمل صالحا فلهم اجرهم الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم فان قلت ما محل من آمن قلت الرفع ان جعلته مبتدأ خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم اجرهم والفاء لتضمن من معنى الشرط واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا ما آتيتكم وتذكروا واذكروا ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض

هو اشد لامرهم قردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها يعني المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين او اريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو اخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤوا يطالبون بديته فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او مهزوا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء من الجاهلين لان الهزؤ في مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا بضمتين وهزءا بسكون الزاي نحو كفؤا وكفؤا وقرأ حفص هزوا بالضمتين والواو وكذلك كفوا والعياذ واللياذ من واد واحد وفي قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن الخارجة عما عليه البقر والفارض المسنة وقد فرضت فروضا قال خفاف بن ندبة لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل وكأنها سميت فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتية والعوان النصف قال نواعم بين ابكار وعون وقد عونت فان قلت بين يقتضي شيئين فصاعدا فمن اين جاز دخوله على ذلك قلت لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به الى مؤنثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر قلت جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما احسن ذاك وقد يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت لرؤبة في قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فقل كأنها وان اردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال اردت كأن ذاك ويلك والذي حسن منه ان اسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير او امركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في التوكيد اصفر فاقع ووارس كما يقال اسود حالك وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قانئ وذريحي واخضر ناضر ومدهام واورق خطباني وارمك رداني فان قلت فاقع هاهنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيدا لصفراء قلت لم يقع خبرا عن اللون انما وقع توكيدا لصفراء الا انه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها فان قلت فهلا قيل صفراء فاقعة واي فائدة في ذكر اللون قلت الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم

للهيئة وهي الصفرة فكانه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل
اليك شعاع الشمس يخرج من جلدها والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفرا قل همه
لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها
تعلوه صفرة وبه فسر قوله جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف
زايد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي صلعم لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء
شوم وعن بعض الخلفاء انه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بايهما ابدا فقال ان قلت
لك بقطع الشجر سالتني باي نوع منها ابدا وعن عمر بن عبد العزيز اذا امرتك ان تعطي فلانا شاة سالتني اضان ام ماعز فان بينت
لك قلت اذكر ام انثى فان اخبرتك قلت اسوداء ام بيضاء فاذا امرتك بشي فلا تراجعني وفي الحديث اعظم الناس جرما من سال عن شي
لم يحرم فحرم لاجل مسئلته ان البقر تشابه علينا اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها نذبح وقرئ تشابه
بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه وقرا محمد ذو الشامة ان الباقر يشابه بالياء
والتشديد جاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد
ذبحها او الى ما خفي علينا من امر القاتل قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن
جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي
من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي على ان الفعلين
صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرا ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك اي حيث هي وهو نفي
لذلها ولان توصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيث هم وقرئ تسقي بضم التاء من اسقى
مسلمة سلمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها منه كقوله او معبر الظهر ينبي عن وليته ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا
او مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شي من الالوان لا شية فيها لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى
الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر ومنه ثور موشى القوائم
الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال في امرها فذبحوها اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها
فذبحوها وقوله وما كادوا يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها
وما كادت تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف
الفضيحة في ظهور القاتل وروي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها
لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها

ذهبا

ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فان قلت كانت البقرة التي تناولها الامر
بقرة من شق البقر غير مخصوصة بلون وصفاته فذبحوا المخصوصة فما فعل الامر الاول قلت رجع منسوخا لانتقال الحكم
الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل جائز على ان الخطاب كان لابهامه متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها
ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص واذ قتلتم نفسا فادارأتم
فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون واذ قتلتم نفسا
خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم فاختلفتم واختصمتم في شانها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اي يدفعه
ويزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح او لان الطرح في نفسه دفع او دفع بعضكم
بعضا عن البراءة واتهمه والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل لا يتركه مكتوما فان قلت كيف اعمل مخرج
وهو في معنى المضي قلت قد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف
والمعطوف عليه وهما ادارأتم وفقلنا والضمير في اضربوه اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تاويل الشخص والانسان واما الى القتيل لما دل
عليه من قوله ما كنتم تكتمون ببعضها ببعض البقرة واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل
العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله
كذلك يحيي الله الموتى روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا
وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى اما ان يكون خطابا للذين حضروا حيوة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله
الموتى يوم القيامة ويريكم آياته ودلائله على انه قادر على كل شي لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم وان من قدر على احياء نفس
واحدة قدر على احياء الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلعم فان قلت
هلا احياه ابتداء ولم شرط في احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها قلت في الاسباب والشروط حكم وفوائد وانما شرط ذلك لما في
ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم
من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر الله وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة
الرابحة والدلالة على بركة البر بالابوين والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازي بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء
وبيان ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به وان يختاره فتي السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريا من العيوب
يونق من ينظر اليه وان يغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان الزيادة في الخطاب نسخ له وان
النسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لادائه الى البداء وليعلم بما امر من مس الميت بالميت وحصول الحيوة عقيبه ان المؤثر
هو المسبب لا الاسباب لان الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حيوة فان قلت فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها
ان يتقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها

قوله ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة والمراد به الاية التي ذكر فيها القتل والضرب ببعض البقرة وهي الاية الثانية فكانه قيل كان الصواب تقديم الاية الثانية على الاية الاولى ولم يرد ان حق القصة ان يقدم ذكر الضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها ولهذا قال المصنف وان يقال الى آخره فذكر حق الترتيب وسوال فذكر قتل النفس فالاختلاف فالامر بالذبح فالضرب منها تم

قلت كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان
قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال
وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل
على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعدما استونفت الثانية استيناف قصة برأسها
ان وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بالضمير لبقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى تبين انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع
وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستيناف مع تأخيرها وانها قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة
او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما
تعملون معنى ثم قست استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ
مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ لا تؤثر فيها وذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة فهي كالحجارة في
قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة منها واشد معطوف على الكاف اما على معنى او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وتعضده
قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على او هي في انفسها اشد قسوة والمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها
وهو الحديد مثلا او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة فان قلت لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعل
التفضيل وفعل التعجب قلت لكونه ابين وادل على فرط القسوة ووجه آخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة
بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالباس كقولك زيد كريم وعمرو
اكرم وقوله وان من الحجارة بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة وقرئ وان بالتخفيف وهي ان المخففة
من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة ومنها قوله ان كل لما جميع والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرأ مالك بن دينار ينفجر ويشقق وبه
قرأ الاعمش والمعنى ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض
فينبع منه الماء ايضا يهبط يتردى من اعلى الجبل وقرئ يهبط بضم الباء والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها
وقلوب هولاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به وقرئ تعملون بالتاء والياء وهو وعيد افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون
كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون افتطمعون الخطاب لرسول الله صلعم والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم
ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة فيمن سلف منهم يسمعون كلام الله وهو ما يتلونه من التوراة ثم يحرفونه
كما حرفوا صفة رسول الله وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر به ونهى ثم قالوا سمعنا
الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس وقرئ كلم الله من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه
وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهة في صحته وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هولاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك
واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون

واذا

واذا لقوا يعني اليهود قالوا قال منافقوهم آمنا بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به واذا خلا بعضهم الذين لم ينافقوا الى بعض الذين نافقوا
قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من صفة محمد او قال المنافقون لاعقابهم يرونهم التصلب
في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم
ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله الا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا
وهو عند الله هكذا بمعنى واحد اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم الا
يظنون يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان ومنهم اميون لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة و
يتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب التوراة الا اماني الا ما هم عليه من امانيهم وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يواخذهم
بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وما يمنيهم احبارهم من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا اكاذيب مختلقة
سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال اعرابي لابن دأب في شيء حدث به اهذا شيء رويته ام تمنيته اي اختلقته وقيل الا ما يقرؤون
من قوله تمنى كتاب الله اول ليله والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني يقدر في نفسه ويحزر ما يتمناه وكذلك المختلق والقارئ
يقدر ان كلمة كذا بعد كذا والا اماني من الاستثناء المنقطع وقرئ اماني بالتخفيف ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاتقان
ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال سواء لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم
فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون
وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون يكتبون الكتاب المحرف
بايديهم تأكيد وهو من مجاز التأكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه مما يكسبون من الرشى اياما معدودة اربعين يوما
عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما فلن يخلف متعلق بمحذوف
تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وام اما ان تكون معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون
احدهما ويجوز ان تكون منقطعة بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون بلى اثبات بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى تمسكم النار ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون
من كسب سيئة من السيئات يعني كبيرة من الكبائر واحاطت به خطيئته تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة وقرئ
خطاياه وخطيئاته وقيل في الاحاطة كان ذنبه اغلب من طاعته وسأل رجل الحسن فقال سبحان الله الا اراك ذا لحية وما تدري ما الخطيئة
انظر في المصحف فكل آية نهى الله عنها واخبرك انه من عمل بها ادخله النار فهي الخطيئة المحيطة واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل
لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ثم توليتم
الا قليلا منكم وانتم معرضون لا تعبدون اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر
والنهي لانه كانه سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله وابي لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول ويدل عليه ايضا

قوله وتولوا او بقوله وبالوالدين احسانا اما ان يقدر وتحسنون بالوالدين او واحسنوا وقيل هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له
مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
ويدل عليه قراءة عبد الله لا تعبدوا ويحتمل ان لا تعبدوا ان تكون ان فيه مفسرة وان تكون ان مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه قيل اخذنا
ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب حسنا قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه وقرئ حسنا وحسنى
على المصدر كبشرى ثم توليتم على طريقة الالتفات اي توليتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم قيل هم الذين اسلموا منهم وانتم
معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم اقررتم
وانتم تشهدون لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا وقيل
اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا
شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض
فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون اولئك الذين اشتروا
الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد
اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء الشاهدون يعني انكم قوم اخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير
الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذي خرجت به وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء وقيل هؤلاء موصول بمعنى
الذي وقرئ تظاهرون بحذف التاء وادغامها وتظاهرون باثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون اي تتعاونون عليهم وقرئ تفدوهم
وتفادوهم واسرى واسارى وهو ضمير الشان ويجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب اي بالفداء وتكفرون ببعض اي
بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير كانوا حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم
واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم
وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا والخزي قتل بني قريظة واسرهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية وانما رد من فعل منهم
ذلك الى اشد العذاب لان عصيانه اشد وقرئ يردون وتعملون بالياء والتاء فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم
احد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الاخرة ولقد اتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس
افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون الكتاب التورية اتاه اياها جملة وقفينا وقفاه اذا
اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اتبعه اياه يعني وارسلنا على اثره الكثير من الرسل لقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل
وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وقيل عيسى بالعبرانية ايشوع ومريم
بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه

ووزن

ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير وغليب البينات المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وقرئ وآيدناه ومنه آجاده بالجيم اذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف واوجدني بعد فقر
بروح القدس بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق وصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب
للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب ولا الارحام الطوامث وقيل جبريل وقيل الانجيل كما قال في القران روحا من امرنا وقيل اسم الله الاعظم
الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد اتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما اتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن الايمان به
فوسط الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا والتعجيب من شانهم ويجوز ان يريد ولقد اتيناهم ما اتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم
على ذلك بدخول الفاء لعطفه على المقدر فان قيل هلا قيل وفريقا قتلتم قلت هو على وجهين ان تراد الحال الماضية لان الامر فظيع
فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وان يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم حولتم قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك
سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عليه السلام عند موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم
فقليلا ما يؤمنون غلف جمع اغلف اي هي مغشاة باغطية خلقية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي
لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم رد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بان الله
لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون لتوقع
ايمانهم وللمؤمنين فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان تكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف
تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي عن ابي عمرو قلوبنا غلف بضمتين ولما جاءهم
كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين كتاب من عند الله
هو القران مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال فان قلت كيف جاز نصبها عن النكرة قلت اذا وصف النكرة تخصص
فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما اشبه ذلك يستفتحون
على الذين كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التورية
ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم و
يعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة اي يسالون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسال
بعضهم بعضا ان يفتح عليهم فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر
موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا بئسما اشتروا به انفسهم
ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس
بمعنى بئس شيئا اشتروا به انفسهم والمخصوص بالذم ان يكفروا واشتروا بمعنى باعوا بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا ان ينزل
لان ينزل او على ان ينزل اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء وتقتضي حكمته ارساله فباءوا بغضب على غضب

فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة
وغير ذلك من انواع كفرهم وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون
أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون بما أنزل الله مطلق فيما أنزل الله من كل كتاب قالوا
نؤمن بما أنزل علينا مقيد بالتورية ويكفرون بما وراءه اي قالوا ذلك والحال انهم يكفرون بما وراء التورية وهو الحق مصدقا لما معهم منها غير مخالف
له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتورية والتورية
لا تسوغ قتل الانبياء وانتم ظالمون يجوز ان يكون حالا اي عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم
الظلم وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل
بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاول مع ما فيه من التوكيد واسمعوا ما امرتم به في
التورية قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فان قلت فكيف طابق قوله جوابهم قلت طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع
تقبل وطاعة ~~فقالوا تقبل وطاعة~~ فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة وأشربوا في قلوبهم العجل اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته
كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم بئسما يأمركم به
ايمانكم بالتورية لانه ليس في التورية عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب اصلوتك تامرك وكذلك
اضافة الايمان اليهم وقوله ان كنتم مؤمنين تشكيك في ايمانهم وقدح في صحة دعواهم له قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون
الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين خالصة نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد
الجنة اي سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا والناس للجنس وقيل للعهد
وهم المسلمون فتمنوا الموت لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب
كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي كان علي رض يطوف بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي
ابوك على الموت سقط ام عليه الموت سقط وعن حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني على التمني
وقال عمار بصفين الآن القى الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت
لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد وما جاء به
وتحريف كتاب الله وسائر انواع الكفر والعصيان وقوله ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله ولن تفعلوا
فان قلت ما ادريك انهم لم يتمنوا قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي
المطاعن في الاسلام اكثر من الذر وليس منهم احد نقل ذلك فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علمت انهم
لن يتمنوا قلت ليس التمني من اعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا فاذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال ان يقع التحدي
بما في الضمائر والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قلت لم يقولوه لانهم علموا

انهم لا يصدقون قلت لم يخف عليهم من انفسهم ما أخفوا لنا المسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين به وما
لا مجال له الا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم
واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه والله عليم
بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر
والله بصير بما يعملون هو من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم احرص فان قلت لم قال على حياة
بالتنكير قلت لانه اراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها اوقع من قراءة ابي على الحياة ومن الذين اشركوا
محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من الناس فان قلت الم يدخل الذين اشركوا تحت الناس قلت بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان
حرصهم شديد ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة
وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم
التوبيخ فان قلت لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل
اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس هو قول الاعاجم زي هزار سال
ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ اي ومنهم ناس يود احدهم على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم والذين اشركوا على هذا مشار
به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله والضمير في وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار
تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة
التبعيد والانجاء فان قلت يود احدهم ما موقعه قلت هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف فان قلت كيف اتصل لو يعمر
بيود احدهم قلت هو حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو اعمر الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم
كقولك حلف بالله ليفعلن قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين
من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين روي ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسأله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت
المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره
بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه وقيل امره الله تعالى ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان
لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع
فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسالكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد وارى آثاره في كتابكم
ثم سألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام
فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين

وانه الحق من الله ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه
بالوحي فقال النبي صلعم لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد رايتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبرئيل بوزن قفشليل وجبرئل
بحذف الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرال بلام شديدة وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف
والعجمة وقيل معناه عبد الله الضمير في نزله للقرآن ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشان صاحبه حيث يجعل
لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته اي حفظه اياك وفهمكه باذن الله بتيسيره وتسهيله فان قلت
كان حق الكلام ان يقال على قلبي قلت جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله
على قلبك فان قلت كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط قلت فيه وجهان احدهما ان عادى جبريل احد من اهل الكتاب فلا وجه
لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم
والثاني ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك
كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد آذيته واسات اليه افرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر
وهو مما ذكر ان التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال بوزن قنطار وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئل كميكعل
قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه عدو للكافرين اراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم
لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم اشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد
العقاب ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون
الا الفاسقون الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم ذلك النوع من كفر او غيره وعن
ابن عباس قال ابن صوريا لرسول الله صلعم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون للجنس
والاحسن ان يكون اشارة الى اهل الكتاب اوكلما الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرا ابو السمال
بسكون الواو على ان الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا
وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله فلم يفوا الذين
عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرا عبد الله نقضه فريق منهم وقال فريق منهم
لان منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون بالتوراة وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به ولما جاءهم
رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون
كتاب الله يعني التوراة لانهم بكفرهم برسول الله المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم
تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم
مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل ما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرؤونه ولكنهم

نبذوا العمل به وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان
وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما
نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم
ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون واتبعوا اي نبذوا كتاب الله
واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني واتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها على ملك سليمان اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين
كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤونها ويعلمونها الناس وفشا
ذلك في زمن سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه تسخر الجن والانس
والريح التي تجري بامره وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا ولكن الشياطين هم الذين
كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم وما انزل على الملكين عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل
على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا اي واتبعوا ما انزل وهاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما السحر ابتلاء
من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا
عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وقرا الحسن
على الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل وما يعلم الملكان احدا حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة
اي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون الضمير لما دل عليه من احد اي فيتعلم الناس من الملكين
ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله
عنده الفرك والنشوز والخلاف ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن
ان تجر الى الغواية ولقد علم هؤلاء اليهود ان من اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين من كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا
به انفسهم اي باعوها وقرا الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما تقدم وقرا الزهري هاروت وماروت
بالرفع على هما هاروت وماروت وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرا طلحة
وما يعلمان من اعلم وقرئ بين المرء بضم الميم وكسرها مع الهمز والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وقرا
الاعمش وما هم بضاري به على طرح النون والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف فان قلت كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن قلت جعل الجار
جزءا من المجرور فان قلت كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون قلت معناه
لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كانهم منسلخون عنه ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ولو انهم آمنوا
برسول الله والقرآن واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة من عند الله خير وقرئ لمثوبة كمشورة ومثوبة
لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم فان قلت كيف اوثرت الجملة

الاسمية على الفعلية في جواب لو قلت لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام عليكم
لذلك فان قلت فهلا قيل لمثوبة الله خير قلت لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم آمنوا تمنيا لايمانهم على سبيل
المجاز عن ارادة الله ايمانهم واختيارهم له كانه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدأ لمثوبة من عند الله خير يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا
انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب اليم كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى عليهم شيئا من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا
وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي راعينا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا
به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها وامروا بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من النظرة
اي امهلنا حتى نحفظ وقرأ عبد الله بن مسعود راعونا على انهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج اي
لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا في السب اتصف بالرعن واسمعوا
واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة
وطلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم به
بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تأكيدا عليهم ترك الكلمة وروي ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي
نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت وللكافرين يعني اليهود الذين تهاونوا
برسول الله وسبوه عذاب اليم ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء
والله ذو الفضل العظيم من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله لم يكن الذين كفروا
من اهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله اهم يقسمون
رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص بالنبوة
من يشاء ولا يبالي الا ما يقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله ان فضله كان
عليك كبيرا ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها الم تعلم ان الله على كل شيء قدير روي انهم طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد
يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت وقرئ ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من انسخ
او ننسأها وقرئ ننسها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب الرسول وقرأ عبد الله ما ننسك من آية او ننسخها وقرأ حذيفة ما ننسخ
من آية او ننسكها ونسخ الآية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو ان يامر جبريل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها
ونسؤها تاخيرها واذهابها لا الى بدل وانساؤها ان يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل آية نذهب بها على ما توجبه المصلحة
من ازالة لفظها وحكمها معا او من ازالة احدهما الى بدل او غير بدل نأت باية خير منها للعباد اي بآية العمل بها اكثر للثواب او مثلها
في ذلك ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل له ملك السموات

والارض فهو يملك اموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ لما بين انه مالك امورهم ومدبرها على حسب
مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله الم تعلم اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم
وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء اليهود على موسى من الاشياء التي كانت عواقبها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها وارنا الله جهرة وغير ذلك
ومن يتبدل الكفر بالايمان ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم
من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بامره ان الله على كل شيء قدير واقيموا الصلوة وآتوا
الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان
وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال
عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة
واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله واخبراه فقال اصبتما خيرا
وافلحتما فنزلت فان قلت بم تعلق قوله من عند انفسهم قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بود على معنى انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم
ذلك من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم
من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا اي حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم
من الجهل والعداوة حتى يأتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر
على الانتقام منهم من خير من حسنة صلوة او صدقة او غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عنده ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل
وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين الضمير في وقالوا لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى
وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله
وامنا من الالتباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا والهود جمع هائد
كعائذ وعوذ وبازل وبزل فان قلت كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر قلت حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن
الا من هو صالوا الجحيم وقوله فان له نار جهنم خالدين فيها وقرأ ابي بن كعب الا من كان يهوديا او نصرانيا فان قلت لم قيل تلك امانيهم وقولهم
لن يدخل الجنة امنية واحدة قلت اشير بها الى الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم كفارا
وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا
من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض او اريد امثال تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه يريد ان امانيهم
جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه والامنية افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة هاتوا برهانكم هلموا حجتكم على اختصاصكم
بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا اهدم شيء لمذهب المقلدين وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة
هاء بمعنى احضر بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم

الجنة من أسلم وجهه لله من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فله أجره الذي يستوجبه فإن قلت من أسلم وجهه كيف موقعه
قلت يجوز أن يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من أسلم كلاما مبتدأ ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله أجره وأن يكون من أسلم فاعلا
لفعل محذوف أي بلى يدخلها من أسلم ويكون قوله فله أجره كلاما معطوفا على يدخلها من أسلم وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى
ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون على شيء على شيء يصح
ويعتد به وهذه مبالغة عظيمة لأن المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فإذا نفى إطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به إلى ما ليس بعده
وهذا كقولهم أقل من لا شيء وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس أي قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل
التوراة والإنجيل أو غيرهما من كتب الله وآمن به أن لا يكفر بالباقي لأن كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد لصحته وكذلك كتب الله جميعا
متواردة في تصديق بعضها بعضا كذلك أي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الأصنام والمعطلة
ونحوهم قالوا لكل أهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم وروي أن وفد نجران لما قدموا
على رسول الله صلعم أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والإنجيل وقالت
النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتوراة فالله يحكم بين اليهود والنصارى يوم القيامة بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه
وعن الحسن حكم الله بينهم أن يكذبهم ويدخلهم النار ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها
إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم أن يذكر ثاني مفعولي منع لأنك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا أن نرسل وما منع الناس أن
يؤمنوا ويجوز أن يحذف حرف الجر مع أن ولك أن تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة أن يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وأن مانعها من ذكر الله مفرط
في الظلم والسبب فيه أن النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الأذى ويمنعون الناس أن يصلوا فيه وأن الروم غزوا أهله فخربوه وأحرقوا
التوراة وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركون رسول الله أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فإن قلت فكيف قيل مساجد الله وإنما وقع المنع والتخريب
على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام قلت لا بأس أن يجيء الحكم عاما وإن كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن
أظلم ممن آذى الصالحين وكما قال الله عز وعلا ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الأخنس بن شريق وسعى في خرابها بانقطاع الذكر عنها أو بتخريب
البنيان وينبغي أن يراد بمن منع العموم كما أريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا بأعيانهم من أولئك النصارى أو المشركين أولئك المانعون
ما كان لهم أن يدخلوها أي ما كان لهم أن يدخلوا مساجد الله إلا خائفين على حال التهيب وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم
فضلا أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب إلا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم
في حكم الله يعني أن الله قد حكم وكتب في اللوح أنه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها إلا خائفين وروي أنه لا يدخل بيت المقدس أحد
من النصارى إلا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلا أنهك ضربا وأبلغ إليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله صلعم ألا
لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرأ عبد الله إلا خيفا وهو مثل صيم وقد اختلف الفقهاء في دخول الكافر المسجد فجوزه
أبو حنيفة ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله

وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله خزي قتل وسبي أو ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية ولله المشرق والمغرب فأينما
تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم ولله المشرق والمغرب أي بلاد المشرق والمغرب والأرض كلها لله هو مالكها ومتوليها فأينما تولوا ففي
أي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره فثم وجه الله أي جهته التي أمر بها ورضيها والمعنى أنكم إذا منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو في بيت المقدس فقد جعلت لكم الأرض
مسجدا فصلوا في أي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فإن التولية ممكنة في كل مكان لا يختص إمكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان
دون مكان إن الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم عليم بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت في صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت
وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا إلى أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا وقيل معناه فأينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد
الصلاة وقرأ الحسن فأينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فأينما توجهوا القبلة وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السماوات والأرض كل له
قانتون وقالوا وقرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك وتبعيد بل له ما في
السماوات والأرض هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومن كان
بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد أن يكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض عن المضاف إليه أي كل ما في السماوات والأرض ويجوز أن يراد كل من جعلوه
لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما أضافوا إليهم فإن قلت كيف جاء بما الذي لغير أولي العلم مع قوله قانتون
قلت هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكأنه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشأنهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا بديع السماوات والأرض
وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون يقال بدع الشيء فهو بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع وبديع السماوات من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها أي بديع
سماواته وأرضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما أن السميع في قول عمرو أمن ريحانة الداعي السميع بمعنى المسمع وفيه نظر كن فيكون من كان التامة أي
احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول في قوله إذ قالت الأنساع للبطن الحق وإنما المعنى أن ما قضاه من الأمور وأراد
كونه فإنما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما أن المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الإباء
أكد بهذا استبعاد الولادة لأن من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لأحوال الأجسام في توالدها وقرئ بديع السماوات مجرورا
على أنه بدل من الضمير في له وقرأ المنصور بالنصب على المدح وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين
من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة من المشركين وقيل من أهل الكتاب ونفى عنهم
العلم لأنهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا أو تأتينا آية جحودا لأن يكون ما أتاهم
من آيات الله آيات واستهانة بها تشابهت قلوبهم أي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله تعالى أتواصوا به قد بينا الآيات لقوم
يوقنون أنها آيات يجب الاعتراف بها والإذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم
إنا أرسلناك لأن تبشر وتنذر لا لتجبر على الإيمان وهذه تسلية لرسول الله صلعم وتسرية عنه لأنه كان يغتم ويضيق صدره لإصرارهم وتصميمهم
على الكفر ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ

ولا تسأل على النهي روي أنه قال ليت شعري ما فعل أبواي فنهي عن السؤال عن أحوال الكفرة والاهتمام بأعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه
الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم أن المستخبر يجزع أن يجري
على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره أو أنت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لإيحاشه السامع وإضجاره
فلا تسأل وتعضد القراءة الأولى قراءة عبد الله ولن تسأل وقراءة أبي وما تسأل ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع
ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير كأنهم قالوا لن نرضى
عنك وإن أبلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا إقناطا منهم لرسول الله عن دخولهم في الإسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال قل إن
هدى الله هو الهدى على طريقة إجابتهم عن قولهم يعني أن هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى بالحق والذي يصح أن يسمى هدى وهو الهدى
كله ليس وراءه هدى وما تدعون إلى اتباعه ما هو بهدى إنما هو هوى ألا ترى إلى قوله ولئن اتبعت أهواءهم أي أقوالهم التي هي أهواء وبدع
بعد الذي جاءك من العلم أي من الدين المعلوم صحته بالبراهين الصحيحة الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون
به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي
نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنوا أهل الكتاب يتلونه حق تلاوته
لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك يؤمنون بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به من المحرفين فأولئك
هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال
لا ينال عهدي الظالمين ابتلى إبراهيم ربه بكلمات اختبره بأوامر ونواه واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين ما يريد الله
وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ أبو حنيفة وهي قراءة ابن عباس إبراهيم ربه رفع إبراهيم ونصب
ربه والمعنى أنه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه إليهن أم لا فإن قلت الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل في التقدير
فتعليق الضمير به إضمار قبل الذكر قلت الإضمار قبل الذكر أن يقال ابتلى ربه إبراهيم فأما ابتلى إبراهيم ربه أو ابتلى ربه إبراهيم
فليس واحد منهما بإضمار قبل الذكر أما الأول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا وأما الثاني فإبراهيم فيه مقدم في المعنى
وكذلك ابتلى ربه إبراهيم فإن الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل إلى صحته والمستكن في فأتمهن في أحد الوجهين لإبراهيم
بمعنى فقام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه وإبراهيم الذي وفى وفي الأخرى لله تعالى بمعنى
فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل أنه فسر الكلمات بما سأل إبراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا
بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا منهم ربنا تقبل منا فإن قلت ما العامل في إذ قلت إما مضمر نحو واذكر إذ ابتلى
أو إذ ابتلاه كان كيت وكيت وإما قال إني جاعلك فإن قلت ما موقع قال قلت هو على الأول استئناف كأنه قيل فماذا قال ربه
حين أتم الكلمات فقيل قال إني جاعلك للناس إماما وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز أن يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا
له فيراد بالكلمات ما ذكره من الإمامة وتطهير البيت ورفع قواعده والإسلام قبل ذلك في قوله إذ قال له ربه أسلم وقيل الكلمات

هن خمس في الرأس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد وتقليم الأظفار
ونتف الإبط وقيل ابتلاه بثلاثين من شرائع الإسلام عشر منها في براءة التائبون العابدون وعشر في الأحزاب إن المسلمين والمسلمات
وعشر في المؤمنون وسأل سائل إلى قوله والذين هم على صلواتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والإحرام والتعريف
وغيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة والإمام اسم من يؤتم به على زنة الآلة كالإزار لما يؤتزر
به أي يأتمون بك في دينهم ومن ذريتي عطف على الكاف كأنه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا لا ينال عهدي
الظالمين وقرئ الظالمون أي من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي إليه بالإمامة وإنما ينال من كان عادلا بريئا من الظلم
وقالوا في هذا دليل على أن الفاسق لا يصلح للإمامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم
للصلاة وكان أبو حنيفة رضي الله عنه يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي وحمل المال إليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمى بالإمام والخليفة
كالدوانيقي وأشباهه وقالت له امرأة أشرت على ابني بالخروج مع إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك
وكان يقول في المنصور وأشياعه لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عد آجره لما فعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم إماما قط وكيف يجوز
نصب الظالم للإمامة والإمام إنما هو لكف الظلمة فإذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم
وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود
والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون إليه أي يثوب إليه أعيان
الذين يزورونه أو أمثالهم وأمنا وموضع أمن كقوله تعالى حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ولأن الجاني يأوي إليه فلا يتعرض له حتى
يخرج وقرئ مثابات لأنه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والبادي واتخذوا على إرادة القول أي وقلنا اتخذوا
منه موضع صلاة تصلون فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلعم أنه أخذ بيد عمر فقال هذا مقام إبراهيم فقال عمر
أفلا نتخذه مصلى ربنا أفلا نؤثره لفضله بالصلاة فيه تبركا به وتيمنا بموطئ قدم إبراهيم فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت
وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلعم استلم الحجر ورمل ثلاثة أشواط ومشى أربعة حتى إذا فرغ عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين
وقرأ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام إبراهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه
وهو الموضع الذي يسمى مقام إبراهيم وعن عمر رض أنه سأل المطلب بن أبي وداعة هل تدري أين كان موضعه الأول قال نعم فأراه موضعه اليوم
وعن عطاء مقام إبراهيم عرفة والمزدلفة والجمار لأنه قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام إبراهيم وقرئ واتخذوا بلفظ
الماضي عطفا على جعلنا أي واتخذ الناس من مكان إبراهيم الذي وسم به لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده قبلة يصلون إليها وعهدنا إلى إبراهيم
أن طهرا بيتي بأن طهرا أو أي طهرا والمعنى طهراه من الأوثان والأنجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها أو أخلصاه لهؤلاء
لا يغشه غيرهم والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده أي أقاموا لا يبرحون أو المعتكفين ويجوز أن يريد بالعاكفين الواقفين يعني
القائمين في الصلاة كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لأن القيام والركوع والسجود هيئات

المصلى **وإذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره**
إلى عذاب النار وبئس المصير اى اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا آمنا ذا امن كقوله تعالى في عيشة راضية او آمنا من فيه كقولك ليل نائم
ومن آمن منهم بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين من اهله خاصة ومن كفر عطف على من آمن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك
فان قلت لم خص ابرهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى رد عليه قلت قاس الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف
استرعاء يختص بمن ينتجع للمرعى وابعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى
وارزق من كفر فامتعه ويجوز ان يكون ومن كفر مبتدأ متضمنا معنى الشرط وقوله فامتعه جوابا للشرط اى ومن كفر فانا امتعه وقرئ فامتعه
فاضطره فالزه الى عذاب النار لان المضطر الذي لا يملك الامتناع مما اضطر اليه وقرأ ابي فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرأ يحيى بن وثاب فاضطره
بكسر الهمزة وقرأ ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الامر والمراد الدعاء من ابرهيم دعا ربه بذلك فان قلت فكيف تقدير الكلام
على هذه القراءة قلت في قال ضمير ابرهيم اى قال ابرهيم بعد مسئلته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره وقرأ
ابن محيصن فاطره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع وهي لغة مرذولة لان الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها
ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف ضم شفر **وإذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم**
يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله اى اسأل الله
ان يقعدك اى يثبتك ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر
ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع سافا
فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت اى استوطأ يعني جعل هيئة القاعدة المستوطأة
مرتفعة عالية بالبناء وروي انه كان مؤسسا قبل ابرهيم فبنى على الاساس وروي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة
له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته
الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه وكان على ذلك
الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله امر ابرهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث سحابة
اظلته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاءه جبريل
بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض
في الجاهلية اسود وقيل كان ابرهيم يبني واسماعيل يناوله الحجارة **ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا**
إنك أنت التواب الرحيم ربنا اى يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا انك انت
السميع لدعائنا العليم بضمائرنا ونياتنا فان قلت هلا قيل قواعد البيت واي فرق بين العبارتين قلت في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام
ما ليس في اضافتها لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم لشأن المبين مسلمين لك مخلصين لك اوجهنا من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين

يقال اسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا واذعانا لك وقرئ مسلمين على الجمع كأنهما ارادا انفسهما وهاجر او
اجريا التثنية على حكم الجمع لانها منه ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض او للتبيين كقوله
وعد الله الذين آمنوا منكم فان قلت لم خصا ذريتهما بالدعاء قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم
نارا ولان اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير الا ترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد
كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم وارنا منقول من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك
لم يتجاوز مفعولين اى وبصرنا متعبداتنا في الحج او عرفناها وقيل مذابحنا وقرئ وارنا بسكون الراء قياسا على فخذ في فخذ وقد
استرذل لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرأ ابو عمرو باشمام الكسرة وقرأ عبد الله
وارهم مناسكهم وتب علينا ما فرط منا من الصغائر او استتابا لذريتهما **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم**
الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم روي انه قيل له قد استجيب
لك وهو في آخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم
آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحي اليه من دلائل وحدانيتك وصدق انبيائك ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة
الشريعة وبيان الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث **ومن يرغب**
عن ملة ابرهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين ومن يرغب انكار واستبعاد لان يكون
في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابرهيم ومن سفه في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب وصح البدل لان من يرغب
غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب النفس
على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه ويجوز ان يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله ولا بفزارة الشعر الرقابا اجب الظهر
ليس له سنام وقيل معناه سفه في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني مقيم اى في ظني والوجه هو الاول وكفى شاهدا له بما جاء في الحديث
الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها
كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه بيان لخطأ رأي من رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله في الدارين بان كان صفوته وخيرته
في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في الآخرة لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه **إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين**
اذ قال ظرف لاصطفيناه اى اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر استشهادا على ما ذكر من حاله كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه
المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة مثله ومعنى قال له اسلم اخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام فقال اسلمت
اي فنظر وعرف وقيل اسلم اى اذعن واطع وروي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله
قال في التوراة اني باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى
مهاجر ان يسلم فنزلت **ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون**

وقرئ واوصى وهي في مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير في بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تأويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها
كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله كلمة باقية دليل على ان التأنيث على تأويل الكلمة ويعقوب عطف على ابرهيم
داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا وقرئ يعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابرهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بني
على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه في معنى القول ونحوه قول القائل: رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا
رجلا عريانا بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار وفي قراءة ابي وابن مسعود ان يا بني اصطفى لكم الدين
اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا تموتن معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين
على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلوة ولكن عن ترك
الخشوع في حال صلوته فان قلت فاي نكتة في ادخال حرف النهي على الصلوة وليس بمنهي عنها قلت النكتة فيه اظهار ان الصلوة التي
لا خشوع فيها كلا صلوة فكانه قال انهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه السلام لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فانه كالتصريح
بقولك لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك المعنى في الآية اظهار ان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت
السعداء وان من حق هذا الموت ان لا يحل فيهم وتقول في الامر ايضا مت وانت شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن بالكون على صفة
الشهداء اذا مات وانما امرته بالموت اعتدادا منك بميتته واظهارا لفضلها على غيرها وانها حقيقة بان يحث عليها **ام كنتم شهداء**
اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له
مسلمون ام كنتم شهداء ام هي المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام
اذ حضره الموت اي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا
يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادعوا
عليه اليهودية فالآية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء ولكن الوجه ان تكون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف كانه قيل اتدعون
على الانبياء اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة
الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الانبياء ما هم منه براء وقرئ حضر بكسر الضاد وهي لغة ما تعبدون اي شيء تعبدونه وما عام
في كل شيء فاذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولي العلم وحدهم ويجوز ان يقال
ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام غير ذلك من الصفات وابرهيم واسمعيل واسحق عطف بيان
لآبائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لان العم اب والخالة ام لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس هذا بقية آبائي وقال
ردوا علي ابي فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرأ ابي واله ابرهيم بطرح آبائك وقرئ ابيك وفيه
وجهان ان يكون واحدا وابرهيم وحده عطف بيان له وان يكون جمعا بالواو والنون قال: وقد بنينا بالابينا. الها واحدا بدل من اله

آبائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة او على الاختصاص اي نريد باله آبائك الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع
الهاء اليه في له ويجوز ان تكون جملة معطوفة على نعبد وان تكون جملة اعتراضية مؤكدة اي ومن حالنا انا له مسلمون مخلصون التوحيد
او مذعنون **تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون** تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابرهيم ويعقوب
وبنوهما الموحدون والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متأخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم
الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا بأوائلهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم
ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تنفعكم حسناتهم **وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة**
ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين بل ملة ابرهيم اي اهل ملته كقول عدي بن حاتم اني من دين يريد من اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابرهيم
وقرئ ملة ابرهيم بالرفع اي ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل ملته وحنيفا حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجه هند قائمة
والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق والحنف الميل في القدمين وتحنف اذا مال وانشد: ولكنا خلقنا اذ خلقنا حنيفا ديننا
عن كل دين. وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ابرهيم وهو على الشرك **قولوا آمنا بالله وما انزل الينا**
وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له
مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع
العليم صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق
والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابرهيم يجوز ان يكون على بل اتبعوا انتم ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته والسبط الحافد وكان الحسن
والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر. لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض
كما فعلت اليهود والنصارى واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه بمثل ما آمنتم به من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين
الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذن دين آخر يماثل دين الاسلام في كونه حقا حتى ان آمنوا بذلك الدين المماثل له
كانوا مهتدين فقيل فان آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير اي فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد
فقد اهتدوا وفيه ان دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل
الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب فان كان عندك رأي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك
وتوقيفه على ان ما رأيت لا رأي وراءه ويجوز ان لا تكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اي فان دخلوا
في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به وقرأ ابي بالذي آمنتم به وان تولوا
عما تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم الا في شقاق اي في مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء او وان تولوا عن الشهادة
والدخول في الايمان بها فسيكفيكهم الله ضمان من الله لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء
بني النضير ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين وهو السميع العليم وعيد لهم اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون

من الحسد والقول فيه ومعاقبتهم عليه او وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك
الى مرادك صبغة الله مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي
يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية
ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا آمنا وصبغنا
الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم
وانما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام ومن احسن من الله
صبغة يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون عطف على آمنا بالله
وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابراهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام
عن التئامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام قل اتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا
ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم
ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون
وقرأ زيد بن ثابت اتحاجونا بادغام النون والمعنى اتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله على احد
لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في انا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء
من عباده فهم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي اذا كان اهلا للكرامة لنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة
وكما ان لكم اعمالا يعتبرها الله في اعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك ثم قال ونحن له مخلصون فجاء بما هو سبب الكرامة اي نحن له موحدون نخلصه
بالايمان فلا تستبعدوا ان يؤهل اهل اخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان تكون النبوة فينا لانا اهل كتاب والعرب عبدة
اوثان ام تقولون يحتمل فيمن قرأ بالتاء ان تكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة في حكمة الله ام ادعاء اليهودية
والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما جميعا وان تكون منقطعة بمعنى بل تقولون والهمزة للانكار ايضا وفيمن قرأ
بالياء لا يكون الا منقطعة قل ءانتم اعلم ام الله يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا
مسلما ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله اي كتم شهادة الله التي عنده انه شهدها وهي شهادته لابرهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين
احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا
نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله شهادة عنده من الله مثلها في قولك هذه شهادة
مني لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله سيقول السفهاء من الناس ما وليهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق
والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا سيقول
السفهاء الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء

وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم فان قلت اي فائدة في الاخبار بقولهم قبل
وقوعه قلت فائدته ان مفاجأة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من
توطين النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم وارد لشغبه وقبل الرمي يراش السهم ما ولاهم ما صرفهم
عن قبلتهم وهي بيت المقدس لله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله يهدي من يشاء من اهلها
الى صراط مستقيم وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة وكذلك
جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم امة وسطا خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد
والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم وانطوا الثبجة يريد بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج وهو وسط الظهر
الا انه الحق تاء التأنيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية
محوطة ومنه قول الطائي كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا وقد اكترى بمكة جمل اعرابي للحج فقال
اعطني من سطاتهنه اراد من خيار الدنانير او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض لتكونوا شهداء
على الناس روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة
محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق
فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء
فان قلت هلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم قلت لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة
الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا
فيما لا يصح الا بالشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول شهيدا عليكم يزكيكم ويعلم بعدالتكم فان قلت لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت
اخرى قلت لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي
كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله
بالناس لرؤوف رحيم قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي
جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلوة الى صخرة
بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي تجب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمكة
يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله
وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل امرك ان تستقبل
الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن

الناس فنظر من تبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل
الكعبة بينه وبينه فان قلت كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك قلت معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته تعالى لانهم خواصه واهل
الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز وان كانت
لكبيرة هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة او الجعلة
ويجوز ان تكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة الا على الذين هدى الله الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا
اهلا للطفه وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد
لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل
فصلوته غير ضايعة عن ابن عباس لما وجه رسول الله صلعم الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت لرؤف رحيم لا يضيع اجورهم
ولا يترك ما يصلحهم ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك في ابي تراب فقرا قوله تعالى الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله
وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان تكون من متضمنة لمعنى الاستفهام
معلقا عنها العلم كقولك علمت ازيد في الدار ام عمرو وقرا ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف وقرا اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها ان تكون كان
مزيدة كما في قوله وجيران لنا كانوا كرام ۞ والاصل وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد قد نرى
ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله ۞ قد اترك القرن مصفرا انامله ۞ تقلب وجهك تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السماء وكان
رسول الله صلعم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة
اليهود فكان يراعي نزول جبريل والوحي بالتحويل فلنولينك فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له
او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس ترضاها تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشية الله وحكمته شطر المسجد
الحرام نحوه قال ۞ واطعن بالقوم شطر الملوك ۞ وقرا ابي تلقاء المسجد الحرام عن البراء بن عازب قدم النبي صلعم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر
شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلعم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين
من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر منصوب
على الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة
دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين ليعلمون انه الحق ان التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله صلعم انه يصلي الى
القبلتين يعملون قرئ بالياء والتاء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة
بعض ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط بكل اية بكل
برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد

مع علمهم بما في كتبهم من نعتك انك على الحق وما انت بتابع قبلتهم حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا
نرجو ان تكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني
انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شان القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس و
النصارى مطلع الشمس اخبر عز وعلا عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزول عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل
لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده وقوله ولئن اتبعت اهواءهم بعد الافصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما انت بتابع قبلتهم
كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر انك اذا لمن المرتكبين الظلم الفاحش
وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق فان قلت
كيف قال وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة قلت كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا
بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم
يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يات بكم الله جميعا ان الله على كل شيء
قدير يعرفونه يعرفون رسول الله معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص كما يعرفون ابناءهم وابناء غيرهم وعن عمر انه سال
عبد الله بن سلام عن رسول الله صلعم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت
فقبل عمر راسه وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته
وكونه علما معلوما بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او القرآن او تحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول وينصره الحديث
عن عبد الله بن سلام فان قلت لم اختص الابناء قلت لان الذكور اشهر واعرف وهم لصحبة الاباء الزم وبقلوبهم الصق وان فريقا منهم
استثناء لمن امن منهم او لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الحق من ربك يحتمل ان يكون الحق خبر مبتدا محذوف
اي هو الحق ومن ربك خبر بعد خبر وان يكون مبتدا خبره من ربك وفيه وجهان ان تكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذي عليه رسول الله صلعم او الى الحق الذي في قوله
ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك وان تكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه
وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل فان قلت اذا جعلت الحق خبر مبتدا فما محل من ربك قلت يجوز ان يكون
خبرا بعد خبر وان يكون حالا وقرا علي رضي الله عنه الحق من ربك على الابدال اي يكتمون الحق الحق من ربك فلا تكونن من الممترين الشاكين في كتمانهم
الحق مع علمهم او في انه من ربك ولكل من اهل الاديان المختلفة وجهة قبلة وفي قراءة ابي ولكل قبلة هو موليها وجهه فحذف احد
المفعولين وقيل هو لله تعالى اي الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة على الاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك
لزيد ضربت ولزيد ابوه ضاربه وقرا ابن عامر هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل امة قبلة تتوجه اليها منكم ومن غيركم
فاستبقوا انتم الخيرات واستبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره ومعنى اخر وهو ان يراد ولكل منكم يا امة محمد وجهة اي جهة
يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الخيرات اينما تكونوا يات بكم الله جميعا للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه

ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله
جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام ومن حيث خرجت فول وجهك
شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم
تهتدون ومن حيث خرجت اى ومن اى بلد خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا المامور به وقرئ يعملون بالياء والتاء
وهذا التكرير لتاكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى الفيصلة بينه وبين البداء فكرر
عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلف فوائدها الا الذين ظلموا استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون
حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة
الانبياء فان قلت اي حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين قلت كانوا يقولون
ماله لا يحول الى قبلة ابيه ابرهيم كما هو مذكور في نعته في التورية فان قلت كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين قلت لانهم يسوقونه سياق
الحجة ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابرهيم واسمعيل ابي العرب الا الذين
ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقرئ الا الذين ظلموا منهم على انه للتنبيه
ووقف على حجة ثم استأنف منبها فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم واخشوني فلا تخالفوا امري
وما رأيته مصلحة لكم ومتعلق اللام محذوف معناه ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم امرتكم بذلك او عطف على علة مقدرة
كانه قيل واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة
الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
فاذكروني اذكركم واشكروا لي ولا تكفرون يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل
في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون كما ارسلنا اما ان يتعلق بما قبله اى ولاتم نعمتي عليكم في الآخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا
بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بالجحود والعصيان اموات بل احياء اى هم اموات بل هم احياء
ولكن لا تشعرون كيف حالهم في حيوتهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض
النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز ان يجمع الله من
اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم بشيء من الخوف
والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون
على ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام لا بشيء بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين

قال القفال ولنبلونكم يتعلق بقوله واستعينوا بالصبر والصلاة فانا نبلوكم فان قيل انه تعالى قال واشكروا لي والشكر موجب المزيد فكيف قال ولنبلونكم بالخوف والجواب من وجهين
الاول انه اخبر ان اكمال الشرائع اتمام النعمة فكان ذلك موجبا للشكر ثم ان القيام بتلك الشرائع لا يمكن الا بتحمل المحن فلا جرم امر فيها
بالصبر والثاني انه انعم اولا فامر بالشكر ثم ابتلى وامر بالصبر لينال درجة الشاكرين والصابرين معا فيكمل اتمامه على ما قال علي

المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه
وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي انه طفئ سراج رسول الله صلعم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو
له مصيبة وانما قلل في قوله بشيء ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه ويخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل
حال لا تزايلهم وانما قدم تنبيههم عليه قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شيء او على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله
او لكل من يتأتى منه البشارة وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض
ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلعم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم
ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد والصلوة
الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة اي رحمة واولئك هم
المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف
بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم الصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه
ومتعبداته والحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت في الاعيان واصل
يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف فان قلت كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف بهما قلت كان على الصفا اساف
وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامراة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا
من دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون
عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله تعالى
فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك ولقوله ومن تطوع خيرا كقوله فمن تطوع خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير
وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وعن ابي حنيفة انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شيء عليه
وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي ومن تطوع بمعنى ومن يتطوع فادغم وفي قراءة عبد الله
ومن يتطوع بخير ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم الذين يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا في التورية من البينات
من الآيات الشاهدة على امر محمد صلعم والهدى والهداية بوصفها الى اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه ولخصناه للناس في الكتاب في التورية لم ندع
فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين
يتأتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين واصلحوا ما افسدوا بان اصلحوا احوالهم وتداركوا ما فرطوا وبينوا ما بينه الله في
كتابهم فكتموه وبينوا للناس ما اخذوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدي بهم غيرهم من المفسدين
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم

ينظرون ان الذين كفروا يعني الذين ماتوا من هولاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا وقرا الحسن والملائكة والناس
اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو وكانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة
فان قلت ما معنى قوله والناس اجمعين وفي الناس المسلم والكافر قلت اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيمة يلعن
بعضهم بعضا خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا ولا هم ينظرون من الانظار اي لا يمهلون ولا يؤخرون
او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة
وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون اله واحد فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها ولا اله
الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته الرحمن الرحيم المولى لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة
واما منعم عليه وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الاية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك
فنزلت ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار واعتقابهما لان كل واحد منهما يعقب الاخر كقوله تعالى جعل الليل والنهار
خلفة بما ينفع الناس بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس فان قلت قوله وبث فيها عطف على انزل ام احيا قلت الظاهر انه عطف
على انزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد كانه قيل وما انزل في الارض
من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا على معنى فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا
وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب
والسحاب المسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله يمطر حيث شاء لايات لقوم يعقلون ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها
دلايل على عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن النبي صلعم ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ والفلك
بضمتين وتصريف الريح على الافراد ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا
اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب اذ تبرا الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين
اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار اندادا امثالا من
الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع له كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول
وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملتبس وقيل كحبهم لله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون
اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن
اندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسايط بينهم وبينه فيقولون هولاء شفعاونا عند الله ويعبدون
الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الهها من حيس عام المجاعة الذين ظلموا اشارة الى متخذي الانداد

ولو يعلم هولاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون انداده ويعلمون شدة عقابه
للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيمة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب
كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو رايت فلانا والسياط تاخذه وقرئ ولو ترى على انه خطاب للرسول او لكل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما
وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة اذ تبرا بدل من اذ يرون العذاب اي تبرا المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع
وقرا مجاهد الاول على البناء للمفعول اي تبرا الاتباع من الرؤساء وراوا العذاب الواو للحال اي تبرءوا في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت عطف على تبرا
والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد من الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله تعالى لقد تقطع بينكم
لو ان لنا كرة لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرا منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله
اعمالهم حسرات اي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل ارى ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم
وما هم بخارجين منها هم بمنزلته في قولك هم يفرشون اللبد كل حجرة في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص يا ايها الناس
كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا او لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون حلالا مفعول كلوا او حال مما
في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا في حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام ومن للتبعيض اذ لا
كل ما في الارض يوكل وقرئ خطوات بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كانها على
الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة
والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته مبين ظاهر العداوة لا يخفى انما يامركم بيان لوجوب الانتهاء
عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يامركم بخير قط انما يامركم بالسوء القبيح والفحشاء وما تجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد
فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله
مما لا يجوز عليه فان قلت كيف كان الشيطان امرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه وبعثه على الشر بامر الامر كما تقول
امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولامرنهم فليبتكن اذان
الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله وقال تعالى ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان يطيعها ويعطيها ما اشتهت لهم الضمير
للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا ضال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء انظروا الى هولاء
الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه
اباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا او لو كان اباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى
الرد والتعجيب معناه ايتبعونهم ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق
بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي

ينعق أو مثل الذين كفروا كبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم إلى الإيمان في أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة ودوي الصوت من غير إلقاء أذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع إلا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجرها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز أن يراد بما لا يسمع الأصم الأصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه إلا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع إلا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون أهم على حق أم باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الأصنام كمثل الناعق بما لا يسمع إلا أن قوله إلا دعاء ونداء لا يساعد عليه لأن الأصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن قال الأخطل: فانعق بضأنك يا جرير فإنما * منتك نفسك في الخلاء ضلالا. وأما نعق الغراب فبالغين المعجمة صم هم صم وهو رفع على الذم يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لأن كل ما رزقه الله لا يكون إلا حلالا واشكروا لله الذي رزقكموها إن كنتم إياه تعبدون إن صح أنكم تخصونه بالعبادة وتقرون أنه مولى النعم وعن النبي صلعم يقول الله تعالى إني والجن والإنس في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري حرم على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم ما أهل به لغير الله أي رفع به الصوت للصنم وذلك قول أهل الجاهلية باسم اللات والعزى غير باغ على مضطر آخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة فإن قلت في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلعم أحلت لي ميتتان ودمان قلت قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة ألا ترى أن القائل إذا قال أكل فلان ميتة لم يسبق الوهم إلى السمك والجراد كما لو قال أكل دما لم يسبق إلى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث وإن أكل لحما في الحقيقة وقال الله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وإن سماه الله دابة في قوله إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فإن قلت فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لأن الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون أنه شحيم إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم في بطونهم ملء بطونهم يقال أكل فلان في بطنه وأكل في بعض بطنه إلا النار لأنه إذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار ومنه قولهم أكل فلان الدم إذا أكل الدية التي هي بدل منه قال: أكلت دما إن لم أرعك بضرة ... وقال: يأكلن كل ليلة إكافا. أراد ثمن الإكاف فسماه إكافا لتلبسه به لكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله تعريض بحرمانهم حال أهل الجنة في تكرمة الله إياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم لمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد فما أصبرهم على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما أصبرك على القيد والسجن تريد أنه لا يتعرض لذلك إلا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما أصبرهم فأي شيء صبرهم يقال أصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا أصل معنى فعل التعجب والذي روي عن الكسائي أنه قال أخبرني قاضي اليمن بمكة اختصم إلي رجلان من العرب فحلف أحدهما على حق صاحبه فقال له ما أصبرك على الله فمعناه ما أصبرك على عذاب الله ذلك بأن الله نزل أي ذلك العذاب بسبب أن الله نزل ما نزل من الكتب بالحق وإن الذين اختلفوا في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم أهل الكتاب لفي شقاق لفي خلاف بعيد عن الحق والكتاب للجنس أو كفرهم ذلك بسبب أن الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وإن الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم أساطير لفي شقاق بعيد أي لولم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسر هؤلاء أن يكفروا ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون البر اسم للخير ولكل فعل مرضي أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لأهل الكتاب لأن اليهود تصلي قبل المغرب إلى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك أنهم أكثروا الخوض في أمر القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين أن البر التوجه إلى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما أنتم عليه فإنه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب في أمر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذي يحسن أن تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر أمر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف الهمة إليه بر من آمن وقام بهذه الأعمال وقرئ ليس البر بالنصب على أنه خبر مقدم وقراءة عبد الله بأن تولوا على إدخال الباء على الخبر للتأكيد كقولك ليس المنطلق زيد ولكن البر من آمن على تأويل حذف المضاف أي بر من آمن أو بتأويل البر بمعنى ذي البر أو كما قالت: فإنما هي إقبال وإدبار. وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء وقرئ ولكن البار وقرأ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب الله أو القرآن على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الإيتاء يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه وقدم ذوي القربى لأنهم أحق قال عليه السلم صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لأنها صدقة وصلة وقال أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وأطلق ذوي القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الإلباس والمسكين الدائم السكون إلى الناس لأنه لا شيء له كالمسكير للدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لأن السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وإن جاء على فرسه وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع الرقاب وإعتاقها وقيل فك الأسارى فإن قلت قد ذكر إيتاء المال في هذه الوجوه ثم قفاه بإيتاء الزكوة فهل دل ذلك على أن في المال حقا سوى الزكوة قلت يحتمل ذلك وعن الشعبي أن في المال حقا سوى الزكوة وتلا هذه الآية ويحتمل أن يكون ذلك بيان مصارف الزكوة أو يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكوة والموفون عطف على من آمن وأخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح إظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين

والصابرين في البأساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري
وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي أن الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالأنثى أخذا بهذه الآية ويقولون هي مفسرة لما أبهم
في النفس بالنفس ولأن تلك واردة لحكاية ما كتب في التوراة على أهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب
والشعبي والنخعي وقتادة والثوري وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين العبد والحر والذكر
والأنثى ويستدلون بقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم وبأن التفاضل غير معتبر في الأنفس بدليل أن جماعة لو قتلوا واحدا
قتلوا به وروي أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء وكان لأحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى
والاثنين بالواحد فتحاكموا إلى رسول الله صلعم حين جاء الله بالإسلام فنزلت وأمرهم أن يتباءوا فمن عفي له من أخيه شيء معناه فمن عفي له من جهة
أخيه شيء من العفو على أنه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح أن يكون شيء في معنى المفعول به لأن عفا لا يتعدى إلى
مفعول به إلا بواسطة وأخوه هو ولي المقتول وقيل له أخوه لأنه لابسه من قبل أنه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا
لمن بينه وبينه أدنى ملابسة أو ذكره بلفظ الأخوة ليعطف أحدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والإسلام فإن قلت إن عفا
يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له قلت يتعدى بعن إلى الجاني وإلى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك
وقال عفا الله عنها فإذا تعدى إلى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كأنه قيل فمن عفي
له عن جنايته فاستغني عن ذكر الجناية فإن قلت هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به قلت لأن عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت
ولكن أعفاه ومنه قوله عليه السلم واعفوا اللحى فإن قلت فقد ثبت قولهم عفا أثره إذا محاه وأزاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من أخيه شيء قلت
عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها إلى أخرى قلقة نابية
عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ إذا أعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله عز وجل على اختراع لغة وادعاء على العرب
ما لا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها فإن قلت لم قيل شيء من العفو قلت للإشعار بأنه إذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بأن يعفى عن بعض
الدم أو عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب إلا الدية فاتباع بالمعروف فليكن اتباع أو فالأمر اتباع وهذه توصية
للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بأن لا يعنف به ولا يطالبه إلا مطالبة جميلة وليؤد إليه القاتل بدل الدم أداء بإحسان
بأن لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لأن أهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم
العفو وأخذ الدية وعلى أهل الإنجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الأمة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا
فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل أو القتل بعد أخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبول
الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب أليم نوع من العذاب شديد الألم في الآخرة وعن قتادة العذاب الأليم أن يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية
لقوله عليه السلم لا أعافي أحدا قتل بعد أخذه الدية ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون ولكم في القصاص حياة كلام فصيح لما فيه
من الغرابة وهو أن القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل مكانا وظرفا للحياة ومن إصابة محز البلاغة تعريف القصاص وتنكير الحياة

لأن المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة وذلك أنهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل بأخيه كليب حتى كاد
يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الإسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة أي حياة أو نوع
من الحياة وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لأنه إذا هم بالقتل فعلم أنه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من
القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حياة نفسين وقرأ أبو الجوزاء ولكم في القصص حياة أي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص
وقيل القصص القرآن أي ولكم في القرآن حياة للقلوب كقوله روحا من أمرنا ويحيى من حي عن بينة لعلكم تتقون أي أريتكم ما في القصاص من استبقاء
الأرواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل أهل التقوى في المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالأئمة
كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه
إن الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم إذا حضر أحدكم الموت إذا دنا منه وظهرت أماراته
خيرا مالا كثيرا وعن عائشة رضي الله عنها أن رجلا أراد الوصية وله عيال وأربع مائة دينار فقالت ما أرى فيه فضلا وأراد آخر أن يوصي فسألته كم مالك
فقال ثلاثة آلاف قالت كم عيالك قال أربعة قالت إنما قال الله إن ترك خيرا وإن هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رض أن مولى له أراد أن يوصي
وله سبع مائة فمنعه وقال قال الله تعالى إن ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولأنها بمعنى أن يوصي
ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الإسلام فنسخت بآية المواريث وبقوله عليه السلم إن الله أعطى كل ذي
حق حقه ألا لا وصية لوارث وبتلقي الأمة إياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر وإن كان من الآحاد لأنهم لا يتلقون بالقبول إلا الثبت الذي صحت
روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين وقيل ما هي بمخالفة لآية المواريث ومعناها كتب عليكم ما أوصى
به الله من توريث الوالدين والأقربين من قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم أو كتب على المحتضر أن يوصي للوالدين والأقربين بتوفير ما أوصى به الله
لهم عليهم وأن لا ينقص من أنصبائهم بالمعروف بالعدل وهو أن لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث حقا مصدر مؤكد أي حق ذلك حقا
فمن بدله فمن غير الإيصاء عن وجهه إن كان موافقا للشرع من الأوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه فإنما إثمه على الذين يبدلونه فما إثم
الإيصاء المغير أو التبديل إلا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لأنهما بريئان من الحيف إن الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن خاف فمن توقع وعلم وهذا
في كلامهم شائع يقولون أخاف أن ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم جنفا ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية أو إثما أو تعمدا
للحيف فأصلح بينهم بين الموصى لهم وهم الوالدان والأقربون بإجرائهم على طريق الشرع فلا إثم عليه حينئذ لأن تبديله تبديل باطل إلى حق ذكر
من يبدل الباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم أن كل تبديل لا يؤثم يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما
معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا
خير لكم إن كنتم تعلمون كما كتب على الذين من قبلكم على الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدكم قال علي رض أولهم آدم يعني أن الصوم عبادة قديمة
أصلية ما أخلى الله أمة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها لأصالتها وقدمها أو لعلكم تتقون
المعاصي لأن الصائم أظلف لنفسه وأردع لها من مواقعة السوء قال عليه السلم فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء أو لعلكم تنتظمون

في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه انه كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الايام المعدودات عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر كتب على رسول الله صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان يتقوا المفطر بعد ان يصلوا العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله احل لكم ليلة الصيام الاية ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب اياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة او على سفر او راكب سفر فعدة فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر واختلف في المرض المبيح للافطار فمن قائل كل مرض لان الله لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل مسافر ان يفطر فكذلك كل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار وقائل هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلف ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي كما فات متتابعا وفي قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات فان قلت فكيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات قلت لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر بان يصوم اياما معدودة مكانها علم انه لا يؤتر عدد على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرا ابن عباس يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على انهما من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد على مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع اخير له او الخير وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا وفي قراءة ابي والصيام خير لكم

شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون

الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية علما للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت فان قلت لم سمي شهر رمضان قلت الصوم فيه عبادة قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر فان قلت فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء في الاحاديث من نحو قوله عليه السلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له قلت هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال بما اعيا النطاسي حذيما اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتدا خبره الذي انزل فيه القرآن او على انه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان او على الابدال من اياما معدودات او على انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل فيه القرآن ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل انزل في شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول انزل في عمر كذا وفي علي كذا وعن النبي صلعم نزلت صحف ابرهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس وبينات نصب على الحال اي انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي الى الحق ويفرق بين الحق والباطل فان قلت ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر يريد الله ان ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج في الدين وامركم بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة وقرئ اليسر والعسر بضمتين ولتكملوا الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي الى تبينه الا النقاب المحدث من علماء البيان وانما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وارادة ان تشكروا وقرئ ولتكملوا بالتشديد فان قلت هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا قلت لا يبعد ذلك والاول اوجه فان قلت ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال

واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي

وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون فاني قريب تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله صلعم هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وروي ان اعرابيا قال لرسول الله صلعم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الآخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلوة العشاء الآخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلعم وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال عليه السلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث اي احل الله وقرأ عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارفث الرجل وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم * وهن يمشين بنا هميسا * ان تصدق الطير ننك لميسا * فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكنى به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك فان قلت لم كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن قلت استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم فان قلت لم عدي الرفث بالى قلت لتضمينه معنى الافضاء لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي * اذا ما الضجيع ثنى عطفها * تثنت فكانت عليه لباسا * فان قلت ما موقع قوله هن لباس لكم قلت هو استئناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن تختانون انفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت في اللوح من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لانه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الرخصة بعد الحظر وقرأ ابن عباس واتبعوا وقرأ الاعمش واتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير الخيط الابيض اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين ابيض واسود قال ابو دواد * فلما اضاءت لنا سدفة * ولاح من الصبح خيط انارا * وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثاني ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله

فان قلت اهذا من باب الاستعارة ام من باب التشبيه قلت قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رأيت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها فان قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة قلت لان من شرط المستعار ان يدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من ان يكون استعارة فان قلت فكيف التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلعم فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا وروي انك لعريض القفا انما ذاك بياض النهار وسواد الليل قلت غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلعم قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وانشدني بعض البدويه لبادية * عريض القفا ميزانه في شماله * قد انحص من حسب القراريط شاربه * فان قلت فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجليه الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا انه انما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تأخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد اذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذا الا الحقيقة وهي غير مرادة قلت اما من لا يجوز تأخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب ابي علي وابي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح المراد به ثم اتموا الصيام الى الليل قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل الى الفجر وعلى نفي صوم الوصال عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالآن باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك اذا لمس او قبل فانزل وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف خرج فباشر امرأته ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في المسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة على انه في مسجد جماعة وقرأ مجاهد في المسجد تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله فلا تقربوها فان قلت كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله قلت من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا ان يتخطاه كما قال رسول الله صلعم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون ولا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم يبحه الله ولم يشرعه ولا تدلوا بها ولا تلقوا امرها والحكومة فيها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور او باليمين الكاذبة او بالصلح مع العلم بان المقضي له ظالم وعن النبي صلعم انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فانما قضيت له

على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا ياخذن منه شيئا فانما اقطع له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا
فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما وقيل تدلوا بها تلقوا بعضها الى الحكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي
او منصوب باضمار ان لقوله ولتلبسوا الحق وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ يسئلونك
عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم
تفلحون روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال
ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فنزلت مواقيت معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم
وعدد نسائهم وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا
دارا ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر
خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر بر من اتقى ما حرم الله فان قلت ما وجه اتصاله بما قبله
قلت كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله عز وعلا لا يكون الا
حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها برا ويجوز ان
يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان
مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر ما تنبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك
وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال واتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور من وجوهها التي يجب ان يباشر عليها ولا تعكسوا
والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على ان جميع افعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في
ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم
ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث اخرجوكم والفتنة اشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام
حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم المقاتلة في سبيل الله الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين الذين
يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن انس هي اول اية نزلت في القتال
بالمدينة فكان رسول الله صلعم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان
والنساء او الكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون
رسول الله صلعم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون ان لا تفي لهم قريش
ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت واطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم
الجناح في ذلك ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد
او بالمثلة او بالمفاجاة من غير دعوة حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف وجود على وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل

ثقف اي سريع الاخذ لاقرانه قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله صلعم
بمن لم يسلم منهم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان فيتعذب به اشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء
ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت فجعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل لقتل بحد السيف اهون
موقعا على النفس من قتل بحد فراق وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك اعظم من القتل في الحرم وذلك انهم كانوا يستعظمون
القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه اشد واعظم مما يستعظمونه ويجوز ان يراد فتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام
اشد من قتلكم اياهم في الحرم او من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم ولا تقاتلوهم حتى يقتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم
كوقوعه فيهم يقال قتلتنا بنو فلان وقال فان تقتلونا نقتلكم فان انتهوا عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا
ان الله يحب المحسنين حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين
فلا تعتدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين
غير المنتهين سمي جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او اريد انكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين
فيسلط عليكم من يعدو عليكم قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال
وذلك في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذاك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم والحرمات
قصاص اي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا
واكد ذلك بقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لم يحل
لكم الباء في بايديكم مزيدة مثلها اعطى بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها اخذة بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم
وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك
او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او عن الاستقتال والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي
ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب الانصاري نحن اعلم بهذه الاية وانما انزلت فينا
صحبنا رسول الله صلعم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على اهالينا واموالنا واولادنا فلما فشا الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب
اوزارها رجعنا الى اهالينا واولادنا واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد وحكى ابو علي في الحلبيات
عن ابي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من قول ابي عبيدة على ان التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة
والتسرة ونحوها في الاعيان التنضبة والتتفلة ويجوز ان يقال اصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما على انها مصدر من هلك
فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار واتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رءوسكم

حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك فاذا امنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا ان الله شديد العقاب

واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال تمام الحج ان تقف المطايا بعرفات واضعة اللثام جعل الوقوف عليها لبعض مناسك الحج الذي لا يتم الا به وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل ان يكون النفقة حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والاغراض الدنيوية فان قلت هل فيه دليل على وجوب العمرة قلت ما هو الا امر باتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين او تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع جميعا الا ان تقول الامر باتمامهما امر بادائهما بدليل قراءة من قرا واقيموا الحج والعمرة والامر للوجوب في اصله الا ان يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل على نفي الوجوب وهو ما روي انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع فان قلت فقد روي عن ابن عباس انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضه ان رجلا قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج قلت كونها قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب واما حديث عمر فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله اهللت بهما واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع من الصلوة والدليل الذي ذكرناه اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال في انك تامره بفرض وتطوع وقرا علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فان احصرتم يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى الذين احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة وما هجر ليلى ان تكون تباعدت عليك ولا ان احصرتك شغول وحصر اذا حبسه عدو عن المضي او سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب هذا هو الاكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شيء مثل صده واصده وكذلك قال الفراء وابو عمرو الشيباني وعليه قول ابي حنيفة كل منع عنده من عدو كان او مرض او غيرهما معتبر في اثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعي منع العدو وحده وعن النبي صلعم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدي جمع هدية كما يقال جدي في السرج جدية وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي يعني فان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير او بقرة او شاة فان قلت اين ومتى ينحر هدي المحصر قلت ان كان حاجا فبالحرم متى شاء عند ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امار فان كان عندهما في ايام النحر وان كان معتمرا فبالحرم في كل وقت عندهم جميعا ما استيسر رفع بالابتداء اي فعليه ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر ولا تحلقوا رؤسكم الخطاب للمحصرين اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب ابي حنيفة فان قلت فان النبي صلعم نحر هديه حيث احصر قلت كان محصره طرف الحديبية الذي اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلعم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة

فمن كان منكم مريضا فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه وهو القمل او الجراحة فعليه اذا احتلق فدية من صيام ثلثة ايام او صدقة على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلعم قال له لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق راسك وصم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك شاة وكان كعب يقول فيّ نزلت هذه الاية وروي انه مر به وقد قرح راسه فقال كفى بهذا اذى وامره ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقرا الحسن او نسك بالتخفيف فاذا امنتم الاحصار يعني فاذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع اي استمتع بالعمرة الى الحج واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله تعالى قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي هو هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة ويأكل منه وعند الشافعي يجري مجرى الجنايات ولا ياكل منه ويذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا احرم بحجته فمن لم يجد الهدي فعليه صيام ثلثة ايام في الحج اي في وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب ابي حنيفة والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزه الا الدم وعند الشافعي لا يصام الا بعد الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله في الحج وسبعة اذا رجعتم بمعنى اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج عند ابي حنيفة وعند الشافعي هو الرجوع الى اهاليهم وقرا ابن ابي عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام كانه قيل فصيام ثلثة ايام كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما فان قلت ما فائدة الفذلكة قلت الواو قد تجي للاباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انه لو جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وايضا ففائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتاكد العلم وفي امثال العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تاكيد اخر وفيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كانك تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تامره به وكان منك بمنزل الله الله لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي وفي قراءة ابي فصيام ثلثة ايام متتابعات ذلك اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة واصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم او قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا ياكل منه واما القارن والمتمتع من اهل الافاق فدمهما دم نسك ياكلان منه وعند الشافعي اشارة الى الحكم الذي هو وجوب الهدي او الصيام ولم يوجب عليهم شيئا وحاضروا المسجد الحرام اهل المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة وعند الشافعي اهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلوة واتقوا الله في المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى

الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا اولي الالباب

اي وقت الحج اشهر معلومات كقولك البرد شهران والاشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند ابي حنيفة وعند الشافعي تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك ذو الحجة كله فان قلت ما فائدة توقيت الحج بهذه الاشهر قلت فائدته ان شيئا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد ايضا عند الشافعي في غيرها وعند ابي حنيفة ينعقد الا انه مكروه فان قلت فكيف كان الشهران وبعض الثالث اشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه اذن وانما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلثة اشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا او على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة او اكثر وانما رآه في ساعة منها فان قلت ما وجه مذهب مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير قلت قالوا وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكانها مخصوصة للحج لا مجال فيها للعمرة

وعن عمر انه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن ابن عمر انه قال للرجل ان اطعتني انتظرت حتى اذا اهللت المحرم خرجت الى ذات عرق فاهللت
منها بعمرة وفائدة القول بمذهب مالك جواز تأخير طواف الزيارة الى آخر الشهر معلومات معروفات عند الناس لا يشكل عليهم وفيه ان الشرع لم يات على خلاف
ما عرفوه وانما جاء مقررا له فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالتلبية او تقليد الهدي وسوقه عند ابي حنيفة وعند الشافعي بالنية فلا رفث فلا جماع
لانه يفسده او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء والخدم
والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلوة والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب انتفائها
وانها حقيقة بان لا تكون وقرئ المنفيات الثلاث بالنصب وبالرفع وقرأ ابو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع والآخر بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى
النهي كانه قيل فلا يكون رفث ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب
فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله انه قد ارتفع
الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله صلعم من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كيوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال
وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان تستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان
الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه ويشجعه قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى
اي اجعلوا زادكم الى الآخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا
فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى واتقون وخافوا
عقابي يا اولي الالباب يعني ان قضية اللب خشية الله وتقواه ومن لم يتقه من الالباء فكانه لا لب له ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات
فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هديكم وان كنتم من قبله لمن الضالين فضلا من ربكم عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس
من العرب يتأثمون ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج
وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا
فرفع عنهم الجناح في ذلك واباح لهم وانما يباح لهم ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه وان قوما يزعمون
ان لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلعم عما سألت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له
هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وقرأ ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا في ان تبتغوا افضتم دفعتم
بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه
صب في دقرانه وضرب بعيره بمحجنه وقال افاضوا في الحديث وخاضوا فيه وعرفات علم للموقف سمي بجمع كاذرعات فان قلت هلا منعت الصرف وفيها السببان
التعريف والتأنيث قلت لا يخلو التأنيث اما ان يكون بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست للتأنيث وانما هي مع الالف
التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا يقدر تاء التأنيث في بنت لان التاء
التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التأنيث فابت تقديرها وقالوا سميت بذلك لان ابراهيم عليه السلام لما ابصرها عرفها وقيل ان

اعلم ان الله بين اولا تفصيل مناسك الحج ثم امر بعدها بالذكر فقال فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ثم بين ان الاولى ان يترك ذكر غيره وان يقتصر على ذكره فقال فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا ثم بين بعد الذكر كيفية الدعاء فقال فمن الناس من يقول وما احسن هذا الترتيب فانه لا بد من تقدم العبادة كسرا للنفس وازالة لظلماتها ثم لا بد من الاشتغال بذكر الله لتنوير القلب

جبريل حين كان يدوره في المشاعر اراه اياها وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهي من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف في اسماء الاجناس الا ان تكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده وعن النبي صلعم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلوة المغرب والعشاء عند المشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر وليس المازمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي صلعم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر او جعلت اعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رض انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا لان آدم اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلوتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيها كما هديكم ما مصدرية او كافة والمعنى اذكروه ذكرا حسنا كما هديكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه ولا تعدلوا عنه وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة

ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم اباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب

ثم افيضوا ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وساير الناس بعرفات فان قلت فكيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تاتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان احدهما صواب والثانية خطأ وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهم الحمس اي من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث افاض الناسي بكسر السين اي الناسي وهو آدم من قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم من عبادتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن ايامهم او اشد ذكرا في موضع جر عطف على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او في موضع نصب عطف على آباءكم بمعنى او اشد ذكرا من آبائكم على ان ذكرا من فعل المذكور فمن الناس من يقول معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من طلب خلاق وهو النصيب او ما لهذا الداعي في الآخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من طلب خلاق والحسنتان ما هو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب وعن علي رض الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا اي نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا

كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا اولئك لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يتوجهون بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمى الدعاء كسبا
لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب
يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب العباد فبادروا الى الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة اعمالهم ليدل على
كمال قدرته ووجوب الحذر منه روى انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروى في مقدار فواق ناقة وروى في مقدار لمحة **واذكروا الله في ايام معدودات فمن**
تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير
في ادبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر رضه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فمن تعجل فمن عجل النفر
او استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق
لقوله ومن تأخر كما هي كذلك في قوله قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل لاجل المتأني في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو
الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند ابي حنيفة واصحابه ينفر
قبل طلوع الفجر ومن تأخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز **فان قلت** كيف قال
فلا اثم عليه عند التعجيل والتأخير جميعا **قلت** دلالة على ان التعجيل والتأخير مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا او تأخروا **فان قلت** اليس التأخر بافضل **قلت**
بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل
آثما ومنهم من جعل المتأخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما جميعا لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر لاجل الحاج المتقي لئلا يتخالج
في قلبه شيء منهما فيحسب ان احدهما يرهق صاحبه آثاما في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال
واتقوا الله ليعبأ بكم ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله
ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام من يعجبك قوله اي يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس
وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلعم الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني صادق وقيل هو عام في المنافقين
كانت تحلولي السنتهم وقلوبهم امر من الصبر **فان قلت** بم يتعلق قوله في الحيوة الدنيا **قلت** بالقول اي يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل
يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما تراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة لرسول الله صلعم فكلامه اذن في الدنيا لا في الآخرة ويجوز ان يتعلق
بيعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك
كلامه ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف ابي ويستشهد الله وهو الد الخصام
وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة الالد بمعنى في
كقولهم ثبت الغدر او جعل الخصام الدا على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو اشد الخصوم خصومة **واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها**
ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد واذا تولى واذا تولى عنك وذهب بعد الانة القول
وحلاوة المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك الحرث

وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل والرفع
للعطف على سعى وقرأ الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو ابى يابى وروى عنه ويهلك على البناء للمفعول اخذته العزة بالاثم من قولك
اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه اي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذي ينهى عنه والزمته ارتكابه وان لا
يخلي عنه ضرارا ولجاجا او على رد قول الواعظ **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤف بالعباد يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم**
كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم يشري نفسه يبيعها
اي يبذلها في الجهاد وقيل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت في صهيب بن سنان اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه
فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله واتى المدينة
والله رؤف بالعباد حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء السلم بكسر السين وفتحها وقرأ الاعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة
اي استسلموا لله واطيعوه كافة لا يخرج احد منكم يده عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا بكتابهم ونبيهم او
للمنافقين لانهم آمنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون كافة حالا من السلم لانها تؤنث كما تؤنث الحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك
من انفاسها جرع على ان المؤمنين امروا بان يدخلوا في الطاعات كلها وان لا يدخلوا في طاعة دون طاعة او في شعب الاسلام وشرائعه كلها وان لا
يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم على السبت وان يقرأ من التورية في صلوته من الليل وكافة من الكف
كانهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات اي الحجج والشواهد على ان ما دعيتم الى الدخول فيه
هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم الا بحق وروى ان قاريا قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرأ
القرآن وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه وقرأ ابو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان
نحو ضللت وضللت **هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور سل بني اسرائيل كم آتيناهم**
من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب اتيان الله اتيان امره وبأسه كقوله تعالى او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا ويجوز ان يكون
المأتي به محذوفا بمعنى ان يأتيهم الله ببأسه او بنقمته للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز في ظلل جمع ظلة وهي ما اظلك وقرئ ظلال
وهي جمع ظلة كقلة وقلال او جمع ظل وقرئ والملائكة بالرفع كقوله تعالى هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة وبالجر عطفا
على ظلل او على الغمام **فان قلت** لم يأتيهم العذاب في الغمام **قلت** لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر افظع واهول لان الشر
اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة
من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثم اشتد على المتفكرين في كتاب الله قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقضي الامر واتم
امر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرأ معاذ بن جبل وقضاء الامر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول
بالتأنيث والتذكير فيهما سل امر للرسول صلعم او لكل احد وهذا السؤال سؤال تقريع كما تسأل الكفرة يوم القيمة كم آتيناهم من آية بينة على ايدي انبيائهم
وهي معجزاتهم او من آية في الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام ونعمة الله آياته وهي اجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة

قوله مبشرين ومنذرين فان قلت الانذار والبشارة انما يكونان بعد الانزال كيف ذلك قلت قد يحصل الانزال
قلت قد يكون الانذار والبشارة بالدلايل العقلية او نقول الواو لا توجب الترتيب ٥ كبير

٦٢

وبدلهم ايّاها ان الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرّفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد صلعم فان قلت كم استفهامية ام خبرية قلت يحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها للتقرير فان قلت ما معنى من بعد ما جاءته قلت معناه من بعد ما تمكّن من معرفتها او عرفها كقوله تعالى ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكّن من معرفتها او لم يعرفها فكانها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف زيّن للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة والله يرزق من يشاء بغير حساب

عنده ح

المزيّن هو الشيطان زيّن لهم الدنيا وحسّنها في اعينهم فلا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله قد زيّنها لهم بان خذلهم حتى استحسنوها واحبوها او جعل امهال المزيّن تزيينا ويدل عليه قراءة من قرأ زيّن للذين كفروا الحيوة الدنيا على البناء للفاعل ويسخرون من الذين آمنوا كانت الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم في الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم اي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها او ممن يطلب غيرها والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين من السماء وهم في سجّين من الارض او حالهم عالية لحالهم لانهم في كرامة وهم في هوان او هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما تطاول هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعني انه يوسّع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسّع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان اولياؤه المؤمنون احق بها منكم فان قلت لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا قلت ليريك انه لا يسعد عنده الا المؤمن المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

كان الناس امة واحدة متفقين على دين الاسلام فبعث الله النبيين يريد فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله عز وعلا وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الوجه فان قلت متى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق قلت عن ابن عباس انه كان بين آدم ونوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة وانزل معهم الكتاب يريد الجنس او مع كل واحد منهم كتابه ليحكم الله او الكتاب او النبي المنزل عليه فيما اختلفوا فيه من الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه في الحق الا الذين اوتوه الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف واستحكامه بغيا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم ومن الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف من اختلف ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم

صح

ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ

ام حسبتم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم
بيان للمثل وهو استيناف كان قايلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال والافزاع
حتى يقول الرسول الى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه
واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل على تناهي الامر في الشدة وتماديه في العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم
لانفسهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب على ارادة القول يعني فقيل لهم ذلك اجابة الى طلبتهم
من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان ان علم له وبالرفع على انه في معنى الحال كقولك شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه
الا انها حال ماضية محكية **فان قلت** كيف طابق الجواب السؤال في قوله قل ما انفقتم وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف **قلت** قد تضمن
قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها ان الصنيعة لا تكون صنيعة
حتى يصاب بها طريق المصنع وعن ابن عباس انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة
بفرض الزكاة وعن الحسن هي في التطوع **كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون**
وهو كره لكم من الكراهة بدليل قوله وعسى ان تكرهوا شيئا ثم اما ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار
كانه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم وقرأ السلمي بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف
ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا جميع ما
كلفوه فان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم ما يصلحكم وما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد
عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه اكبر عند الله والفتنة اكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن
دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك
يرجون رحمة الله والله غفور رحيم** بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي
وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطايف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد
الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخايف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلعم العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد
رسول الله صلعم العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلعم الغنيمة والمعنى يسألك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل الاشتمال
من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير اي اثم كبير وعن عطاء انه
سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل على انها منسوخة بقوله فاقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدأ واكبر خبره يعني وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراج اهل المسجد الحرام
وهم رسول الله صلعم والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن والفتنة الاخراج او الشرك والمسجد الحرام
عطف على سبيل الله ولا يجوز ان يعطف على الهاء في به ولا يزالون يقاتلونكم اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم

وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم وان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا
تبق علي وهو واثق بانه لا يظفر به ومن يرتدد منكم عن دينه ومن يرجع عن دينه الى دينهم ويطاوعهم على ردته واليمين على الردة فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا
والآخرة لما يفوتهم باحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وباستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة وبها احتج الشافعي على ان الردة لا تحبط الاعمال
حتى يموت عليها وعند ابي حنيفة انها تحبطها وان رجع مسلما ان الذين آمنوا والذين هاجروا نزلت ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم
ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر فنزلت اولئك يرجون رحمة الله وعن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف
هرب يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون
في الدنيا والآخرة نزلت في الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا
من الصحابة قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت فيهما اثم كبير ومنافع للناس فتركها قوم وشربها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف
ناسا منهم فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما
فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلعم فقال
عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رض انتهينا يا رب وعن علي لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها
منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلاء لم ارعه وعن ابن عمر لو ادخلت اصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الايمان حقا وهم الذين اتقوا حق تقاته
والخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذا نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب
الشيطان منه وحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند ابي حنيفة وعن بعض اصحابه لان اقول لمرة
هو حرام ولان اخر من السماء فانقطع قطعا احب الي من ان اقول لمسكر قطرة وعند اكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كل ما اسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها
العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكرهما اي تحجزهما وكانها سميت بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة والميسر ايضا مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما
يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد وتعب او من اليسار لانه سلب يساره وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية
يخاطر على اهله وماله قال اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني اي يفعلون بي ما يفعل الياسرون بالمسور فان قلت كيف صفة الميسر قلت كانت لهم عشرة اقداح وهي
الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها
عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح واساميهن وغد وسفيح ومنيح
للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها
ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم ياخذ شيئا وغرم
ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد
والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلعم اياكم وهاتين اللعبتين فانهما من ميسر العجم وعن علي رض ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر
والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما بدليل قوله فيهما اثم كبير واثمهما وعقاب الاثم في تعاطيهما اكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل

بهما الى مصادقات الفتيان ومعاشراتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم واعطياتهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفي قراءة ابي واقربهما
اكبر ومعنى الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة العفو نقيض الجهد ومنه قول ينفق بالا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ
الوسع قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ويقال للارض السهلة العفو وقرئ بالرفع والنصب وعن النبي صلعم ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب اصابها في
بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول الله صلعم فاتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال هاتها
مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجيء احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى في الدنيا والآخرة
اما ان يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتاخذون بما هو اصلح لكم كما بينت لكم ان العفو اصلح من الجهد في النفقة او
تتفكرون في الدارين فتؤثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما لتتفكروا في عقاب الاثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى
لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم واما ان يتعلق بيبين لكم الآيات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تعقلون ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح
لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لاعنتكم ان الله عزيز حكيم لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا
اليتامى ومخالطتهم وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم والاهتمام لمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فقيل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح
لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم وتعاشروهم ولم تجانبوهم فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة
والله يعلم المفسد من المصلح اي الذي يقصد بمخالطتهم الافساد والاصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح ولو شاء الله لاعنتكم لحملكم على
العنت وهو المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم وقرئ قل اصلاح اليهم ومعناه ايصال الصلاح اليهم وقرئ لعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام وكذلك
عليه عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم
ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون
ولا تنكحوا اي لا تتزوجوا المشركات حتى يؤمن والمشركات تعم الحربيات والكتابيات والآية ثابتة وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعا لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت
اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله عما يشركون وهي منسوخة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها
شيء قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي وروي ان رسول الله صلعم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها
عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلعم فاستامره فنزلت ولامة
مؤمنة خير ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها
فان المؤمنة خير منها مع ذلك اولئك اشارة الى المشركات والمشركين اي يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال
والله يدعو الى الجنة يعني اولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم باذنه بتيسير الله
وتوفيقه للعمل الذي يستحق به الجنة والمغفرة وقرئ الحسن والمغفرة باذنه بالرفع اي والمغفرة حاصلة بتيسيره ويسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا
النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين المحيض مصدر يقال حاضت محيضا كقولك
جاء مجيئا وبات مبيتا قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة فاعتزلوا النساء فاجتنبوهن يعني فاجتنبوا مجامعتهن روي ان

اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المراة لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل المجوس واليهود فلما نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن
فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال عم
انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن في
كل شيء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال فابو حنيفة وابو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال
الفرج وروى محمد حديث عائشة رض ان عبد الله بن عمر سالها هل يباشر الرجل امراته وهي حائض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها ان شاء وروى زيد بن اسلم
ان رجلا سأل النبي صلعم ما يحل لي من امراتي وهي حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شانك باعلاها ثم قال وهذا قول ابي حنيفة وقد جاء ما هو ارخص من هذا عن عائشة
انها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك وقرئ يطهرن بالتشديد اي يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقرا عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر
الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفي اقل الحيض
لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلاة وذهب الشافعي الى انه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر فتجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن من حيث
امركم الله من المأتى الذي امركم الله تعالى به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش
او ان الله يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمباح
ونحو ذلك **نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا**
وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور وقوله فاتوا حرثكم
انى شئتم تمثيل اي فاتوهن كما تأتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من اي شق اردتم بعد ان يكون المأتى
واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فاتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه واشباهها في كلام
آداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتادبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امراته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان
ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلعم فقال كذبت اليهود ونزلت وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل
التسمية على الوطء واتقوا الله فلا تجترئوا على المناهي واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل
الحسنات **فان قلت** ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله **قلت** موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فاتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتى الذي امركم الله به هو مكان الحرث
ترجمة له وتفسيرا او ازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى الذي يتعلق به هذا الغرض **فان قلت**
ما بال يسالونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا **قلت** كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات
سؤال مبتدأ وسالوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كانه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وعن كذا العرضة
فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة ايضا
المعرض للامر كقوله فلا تجعلوني عرضة للوائم ومعنى الآية على الاولى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات بين او احسان الى احد او عبادة ثم
يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه

باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك اي على شيء مما تحلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس **فان قلت** بم تعلقت اللام في لايمانكم **قلت** بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا ويجوز ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني كذا ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا وجه اخر ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله تعالى غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطاتهم واصلاح ذات بينهم **لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم** اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة واصحابه هو ان يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم اي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اي بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم **للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاءوا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم** قرا عبد الله آلوا من نسائهم وقرا ابن عباس يقسمون من نسائهم **فان قلت** كيف عدي بمن وهو معدى بعلى **قلت** قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين او مقسمين ويجوز ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا والايلاء من المراة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن ابراهيم النخعي وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة بالوطء ان امكنه او بالقول ان عجز صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يصح الايلاء الا في اكثر من اربعة اشهر ثم يوقف المولي فاما ان يفيء واما ان يطلق وان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله فان فاءوا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاءوا فيهن فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون على رضا منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة وان عزموا الطلاق فتربصوا الى مضي المدة فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي معناه فان فاءوا وان عزموا بعد مضي المدة **فان قلت** كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص **قلت** موقع صحيح لان قوله فان فاءوا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى اخره والا لم اقم الا ريثما اتحول **فان قلت** ما تقول في قوله فان الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع **قلت** الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان **والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر وبعولتهن احق بردهن في ذلك ان ارادوا اصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم** والمطلقات اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء **فان قلت** كيف جازت ارادتهن خاصة واللفظ

يقتضي العموم قلت بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في احد ما يصلح له كالاسم المشترك فان قلت فما معنى الاخبار عنهن بالتربص قلت هو خبر في معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدا مما زاده ايضا فضل تاكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة فان قلت هلا قيل يتربصن ثلثة قروء كما قيل تربص اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس قلت في ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على ان يتربصن وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص والقروء جمع قرء او قرء وهو الحيض بدليل قوله صلى الله عليه وسلم دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصلي في العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي تستبرأ به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وامرأة مقرئ وقال ابو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته الى فلانة تقرئها اي تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء فان قلت فما تقول في قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والطلاق المشروع انما هو في الطهر قلت معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلث وعدتهن الحيض الثلث فان قلت فما تقول في قول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا قلت اراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القرء عندهم في الاعتداد بهن اي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته عن اهله كل عام لاقتحامه في الحروب والغارات وانه تمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعهن فيها او اراد من اوقات نسائك فان القرء والقرء جاء في معنى الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا فان قلت فعلام انتصب ثلثة قروء قلت على انه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء اي يتربصن مضي ثلثة قروء او على انه ظرف اي يتربصن مدة ثلثة قروء فان قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء قلت يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية الا ترى الى قوله بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلثة شسوع وقرأ الزهري ثلثة قرو بغير همز ما خلق الله في ارحامهن من الولد او من دم الحيض وذلك اذا ارادت المرأة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق ويجوز ان يراد اللائي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن وان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم والبعولة جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني واهل بعولتهن احق بردهن برجعتهن وفي قراءة ابي بردتهن في ذلك في مدة ذلك التربص فان قلت كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء حقا فيها قلت المعنى ان الرجل ان اراد الرجعة وابتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو احق منها لا ان لها حقا في الرجعة ان ارادوا بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن ولا يعنف احد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة يقال المرأة تنال من اللذة مثل ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما

حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون الطلاق بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم اي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثاني التي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك وقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان تخيير لهم بعد ان علمهم كيف يطلقون بين ان يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثلاث فامساك بمعروف او تسريح باحسان اي بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثة في الطهر الثالث وروي ان سائلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الثالثة فقال صلعم او تسريح باحسان وعند ابي حنيفة واصحابه الجمع بين التطليقتين والثلاث بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث ابن عمر ان رسول الله صلعم قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعي لا بأس بارسال الثلث لحديث العجلاني الذي لاعن امرأته فطلقها ثلثا بين يدي رسول الله صلعم فلم ينكر عليه روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله صلعم فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان في الاسلام فان قلت لمن الخطاب في قوله ولا يحل لكم ان تأخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم الا يقيما حدود الله وان قلت للائمة والحكام فهؤلاء ليسوا بآخذين منهن ولا بمؤتيهن قلت يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج وآخره للائمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره وان يكون الخطاب كله للائمة والحكام لانهم الذين يأمرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون والمؤتون مما آتيتموهن من الصدقات الا ان يخافا الا يقيما حدود الله الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها فلا جناح عليهما فلا جناح على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت فيما افتدت به فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز في الحكم وروي ان امرأة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر فاباتها في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعا بها فقال كيف وجدت مبيتك فقالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له ان يأخذ منها شيئا وقرئ الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال الا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه واسروا النجوى الذين ظلموا ويعضده قراءة عبد الله الا ان يخافوا وفي قراءة ابي الا ان يظنا ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن يقولون اخاف ان يكون كذا وافرق ان يكون كذا يريدون اظن فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون فان طلقها الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك التطليق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المرأة كما يسند الى الرجل كما التزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذي عليه الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روى عروة عن عائشة ان امرأة رفاعة جاءت الى النبي صلعم فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلعم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان

سنتي فقال لها الذئب في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر رض فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال قد عهد
رسول الله صلعم حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر رض فقال لئن اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها فان قلت فما تقول في النكاح
المعقود بشرط التحليل قلت ذهب سفيان والاوزاعي وابو عبيد ومالك وغيرهم الى انه غير جائز وهو جائز عند ابي حنيفة مع الكراهة وعنه انهما ان اضمرا التحليل
ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبي صلعم انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رض لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وعن عثمان لا الا نكاح رغبة غير مدالسة فان طلقها
الزوج الثاني ان يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ان ظنا ان كان في ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب
عنهما لا يعلمه الا الله تعالى ومن فسر الظن هنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان
لا يعلم ما في الغد وانما يظن ظنا **واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم
نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم** فبلغن اجلهن
اي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل وكذلك الغاية والامد يقول النحويون
من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية وقال اذا انتهى اليه المدى ويتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال قد وصلت ولم يصل وانما شارف ولانه
قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها اذا انقضت عدتها صارت اجنبية منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف فاما ان يراجعها من غير
طلب ضرار بالمراجعة او سرحوهن باحسان واما ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا كان الرجل يطلق المرأة ويتركها حتى يقرب
انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن وقيل لتلجئوهن الى الافتداء فقد ظلم نفسه بتعريضها
لعقاب الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الامر انما انت
لاعب وهازئ ويقال كن يهوديا والا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن النبي صلعم ثلاث جدهن جد وهزلهن
جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة محمد صلعم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام
بحقها يعظكم بما انزل عليكم **واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله
واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون** فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن اما ان يخاطب به الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما
وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج والمعنى ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن واما ان يخاطب به الاولياء في
عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه
ان يكون خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة
اذا نشب بيضها فلم يخرج وانشد لابن هرمة: وان قصائدي لك فاصطنعني ۞ كرائم قد عضلن عن النكاح ۞ وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن الشافعي رض دل
سياق الكلامين على افتراق البلوغين اذا تراضوا اذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابي حنيفة
انها اذا زوجت نفسها بانقص من مهر مثلها فللاولياء ان يعترضوا فان قلت لمن الخطاب في قوله ذلك يوعظ به قلت يجوز ان يكون لرسول الله صلعم ولكل احد ونحوه
ذلكم خير لكم واطهر ازكى لكم واطهر افضل واطيب والله يعلم ما في ذلك من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمونه او والله يعلم ما تستصلحون به من الاحكام والشرائع

**وانتم تجهلونه والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها لا تضار
والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح
عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير** يرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد كاملين توكيد كقوله تلك عشرة
كاملة لانه مما يتسامح فيه فتقول اقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما وقرأ ابن عباس ان يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وان تتم الرضاعة
تشبيها لان بما لتآخيهما في التأويل فان قلت كيف اتصل قوله لمن اراد بما قبله قلت هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله تعالى هيت لك بيان للمهيت
به اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاع وعن قتادة حولين كاملين ثم انزل الله تعالى اليسر والتخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اراد انه يجوز النقصان وعن الحسن
ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد ان لا يكون في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة لفلان ولده اي يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة
من الآباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الام عند
ابي حنيفة ما دامت زوجة او معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق فان قلت فما بال الوالدات مأمورات بان يرضعن اولادهن قلت
اما ان يكون امرا على وجه الندب واما على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم توجد له ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستئجار وقيل اراد الوالدات المطلقات
وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع وعلى المولود له وعلى الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب عليهم فان قلت لم قيل المولود له دون
الوالد قلت ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للآباء ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وانشد للمأمون بن الرشيد: فانما امهات الناس اوعية
مستودعات وللآباء ابناء فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالاظآر الا ترى انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي
والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف تفسيره ما يعقبه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف
بالنون وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء او تضارر بفتحها وقرئ لا تضار بالفتح وقرأ
الحسن بالكسر على النهي وهو محتمل البناءين ايضا ويبين ذلك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها وقرأ ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية
الوقف وعن الاعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نواه ابو جعفر او اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب
لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط في شأن الولد وان تقول
بعدما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا يأخذه منها وهي تريد ارضاعه ولا يكرهها
على الارضاع وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار
بمعنى تضر وان تكون الباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعدما الفها ولا يضر الوالد به
بان ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد فان قلت كيف قيل بولدها وبولده قلت لما نهيت المرأة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا
لها عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد وعلى الوارث عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض
بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها
بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن ابي ليلى كل من ورثه وعند ابي حنيفة من كان ذا رحم

بحرم منه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثته من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبي نفسه
وانه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه وقيل على الوارث على الباقي من الابوين من قوله صلعم
واجعله الوارث منا فان ارادا فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما في ذلك زاد على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وقيل هو
في غاية الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر اتفاقهما في الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها احق بالتربية وهي اعلم بحال الصبي وتريد ان اراد
استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المراة الصبي واسترضعتها الصبي تعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى ان تسترضعوا المراضع
اولادكم فحذف احد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة
عن الاول اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه
كان وعده مأتيا اي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم
بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من اهنا ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا
لشان الصبي واحتياطا في امره فامر بايتائه ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا اديتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن بالمعروف متعلق بسلمتم امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة
مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن من تفريطهن بقطع معاذيرهن والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن
اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير والذين يتوفون منكم على تقدير حذف المضاف اي
وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وهي قراءة علي رضه والذي يحكى ان
ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان احد الاسباب الباعثة لعلي رضه على ان امره بان يضع كتابا في النحو
يناقضه هذه القراءة يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وقيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها ولا تراهم
قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما فاذا بلغن
اجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع
والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله
انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا
ان الله غفور حليم فيما عرضتم به هو ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد
نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته
قالت دخل علي ابو جعفر محمد بن علي رضوان الله عليهم وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك اتخطبني
في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال او قد فعلت انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله صلعم وموضعي وقد دخل رسول الله صلعم على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها
فلم يزل يذكر لها منزلته من الله تعالى وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة فان قلت اي فرق بين الكناية والتعريض
قلت الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك

ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما تريده او اكننتم
في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين علم الله انكم ستذكرونهن لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا
تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فان قلت اين المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن قلت هو محذوف لدلالة
ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى
ولا تقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تابدا ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا
فان قلت بم يتعلق حرف الاستثناء قلت بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة او لا تواعدوهن الا بان تقولوا اي لا تواعدوهن الا بالتعريض
ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا من سرا لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان تقول لها ان نكحتك كان كيت وكيت
يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث ولا افحاش في الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا اي في السر على ان المواعدة في السر عبارة عن
المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن في الغالب مما يستحيا من المجاهرة به وعن ابن عباس الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان يتواثقا ان لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقدة
النكاح من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا
تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن
لم يبيت الصيام حتى يبلغ الكتاب اجله يعني ما كتب وفرض من العدة يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه غفور حليم لا يعاجلكم
بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا
بالمعروف حقا على المحسنين وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وان تعفوا اقرب
للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير ما لم تمسوهن ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض
الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول بها ان سمي لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل لكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة
المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمة والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند ابي حنيفة الا ان يكون
مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا تنقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها والموسع الذي له سعة و
المقتر الضيق الحال وقدره مقداره الذي يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن النبي صلعم انه قال لرجل من الانصار تزوج امراة
ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك وعند اصحابنا لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات
ولا تجب متاعا تاكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا اي متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين على
الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه الا ان يعفون يريد المطلقات فان قلت اي فرق بين قولك
الرجال يعفون والنساء يعفون قلت الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبني لا اثر في لفظه
للعامل وهو في محل النصب ويعفو عطف على محله والذي بيده عقدة النكاح الولي يعني الا ان تعفو المطلقات عن ازواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول
المراة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا او يعفو الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق المهر اليها كاملا

قوله حافظوا اعلم ان الامر بالمحافظة على شرائطها الصلوة امر بالمحافظة على جميع شرائطها من طهارة البدن والثوب والمكان والمحافظة على ستر العورة واستقبال القبلة والمحافظة على جميع اركانها والاحتراز عن جميع المبطلات سواء كان من اعمال القلوب او من اعمال اللسان واتم الاحوال في الصلاة رعاية النية فانها المقصود الاعلى من الصلوة فمن ادى الصلوة على هذا الوجه كان محافظا على الصلوة والا فلا فان قلت المحافظة لا تكون الا بين اثنين كالمقابلة والمخاصمة فكيف المعنى هنا قلت فيه وجهان احدهما تكون بين العبد وبين الرب كانه قال له احفظ صلاتي احفظك كما قال اذكروني اذكركم وفي الحديث احفظ الله يحفظك الوجه الثاني ان الصلوة تحفظ من المعاصي ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فمن حفظ الصلوة حفظته الصلوة عن الفحشاء او ان الصلوة تحفظ عن البلايا والمحن قال الله تعالى اني معكم لئن اقمتم الصلوة
معناه اني معكم بالنصر والحفظ وان الصلوة تحفظ صاحبها وتشفع له وتنها قراءة القرآن والقرآن شافع مشفع لقاريه

ومن مذهب ابي حنيفة والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة بنصفه فقد عفا عنها او سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة فطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها علي فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل ولا تنسوا الفضل بينكم اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ولا تستقصوا وقرأ الحسن او يعفو الذي بسكون الواو واسكان الياء في موضع النصب تشبيها لهما بالالف لانهما اختاها وقرأ ابو نهيك وان يعفوا [...] ولا تنسوا الفضل بكسر الواو حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون والصلوة الوسطى اي الوسطى من الصلوات او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلوة العصر وعن النبي صلعم انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال صلى الله عليه وسلم انها الصلوة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الاية فلا تكتبها حتى املها عليك كما سمعت رسول الله صلعم يقرؤها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر وروى عن عائشة وابن عباس والصلوة الوسطى وصلوة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلوتين احديهما الصلوة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكان رسول الله صلعم يصليها بالهاجرة ولم تكن صلوة اشد على الصحابة منها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلوتي النهار وصلوتي الليل وعن قبيصة بن ذويب هي المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص في السفر من ثلاث وقرأ عبد الله وعلى الصلوة الوسطى وقرأت عائشة رضي والصلوة الوسطى بالنصب على المدح والاختصاص وقرأ نافع الوصطى بالصاد وقوموا في الصلوة قانتين ذاكرين لله في قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلوة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الايدي والبصر وروى انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلوة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يحدث نفسه بشيء من امور الدنيا فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام او رجل يقال رجل رجل اي راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا وعند ابي حنيفة لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي يصلون في كل حال والراكب يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم فاذا زال خوفكم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف والله عزيز حكيم تقديره فيمن قرأ وصية بالرفع ووصية الذين يتوفون او وحكم الذين يتوفون وصية كقولك انما انت سير البريد باضمار سير او الذين يتوفون اهل وصية ويدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول وقرأ ابي متاع لازواجهم متاعا وروي عنه فمتاعهم متاع لازواجهم ونصب متاعا لانه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين والتجبب ضرب لك ضرب زيد ما شديدا وغير اخراج مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن واختلف في السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه لا سكنى لهن فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب من معروف مما ليس بمنكر شرعا فان قلت كيف نسخت الاية المتقدمة المتأخرة

قلت قد تكون الاية متقدمة في التلاوة وهي متأخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء مع قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون وللمطلقات عم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعدما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال حقا على المتقين كما قال ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شانهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله تعالى ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما راى فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذرا من الموت فاماتهم الله تعالى ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير الوف متآلفون جمع آلف كقاعد وقعود فان قلت ما معنى قوله تعالى فقال لهم الله موتوا قلت معناه فاماتهم الله وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيته وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير اباء ولا توقف كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون في سبيل الله لذو فضل على الناس حيث يبصرهم ما يعتبرون به ويستبصرون كما بصر اولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم او لذو فضل على الناس حيث احيا اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله وهو قوله وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون عليم بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه والقرض الحسن اما المجاهدة في نفسها واما النفقة في سبيل الله اضعافا كثيرة قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي كثرة لا يعلم كنهها الا الله والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملا من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا اميرا نصدر فيه عن رايه في تدبير الحرب وتنتهي الى امره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعله رسول الله صلعم من التامير على الجيوش التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروي انه صلعم امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا عليهم نقاتل قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استئناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا وخبر عسيتم ان لا تقاتلوا والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه كقوله عز وجل هل اتى على الانسان معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة وما لنا الا نقاتل واي داع لنا الى ترك القتال واي غرض لنا فيه وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وذلك ان قوم

كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين «إلا قليلا منهم» قيل كان القليل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر «والله عليم بالظالمين» وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد «وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين» طالوت اسم أعجمي كجالوت وداود وإنما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا أنه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه إن كان من الطول فعلوت منه أصله طولوت إلا أن امتناع صرفه يدفع أن يكون منه إلا أن يقال هو اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة وبشمالا ها رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان أحد سببيه العجمة لكونه عبرانيا «أنى» كيف ومن أين وهو إنكار لتملكه عليهم واستبعاد له فإن قلت ما الفرق بين الواوين في «ونحن أحق» «ولم يؤت» قلت الأولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا قد انتظمتا معا في حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال أنه لا يستحق التملك لوجود من هو أحق منه بالملك وأنه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وإنما قالوا ذلك لأن النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من أحد السبطين ولأنه كان رجلا سقاء أو دباغا فقيرا وروي أن نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فأتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها إلا طالوت «قال إن الله اصطفاه عليكم» يريد أن الله هو الذي اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين أنفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة والظاهر أن المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لأجله من أمر الحرب ويجوز أن يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل قد أوحي إليه ونبئ وذلك أن الملك لا بد أن يكون من أهل العلم فإن الجاهل مزدرى غير منتفع به وأن يكون جسيما يملأ العين جهارة لأنه أعظم في النفوس وأهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد وروي أن الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه «يؤتي ملكه من يشاء» أي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك «والله واسع» الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر «عليم» بمن يصطفيه للملك «فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين» التابوت صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني إسرائيل ولا يفرون والسكينة السكون والطمأنينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد أو ياقوت لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فإذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الإنسان وفيها ريح هفافة والبقية رضاض الألواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان رفعه الله تعالى بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون إليه فكان ذلك آية لاصطفاء الله تعالى طالوت وقيل كان مع موسى ومع أنبياء بني إسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو إسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان في أرض جالوت فلما أراد الله تعالى أن يملك طالوت أصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فقالوا هذا بسبب التابوت بين أظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة إلى طالوت وقيل كان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلاثة أذرع في ذراعين وقرأ أبي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الأنصار فإن قلت ما وزن التابوت قلت لا يخلو من أن يكون فعلوتا أو فاعولا فلا يكون فاعولا لقلة نحو سلس وقلق ولأنه تركيب غير معروف

فلا يجوز ترك المعروف إليه فهو إذا فعلوت من التوب وهو الرجوع لأنه ظرف توضع فيه الأشياء وتودعه فلا يبرح يرجع إليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع إليه فيما يحتاج إليه من مودعاته وأما من قرأ بالهاء فهو فاعول عنده إلا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس وأنهما من حروف الزيادة ولذلك أبدلت من تاء التأنيث وقرأ أبو السمال سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب وقرئ يحمله بالياء فإن قلت من آل موسى وآل هرون قلت الأنبياء من بني يعقوب بعدهما لأن عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكان أولاد يعقوب آلهما ويجوز أن يراد مما تركه موسى وهرون والآل مقحم لتفخيم شأنهما «فصل عن موضع كذا» إذا انفصل عنه وجاوزه وأصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز أن يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روي أنه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا رجل متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا أبتغي إلا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع إليه ممن اختاره ثمانون ألفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا أن يجري الله لهم نهرا فقال إن الله مبتليكم بما اقترحتموه من النهر «فمن شرب منه» فمن ابتدأ شربه من النهر بأن كرع فيه «فليس مني» فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كأنه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز أن يراد فليس من جملتي وأشياعي «ومن لم يطعمه» ومن لم يذقه من طعم الشيء إذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه قال وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا الأزرق عطف عليه البرد وهو النوم ويقال ما ذقت غماضا ونحوه من الابتلاء ما ابتلي به أهل أيلة من ترك الصيد أبان الحيتان شرعا بل هو أشد منه وأصعب وإنما عرف ذلك طالوت بإخبار من النبي وإن كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون فإن قلت مم استثني قوله إلا من اغترف قلت من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتأخرة إلا أنها قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله تعالى إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله فشربوا منه أي فكرعوا فيه إلا قليلا منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ أبي والأعمش إلا قليل منهم وهذا من ميلهم مع المعنى والإعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل فلم يطيعوه إلا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق لم يدع من المال إلا مسحت أو مجلف كأنه قال لم يبق من المال إلا مسحت أو مجلف وقيل لم يبق مع طالوت إلا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا «والذين آمنوا معه» القليل «قال الذين يظنون» هم الخلص منهم الذين نصبوا أعينهم لقاء الله وأيقنوه والذين قالوا لا طاقة لنا هم الذين سيستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة وقيل الضمير في قالوا لا طاقة للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كأنهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر به أولئك عذرهم في الانخزال ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به وروي أن الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه وإداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش «وجالوت» جبار من العمالقة من أولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلاثمائة رطل «وثبت أقدامنا» وهب لنا ما تثبت به في مداحض الحرب من قوة القلوب وإلقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الأسباب كان إيشا أبو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فأوحى إلى أشمويل أن داود بن إيشا هو الذي يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها أن احملني وقالت له إنك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروي أنه حسده وأراد قتله ثم تاب «وآتاه الله الملك» في مشارق الأرض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو إسرائيل على ملك قط قبل داود «والحكمة» والنبوة «وعلمه مما يشاء» من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك «ولولا دفع الله الناس» ولولا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الأرض وقيل ولولا أن الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الأرض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين أو لو لم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل أهل الأرض «تلك آيات الله»

يعني القصص التي اقتصصنا من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي بالحق
باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب او سماع اخبار تلك الرسل فضلنا بعضهم
على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات
ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد تلك الرسل اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة او التي ثبت علمها
عند رسول الله صلعم فضلنا بعضهم على بعض بما اوجب ذلك من مناقبهم في الحسنات منهم من كلم الله منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلم وقرئ
كلم الله بالنصب وقرئ كالم الله من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات اي ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم
في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر انه اراد محمدا صلوات الله عليه لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى الف
او اكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتي الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم
فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي
تعورف واشتهر بنحوه من الافعال فيكون افخم من التصريح به وانوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد
نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره ويجوز ان يريد ابراهيم ومحمدا صلعم وغيرهما من اولي العزم من الرسل عن ابن عباس كنا في المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا
نوحا بطول عبادته وابراهيم بخلته وموسى بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
وهو خاتم الانبياء فدخل فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها فان قلت فلم خص موسى وعيسى
من بين سائر الانبياء بالذكر قلت لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله تعالى وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من
الآيات فلما كان هذان النبيان قد اوتيا ما اوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين ان من زيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على
غيره ولما كان نبينا صلوات الله عليه هو الذي اوتي منها ما لم يؤت احد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته
يوم القيامة ولو شاء الله مشيئة الجاء ما اقتتل الذين من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه
دين الانبياء ومنهم من كفر لاعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد من الخذلان والعصمة يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم
من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون انفقوا مما رزقناكم اراد الانفاق الواجب لاتصال الوعيد به من قبل ان يأتي يوم
لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم اخلاؤكم به وان اردتم ان يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب
لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لان الشفاعة في زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون اراد والتاركون الزكاة هم الظالمون فقال للتغليظ كما قال
في آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولانه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع
الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون
بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين
الذي يصح ان يعلم ويقدر والقيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي

وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم اي لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو تأكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما ومنه حديث موسى
انه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية أينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوءتين فاخذهما والقى الله عليه
النعاس فضرب احداهما على الاخرى فانكسرتا ثم اوحى الله اليه قل لهؤلاء اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا من ذا الذي يشفع عنده بيان
لملكوته وكبريائه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيامة الا اذا اذن له في الكلام كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما كان قبلهم
وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء من علمه اي من معلوماته الا بما شاء الا بما علم الكرسي ما
يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله وسع كرسيه اربعة اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض لبسطته وسعته وما هو الا تصوير لعظمته وتخييل
فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد لقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وانما هو
تخييل لعظمة شأنه وتمثيل حسي الا ترى الى قوله وما قدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والثالث ملكه والرابع ما روي
انه خلق كرسيا هو بين يدي العرش دونه السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو العرش ولا يؤوده ولا يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات
والارض وهو العلي الشأن العظيم الملك والقدرة فان قلت كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف قلت ما منها جملة الا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت
عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية
لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شأنه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه
بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره فان قلت لم فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله عليه السلم ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها
الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها وعن علي كرم الله وجهه سمعت نبيكم
على اعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه
الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القرآن فقال لهم علي رضي الله عنه اين انتم عن آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه
يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن
البقرة وسيد البقرة آية الكرسي قلت لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة
فما كان ذكرا له كان افضل من سائر الاذكار وبهذا يعلم ان اشرف العلوم واعلاها منزلة عند الله تعالى علم اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة اعدائه
فان العرانين تلقاها محسدة لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام
لها والله سميع عليم لا اكراه في الدين اي لم يجر الله امر الايمان على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا
افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لو شاء لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار قد تبين الرشد من الغي قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة
فمن يكفر بالطاغوت فمن اختار الكفر بالشيطان او الاصنام والايمان بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المأمون انفصامها اي انقطاعها
وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو اخبار في معنى
النهي اي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في اهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا انفسهم

يلا الى الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا
ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور
والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الله ولي الذين آمنوا اي ارادوا ان يؤمنوا يلطف بهم حتى
يخرجهم بلطفه وتأييده من الكفر الى الايمان والذين كفروا اي صمموا على الكفر امرهم على عكس ذلك او الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في
الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين والذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات التي
تظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهة الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه ان آتاه الله الملك اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت
قال ابرهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين الم تر تعجيب من محاجة نمرود في
ربه الله وكفره به ان آتاه الله الملك متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لان آتاه الله الملك على معنى ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر ادى الى انه وضع المحاجة
في ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على ان آتاه الله الملك فكان المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة
لاجل الاحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والثاني حاج وقت ان آتاه الله الملك فان قلت كيف جاز ان يؤتي الله تعالى الملك الكافر
قلت فيه قولان آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع واما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده واذ قال نصب بحاج او بدل من ان آتاه
اذا جعل بمعنى الوقت انا احيي واميت يريد اعفو عن القتل واقتل وكان الاعتراض عتيدا ولكن ابرهيم صلوات الله عليه لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل
الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته اول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة وقرئ فبهت الذي كفر اي فغلب ابرهيم الكافر وقرئ فبهُت
بوزن قرب وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الاصنام وسجنه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال من ربك الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت او كالذي
مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت
مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال
اعلم ان الله على كل شيء قدير او كالذي معناه او أرأيت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب ويجوز ان يحمل على المعنى دون
اللفظ كانه قيل ارأيت كالذي حاج ابرهيم او كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمرود في سلك ولكلمة الاستبعاد
التي هي انى يحيي وقيل هو عزير او الخضر اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابرهيم وقوله انى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريق
الاحياء واستعظام لقدرة المحيي والقرية بيت المقدس حين خربه بختنصر وقيل هي التي خرج منها الالوف وهي خاوية على عروشها تفسير فيما
بعد يوما او بعض يوم بناء على الظن روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى
بقية من الشمس فقال او بعض يوم وروي ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا واللبن على حاله لم يتسنه
لم يتغير والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء او واو وذلك لان الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل اصله
يتسنن من الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازي ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله
كما كان كانه لم يلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن وقرأ ابي لم يسنه بادغام التاء في السين

وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز ان يراد وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم
الآيات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت
وحفظ ما معه وقيل اتى قومه راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التورية فاخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب
فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ التورية ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى اولاده شيوخا وهو شاب
فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام هي عظام الحمار او عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها
وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم فنشروا وقرئ بالزاء بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفاعل تبين مضمر
تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قولهم ضربني وضربت زيدا
ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعني امر احياء الموتى وقرأ ابن عباس فلما تبين له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الامر وقرأ عبد الله قيل
اعلم فان قلت فان كان المار كافرا كيف يسوغ ان يكلمه الله قلت كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافرا واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي
الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن
يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم ارني بصرني فان قلت كيف قال له اولم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا قلت ليجيب
بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكونا وطمانينة بمضامة علم
الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة واليقين ولان علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري
فاراد بطمانينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك فان قلت بم تعلقت اللام في ليطمئن قلت بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك ارادة
طمانينة القلب فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها بمعنى فاملهن واضممهن اليك
قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرأ ابن عباس فصرهن
بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه نحو ضره يضره ويضره وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا
ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا يريد ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي ارضك قيل كانت اربعة اجبل
وعن السدي سبعة ثم ادعهن وقل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن على ارجلهن فان قلت ما معنى امره
بضمها الى نفسه بعد ان يأخذها قلت ليتاملها ويعرف اشكالها وهيآتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك قال يأتينك
سعيا وروي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤوسها ثم امر ان يجعل
اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن
الى رؤوسهن كل جثة الى رأسها وقرئ جزؤا بضمتين وجزا بالتشديد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء
للوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء
والله واسع عليم الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

مثل الذين ينفقون لا بد من حذف مضاف اى مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله تعالى ولكن الحبة لما كانت
سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة
وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين عيني الناظر فان قلت كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود قلت بل هو موجود في الدخن والذرة وفي غيرهما وربما
فرخت ساق البرة في الارض القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير فان قلت هلا قيل سبع
سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات خضر قلت هذا لما قدمت عند قوله تعالى ثلثة قروء من وقوع امثلة الجمع
متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء اى يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع المائة ويزيد
عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة
فانسوها ولبعضهم * وان امرا اسدى الي صنيعة * وذكرنيها مرة للئيم * وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن
ومن [illegible] طعم الآلاء احلى من المن وهي امر من الآلاء مع المن والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما ازل اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق
وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا فان قلت اي فرق
بين قوله لهم وقوله فيما بعد فلهم اجرهم قلت الموصول لم يضمن هاهنا معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى ان الفاء
فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى والله غني حليم
قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول او نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او عفو من جهة
السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره خير من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة والله غني لا حاجة به الى
منفق يمن ويؤذي حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما اتبعه يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن
والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما
كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين كالذي ينفق ماله اى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس
لا يريد بانفاقه رضى الله ولا ثواب الآخرة فمثله كمثل صفوان مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب وقرأ سعيد بن
المسيب صفوان بوزن كروان فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق
لا يقدرون على شيء مما كسبوا كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان تكون الكاف في محل النصب على الحال اى لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي
ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق قلت اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق ولان من والذي يتعاقبان فكانه
قيل كمن ينفق ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين
فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير وتثبيتا من انفسهم وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على
النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها
في اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء

٦٢

من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن على التفسير الاول
للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا
من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة مجاهد وتبيينا من انفسهم فان قلت فما معنى التبعيض قلت معناه ان من
بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم والمعنى
ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة وهي البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا اصابها وابل مطر عظيم القطر
فآتت اكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فان لم يصبها وابل فطل فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله
بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة
بعد ان يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة بربوة بالحركات الثلاث واكلها بالتخفيف
ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار
فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون الهمزة في ايود للانكار وقرئ له جنات وذرية ضعاف والاعصار الريح التي تستدير في الارض ثم
تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له
جنة من ابهى الجنان واجمعها للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضه انه سأل عنها الصحابة
فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين قال قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال
لاي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ
كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا فان قلت كيف قال جنة من نخيل
واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر
الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها [illegible] وكان له ثمر [illegible] جنتين
من اعناب وحففناهما بنخل فان قلت علام عطف قوله واصابه الكبر قلت الواو للحال لا للعطف ومعناه ان تكون له جنة وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت
ان يكون كذا وودت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم
ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد من طيبات ما كسبتم من جياد
مكسوباتكم ومما اخرجنا لكم من الحب والتمر والمعادن وغيرها فان قلت فهلا قيل وما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج
من الارض قلت معناه ومن طيبات ما اخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال الرديء منه تنفقون تخصونه
بالانفاق وهو في محل الحال وقرأ عبد الله ولا تأمموا وقرأ ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتأممه سواء في معنى قصده ولستم بآخذيه
وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا فيه الا بان تتسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض
بصره ويقال للبائع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر وقال الطرماح * لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض *

وقرأ الزهري تُغمّضوا وأغمض وغمّض بمعنى وعنه تَغمُضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمُض ويغمِض وقرأ قتادة تُغمَضوا على البناء للمفعول
بمعنى إلا أن تدخلوا فيه وتجذبوا إليه وقيل إلا أن توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما أخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس
كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يعدكم الفقر
أي يعدكم في الإنفاق الفقر ويقول لكم إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا وقرئ الفُقر بالضم والفَقَر بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر قال الله تعالى
النار وعدها الله الذين كفروا ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات إغراء الآمر للمأمور والفاحش عند العرب البخيل والله يعدكم
في الإنفاق مغفرة لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم أو ثوابا عليه في الآخرة يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب يؤتي الحكمة يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته
الله الحكمة وهكذا قرأ الأعمش وخيرا كثيرا تنكير تعظيم كأنه قال فقد أوتي أي خير كثير وما يذكر إلا أولوا الألباب يريد الحكماء العلماء العمّال والمراد به
الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الإنفاق وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار وما أنفقتم من نفقة في سبيل الله
أو في سبيل الشيطان أو نذرتم من نذر في طاعة الله أو في معصية فإن الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات
أو ينفقون أموالهم في المعاصي أو لا يوفون بالنذور أو ينذرون في المعاصي من أنصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن
تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ما في نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هي فنعم شيئا إبداؤها وقرئ
بكسر النون وفتحها وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء فهو خير لكم فالإخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فإن الأفضل
في الفرائض أن يجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنه صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين
ضعفا وإنما كانت المجاهرة بالفرائض أفضل لنفي التهمة حتى إذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان إخفاؤه أفضل والمتطوع إن أراد أن يقتدى به
كان إظهاره أفضل ونكفر قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء أو على أنه خبر مبتدأ محذوف أي ونحن نكفر أو على أنه جملة من فعل وفاعل مبتدأة
ومجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لأنه جواب الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله أو للإخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات
وقرأ الحسن بالياء والنصب بإضمار أن ومعناه إن تخفوها يكن خيرا لكم وأن يكفر عنكم ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم
وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون ليس عليك هداهم لا يجب عليك أن تجعلهم مهديين إلى الانتهاء عما نهوا
عنه من المن والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك إلا أن تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء يلطف بمن يعلم أن اللطف ينفع فيه
فينتهي عما نهي عنه وما تنفقوا من خير من مال فلأنفسكم فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون
نفقتكم إلا ابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله إلى الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم ثوابه
أضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في أن ترغبوا عن إنفاقه وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها وقيل حجت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما فأتتها أمها تسألها
وهي مشركة فأبت أن تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون أن يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي أن ناسا من المسلمين كانت لهم أصهار
في اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الإسلام فلما أسلموا كرهوا أن ينفعوهم وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب

نفقتك والخلاف في الواجب فجوّز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر إلى أهل الذمة وأباه غيره للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون
ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم الجار
متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقراء أو اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله في تسع آيات ويجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي صدقاتكم
للفقراء والذين أحصروا في سبيل الله هم الذين أحصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الأرض للكسب وقيل هم أصحاب
الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون
القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل أتاهم به إذا أمسى
وعن ابن عباس وقف رسول الله صلعم يوما على أصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقي من
أمتي على النعت الذي أنتم عليه راضيا بما فيه فإنه من رفقائي في الجنة يحسبهم الجاهل بحالهم أغنياء من التعفف مستغنين من أجل تعففهم
عن المسألة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال والإلحاف الإلحاح وهو اللزوم وأن لا يفارق إلا بشيء يعطاه من قولهم لحفني
فلان من فضل لحافه أي أعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذيء السآل الملحف
ومعناه أنهم إن سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والإلحاف جميعا كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به
الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون بالليل والنهار سرا وعلانية
يعمون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال
وقيل نزلت في أبي بكر الصديق رضه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس
نزلت في علي رضه لم يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها
في سبيل الله وعن أبي هريرة كان إذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك
بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب
النار هم فيها خالدون الربا كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الألف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون إذا بعثوا
من قبورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان أي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان
فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا أيضا من زعماتهم وأن الجني
يمسه فيختلط عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن ورأيتهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب وإنكار ذلك عندهم كإنكار المشاهدات
فإن قلت بم يتعلق قوله من المس قلت بلا يقومون أي لا يقومون من المس الذي بهم إلا كما يقوم المصروع ويجوز أن يتعلق بيقوم أي كما يقوم المصروع
من جنونه والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الأجداث يوفضون
إلا أكلة الربا فإنهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لأنهم أكلوا الربا فأرباه الله في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الإيفاض ذلك
العقاب بسبب قولهم إنما البيع مثل الربا فإن قلت هلا قيل إنما الربا مثل البيع لأن الكلام في الربا لا في البيع فوجب أن يقال إنهم شبهوا الربا

بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم انهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي الا درهما بدرهمين جاز فكذا اذا باع درهما بدرهمين **قلت**
جيء به على طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله واحل الله البيع
وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاءه موعظة
فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله
يحكم في شانه يوم القيمة وليس من امر البكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد الى الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل بين على تخليد
الفساق وذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ وقرا ابي والحسن فمن جاءته **يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله
لا يحب كل كفار اثيم** يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربوا وان كثر الى قل ويربي الصدقات ما يتصدق به
بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكوة من مال قط كل كفار اثيم تغليظ في امر الربا
وايذان بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين اخذوا ما شرطوا على الناس من الربوا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها **ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي
من الربوا ان كنتم مؤمنين** روي انها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا وقرا الحسن ما بقا بقلب الياء
الفا على لغة طي وعنه ما بقي بياء ساكنة ومنه قول جرير هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه جنف ان كنتم مؤمنين
ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان وثباته امتثال ما امرتم به من ذلك **فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤس اموالكم
لا تظلمون ولا تظلمون** فاذنوا بحرب فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق
العلم وقرا الحسن فايقنوا وهو دليل لقراءة العامة **فان قلت** هلا قيل بحرب الله ورسوله **قلت** كان هذا ابلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم
من عند الله ورسوله وروي انها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب
الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصان منها **فان قلت** هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا **قلت** قالوا يكون مالهم فيئا للمسلمين وروى المفضل
عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون **وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** وان كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار وفي مصحف عثمان ذا عسرة على وان
كان الغريم ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة فنظرة فالحكم او فالامر نظرة وهي الانظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرا عطاء فناظره بمعنى
فصاحب الحق ناظره اي منتظره او صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على
الامر بمعنى فسامحه بالنظرة وباسره بها الى ميسرة الى يسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة
كقوله ✱ واخلفوك عد الامر الذي وعدوا ✱ وقوله تعالى واقام الصلوة وان تصدقوا خير لكم ندب الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم على من اعسر من غرمائهم
او ببعضها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل اريد بالتصدق الانظار لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة
ان كنتم تعلمون انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء ترجعون

ترى على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرأ عبد الله تردون وقرأ أبي تصيرون وعن ابن عباس أنها آخر آية
نزل بها جبريل وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلعم بعدها أحدا وعشرين يوما وقيل أحدا وثمانين وقيل سبعة أيام
وقيل ثلث ساعات يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله
فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل
وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى
ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون
تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله
ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم إذا تداينتم إذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل إذا عاملته بدين معطيا أو آخذا كما تقول بايعته إذا بعته أو باعك قال رؤبة
داينت أروى والديون تقضى ... فمطلت بعضا وأدت بعضا ... والمعنى إذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه فإن قلت هلا قيل إذا تداينتم إلى
أجل مسمى وأي حاجة إلى ذكر الدين كما قال داينت أروى ولم يقل بدين قلت ذكر ليرجع الضمير إليه في قوله فاكتبوه إذ لو لم يذكر لوجب أن يقال فاكتبوا
الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولأنه أبين لتنويع الدين إلى مؤجل وحال فإن قلت ما فائدة قوله مسمى قلت ليعلم أن من حق الأجل أن يكون
معلوما كالتوقيت بالسنة والأشهر والأيام ولو قال إلى الحصاد أو الدياس أو رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وإنما أمر بكتبة الدين لأن ذلك أوثق
وآمن من النسيان وأبعد من الجحود والأمر للندب وعن ابن عباس أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح السلف وعنه أشهد أن الله أباح السلم
المضمون إلى أجل معلوم في كتابه وأنزل فيه أطول آية بالعدل متعلق بكاتب صفة له أي كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد
على ما يجب أن يكتب ولا ينقص وفيه أن يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء مكتوبه معدلا بالشرع وهو أمر للمتداينين بتخير الكاتب وأن لا
يستكتبوا إلا فقيها دينا ولا يأب كاتب ولا يمتنع أحد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب أن يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل
ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى وأحسن كما أحسن الله إليك أي ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمه وعن الشعبي هي فرض كفاية وكما علمه يجوز أن
يتعلق بأن يكتب وبقوله فليكتب فإن قلت أي فرق بين الوجهين قلت إن علقته بأن يكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له
فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وإن علقته بقوله فليكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة على سبيل الإطلاق ثم أمر بها مقيدة وليملل
الذي عليه الحق ولا يكن المملي إلا من وجب عليه الحق لأنه هو المشهود على ثباته في ذمته وإقراره به والإملال والإملاء لغتان قد نطق بهما القرآن
فهي تملى عليه ولا يبخس منه من الحق شيئا ولا ينقص وقرئ شيئا بطرح الهمزة وشيا بالتشديد سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف
أو ضعيفا صبيا أو شيخا مختلا أو لا يستطيع أن يمل هو أو غير مستطيع للإملاء بنفسه لعي به أو خرس فليملل وليه الذي يلي أمره من وصي إن كان
سفيها أو صبيا أو وكيل إن كان غير مستطيع أو ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله أن يمل هو فيه أنه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم
عنه واستشهدوا شهيدين واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الإسلام عند عامة العلماء
وعن علي رض لا تجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي أنها جائزة ويجوز عند أبي حنيفة شهادة الكفار بعضهم

على بعض على اختلاف الملل فان لم يكونا فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند ابي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون ممن تعرفون عدالتهم أن تضل احداهما ان لا تهتدي احداهما للشهادة بان تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على انه مفعول له اي ارادة ان تضل فان قلت كيف يكون ضلالها مرادا لله تعالى قلت لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكأنه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وقرئ فتذكر بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وتذكر وقرأ حمزة ان تضل احداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرئ ان تضل احداهما على البناء للمفعول والتأنيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل احداهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر اذا ما دعوا ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت كني بالسأم عن الكسل لان الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت ويجوز ان يراد من كثرت مداينته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل كثرة الكتب والضمير في تكتبوه للدين او الحق صغيرا او كبيرا على اي حال كان الحق من صغير او كبير ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان يكتبوه مختصرا او مشبعا الى اجله الى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اي ذلكم الكتب اقسط اعدل من القسط واقوم للشهادة واعون على اقامة الشهادة وادنى ان لا ترتابوا واقرب من انتفاء الريب فان قلت مم بني افعلا التفضيل اعني اقسط واقوم قلت يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط واقوم من قويم وقرئ ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء فيهما فان قلت ما معنى تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم قلت اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هي الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله. بني اسد هل تعلمون بلاءنا. اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا. اي اذا كان اليوم يوما واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا او كالئا لانه احوط وابعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا تبايعتم يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل ولا يضار يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رض ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان او النهي عن الضرار بهما بان لا يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وقرأ الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا وان تضاروا فانه فان الضرار فسوق بكم وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم

على سفر مسافرين وقرأ ابن عباس ولم تجدوا كتابا وقال ابن عباس ارأيت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرأ ابو العالية كتبا وقرأ الحسن كتابا جمع كاتب فرهان فالذي يستوثق به رهان وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف وفرهان فان قلت لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله صلعم درعه في غير سفر قلت ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر اخذا بظاهر الآية واما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به وقرأ ابي فان اومن اي آمنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد الذي اؤتمن امانته حث للمديون على ان يكون عند ظن الدائن به وامنه منه وائتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمي الدين امانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال او بياء فتقول الذي ؤتمن او الذي يتمن وعن عاصم انه قرأ الذي اتمن بادغام الياء في التاء قياسا على اتسر في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتزر عامي وكذلك ريا في رؤيا آثم خبر ان وقلبه رفع بآثم على الفاعلية كأنه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان فان قلت هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده قلت كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكأنه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رض اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كقوله سفه نفسه وقرأ ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله آثما لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اضمر ويعذب من يشاء ممن استوجب العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر انه تلاها فقال لئن اخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب فان قلت كيف يقرأ الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرأ الاعمش يغفر

بغير واو يجوز ما عليه البدل من حالات كقوله * متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا * ومعنى هذا البدل التفصيل
لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا رأسه واحببت زيدا عقله وهذا البدل
واقع في الافعال وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق
بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير والمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا الى
الرسول والمؤمنين اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن
على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع كقوله تعالى وكل أتوه داخرين وقرأ ابن عباس وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب
فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء واما الجمع فلا يدخل
تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع لا نفرق يقولون لا نفرق وعن ابي عمرو يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرأ عبد الله لا يفرقون واحد في معنى الجمع
كقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين سمعنا اجبنا غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك
ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل
علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين
الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله
ورحمته كقوله يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة
وقرأ ابن ابي عبلة وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب بطاعتها
غيرها فان قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وأمّارة به كانت
في تحصيله اعمل واجدّ فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال اي لا تؤاخذنا بالنسيان او الخطأ ان فرط
منا فان قلت النسيان والخطأ متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما قلت ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط
والاغفال الا ترى الى قوله وما انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فيكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان
ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطأ فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون
به كأنه قيل ان كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة الا الخطأ والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء
من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه الاصر العبء الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل
الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة ابي ولا تحمل علينا بالتشديد فان قلت اي فرق بين هذه التشديدة
والتي في ولا تحملنا قلت هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات النازلة بمن
قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به
الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا

فمن حق المولى ان ينصر عبيده او فان ذلك عادتك او فان ذلك من امورنا التي عليك توليها وعن ابن عباس ان رسول الله صلعم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل
كلمة قد فعلت وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه صلى الله عليه وسلم انزل الله خواتيم سورة البقرة من كنز تحت
العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه ان الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل
فان قلت هل يجوز ان يقال قرأت سورة البقرة او قرأت البقرة قلت لا بأس بذلك وقد جاء في حديث النبي صلعم من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة
البقرة وعن علي رضه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود انه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي لا اله غيره رمى الذي
انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة والمجادلة واذا قيل قرأت البقرة لم يشكل ان المراد سورة
البقرة كقوله تعالى واسأل القرية وعن بعضهم انه كره ذلك وقال يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله
إلا هو ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف ولام وان يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم واما فتحها فهي
حركة الهمزة القيت عليها حين اسقطت للتخفيف فان قلت كيف جاز القاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها
لان ثبات حركتها كثباتها قلت هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا والقيت
حركتها على الساكن قبلها لتدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال فان قلت هلا زعمت انها حركة لالتقاء الساكنين
في حال الوقف يوجب التحريك كحركة الميمان في الف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر فان قلت انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم
ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا قلت الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم
ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيم ومديق فلما حركوا الدال علم ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة
لا غير وليست لالتقاء الساكنين فان قلت فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر قلت هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة
الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله
لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام التوراة والانجيل اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح
بعد كونهما عربيين وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب فان قلت لم قيل نزل الكتاب
وانزل التوراة والانجيل قلت لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقرأ الاعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس
لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم فان قلت ما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان
يفرق بين الحق والباطل او الكتب التي ذكرها كأنه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه او من هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع
وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر او كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعدما ذكره باسم الجنس تعظيما
لشانه واظهارا لفضله بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها ذو انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء

هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم لا يخفى عليه شيء في العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع على كفر من كفر وايمان من
آمن ومجازيهم عليه كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة وقرأ طاوس تصوركم اي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك تأثلت مالاً اذا جعلته اثلة
اي اصلاً وتأثلته اذا اثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان رباً كانه نبه بكونه مصوراً في الرحم على انه عبد كغيره وكان يخفى
عليه ما لا يخفى على الله هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء
الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب محكمات احكمت
عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه متشابهات مشتبهات محتملات هن ام الكتاب اي اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال ذلك لا تدركه
الابصار الى ربها ناظرة لا يأمر بالفحشاء امرنا مترفيها فان قلت فهلا كان القرآن كله محكماً قلت لو كان كله محكماً لتعلق الناس به لسهولة
مأخذه ولاعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص والتامل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده
الا به ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم
من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن المعتقد ان لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف اذا راى فيه ما يتناقض في ظاهره
واهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمأنينة الى معتقده
وقوة في ايقانه فاما الذين في قلوبهم زيغ هم اهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم
ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تاويله وطلب ان يأولوه التاويل الذي يشتهونه
وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم اي لا يهتدي الى تاويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا في العلم اي ثبتوا فيه وتمكنوا
وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة
فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والاول هو الوجه ويقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتاويل يقولون آمنا به اي بالمتشابه
كل من عند ربنا اي كل واحد منه ومن المحكم من عنده او بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما
يذكر الا اولوا الالباب مدح للذاهبين بالفهم الذهن وحسن التامل ويجوز ان يكون يقولون حالاً من الراسخين وقرأ عبد الله ان تاويله الا عند الله وقرأ ابي ويقول
الراسخون ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين
كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئاً واولئك هم وقود النار لا تزغ قلوبنا لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا وارشدتنا
لدينك او لا تمنعنا الطافك بعد اذ لطفت بنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرئ لا تزغ بالتاء والياء ورفع القلوب جامع الناس ليوم
اي تجمعهم لحساب يوم او لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقرئ جامع الناس على الاصل ان الله لا يخلف الميعاد معناه ان الالهية تنافي خلف
الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله والميعاد الموعد قرأ علي رضي الله عنه لن تغني بسكون الياء وهذا من الجد في استثقال الحركة على حروف اللين من الله مثله
في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئاً والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله او من طاعة الله شيئاً اي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك
الجد اي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك اي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم

هذا ان ثنى وقرئ وُقود بالضم بمعنى اهل وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم هم قريظة والنضير كدأب آل فرعون والذين
من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد الدأب مصدر دأب
في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم
ويجوز ان ينتصب محل الكاف بلن تغني او بالوقود اى لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم تقول انك لتظلم الناس
كدأب ابيك تريد كظلم ابيك ومثل ما كان يظلمهم وان فلانا لمحارف كدأب ابيه تريد كما حورف ابوه كذبوا بآياتنا تفسير لدأبهم مما فعلوا وفعل بهم على انه جواب
سؤال مقدر عن حالهم قل للذين كفروا هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله صلعم يوم بدر قالوا هذا والله النبي
الامي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقيل جمعهم رسول الله صلعم
بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل
فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون
بالياء كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم على قل لهم قولي لك سيغلبون فان قلت اي فرق بين القراءتين من حيث المعنى قلت معنى القراءة
بالتاء الامر بان يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار بمعنى ستغلبون وتحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ
ومعنى القراءة بالياء الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه كانه قال أدّ اليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون قد كان لكم
آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لأولي الابصار
قد كان لكم آية الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا يوم بدر يرونهم مثليهم يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين او مثلي عدد
المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما امدهم بالملائكة و
الدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء اى ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة او مثلي انفسهم فان قلت فهذا مناقض لقوله في سورة
الانفال ويقللكم في اعينهم قلت قللوا اولا في اعينهم حتى اجترؤوا عليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين
ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وقوله وقفوهم انهم مسؤولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى
في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الآية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليه امرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله فان يكن منكم مائة
صابرة يغلبوا مائتين بعد ما كلفوا ان يقاوم الواحد العشرة في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لانه قليل بالنسبة
الى عشرة الاضعاف وكان الكافرون ثلاثة امثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه وقرأ ابن مصرف يُرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء اى يريهم الله ذلك
بقدرته وقرئ فئةٍ تقاتل واخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص او على الحال من الضمير في التقتا رأي العين يعني رؤية ظاهرة
مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات والله يؤيد بنصره كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب زين للناس المزين هو الله سبحانه للابتلاء
كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه قراءة مجاهد زَيَّن للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا لا نعلم احدا

قوله اولئك هم وقود النار اعلم ان كمال العذاب ان يزول عنه كل ما كان منتفعا به ثم يجتمع عليه جميع الاسباب المؤلمة اما الاول فهو المراد بقوله لن تغني عنهم اموالهم
ولا اولادهم وذلك لان المرء عند الخطوب والنوائب في الدنيا يفزع الى المال والولد فهما اقرب الامور التي يفزع اليها في دفع النوائب واذا لم يتبين في ذلك
اليوم نفعهما فغيرهما اولى لعدم النفع واما الثاني فالمراد منه بقوله هم وقود النار وهذا هو النهاية في شرح العذاب فانه لا عذاب اعظم من
قوله ربنا انك الآية لما خاطب بقوله ربنا انك جامع الناس ثم التفت يشتعل بهم النار ٥ كبير
بقوله ان الله وضع هذا المظهر وهو لفظ الله موضع المضمر المخاطب انما وحد ما فرتب الحكم على هذا الاسم وهو مستلزم المنافاة بين الالاهية وخلف الميعاد ٥

اذ جعلها من حيث انها شهوات حب الشهوات جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها
شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر اولا في
النفوس ان المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الاجناس فيكون اقوى لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح
طلبها على طلب ما عند الله والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة الف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد
قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المطهمة
او المرعية من اسام الدابة وسومها والانعام الازواج الثمانية ذلك المذكور متاع الحيوة الدنيا **قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم**
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب
النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستانف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم
كما تقول هل ادلكم على رجل عالم عندي رجل من صفته كيت وكيت ويجوز ان يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به ويرتفع جنات على هو جنات
وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير والله بصير بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم
الجنات الذين يقولون نصب على المدح او رفع ويجوز الجر صفة للمتقين او للعباد والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وقد
الكلام في ذلك وخص الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون
في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم **شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله**
الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب
شبهت دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما اوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص وآية الكرسي وغيرهما
بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة واولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال
ويثيب ويعاقب وما يامر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة منه كقوله تعالى وهو الحق مصدقا
فان قلت لم جاز افراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز **قلت** انما جاز هذا لعدم الالباس كما جاز في قوله ووهبنا له
اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة او على المدح **فان قلت** اليس من حق المنتصب
على المدح ان يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد انا معشر الانبياء لا نورث انا بني نهشل لا ندعي لاب **قلت** قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة
قول الهذلي ويأوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي **فان قلت** هل يجوز ان يكون صفة للمنفي كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو **قلت**
لا يبعد فقد رايناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف **فان قلت** قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله الا هو **قلت**
نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك انا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل
الا عبد الله شجاعا وهو اوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح **فان قلت** هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة
واولي العلم كما دخلت الوحدانية **قلت** نعم اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح منه او صفة للمنفي كانه قيل شهد الله والملائكة واولوا

العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقرأ عبد الله القائم بالقسط على انه بدل من هو او خبر مبتدأ محذوف وقرأ ابو حنيفة قيما بالقسط **العزيز الحكيم**
صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه بدل من هو او خبر مبتدأ محذوف العزيز الذي لا يغالبه اله آخر الحكيم الذي لا يعدل
عن العدل في افعاله **فان قلت** ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله **قلت**
هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح وان الدين بالكسر على ان الفعل واقع
على انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند الله الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الاولى **فان قلت** ما فائدة هذا التوكيد **قلت** فائدتها
ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده
في شيء من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين
جلي كما ترى وقرئا مفتوحين على ان الثاني بدل من الاول كأنه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين
الله هو التوحيد والعدل وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا ايضا شاهد على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى
القراآت كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله انه لا اله الا هو وقرأ ابي ان الدين عند الله للاسلام وهي مقوية لقراءة من فتح الاولى وكسر الثانية وقرئ شهداء
لله بالنصب على الحال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء لله **فان قلت** نعلام عطف على هذه القراءة والملائكة واولو العلم **قلت** على الضمير في شهداء
وجاز لوقوع الفاصل بينهما **فان قلت** لم كرر قوله لا اله الا هو **قلت** ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره
ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كأنه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم
لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل **الذين اوتوا الكتاب** اهل الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم
العلم انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان تكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب وهذا
تجوير لله تعالى بغيا بينهم اي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهرهم بمذهب الالحاد الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطؤون
اعقابهم لا لشبهة في الاسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد حيث آمن به بعض وكفر بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقيل
هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام حين احتضر استودع التوراة سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن
اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم
انه عبد الله ورسوله **فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما**
عليك البلاغ والله بصير بالعباد فان حاجوك فان جادلوك في الدين فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها لغيره شركا بان
اعبده وادعوه الها معه يعني ان ديني دين التوحيد وهو الدين القديم الذي ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه
قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين
الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعن عطف على التاء في اسلمت وحسن للفاصل ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين
اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ءاسلمتم يعني انه قد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي

قوله الصابرين قال الامام اعلم ان لله تعالى على عباده انواعا من التكليف فالصابرون يصبرون على اداء جميع انواعها ثم ان العبد قد يلزم من عند نفسه انواعا
آخر من الطاعة اما بسبب النذر او بسبب الشروع فيه وكمال هذه المرتبة انه اذا التزم طاعة ان يصدق نفسه في التزامه وذلك بان ياتي بذلك الملتزم
من غير خلل البتة ولما كانت هذه المرتبة متاخرة عن الاولى لا جرم ذكر سبحانه وتعالى الصابرين اولا ثم الصادقين ثانيا ثم انه تعالى ندب الى المواظبة
على هذين النوعين من الطاعة فقال والقانتين فهذه الالفاظ الثلاثة للترغيب في المواظبة على جميع انواع الطاعات ثم ذكر بعد ذلك ما كان اعظم الطاعات
قدرا وهو الشفقة على خلق الله والتعظيم لامر الله وبهما قال والمنفقين والمستغفرين بالاسحار وهذه الخمسة صفة لموصوف واحد
فكان الواجب حذف الواو كما في قوله هو الله الخالق البارئ المصور الا انه ذكر ههنا واو العطف ... ان كل من كان معه واحد من هذه
الخصال دخل تحت المدح العظيم واستوجب هذا الثواب

حصول له الاجابة فهل انتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسئلة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته فهل فهمتها لا ام لك
ومنه قوله عز وجل فهل انتم منتهون بعدما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف
اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب اسدادا بينه وبين الاذعان وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة
القريحة وفي فهل انتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا
من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور وان تولوا لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى
ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم
في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين قرا الحسن يقتلون النبيين وقرا حمزة ويقاتلون الذين يامرون وقرا عبد الله وقاتلوا وقرا ابي يقتلون النبيين والذين
يامرون وهم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل محمد رسول الله صلعم والمؤمنين لولا عصمة الله وعن ابي عبيدة
بن الجراح رض قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة
قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قاتليهم بالمعروف ونهوهم عن
المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار في الدنيا والاخرة لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الاخرة فان قلت لم دخلت الفاء في خبر ان قلت لتضمن
اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وان لا تغير معنى الابتداء فكان دخولها كلا دخولها ولو كان مكانها ليت او لعل لم
يجز ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون
اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التورية ومن اما للتبعيض واما للبيان او حصلوا من جنس الكتب المنزلة او من اللوح
التورية وهي نصيب عظيم يدعون الى كتاب الله وهو التورية ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلعم دخل مدراسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحرث
بن زيد على اي دين انت قال على ملة ابرهيم فقالا ان ابرهيم كان يهوديا فقال لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت في الرجم وقد
اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع
الى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من
اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم
وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضي ان يكون اختلافا واقعا بينهم وبين رسول الله صلعم ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما
معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ذلك التولي والاعراض بسبب
تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد ايام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان
اباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرت اولئك شفاعة رسول الله في كبائرهم فكيف اذا جمعناهم فكيف يصنعون فكيف يكون حالهم وهو استعظام لما اعد
لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه والتخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون
وروي ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار وهم لا يظلمون

يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلثة انفس وتريد ثلثة اناسي قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك
ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي
وترزق من تشاء بغير حساب الميم في اللهم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء
عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وبغير ذلك مالك الملك اي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون تؤتي الملك من تشاء تعطي
من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع ممن تشاء النصيب الذي اعطيته منه فالملك الاول عام شامل والملكان الاخران
خاصان بعضان من الكل وروي ان رسول الله صلعم حين افتتح مكة ووعد امته ملك فارس والروم قال المنافقون واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد
ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك وروي ان رسول الله صلعم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون
خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلعم يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها
وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب
الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي منها قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها
فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما
تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت فان قلت كيف قال بيدك الخير فذكر الخير دون الشر قلت لان الكلام انما وقع في الخير
الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك ولان كل افعال الله من نافع وضار صادر عن الحكمة
والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في اخراج احدهما من الاخر وعطف
عليه رزقه بغير حساب دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر على ان يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على
ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم
عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله صلعم كما تكونون
يولى عليكم لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله
المصير نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن
يتولهم منكم فانه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله الاية والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان
من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ومن يوالي
الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان
قال ** تود عدوي ثم تزعم انني ** صديقك ليس النوك عنك بعازب ** الا ان تتقوا منهم تقية الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب
اتقاؤه وقرئ تقية قيل للمتقي تقاة وتقية كقولهم ضرب الامير لمضروبه رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة
ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا كقول عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه فلا تتعرضوا

يحيط بولاة اعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز ان يكون تتقوا بمعنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقية على المصدر كقوله تعالى اتقوا الله
حق تقاته قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير يوم تجد كل نفس ما عملت
من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه من ولاية
الكفار او غيرها مما لا يرضى الله يعلمه ولم يخف عليه وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الارض لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم
والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لان نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة
بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات
كلها فكان حقها ان تحذر وتتقى فلا يجسر احد على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد
السلطان انه اراد الاطلاع على احواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن اموره لاخذ حذره وتيقظ في
امره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم ان العالم الذات الذي يعلم السر واخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا
بسترك يوم تجد منصوب بتود والضمير في بينه لليوم اي يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله
امدا بعيدا ويجوز ان ينتصب يوم بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره اي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد
ما بينها وبينه ولا يصح ان تكون ما شرطية لارتفاع تود فان قلت فهل يصح ان تكون شرطية على قراءة عبد الله ودت قلت لا كلام في صحته ولكن
الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم واثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز ان يعطف وما عملت على ما عملت ويكون
تود حالا اي يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم او عمل السوء محضرا كقوله تعالى ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرؤنه
ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه والامد المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم
لا يغفلون عنه والله رؤف بالعباد يعني ان تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه
دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من رأفته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة
رحمته كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا
الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله
عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادته يرضى عنكم ويغفر لكم
وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله صلعم انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب
وكتاب الله يكذبه واذا رأيت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في انه لا يعرف ما الله ولا يدري
ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته الا لانه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته
ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رأيت المني قد ملأ ازار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة على حواليه قد ملؤا اردانهم بالدموع
لما رققهم من حاله وترى تجوه وتحببكم ... قال ** احب ابا ثروان من حب تمره

واعلم ان الرفق بالجار ارفق ** ووالله لولا تمره ما حببته ** ولا كان ادنى من عبيد ومشرق ** فان تولوا يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون
مضارعا بمعنى فان تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله
سميع عليم اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم آل ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما وآل عمران
موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة وذرية بدل من آل ابرهيم وآل عمران
بعضها من بعض يعني ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث
وقاهث من لاوى ولاوى من يعقوب ويعقوب من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن ايشا بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق
وقد دخل في آل ابرهيم رسول الله صلعم وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء
او يعلم ان بعضهم من بعض في الدين او سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها واذ منصوب به وقيل باضمار اذكر وامرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان ام مريم
البتول جدة عيسى صلوات الله عليه وهي حنة بنت فاقوذ وقوله اذ قالت امرأة عمران على اثر قوله وآل عمران مما يرجح ان عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى
والقول الآخر يرجحه ان موسى يقرن بابرهيم كثيرا في الذكر فان قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون ولعمران بن
ماثان مريم البتول فما ادريك ان هذا هو ابو مريم البتول دون عمران ابي مريم التي هي اخت موسى وهرون قلت كفى بكفالة زكريا دليلا على انه عمران ابو البتول
لان زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته ايشاع اخت مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة روي انها كانت عاقرا لم تلد الى
ان عجزت فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا
ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل محررا معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا استخدمه
ولا اشغله بشيء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروي انهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير بين ان يفعل وان لا يفعل وعن الشعبي
محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان وانما بنت الامر على التقدير وطلبت ان ترزق ذكرا فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى
والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فلما وضعتها الضمير لما في بطنها
وانما انث على المعنى لان ما في بطنها كان انثى في علم الله او على تأويل الحبلة او النفس او النسمة فان قلت كيف جاز انتصاب انثى حالا من الضمير في وضعتها
وهو كقولك وضعت الانثى انثى قلت الاصل وضعته انثى وانما انث لتأنيث الحال لان الحال وذا الحال لشيء واحد كما انث الاسم في من كانت
امك لتأنيث الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين واما على تأويل الحبلة او على النسمة فهو ظاهر كأنه قيل اني وضعت الحبلة او النسمة انثى
فان قلت فلم قالت اني وضعتها انثى وما ارادت الى هذا القول قلت قالته تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها
كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها
وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الامور وان يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة
بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس رض والله اعلم بما وضعت على خطاب الله تعالى لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله
من عظم شأنه وعلو قدره وقرئ وضعت بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها فان قلت فما معنى قوله وليس

الذكر كالانثى قلت هو بيان لما في قوله والله اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها
واللام فيهما للعهد فان قلت علام عطف قوله واني سميتها مريم قلت هو عطف على اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله وانه لقسم
لو تعلمون عظيم فان قلت فلم ذكرت تسميتها مريم لربها قلت لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها
حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان واغوائه وما يروى من الحديث
ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه ان كل
مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومي
لما تؤذن الدنيا به من صروفها ❊ يكون بكاء الطفل ساعة يولد ❊ واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على
الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا
المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي
من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا
وحصورا ونبيا من الصالحين فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن فيه وجهان احدهما ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشي
كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى في ذلك او بان تسلمها من امها عقيب
الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت
المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل
واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم
فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها والثاني ان يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول
حسن وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله وتقضاه بمعنى استقضاه وهو كثير في كلامهم من استقبل
الامر اذا اخذه باوله وعنفوانه قال القطامي ❊ وخير الامر ما استقبلت منه ❊ وليس بان تتبعه اتباعا ❊ ومنه المثل خذ الامر بقوابله
اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها وقرئ وكفلها زكريا
بوزن وعملها وكفلها زكريا بتشديد الفاء ونصب زكريا والفعل لله تعالى بمعنى وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها ويؤيدها قراءة ابي
واكفلها من قوله تعالى فقال اكفلنيها وقرا مجاهد فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على لفظ الامر في الافعال الثلثة ونصب ربها تدعو بذلك اي
فاقبلها يا ربها وربها واجعل زكريا كافلا لها قيل بني زكريا عليه السلم محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها
وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة
ابواب وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء

انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك قالت هو من عند الله
فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد وعن النبي صلعم انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة لحم
آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله عليه وسلم
انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع
رسول الله صلعم علي بن ابي طالب والحسن والحسين وجميع اهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها ان الله يرزق من جملة
كلام مريم او من كلام رب العزة عز من قائل بغير حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق هنالك في ذلك المكان
حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت تقول ثم وهنا وحيث للزمان لما راى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب في ان يكون له من
ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة في النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت اختها كذلك وقيل لما راى الفاكهة في غير وقتها انتبه على
جواز ولادة العاقر ذرية ولدا والذرية تقع على الواحد والجمع سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة وقيل ناداه جبريل وانما قيل الملائكة على
قولهم فلان يركب الخيل ان الله يبشرك بالفتح على بان الله وبالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع من القول وقرئ يبشرك ويبشرك من بشره وابشره وبشره
بفتح الياء من بشره ويحيى ان كان اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة
من الله مصدقا بعيسى مؤمنا به قيل هو اول من آمن به وسمي عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة من الله
مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه وفائقا للناس
كلهم في انه لم يركب سيئة قط ويا لها من سيادة والحصور الذي لا ياتي النساء حصرا لنفسه اي منعا لها من الشهوات وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في
الميسر قال الاخطل ❊ وشارب مربح بالكاس نادمني ❊ لا بالحصور ولا فيها بسوار ❊ فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو وقد روي انه مر
وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت من الصالحين ناشئا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين
كقوله وانه في الآخرة لمن الصالحين قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي آية قال
آيتك الا تكلم الناس ثلثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك
واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين انى يكون لي غلام استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغني
الكبر كقولهم ادركته السن العالية والمعنى اثر في الكبر واضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون كذلك اي يفعل الله ما يشاء
من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر او كذلك الله مبتدا وخبر اي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء
بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات آية علامة اعرف بها الحبل لاتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر قال آيتك ان لا تقدر على تكليم
الناس ثلثة ايام وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر
ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام عجزك عن تكليم الناس مع ابقاء قدرته على التكليم بذكر الله ولذلك قال وهي من الآيات الباهرة فان قلت
لم حبس لسانه عن كلام الناس قلت ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها

الذي طلب الآية من اجله كانه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب واوقعه ما كان مشتقا من
السؤال رمزا اشارة بيد او راس او غيرهما واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرا يحيى بن وثاب الا رمزا
بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله ۞ متى ما تلقني فردين ترجف
روانف اليتيك وتستطارا ۞ بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم والعشي من حين تزول الشمس الى ان تغيب والابكار من طلوع
الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار يقال اتيته بكرا بفتحتين فان قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثنى
منه قلت لما ادى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما ويجوز ان يكون استثناء منقطعا يا مريم روي انهم كلموها شفاها معجزة لزكريا عليه
او ارهاصا لنبوة عيسى اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة السنية وطهرك مما يستقذر من الافعال ومما قرفك به اليهود
واصطفاك آخرا على نساء العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء امرت بالصلوة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلوة
واركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن صلوتك مع المصلين اي في الجماعة او وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم
ويحتمل ان يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلوته ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع ذلك من انباء الغيب
نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة
منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب انى يكون لي ولد
ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام يعني
ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي فان قلت لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع الانباء من حفاظها وهو موهوم
قلت كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة
نفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا
امرهم اقلامهم ازلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركا بها اذ يختصمون
في شانها تنافسا في التكفل بها فان قلت ايهم يكفل بم يتعلق قلت بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم كانه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا
او يقولون المسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معرب
من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم في الماء فان قلت اذ قالت بم يتعلق قلت هو بدل من واذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون
على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا فان قلت لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم قلت لان الابناء ينسبون
الى الآباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين فان قلت لم ذكر
ضمير الكلمة قلت لان المسمى بها مذكر فان قلت اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلثة اشياء الاسم منها عيسى واما المسيح والابن فلقب وصفة
قلت الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكانه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلثة وجيها حال من كلمة وكذلك
قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين اي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة في الدنيا

النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه الى السماء وصحبته للملائكة والمهد ما يمهد
للصبي من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس في هاتين
الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء ومن بدع التفاسير ان قولها
رب نداء لجبريل بمعنى يا سيدي ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم اني اخلق
لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم
ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله
واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ويعلمه عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدأ وقرا عاصم ونافع
ويعلمه بالياء فان قلت علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله اني قد جئتكم ولما بين يدي باي حمل عليها قلت هو من المضايق
وفيه وجهان احدهما ان يضمر له وارسلت على ارادة القول تقديره ونعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم ومصدقا لما بين
يدي والثاني ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا باني قد جئتكم وناطقا باني اصدق ما بين يدي وقرا اليزيدي ورسول عطفا
على كلمة اني قد جئتكم اصله ارسلت باني قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل واني اخلق نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من آية او رفع على هي
اني اخلق لكم وقرئ اني بالكسر على الاستيناف اي اقدر لكم شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا
فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طيارا وقرا عبد الله فانفخها قال ۞ كالهبرقي تنحى ينفخ الفحما ۞ وقيل لم يخلق غير الخفاش الاكمه الذي
ولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير وروي انه ربما اجتمع عليه خمسون
الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده وكرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية
وروي انه احيى سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فارنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبي لك كذا وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف
ولاحل رد على قوله باية من ربكم اي جئتكم باية من ربكم ولاحل لكم ويجوز ان يكون مصدقا مردودا عليه ايضا اي جئتكم باية وجئتكم مصدقا
وما حرم الله عليهم في شريعة موسى الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية
له واختلفوا في احلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي من التوراة او الله عز وجل او موسى عليه السلام لان ذكر التوراة
دل عليه ولانه كان معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قولي ان الله ربي وربكم لان
جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل من آية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض فان قلت كيف جعل هذا
القول آية من ربه قلت لان الله تعالى جعله علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر في ادلة العقل والاستدلال ويجوز ان
يكون تكريرا لقوله جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي
في المهد ومن سائر ذلك وقرا عبد الله وجئتكم بآيات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم ابتدأ فقال ان الله
ربي وربكم ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم باية على ان الله ربي

وربكم وما بينهما اعتراض فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون
ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين فلما احس فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه
كعلم ما يدرك بالحواس والى الله من صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني كما ينصرني او تتعلق
بمحذوف حالا من الياء اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه نحن انصار الله اي انصار دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه
قيل للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن ونظافتهن قال فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا الا الكلاب النوابح وفي وزنه
الحوالي وهو الكثير الحيلة وانما طلبوا شهادته باسلامهم تاكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيمة لقومهم وعليهم مع الشاهدين مع الانبياء
الذين يشهدون لاممهم او مع الشاهدين الذين يشهدون بالوحدانية وقيل مع امة محمد صلعم لانهم شهداء على الناس ومكروا الواو لكفار
بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله ان رفع عيسى الى السماء والقى شبهه على من اراد اغتياله حتى قتل
والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب من حيث لا يحتسب المعاقب اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك
من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا
فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين اذ قال
ظرف لخير الماكرين او لمكر الله اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك
حتف انفك لا قتلا بايديهم ورافعك الى سمائي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك
من الارض من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله والتي
لم تمت في منامها ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في السماء آمن مقرب فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة
وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه
من اليهود والنصارى فاحكم بينكم تفسير قوله فاعذبهم فنوفيهم اجورهم وقرئ فيوفيهم بالياء ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ذلك
اشارة الى ما سبق من نبا عيسى وغيره وهو مبتدا خبره نتلوه ومن الآيات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه
صلته ومن الآيات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم القرآن وصف بصفة من هو من سببه او كانه ينطق بالحكمة
لكثرة حكمه ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين ان شان عيسى ان شان
عيسى وحاله الغريبة كشان آدم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لما له شبه عيسى بآدم اي خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة اب ولا ام فكذلك حال
عيسى فان قلت كيف شبه به وقد وجد هو بغير اب وآدم بغير اب وام قلت هو مثيله في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه
به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولان الوجود
من غير اب وام اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو
اغرب مما استغربه وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه لا ابوين له

قالوا ان كان يحيى الموتى قال الخبر فيه اولى لان عيسى احيى اربعة نفر واحيا حزقيل ثمانية الآف فقالوا ان كان يبرئ الاكمه والابرص قال
جرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما خلقه من تراب قدره جسدا من طين ثم قال له كن فيكون اى انشأه بشرا كقوله ثم انشاناه
خلقا آخر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر مبتدا محذوف اى هو الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس ونهيه عن الامتراء وجل
رسول الله صلعم عن ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمانينة وان يكون لطفا لغيره فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم
فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ان هذا لهو القصص
الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين فمن حاجك من النصارى فيه فى عيسى من بعد ما
جاءك من العلم اى من البينات الموجبة للعلم تعالوا هلموا والمراد المجى بالراى والعزم كما تقول تعال نفكر فى هذه المسئلة ندع ابناءنا وابناءكم اى
يدع كل منى ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة ثم نبتهل ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة
بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وابعده من رحمته من قولك ابهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها واصل الابتهال هذا ثم استعمل
فى كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروى انه لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد
المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبى مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط
فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلى خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران
يا معشر النصارى انى لارى وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى الى يوم القيمة
فقالوا يا ابا القسم راينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا
قال فانى اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدى كل عام الفى حلة الف
فى صفر والف فى رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذى نفسى بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة
وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن
عائشة رض ان رسول الله صلعم خرج وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم على ثم قال انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم
الابناء والنساء قلت ذلك آكد فى الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر
على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك الاستيصال ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم
بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثم كانوا يسوقون مع انفسهم الظعائن فى الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنها
بارواحهم حماة الحقائق وقدمهم فى الذكر على الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها وفيه
دليل لا شىء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبى صلعم لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف انهم

اجابوا الى ذلك ان هذا الذي قص عليك من نبأ عيسى لهو القصص الحق وهي بجملتها خبر ان على الاصل وبالسكون لان اللام تنوب من هو منزلة بعضه تخفيف كما
عضد وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر ان فان قلت لم جاز دخول اللام على الفصل قلت اذا جاز دخولها
على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتدأ منه واصلها ان تدخل على المبتدأ ومن في قوله وما من اله الا الله بمنزلة البناء على الفتح في لا اله
الا الله في افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب
بما كانوا يفسدون قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان
تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده افلا تعقلون يا اهل الكتاب قيل
يعم اهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتورية والانجيل وتفسير الكلمة قوله ان لا نعبد
الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا
بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم
وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك عن
الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة وقرئ كلمة بسكون اللام وكلمة كجلسة سواء بالنصب بمعنى استوت استواء فان تولوا
عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع
او غيرهما اعترف باني انا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز ان يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره
زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابرهيم كان منهم وجادلوا رسول الله والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التورية والنصرانية بعد نزول
الانجيل وبين ابرهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف يكون ابرهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة افلا تعقلون حتى لا تجادلوا مثل هذا
الجدال المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان
حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ها انتم هؤلاء ها للتنبيه وانتم
مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة مستأنفة مبينة للجملة الاولى يعني انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم
فيما لكم به علم مما نطق به التورية والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابيكم من دين ابرهيم وعن الاخفش ها انتم هو اانتم
على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته والله يعلم علم ما حاججتم
فيه وانتم جاهلون به ثم اعلمهم بانه بريء من دينكم وما كان الا حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن منكم او اراد بالمشركين اليهود والنصارى
لاشراكهم به عزيرا والمسيح ان اولى الناس بابرهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا
والذين آمنوا من امته وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه اي اتبعوه واتبعوا هذا النبي وبالجر عطفا على ابرهيم ودت طائفة
من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون ودت طائفة
هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية وما يضلون الا انفسهم وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف

لهم بضلالهم واضلالهم او وما يقدرون على اضلال المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم بايات الله بالتورية والانجيل وكفرهم بها انهم
لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلعم وغيرها وتشهدون انها آيات الله او تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وانتم
تشهدون نعته في الكتابين او تكفرون بايات الله جميعا وانتم تعلمون انها حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم
تعلمون وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون وقرئ تلبسون بالتشديد وقرأ
يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كقوله صلى الله عليه وسلم كلابس ثوبي زور وقوله :. اذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا :.
وجه النهار اوله قال :. من كان مسرورا بمقتل مالك :. فليأت نسوتنا بوجه نهار :. والمعنى اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين في اول
النهار واكفروا به في آخره لعلهم يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا وهم اهل كتاب وعلم الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم وقيل
تواطأ اثنا عشر من احبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار من غير اعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا
في كتبنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم وقيل هذا في شأن القبلة
لما صرفت الى الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا به في آخره وصلوا
الى الصخرة لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم
عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ولا تؤمنوا متعلق بقوله ان يؤتى احد
وما بينهما اعتراض اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ارادوا اسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من
كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام او يحاجوكم عند ربكم
عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيمة ويغالبونكم عند الله بالحجة
فان قلت فما معنى الاعتراض قلت معناه ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم
وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء يريد الهداية والتوفيق او يتم الكلام
عند قوله الا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم
ممن اسلم منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقوله ان يؤتى معناه لان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني ان ما بكم من الحسد والبغي ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم
الى ان قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير ءان يؤتى احد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى الان يؤتى احد فان قلت
ما معنى قوله او يحاجوكم على هذا قلت معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند
ربكم ويجوز ان يكون هدى الله بدلا من الهدى وان يؤتى احد خبر ان على معنى قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم
حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم وقرئ ان يؤتى احد على ان النافية وهو متصل بكلام اهل
الكتاب اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم

ويجوز ان ينتصب ان يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كانه قيل قل ان الهدى هدى الله فلا تنكروا ان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم لان قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار لان يؤتى احد مثل ما اوتوا ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده
اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم
يعلمون بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين عن ابن عباس رضي الله عنهما من ان تأمنه بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل
من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومن ان تأمنه بدينار فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون
على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك عليه
يا صاحب الحق قائما على راسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها
بغير وصل وبسكونها وقرأ يحيى بن وثاب تئمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام ذلك اشارة الى ترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده اي تركهم
اداء الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي لا يتطرق علينا عتاب وذم في شأن الاميين يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما
فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل
بايع اليهود رجالا من قريش فلما تقاضوهم قالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي صلعم
انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه سأله رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك بأس قال هذا كما قال
اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم تحل لكم اموالهم الا بطيبة انفسهم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك
في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون بلى اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي بلى عليهم فيهم سبيل وقوله من اوفى بعهده جملة مستأنفة
مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى من اوفى على ان كل من وفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فان الله
يحبه فان قلت فهذا عام يخيل انه لو وفى اهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله قلت اجل لانهم اذا وفوا بالعهود وفوا
اول شيء بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم في كتابهم من الايمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله
وتحريف كلمه ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى على ان كل من وفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات
وما وجب اتقاؤه من الكفر واعمال السوء فان قلت فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من قلت عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس
نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمة اهل الكتاب ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في
الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوه عليه من الايمان
بالرسول المصدق لما معهم وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك
وقيل نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله صلعم واخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت
جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم مجاعة فقال لهم هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد هممت

ان

ان امينكم والسوكم يحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا العلماء شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا
قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرحوا وماروهم وعن الاشعث بن قيس نزلت فيّ كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا
الى رسول الله صلعم فقال شاهداك او بينته فقلت اذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان
وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير
في بعهده الى الله ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه ولا يزكيهم
ولا يثني عليهم فان قلت اي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد
بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا
لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب
ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون لفريقا هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن
اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقرأ اهل المدينة يلوّون بالتشديد كقوله تعالى لوّوا رءوسهم
وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه انهما قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها فان قلت الام
يرجع الضمير في لتحسبوه قلت الى ما دل عليه يلوون السنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا
ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء يعني يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب ويقولون هو من عند الله تأكيد لقوله هو من الكتاب
وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورّون وانما يصرحون بانه في التورية هكذا وقد انزله الله على موسى كذلك
لفرط جرأتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التورية وكتبوا
كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم
يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اربابا ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ما كان لبشر تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا
لرسول الله صلعم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل
قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا
الحق لاهله والحكم والحكمة وهي السنة ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كما يقال رقباني
ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين
علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم بما كنتم بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين
للعلم اوجب ان تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه
في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقرئ تعلمون من التعليم

وتعلمون من التعلم تدرسون تقرؤون وقرئ تدرّسون من التدريس وتُدرِسون على أن أدرس بمعنى درّس كأكرم وكرّم وأنزل ونزّل وتَدْرُسون
من التدريس ويجوز أن يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناهما معنى تدرّسون من التدريس
وفيه أن من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وأن السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته وقرئ
ولا يأمركم بالنصب عطفاً على ثم يقول وفيه وجهان احدهما أن تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر أن يستنبئه
الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عباداً له ويأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً كما تقول
ما كان لزيد أن اكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي والثاني أن تجعل لا غير مزيدة والمعنى أن رسول الله صلعم كان ينهى قريشاً عن عبادة الملائكة واليهود
والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له أنتخذك رباً قيل لهم ما كان لبشر أن يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملا
[ئكة] والانبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام أظهر وتنصرها قراءة عبد الله ولن يأمركم والضمير في ولا يأمركم وأيأمركم للبشر وقيل لله والهمزة
في أيأمركم للانكار بعد إذ أنتم مسلمون دليل على أن المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه أن يسجدوا له وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما
آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال
فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه
يرجعون قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد
منهم ونحن له مسلمون ميثاق النبيين فيه غير وجه احدها أن يكون على ظاهره من أخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني أن يضيف الميثاق
الى النبيين اضافته الى الموثق لا الى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كأنه قيل وإذ أخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على أممهم والثالث
أن يراد ميثاق أولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع أن يراد أهل الكتاب وأن يرد على زعمهم تهكماً بهم لأنهم كانوا يقولون نحن
أولى بالنبوة من محمد لأنا أهل كتاب ومنا كان النبيون وتدل عليه قراءة أبي وابن مسعود وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب واللام في لما
آتيتكم لام التوطئة لأن أخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما تحتمل أن تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد
جواب القسم والشرط جميعاً وأن تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لأجل
إيتائي إياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على أن ما مصدرية والفعلان معها أعني آتيتكم وجاءكم في معنى المصدرين
واللام داخلة للتعليل على معنى أخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لأجل أني آتيتكم الحكمة وأن الرسول الذي آمركم بالإيمان به ونصرته
موافق لكم غير مخالف ويجوز أن تكون ما موصولة فإن قلت كيف يجوز ذلك والعطف على آتيتكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز أن يدخل تحت حكم الصلة لأنك لا تقول
للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم قلت بلى لأن ما معكم في معنى ما آتيتكم فكأنه قيل للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرأ سعيد بن جبير لما
بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الإيمان به ونصرته وقيل أصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات
وهي الميمان والنون المنقلبة ميماً بإدغامها في الميم فحذفوا احداها فصارت لما ومعناه لمن أجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى إصري
عهدي وقرئ أُصري بالضم وسمي إصراً لأنه مما يؤصر أي يشد ويعقد ومنه الإصار الذي يعقد به ويجوز أن يكون المضموم لغة في إصر كعبر وعبر

وان يكون جمع اصر فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا على ذلكم من اقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير
من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك الميثاق
والتوكيد فاولئك هم الفاسقون اى المتمردون من الكفار دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون
فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وقدم المفعول الذى هو غير دين الله
على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذى هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وروى ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلعم
فيما اختلفوا فيه من دين ابرهيم عليه السلم وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برى من دين ابرهيم فقالوا ما نرضى
بقضائك ولا ناخذ بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهى قراءة ابى عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء
معا وبالتاء معا طوعا بالنظر فى الادلة والانصاف من نفسه وكرها بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بنى اسرائل وادراك الغرق
فرعون والاشفاء على الموت فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بان يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذلك وحد الضمير فى قل وجمع فى آمنا ويجوز ان يؤمر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من الله
لقدر نبيه فان قلت لم عدى انزل فى هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحى ينزل
من فوق وينتهى الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالآخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل والينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان
الرسول ياتيه الوحى على طريق الاستعلاء ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف الا ترى الى قوله بما انزل اليك وانزلنا اليك الكتاب والى قوله آمنوا بالذى
انزل على الذين آمنوا ونحن له مسلمون موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا فى عبادتها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة
من الخاسرين كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين ثم قال ومن يبتغ غير الاسلام
يعنى التوحيد واسلام الوجه لله دينا فلن يقبل منه من الخاسرين من الذين وقعوا فى الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام
بالادغام كيف يهدى الله قوما كيف يلطف بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم
وبعد ما شهدوا بان الرسول حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التى تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبى صلعم بعد ان كانوا
مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل نزلت فى رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق
ووحوح بن الاسلت والحرث بن سويد بن الصامت فان قلت علام عطف قوله وشهدوا قلت فيه وجهان ان يعطف على ما فى ايمانهم من معنى الفعل لان
معناه بعد ان آمنوا كقوله تعالى فاصدق واكن وقول الشاعر ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب ويجوز ان تكون الواو للحال باضمار قد بمعنى
كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق والله لا يهدى لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم اولئك جزاؤهم ان عليهم
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم
ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض
ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما افسدوا او دخلوا

في الصلاح قيل نزلت في الحرث بن سويد حين ندم على ردته وارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فاقبل الى المدينة
فتاب وقبل رسول الله صلعم توبته ثم ازدادوا كفرا هم اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلعم
والقرآن او كفروا برسول الله صلعم بعد ما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم
ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر ان قالوا نقيم
بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة فان قلت قد علم ان المرتد كيفما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب
فما معنى لن تقبل توبتهم قلت جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر كانه قيل ان اليهود والمرتدين
الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم فان قلت فلم قيل في احدى الآيتين لن تقبل بغير فاء وفي الاخرى فلن تقبل قلت
قد اوذن بالفاء ان الكلام بني على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء ان الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه
على التسبيب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم فان قلت فحين كان معنى لن تقبل توبتهم معنى الموت
على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره الى الموت على الكفر قلت لانه
كم من مرتد مزداد للكفر يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر فان قلت فاي فائدة في هذه الكناية اعني ان كنى عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة قلت
الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شان اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال واشدها الا
ترى ان الموت على الكفر انما يخاف من اجل اليأس من الرحمة ذهبا نصب على التمييز وقرا الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا
رجال فان قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به قلت هو كلام محمول على المعنى كانه قيل فلن تقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز
ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه
وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا ابا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل ابي حسن كما انه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل
كذا تريد انت وذلك ان المثلين يسد احدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد وان يراد فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تصدق به ولو افتدى
به ايضا لم يقبل منه وقرئ فلن نقبل من احدهم ملء الارض على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونصب ملء وملء الارض بتخفيف الهمزتين لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية
فاتلوها ان كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين
لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر او لن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها
وتؤثرونها كقوله انفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا جعلوه لله وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله
ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او مال رائح واني ارى ان تجعلها في الاقربين
فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله اسامة بن زيد
فكان زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلعم اما ان الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر الى ابي موسى الاشعري

ان يبتاع له جارية من سبي جلولا يوم فتح مداين كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها
ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ايتني بخير ابلي فجا بناقة مهزولة فقال خنتني قال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال
ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وقرا عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على ان من في مما تحبون للتبعيض ونحوه اخذت من المال ومن
في من شي لتبيين ما تنفقوا اي من شي كان طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله عليم بكل شي تنفقونه فمجازيكم بحسبه كل الطعام كل
المطعومات او كل انواع الطعام والحل مصدر نعت به ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمونث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم والذي حرم اسرايل وهو يعقوب عليه السلم على نفسه لحوم
الابل والبانها وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفي ان يحرم على نفسه احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه فحرمه وقيل اشارت عليه الاطبا
باجتنابه ففعل وذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتدا والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرايل من قبل انزال التورية وتحريم ما حرم عليهم
منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شي قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم اسرايل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب
لهم حيث ارادوا براة ساحتهم مما نعي عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الى قوله عذابا اليما وفي قوله وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم واشمازوا منه وامتعضوا مما نطق به
القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى ابرهيم ومن بعده
حتى بني اسرايل وهلم جرا الى ان انتهى التحريم الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله واكل
الربا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم قل فاتوا بالتورية فاتلوها امر
بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فروي انهم
لم يجسروا على اخراج التورية وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه فمن افترى على الله
الكذب بزعمه ان ذلك كان محرما على بني اسرايل قبل انزال التورية من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة فاوليك هم الظالمون المكابرون الذين لا ينصفون
من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات قل صدق الله تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم
الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وهي ملة الاسلام التي عليها محمد صلعم ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث
اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله لابرهيم ولمن تبعه ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة
مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني
عن العالمين وضع للناس صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل تدل عليه قراة من قرا وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس
انه جعله متعبدا لهم فكانه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلعم انه سيل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس
وسيل كم بينهما قال اربعون سنة وعن علي رض ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى
والرحمة والبركة واول من بناه ابرهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس هو اول بيت

حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الما عند خلق السما والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضا على الما فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت بناه ادم في الارض وقيل لما اهبط ادم قالت الملايكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بالفي عام وكان في موضعه قبل ادم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان الى السما الرابعة تطوف به ملايكة السموات للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط في اسم موضع بالدهنا ونحوه من الاعتقاب امر راتب وراتم وحمى مغمطة ومغبطة وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنسا يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت ببكة وهي الزحمة قال اذا الشريب اخذته اكه • فخله حتى يبك بكه • وقيل تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله مباركا كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم مقام ابرهيم عطف بيان لقوله ايات بينات فان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد قلت فيه وجهان احدهما ان يجعل وحده بمنزلة ايات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة ابرهيم عليه السلم من تاثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة والثاني اشتماله على ايات لان اثر القدم في الصخرة الصما اية وغوصه فيها الى الكعبين اية والانة بعض الصخرة دون بعض اية وابقاوه دون ساير ايات الانبيا عليهم السلام اية لابرهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدايه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة اية ويجوز ان يراد فيه ايات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والاربعة ويجوز ان تذكر هاتان الايتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الايات كانه قيل فيه ايات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير • كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم • من العبيد وثلث من مواليها • ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنسا وقرة عيني في الصلوة وقرا ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة اية بينة على التوحيد وفيها دليل على ان مقام ابرهيم واقع وحده عطف بيان فان قلت كيف اجزت ان يكون مقام ابرهيم والامن عطف بيان للايات وقوله ومن دخله كان امنا جملة مستانفة اما ابتدايية واما شرطية قلت اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان امنا دل على امن داخله فكانه قيل فيه ايات بينات مقام ابرهيم وامن داخله الا ترى انك لو قلت فيه اية بينة من دخله كان امنا صح لانه في معنى قولك فيه اية بينة امن من دخله فان قلت كيف كان سبب هذا الاثر قلت فيه قولان احدهما انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جا زايرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسماعيل انزل حتى يغسل راسك فلم ينزل فجاته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقي اثر قدميه عليه ومعنى ومن دخله كان امنا معنى قوله اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عليه السلم رب اجعل هذا البلد امنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجا الى الحرم لم يطلب وعن عمر رض لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند ابي حنيفة من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجا الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل امنا من النار وعن النبي صلعم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا وعنه عليه السلم الحجون والبقيع يوخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود وقف

رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مايتي عام من استطاع بدل من الناس وروي ان رسول الله صلعم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه اكثر العلما وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان تاركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج والضمير في اليه للبيت او للحج وكل ما اتى الى الشي فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام انواع من التوكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت يعني انه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن ادايه والخروج عن عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل عنه من استطاع وفيه ضربان من التاكيد احدهما ان الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلعم من مات ولم يحج فليمت ان شا يهوديا او نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغنا عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغنا عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغنا لا محالة ولانه يدل على الاستغنا الكامل فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلعم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نومن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلعم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت وعن عمر لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرئ حج البيت بالكسر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن تبغونها عوجا وانتم شهدا وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين والله شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون بايات الله التي دلتكم على صدق محمد والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم عليها وهذه الحال توجب ان لا تجسروا على الكفر باياته قرا الحسن تصدون من اصد عن سبيل الله عن دينه الحق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون المومنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله تبغونها عوجا تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة فان قلت كيف تبغونها عوجا وهو محال قلت فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله صلعم عن وجهها ونحو ذلك والثاني انكم تتعبون انفسكم في اخفا الحق وابتغا ما لا يتاتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم وانتم شهدا انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل او وانتم شهدا بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظايم امورهم وهم الاحبار وما الله بغافل

وعيد ومحل يبغونها نصب على الحال قيل مر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر
من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة
وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان
يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح
فبلغ النبي صلعم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع
به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم
انصرفوا مع رسول الله صلعم فما كان يوم اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله
فقد هدي الى صراط مستقيم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون وكيف تكفرون معنى الاستفهام فيه
الانكار والتعجيب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية
وبين اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار
ومكايدهم فقد هدي فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كأن الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع
في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده حق تقاته واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالمواجب
واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى
ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو ان لا تاخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد
حق تقاته والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد ولا تموتن معناه ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت كما تقول لمن تستعين به على
لقاء العدو لا تاتني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان واعتصموا بحبل الله
جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها
كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون قولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتثال المتدلي من مكان
مرتفع بحبل وثيق يامن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى
واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه او واجتمعوا على التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة او بكتابه لقول النبي صلعم
القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم ولا
تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا
ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها مما ياباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك
بالاسلام كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوة والحروب المتواصلة فالف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا
وصاروا اخوانا متحابين متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا

اخوين لاب وام فوقعت بينهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفاها الله ذلك بالاسلام والف بينهم برسول الله صلعم وكنتم على
شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا و
انما انث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتانيث ولامها واو
الا انها في المذكر مقلوبة وفي المونث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة فان قلت كيف جعلوا على حرف حفرة من النار قلت لو ماتوا على
ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حيوتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها كذلك مثل ذلك البيان
البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم
المفلحون ولتكن منكم امة من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم
كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير
منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب المآصر
والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون واولئك هم المفلحون هم الاخصاء
بالفلاح دون غيرهم وعن النبي صلعم انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم وعنه صلعم
من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رض افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة ياتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يامرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف تابع للمامور به ان كان
واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح فان قلت ما طريق الوجوب قلت
قد اختلف فيه الشيخان فعند ابي علي السمع والعقل وعند ابي هاشم السمع وحده فان قلت ما شرائط النهي قلت ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه
اذا لم يعلم لم يامن ان ينكر الحسن وان لا يكون ما نهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على
ظنه ان المنهي يزيد في منكراته وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يوثر لانه عبث فان قلت فما شروط الوجوب قلت ان يغلب على ظنه وقوع
المعصية نحو ان يرى الشارب قد تهيا لشرب الخمر باعداد آلاته وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مضرة عظيمة فان قلت كيف يباشر الانكار
قلت يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال الله فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا فان قلت فمن يباشره قلت كل من
تمكن منه واختص بشرائطه وقد اجمعوا ان من راى غيره تاركا للصلوة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد واما الانكار الذي بالقتال
فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها فان قلت فمن يؤمر وينهى قلت كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان
والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلوة ليمرنوا عليها فان قلت هل يجب على مرتكب المنكر ان ينهى عما يرتكبه
قلت نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا
وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يامر احد بمعروف

والنهي عن منكر. فإن قلت: كيف قيل يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف؟ قلت: الدعاء إلى الخير عام في التكاليف من الأفعال والتروك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص، فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص إيذاناً بفضله، كقوله تعالى: والصلوة الوسطى. ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي كلمة الحق، وقيل: هم مبتدعو هذه الأمة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية وأشباههم. يوم تبيض وجوه نصب بالظرف وهو لهم أو بإضمار اذكروا. وقرئ: تِبيض وتِسود بكسر حرف المضارعة، وتبياض وتسواد. والبياض من النور والسواد من الظلمة، فمن كان من أهل نور الحق وسم ببياض اللون وإسفاره وإشراقه، وابيضت صحيفته وأشرقت، وسعى النور بين يديه وبيمينه، ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده، واسودت صحيفته وأظلمت، وأحاطت به الظلمة من كل جانب، نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل وأهله. أكفرتم فيقال لهم أكفرتم، والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم، والظاهر أنهم أهل الكتاب، وكفرهم بعد الإيمان تكذيبهم برسول الله صلعم بعد اعترافهم به قبل مجيئه. وعن عطاء: تبيض وجوه المهاجرين والأنصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير، وقيل: هم المرتدون، وقيل: أهل البدع والأهواء. وعن أبي أمامة رضي الله عنه: هم الخوارج، ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال: كلاب النار، هؤلاء شر قتلى تحت أديم السماء، الذين قتلهم هؤلاء، فقال له أبو غالب: أتقوله برأيك أم شيء سمعته من رسول الله صلعم؟ قال: بل سمعته من رسول الله صلعم غير مرة، قال: فما شأنك دمعت عيناك؟ قال: رحمة لهم، كانوا من أهل الإسلام فكفروا، ثم قرأ هذه الآية، ثم أخذ بيده فقال: إن بأرضك منهم كثيراً فأعاذك الله منهم. وقيل: هم جميع الكفار لإعراضهم عما أوجبه الإقرار حين أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى. ففي رحمة الله ففي نعمته وهي الثواب المخلد. فإن قلت: كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة الله؟ قلت: موقع الاستئناف، كأنه قيل: كيف يكونون فيها؟ فقيل: هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون. تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور تلك آيات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه، وما الله يريد ظلما فيأخذ أحداً بغير جرم أو يزيد في عقاب مجرم أو ينقص من ثواب محسن، ونكّر ظلماً وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئاً من الظلم لأحد من خلقه، فسبحان من يحلم عمن يصفه بإرادة القبائح والرضا بها. كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الإبهام، وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ، ومنه قوله تعالى: وكان الله غفوراً رحيماً، ومنه قوله تعالى: كنتم خير أمة، كأنه قيل: وجدتم خير أمة، وقيل: كنتم في علم الله خير أمة، وقيل: كنتم في الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة موصوفين به. تأمرون كلام مستأنف بين به كونهم خير أمة، كما تقول: زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم. وتؤمنون بالله جعل الإيمان بكل ما يجب الإيمان به إيماناً بالله، لأن من آمن ببعض ما يجب الإيمان به من رسول أو كتاب أو بعث أو حساب أو عقاب أو ثواب أو غير ذلك لم يعتد بإيمانه، فكأنه غير مؤمن بالله، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا. والدليل عليه قوله: ولو آمن أهل الكتاب مع إيمانهم بالله لكان خيراً لهم مما هم عليه، لأنهم إنما آثروا دينهم على دين الإسلام حباً للرياسة واستتباع العوام، ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والأتباع وحظوظ الدنيا

بما هو خير مما آثروه من الباطل الحطام مع الفوز بما أعدوه على الإيمان من ثواب الآجل منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام وأصحابه وأكثرهم الفاسقون
المتمردون في الكفر لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل
بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون لن يضروكم
إلا أذى إلا ضررا مقتصرا على أذى بقول من طعن في الدين أو تهديد أو نحو ذلك وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار منهزمين ولا يضروكم بقتل أو أسر
ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من أحد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن أسلم منهم لأنهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم
بأنهم لا يقدرون أن يتجاوزوا الأذى بالقول إلى ضرر يبالى به مع أنه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وأن عاقبة أمرهم الخذلان والذل فإن قلت
هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون قلت عدل به عن حكم الجزاء إلى حكم الإخبار ابتداء كأنه قيل ثم أخبركم أنهم لا ينصرون فإن قلت
فأي فرق بين رفعه وجزمه قلت لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الأدبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كأنه قال ثم
شأنهم وقصتهم التي أخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية أنهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم أمر
وكان كما أخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر فإن قلت فما الذي عطف عليه هذا الخبر قلت جملة الشرط والجزاء كأنه قيل أخبركم
أنهم إن يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم أنهم لا ينصرون فإن قلت فما معنى التراخي في ثم قلت التراخي في المرتبة لأن الإخبار بتسليط الخذلان عليهم
أعظم من الإخبار بتوليتهم الأدبار فإن قلت ما موقع الجملتين أعني منهم المؤمنون ولن يضروكم قلت هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند
إجراء ذكر أهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فإن من شأنه كيت وكيت ولذلك جاء من غير عاطف بحبل من الله في محل النصب على الحال بتقدير إلا
معتصمين أو متمسكين أو متلبسين بحبل من الله وهو استثناء من أعم عام الأحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الأحوال إلا في حال اعتصامهم
بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين أي لا عز لهم قط إلا هذه الواحدة وهي التجاؤهم إلى الذمة لما قبلوه من الجزية وباءوا بغضب من الله
استوجبوه وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت على أهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه ذلك إشارة
إلى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبواء بغضب الله أي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء ثم قال ذلك بما عصوا أي ذلك كائن بسبب
عصيانهم واعتدائهم لحدوده ليعلم أن الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله وأن سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه
مما خطيئاتهم أغرقوا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم
يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين وما تفعلوا من خير فلن
تكفروه والله عليم بالمتقين الضمير في ليسوا لأهل الكتاب أي ليس أهل الكتاب مستوين وقوله من أهل الكتاب أمة قائمة كلام مستأنف لبيان
قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير أمة أمة قائمة مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام بمعنى استقام
وهم الذين أسلموا منهم وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لأنه أبين لما يفعلون وأدل على حسن صورة أمرهم وقيل عنى
صلاة العشاء لأن أهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضي الله عنه أخر رسول الله صلعم صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة
فقال أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وقوله يتلون ويؤمنون في محل الرفع صفتان لأمة

اى امة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت فى اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان
لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة فى الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة فى الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب فى الامر
سارع فى توليه والقيام به وآثر الفور على التراخى واولئك الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا
ثناءه عليهم ويجوز ان يريد بالصالحين المسلمين فلن تكفروه لما جاء وصف الله عز وعلا بالشكر فى قوله والله شكور حليم فى معنى توفية الثواب
نفى عنه نقيض ذلك فان قلت لم عدى الى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها قلت ضمن معنى الحرمان فكانه
قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه وقرئ تفعلوا وتكفروه بالياء والتاء والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل التقوى
ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون فى هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح
فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال
لا تعدلن اتاويين تضربهم نكباء صر باصحاب المحلات ... كما قالت ليلى الاخيلية ولم يغلب الخصم الالد ويملأ الجفان سديفا يوم نكباء صرصر
فان قلت فما معنى قوله كمثل ريح فيها صر قلت فيه اوجه احدها ان الصر فى صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر
كما تقول برد بارد على المبالغة والثانى ان يكون الصر مصدرا فى الاصل بمعنى البرد فجئ به على اصله والثالث ان يكون من قوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله
اسوة حسنة ومن قولك ان ضيعنى فلان ففى الله كاف وكاف وقد قال ... وفى الرحمن للضعفاء كاف ... شبه ما كانوا ينفقون من اموالهم فى المكارم والمفاخر
وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذى حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله تعالى مع كفرهم
وقيل ما انفقوا فى عداوة رسول الله صلعم فضاع عنهم لانهم لم يبلغوا بانفاقه ما انفقوه لاجله وشبه بحرث قوم ظلموا انفسهم فاهلك عقوبة لهم
على معاصيهم لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ فان قلت الغرض تشبيه ما انفقوا فى قلة جدواه وضياعه بالحرث الذى ضربته الصر والكلام غير مطابق
للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح قلت هو من التشبيه المركب الذى مر فى تفسير قوله كمثل الذى استوقد نارا ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون
كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بان لم يقبل
نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث الذين ظلموا انفسهم اى وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم
بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يراد ولكنه انفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشأن
لانه انما يجوز فى الشعر يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفى
صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذى يفضى اليه بشقوره ثقة به
شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعارى وعن النبى صلعم الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا
وببطانة على الوصف اى بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يألونكم خبالا يقال ألا فى الامر يألو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين
فى قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصكه والخبال الفساد ودوا ما عنتم ودوا عنتكم على ان ما مصدرية والعنت

شدة الضرر والمشقة واصله انهياض العظم بعد جبره اى تمنوا ان يضروكم فى دينكم ودنياكم اشد الضرر وابلغه قد بدت البغضاء من افواههم
لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من
المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفى قراءة عبد الله قد بدا البغضاء قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص فى الدين وموالاة
اولياء الله ومعاداة اعدائه ان كنتم تعقلون ما بين لكم فعملتم به فان قلت كيف موقع هذه الجمل قلت يجوز ان يكون لا يألونكم صفة للبطانة وكذلك
قد بدت البغضاء كانه قيل بطانة غير آليكم خبالا بادية بغضاؤهم واما قد بينا فكلام مبتدأ واحسن منه وابلغ ان تكون مستأنفات كلها على وجه التعليل
للنهى عن اتخاذهم بطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل
موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم
شيئا ان الله بما يعملون محيط ها للتنبيه وانتم مبتدأ واولاء خبره اى انتم اولاء الخاطئون فى موالاة منافقى اهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم
بيان لخطائهم فى موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وقيل اولاء موصول تحبونهم صلته والواو فى وتؤمنون للحال وانتصابها من لا يحبونكم
اى لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما لكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشئ من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم فى باطلهم اصلب
منكم فى حقكم ونحوه فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام قال الحرث بن ظالم المرى
فاقتل اقواما لئاما اذلة يعضون من غيظ رؤس الاباهم قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ
زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم فى ذلك من الذل والخزى والتبار ان الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما فى صدور المنافقين
من الحنق والبغضاء وما يكون منهم فى حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل فى جملة المقول او خارج منها فان قلت فكيف معناه على الوجهين قلت
اذا كان داخلا فى جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات
الصدور فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم يخفى عليه واذا كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعى اياك على ما يسرون فانى اعلم ما هو
اخفى من ذلك وهو ما اضمروه فى صدورهم ولم يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثم قول وان يكون قوله قل موتوا بغيظكم امرا لرسول الله صلعم بطيب النفس
وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به كانه قيل حدث نفسك بذلك الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة
ونحوها من المنافع والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة فان قلت
كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة قلت المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى الى قوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك
مصيبة ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا
ما نهيتم عنه من موالاتهم او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله فى اجتنابكم محارمه كنتم فى كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ
لا يضركم من ضاره يضيره ويضركم على ان ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا تعليم
من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا فى نفسك ان الله
بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط ففاعل بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون فى عداوتكم فمعاقبهم عليه

وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون

واذكر إذ غدوت من أهلك بالمدينة وهو غدوه إلى أحد من حجرة عائشة رضي الله عنها روي أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار رسول الله صلعم أصحابه ودعا عبد الله بن أبي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله وأكثر الأنصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا إلى هؤلاء الأكلب لا يرون أنا قد جبنا عنهم فقال صلى الله عليه وسلم إني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا إلى أعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوه قد لبس لأمته ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله والوحي يأتيه فقالوا اصنع ما رأيت يا رسول الله فقال لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوّم بهم القدح إن رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وأمّر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا تبوئ المؤمنين تنزلهم وقرئ تبوّئ للمؤمنين بمعنى تسوّي لهم وتهيئ مقاعد للقتال مواطن ومواقف وقد اتسع في القعد والمقام بمعنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق وقوله قبل أن تقوم من مقامك والله سميع لأقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم إذ همت بدل من إذ غدوت أو عمل فيه معنى سميع عليم والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلعم في ألف وقيل في تسعماية وخمسين والمشركون في ثلثة آلاف ووعدهم الفتح إن صبروا فانخزل عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري فقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلعم وعن ابن عباس رض أضمروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها إلى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الإطنابة

أقول لها إذا جشأت وجاشت ∴ مكانك تحمدي أو تستريحي ∴ حتى قال معوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت أضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني إلا قول عمرو بن الإطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول والله وليهما ويجوز أن يراد والله ناصرهما ومتولي أمرهما فما لهما يفشلان ولا يتوكلان على الله فإن قلت فما معنى ما روي من قول بعضهم عند نزول الآية والله ما يسرنا أنا لم نهم بالذي هممنا به وقد أخبرنا الله بأنه وليها قلت معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية وأن تلك الهمة غير المأخوذ بها لأنها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها والفشل الجبن والخور وقرئ عبد الله والله وليهم لقوله تعالى وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا أمرهم بأن لا يتوكلوا إلا عليه ولا يفوضوا أمورهم إلا إليه ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم

من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة والأذلة جمع قلة والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على أنهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم إلا فرس واحد وقلتهم أنهم كانوا ثلثماية وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم ماية فرس والشكة والشوكة وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله في الثبات مع رسول الله صلعم لعلكم تشكرون بتقويكم ما أنعم به عليكم من نصرته أو لعلكم ينعم الله عليكم نعمة أخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الإنعام لأنه سبب له إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين إذ تقول ظرف لنصركم على أن يقول لهم ذلك يوم بدر أو بدل ثان من إذ غدوت على أن يقول لهم يوم أحد فإن قلت كيف يصح أن يقول لهم يوم أحد ولم تنزل فيه الملائكة قلت قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا أمر رسول الله صلعم فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم لنزلت وإنما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة وأتاه بلن الذي هو لتأكيد النفي للإشعار بأنهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر وبلى إيجاب لما بعد لن بمعنى بل يكفيكم الإمداد بهم فأوجب الكفاية ثم قال وإن تصبروا وتتقوا يمددكم بأكثر من ذلك العدد مسومين للقتال ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره إلى غزوة أخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول أبي حنيفة الأمر على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر إذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث فيها ولا تعرج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول خرج من ساعته لم يلبث والمعنى أنهم إن يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملائكة في حال إتيانهم لا يتأخر نزولهم عن إتيانهم يريد أن الله يعجل نصركم وييسر فتحكم إن صبرتم واتقيتم وقرئ منزَلين بالتشديد ومنزِلين بكسر الزاي بمعنى منزلين النصر ومسوَّمين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين أنفسهم أو خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الأبيض في نواصي الدواب وأذنابها وعن مجاهد مجزوزة أذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلعم أنه قال لأصحابه تسوموا فإن الملائكة قد تسومت وما جعله الله إلا بشرى لكم أي وما جعل الله إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون ولتطمئن به قلوبكم كما كانت السكينة لبني إسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم وما النصر إلا من عند الله لا من عند المقاتلة إذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم أو يكبتهم أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده إذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول أبي الطيب ∴ لأكبت حاسدا وأري عدوا ∴ هو من الكبد والرية واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله أو بقوله وما النصر إلا من عند الله ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا

اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون او يتوب عطف على ما قبله وليس لك
من الامر شي اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم
شي انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف باو على الامر او على شي اي ليس لك
من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم او ليس لك من امرهم شي او التوبة عليهم او تعذيبهم وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي
على معنى ليس لك من امرهم شي الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل
يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل اراد
ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من يؤمن عن الحسن رحمه الله يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا
يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويعذب من لقيه ظالما واتباعه قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون
تفسير بين لمن يشاء وانهم المتوب عليهم او الظالمون ولكن اهل الاهواء والبدع يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط عشواء ويطيبون
انفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة نهي عن الربا
مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل فاستغرق بالشي الطفيف مال المديون واتقوا النار التي
اعدت للكافرين كان ابو حنيفة يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد
امد ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تامل هذه الآيات وامثالها لم يحدث نفسه بالاطماع
الفارغة والتمني على الله وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى
وصعوبة اصابة رضى الله وعزة التوصل الى رحمته وثوابه وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون
في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين في مصاحف اهل المدينة والشام سارعوا بغير واو وفي الباقية
بالواو وتنصره قراءة ابي وعبد الله وسابقوا ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يستحقان به عرضها السموات والارض اي عرضها
عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه وخص
العرض لانه في العادة ادنى من الطول للمبالغة كقوله بطائنها من استبرق وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض في السراء
والضراء في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بان ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من كثير او قليل كما حكي عن بعض السلف انه
ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها انها تصدقت بحبة عنب او في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا يمنعهم حال فرح وسرور
ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس او في حبس فانه لا يدع الاحسان وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق شي على النفس وادله
على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين كظم القربة اذا ملاها وشد فاها وكظم
البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا وعن النبي صلعم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا
الله قلبه امنا وايمانا وعن عائشة رض ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين عن الناس اذا جني عليهم

الحلم يولجنه وروي ينادي مناد يوم القيامة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على
رجل فخلاه وعن النبي صلعم ان هولاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يجوز ان تكون اللام للجنس
فيتناول كل محسن ويدخل تحته هولاء المذكورون وان تكون للعهد فتكون اشارة الى هولاء والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله
فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين والذين عطف على المتقين اعدت للمتقين وللتائبين وقوله اولئك اشارة الى الفريقين ويجوز ان يكون والذين
مبتدا خبره اولئك فاحشة فعلة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم او اذنبوا اي ذنب كان مما يواخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس
ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله تذكروا عقابه او وعيده او نهيه او حقه العظيم وجلاله
الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب الا الله وصف لذاته بسعة الرحمة
وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا
جاء في الاعتذار والتنصل باقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن الياس والقنوط
وان الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم والمعنى انه وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه ولم
يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلعم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار
ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فعل الاصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي
عنها وبالوعيد عليها لانه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان قاطع ان الذين آمنوا على ثلث طبقات متقون وتائبون ومصرون
وان الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه قال اجر العاملين بعد قوله جزاؤهم لانهما في معنى واحد
وانما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على ان ذلك جزاء واجب على عمل واجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروي ان الله عز وجل اوحى الى موسى عم
ما اقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة
بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن يقول الله يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي
واقتسموها باعمالكم وعن رابعة البصرية انها كانت تنشد ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس والمخصوص بالمدح
محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا
بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مومنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام
نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين
قد خلت من قبلكم سنن يريد ما سنه الله في الامم المكذبين من وقائعه كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم لا تجدوا مبدلا ولا
تبديلا سنة الله التي قد خلت من قبل هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم
والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني انه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا

من المؤمنين ويجوز أن يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الإيمان وما يتخوفون به مما ذكر من أجر العاملين ويكون قوله هذا بيان إشارة إلى ما لخص وبيّن من أمر المتقين والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله تعالى لرسوله وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم أي لا يورثنكم ذلك وهناً وجبناً ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وأنتم الأعلون وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب لأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد أو وأنتم الأعلون شأناً لأن قتالكم لله ولإعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولإعلاء كلمة الكفر ولأن قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار أو هي بشارة لهم بالعلو والغلبة أي وأنتم الأعلون في العاقبة وأن جندنا لهم الغالبون إن كنتم مؤمنين متعلق بالنهي بمعنى ولا تهنوا إن صح إيمانكم على أن صحة الإيمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة بأعدائه أو بالأعلون أي إن كنتم مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم ألمها وقرأ أبو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فأنتم أولى أن لا تضعفوا ونحوه فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم أحد فقد نال المسلمون منهم قبل أن تخالفوا أمر رسول الله صلعم فإن قلت كيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم أحد مثل قرح المشركين قلت بلى كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار ألا ترى إلى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون وتلك الأيام تلك مبتدأ والأيام صفة ونداولها خبره ويجوز أن يكون تلك الأيام مبتدأ وخبراً كما تقول هي الأيام تبلي كل جديد والمراد بالأيام أوقات الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله وهو من أبيات الكتاب فيوماً علينا ويوماً لنا ويوماً نساء ويوماً نسر وفي المثل الحرب سجال وعن أبي سفيان أنه صعد الجبل يوم أحد فمكث ساعة ثم قال أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله وهذا أبو بكر وها أنا عمر فقال أبو سفيان يوم بيوم والأيام دول والحرب سجال فقال عمر رض لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال إنكم تزعمون ذلك فقد خبنا إذاً وخسرنا والمداولة مثل المعاورة قال يرد المياه فلا يزال تداولاً في الناس بين تمثل وسماع يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه وليعلم الله الذين آمنوا فيه وجهان أحدهما أن يكون المعلل محذوفاً معناه وليتميز الثابتون على الإيمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل يعني فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الإيمان منكم من غير الثابت وإلا فالله عز وجل لم يزل عالماً بالأشياء قبل كونها وقيل معناه وليعلمهم علماً يتعلق به الجزاء وهو أن يعلمهم موجوداً منهم الثبات والثاني أن تكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وإنما حذف للإيذان بأن المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم أن العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر أن لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناساً منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم أحد أو ويتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيامة بما يبتلي به صبركم من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الإيمان المجاهدين في سبيل الله التمحيص من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني إن كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو أصلح لهم وإن كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم

تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار ولما يعلم الله بمعنى ولما تجاهدوا لأن العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لأنه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيراً يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم إلا أن فيه ضرباً من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني أن يفعل كذا ولما يفعل تريد ولم يفعل وأنا أتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل أراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب بإضمار أن والواو بمعنى الجمع كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وقرأ الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن أبي عمرو ويعلم بالرفع على أن الواو للحال كأنه قيل ولما تجاهدوا وأنتم صابرون ولقد كنتم تمنون خوطب به الذين لم يشهدوا بدراً وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين ألحوا على رسول الله صلعم في الخروج إلى المشركين وكان رأيه في الإقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رأيتموه وأنتم تنظرون أي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل من إخوانكم وأقاربكم وشارفتم أن تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلعم بإلحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده فإن قلت كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قلت قصد متمني الشهادة إلى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه إلى ذلك المتضمن كما أن من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصد إلى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة وإحسان إلى عدو الله وتنفيقاً لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نهض إلى مؤتة وقيل له ردكم الله

لكنني أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثي ... أرشده الله من غاز وقد رشدا

وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين لما رمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله صلعم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه أقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد حتى قتله ابن قميئة وهو يرى أنه رسول الله صلعم فقال قد قتلت محمداً وصرخ صارخ ألا إن محمداً قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤوا فجعل رسول الله يدعو إلي عباد الله حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين وروي أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن أبي يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبياً لما قتل ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم إن كان قتل محمد فإن رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين أنه مر بأنصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان أشعرت أن محمداً قد قتل فقال إن كان قد قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم والمعنى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لأن الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة وإلزام الحجة لا وجوده بين أظهر قومه أفإن مات الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلو الرسل قبله سبباً لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل مع علمهم أن خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكاً به يجب أن يجعل سبباً للتمسك بدين محمد صلعم لا للانقلاب عنه فإن قلت لم ذكر القتل وقد علم أنه لا يقتل قلت لكونه مجوزاً عند المخاطبين فإن قلت أما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس قلت هذا مما يختص بالعلماء

منهم وذوي البصيرة الاثرى انهم سمعوا الخبر بقتله فهذا بوا على انه لا يجعل البغية من قتلة الناس واصل الحمد والانقلاب على الاعقاب الادبار عما كان رسول الله
يقوم به من امر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم
من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلعم واسلامه فلن يضر الله شيئا فانما ضر الا نفسه لان الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي الله الشاكرين الذين لم ينقلبوا
كانس بن النضر واضرابه وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا
نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا
والله يحب الصابرين المعنى ان موت الانفس محال ان يكون الا بمشية الله فاخرجه مخرج فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا ان ياذن الله فيه تمثيلا
ولان ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له ان يقبض نفسا الا باذن من الله وهو على معنيين احدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلام ان
الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل بلوغ اجله وان خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه واسلام قومه
له نهزة للمتلبس من الحفظ والكلاءة وتاخير الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ومن يرد ثواب
الدنيا تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم احد نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته
وسيجزي بالياء فيهما وقرئ قاتل وقتل بالتشديد والفاعل ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه يعني قتل كاينا معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه
الاول وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلاث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب
وقرئ فما وهنوا بسكون الهاء والمعنى فما وهنوا عند قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند
الارجاف بقتل رسول الله وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في طلب الامان من
ابي سفيان وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب
الآخرة والله يحب المحسنين يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين وما كان قولهم
الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الاقدام
في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع اقرب الى الاستجابة فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب
الذكر وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ان تطيعوا الذين كفروا قال علي رض نزلت
في المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن ان تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لانهم كانوا يستغوونهم
ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن
السدي ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستامنوهم يردوكم الى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وان على المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا
على حكمهم ولا على مشاورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم بل الله مولاكم اي ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة احد وولايته وقرئ بالنصب على بل اطيعوا الله
مولاكم سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم
باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم

قوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة [illegible] انه تعالى قال فمنكم من يريد ثواب الدنيا فوعدتم منها [illegible] وقال في هذه الآية فآتاهم ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة [illegible] الى الدنيا [illegible] ثواب الآخرة اشتغلوا بالعبودية لطلب الثواب [illegible] نازلة في العبودية والمذكورون في هذه الآية فانهم لم يذكروا [illegible] انفسهم الا الذنب والتقصير ويلوا المراد من قوله اغفر لنا الى آخره [illegible] التدبير والنصر [illegible] الاشياء [illegible] مولاي [illegible] العبودية [illegible] فازوا ببعض الثواب [illegible] فازوا بالكل [illegible]

ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين سنلقي قرئ بالنون والياء والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم فامسكوا بما اشركوا بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة فان قلت كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك قلت لم يعن ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان يقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر ولقد صدقكم الله وعده وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم ويجوز ان يكون الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك ان رسول الله صلعم جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يحسونهم اي يقتلونهم قتلا ذريعا حتى اذا فشلتم والفشل الجبن وضعف الرأي وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا هاهنا وقال بعضهم لا نخالف امر رسول الله فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر اعقابهم ينهبون وهم الذين ارادوا الدنيا فكر المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم على ما فرطتم من عصيان امر رسول الله صلعم والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء اديل لهم او اديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة فان قلت اين يتعلق حتى اذا قلت محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم نصره ويجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شيء قل ان الامر كله لله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور اذ تصعدون نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكروا والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال صعد في الجبل واصعد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة وقرأ الحسن تصعدون يعني في الجبل وتعضد الاولى قراءة أبي اذ تصعدون في الوادي وقرأ ابو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعد في السلم وقرأ الحسن تلون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتأخرة يقال جئت في آخر الناس واخراهم كما تقول في اولهم واولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى فاثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غم اذقتموه رسول الله بعصيانكم له او غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله صلعم والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما

غمّ ما نزل بكم فأثابكم غمّاً اغتمّوا في الجملة بسبب غمّ اغتممتموه لأجله ولم يثرّبكم على عصيانكم ومخالفتكم لأمره وإنما فعل ذلك ليسليكم وينفّس
عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما أصابكم من غلبة العدو ثم أنزل الله الأمن على المؤمنين وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى
نعسوا وغلبهم النوم وعن أبي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافّنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما أحد إلا يميل تحت حجفته وعن ابن
الزبير لقد رأيتني مع رسول الله صلعم حين اشتد علينا الخوف فأرسل الله علينا النوم والله إني لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان
لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا والأمنة الأمن وقرئ أمنة بسكون الميم كأنها المرة من الأمن ونعاساً بدل من أمنة ويجوز أن يكون هو المفعول وأمنة حالاً
مقدمة عليه كقولك رأيت راكباً رجلاً أو مفعولاً له بمعنى نعستم أمنة ويجوز أن يكون حالاً من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على أنه جمع آمن كبارّ وبررة
يغشى قرئ بالياء والتاء رداً على النعاس أو على الأمنة طائفة منكم هم أهل الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون قد أهمتهم أنفسهم ما بهم
إلا همّ أنفسهم لا همّ الدين ولا همّ رسول الله صلعم والمسلمين أو قد أوقعتهم أنفسهم وما حلّ بهم في الهموم والأشجان فهم في التشاكي والتباثّ غير الحق في حكم
المصدر ومعناه يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به وظن الجاهلية بدل منه ويجوز أن يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق تأكيد ليظنون
كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق تريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز أن يراد ظن
أهل الجاهلية أي لا يظن مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله يقولون لرسول الله صلعم يسألونه هل لنا من الأمر من شيء معناه هل لنا معاشر المسلمين
من أمر الله نصيب قط يعنون النصر والإظهار على العدو قل إن الأمر كله لله ولأوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وإن جندنا
لهم الغالبون يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الأمر من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق
يقولون في أنفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم إن الأمر كله لله لو كان لنا من الأمر شيء أي لو كان الأمر كما قال محمد إن الأمر كله لله ولأوليائه وأنهم
الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم يعني من علم الله منه أنه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب
ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لبرز من بينكم الذين علم الله أنهم يقتلون إلى مضاجعهم وهي مصارعهم ليكون ما علم أنه
يكون والمعنى أن الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك أنهم الغالبون لعلمه أن العاقبة في الغلبة لهم وأن دين الإسلام يظهر على الدين
كله وأن ما ينكبون به في بعض الأوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير
من شيء يعنون لم نملك شيئاً من التدبير حيث خرجنا من المدينة إلى أحد وكان علينا أن نقيم ولا نبرح كما كان رأي عبد الله بن أبي وغيره ولو ملكنا من التدبير شيئاً لما
قتلنا في هذه المعركة قل إن التدبير كله لله يريد أن الله عز وجل قد دبر الأمر كما جرى ولو أقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم
وقرئ كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل ولبرّز بالتشديد وضم الباء وليبتلي الله وليمتحن ما في صدور المؤمنين من الإخلاص ويمحص ما في
قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك أو فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص فإن قلت كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة قلت قد أهمتهم
صفة للطائفة ويظنون صفة أخرى أو حال بمعنى قد أهمتهم أنفسهم ظانين أو استئناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون فإن قلت كيف صح
أن يقع ما هو مسألة عن الأمر بدلاً من الإخبار بالظن قلت كانت مسألتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز إبداله منه ويخفون حال من يقولون وقل إن الأمر كله لله
اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون والأجود أن يكون استئنافاً إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا

ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة
خير مما يجمعون ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون استزلهم طلب منهم الزلل ودعاهم اليه ببعض ما كسبوا من ذنوبهم والمعنى ان الذين انهزموا يوم احد
كان السبب في توليهم انهم اطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولي
واتماد عاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة وتكون لطفا فيها وقال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم
من الهزيمة وقيل ببعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذي امرهم رسول الله بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها
فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا على حال مرضية فان قلت لم قيل ببعض ما كسبوا قلت هو كقوله تعالى ويعفو عن كثير ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم
واعتذارهم والله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بالعقوبة وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه ومعنى الاخوة اتفاق الجنس او النسب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى كقوله
عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة فان قلت كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا قلت هو على حكاية الحال الماضية كقولك حين
يضربون في الارض فان قلت ما متعلق ليجعل قلت قالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على ان اللام مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا
تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فان قلت ما معنى اسناد الفعل الى
الله عز وجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقاده فعلهم وما يكون عنه من الغم والحسرة
وضيق الصدر فعل الله عز وعلا كقوله يجعل صدره ضيقا كأنما يصعد في السماء ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء
كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي الامر بيده قد يحيي
المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد انه قال عند موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت كما يموت العير فلا نامت
اعين الجبناء والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء يعني الذين كفروا لمغفرة جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون
كذبا للكافرين اولا في زعمهم ان من سافر من اخوانهم او غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما
تخافونه من الهلاك بالموت او القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير
من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالياء اي يجمع الكفار لالى الله تحشرون لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله هذا الموقع
مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شأن ليس بالخفي وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ
القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم
فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون ما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم ومعنى
الرحمة ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى اثابهم غما بغم واساهم بالمباثة بعد ما خالفوه وعصوا امره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا
غليظ القلب لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم

وشاورهم في الامر اي في امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي تستظهر برايهم ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من اقدارهم وعن الحسن
قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده وعن النبي صلعم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وعن ابي هريرة ما رايت
احدا اكثر مشاورة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم فامر الله رسوله بمشاورة اصحابه
لئلا يثقل عليهم استبداده بالراي دونهم وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء
امرك على ما هو اصلح لك فانه ما لا يعلمه الا الله لا انت ولا من تشاوره وقرئ فاذا عزمت بضم التاء بمعنى فاذا عزمت لك على شيء وارشدتك
اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي
ينصركم من بعده وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده
من بعد خذلانه او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقرئ يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا وفيه ترغيب
في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله والتاييد وتحذير من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل
والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة ثم توفى
كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله وماويه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير
بما يعملون يقال غل شيئا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية ويقال اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن
في الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من بعثناه على عمل فغل شيئا جاء يوم القيمة يحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة غلول وعنه ليس على المستعير غير
المغل ضمان وعنه لا اغلال ولا اسلال ويقال اغله اذا وجده غالا كقولك ابخلته واجبنته بمعنى وما كان لنبي ان يغل يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذلك
من قرا على البناء للمفعول فهو راجع الى معنى الاول لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وفيه وجهان احدهما ان يبرئ رسول الله صلعم
من ذلك وينزهه وينبه على عصمته فان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا منه وان لا يستريب به احد كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر
فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها وروي انها نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله من اخذ شيئا
فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية
اخواننا وقوفا فقال النبي صلعم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم والثاني ان يكون مبالغة في النهي لرسول الله صلعم على ما روي انه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها
ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر
ولو قرئ ان يغل من اغل بمعنى غل جاز ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة يات بالذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله وروي الا اعرفن
احدكم ياتي ببعير له رغاء وبقرة لها خوار وشاة لها ثغاء ينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب
انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الآية فقال اذا احملها طيبة الريح خفيفة الحمل ويجوز ان يراد يات بما احتمل من وباله واثمه فان قلت هلا
قيل ثم توفى ما كسبت ليتصل به قلت جيء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ واثبت لانه اذا علم الغال ان كل كاسب
خيرا او شرا مجزي موفى جزاءه علم انه غير متخلص من تبعته مع عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون اي يعدل بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه

هم درجات اي متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله ايضا للمنية تعترفهم رجالي ام هم درج السيول وقيل ذوو درجات والمعنى
تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت بين الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها فيجازيهم على حسبها لقد من الله
على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين اولما
اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شيء قدير لقد من الله على المؤمنين على من آمن مع رسول الله من قومه
وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون بمبعثه من انفسهم من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسماعيل كما انهم من ولده فان قلت ما وجه المنة عليهم
في ان كان من انفسهم قلت اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة فكان ذلك
اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلعم وقراءة فاطمة رضي الله عنها من انفسهم
اي من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسماعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش
محمد صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابرهيم
وزرع اسماعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان
ابن اخي محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح عليه به وهو والله بعد هذا له نبا عظيم وخطر جليل وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث
فيهم وفيه وجهان ان يراد لمن من الله على المؤمنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة او يكون اذ في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير
اذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه يتلو عليهم آياته بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم ويطهرهم من دنس
القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث وقيل وياخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة بعد ما كانوا
اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم وان كانوا من قبل بعثة الرسول لفي ضلال ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره
وان الشان والحديث كانوا من قبل في ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه اولما اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها
يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين ولما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى هذا اصلا انه متولد الهمزة
للتقرير والتقريع فان قلت علام عطفت الواو هذه الجملة قلت على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده ويجوز ان تكون معطوفة على محذوف
كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انى هذا من اين هذا كقوله انى لك هذا قل هو من عند انفسكم وقوله من عند الله والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم
الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وعن علي رض لاخذكم الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه
وعلى ان يصيب بكم تارة ويصيب منكم اخرى وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله
او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله اعلم بما يكتمون
وما اصابكم يوم احد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين فهو كائن باذن الله اي بتخليته استعار الاذن لتخلية الكفار وانهم بينهم منهم ليبتليكم لان الاذن مخل
بين الماذون له ومراده وليعلم وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء وقيل لهم من جملة الصلة عطف على نافقوا
وانما لم يقل فقالوا لانه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز ان تقتصر الصلة على نافقوا

ويكون وقيل لهم كلاما مبتدأ قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون وبين ان يقاتلوا ان لم يكن بهم غم الآخرة دفعا عن انفسهم واهليهم
واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه راسا لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي ان عبد الله بن ابي انخزل مع حلفائه فقيل له ذلك وقيل
او ادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره
لو امكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل كيف وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد اكثر سوادهم
ووجه آخر وهو ان يكون معنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطاء رايكم وزللكم عن الصواب
ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى التهلكة لان راي عبد الله كان في الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان
يعني انهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن
الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين
يقولون بافواههم لا يتجاوز ايمانهم افواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان ايمانهم موجود
في افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطاة قلوبهم لافواههم والله اعلم بما يكتمون من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين
وتجهيلهم وتخطئة رايهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته

الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل
احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون

الذين قالوا في اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم او على الرد على الذين نافقوا او رفعا على هم الذين نافقوا او على الابدال من واو يكتمون ويجوز ان يجر بدلا من الضمير
في بافواههم او قلوبهم كقوله: على جوده لضن بالماء حاتم: لاخوانهم لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد او اخوانهم في النسب وفي سكنى
الدار وقعدوا اي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعونا اخواننا فيما امرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرؤا عن انفسكم الموت
ان كنتم صادقين معناه قل ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا يعني ان ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم
ان دفعتم القتل الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر اسبابه المبثوثة ولا بد لكم من ان يتعلق بكم بعضها وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون
منافقا فان قلت فقد كانوا صادقين في انهم دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين قلت معناه ان النجاة من القتل يجوز ان تكون
سببها القعود عن القتال وان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان سببها القعود
وانتم صادقون في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه آخر ان كنتم صادقين في قولكم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا
قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرؤا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرؤا جميع اسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن الخطاب
لرسول الله صلعم او لكل احد وقرئ بالياء على ولا يحسبن رسول الله او ولا يحسبن حاسب ويجوز ان يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا
اي ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فان قلت كيف جاز حذف المفعول الاول قلت هو في الاصل مبتدا فحذف كما حذف المبتدا في قوله احياء والمعنى
هم احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد واحياء بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم مقربون عنده ذوو زلفى

كقوله تعالى فالذين عند ربك يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحياء ياكلون ويشربون وهو تاكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله
فرحين بما آتيهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم احياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها
وعن النبي صلعم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر تدور في انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل
العرش ويستبشرون باخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم اي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل
لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم الا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال الذين تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم يبعثون
آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد
والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى للمؤمنين بالفوز في المآب يستبشرون
بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل كرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون من ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجر لهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته ان يحصل لهم ولا يضيع وقرئ وان الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل
وبالكسر على الابتداء وعلى ان الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي وتعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع الذين استجابوا مبتدا خبره للذين احسنوا او صفة للمؤمنين
او نصب على المدح وروي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم
من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا
حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت
ومن في للذين احسنوا منهم للتبيين مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد احسنوا كلهم واتقوا
لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لي عائشة ان ابويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني ابا بكر والزبير الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم روي
ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل
مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام
جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جراة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الابل
فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالراي اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا شريد افتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم
فوالله لا يفلت منكم احد وقيل مر بابي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون الخروج
فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم صلوات الله عليه
حين القي في النار حتى وافوا بدرا واقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع
ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه جيش السويق قالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون المثبطون والآخرون ابو سفيان
واصحابه فان قلت كيف قيل الناس ان كان نعيم هو المثبط وحده قلت قيل ذلك لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس

البرود وماله الا فرس واحد وبرد ولانه حين قال ذلك لم تخل من ناس من اهل المدينة يضامّونه ويطيلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه
فان قلت الام يرجع المستكن في فزادهم قلت الى المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم
ايمانا او الى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا له او الى الناس اذا اريد به نعيم وحده فان قلت كيف زادهم نعيم او مقوله ايمانا قلت
لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان
بتناصر الحجج ولان خروجهم على اثر تثبيطه الى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن عمر قلنا
يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر انه كان يأخذ بيد الرجل فيقول قم
بنا نزدد ايمانا وعنه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة لرجح به حسبنا الله اي كافينا يقال احسبه الشيء اذا كفاه والدليل
على انه بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا
بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم
وفضل وهو الربح في التجارة كقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو واتبعوا رضوان الله
بجرأتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا انفسهم
ما فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون
ان كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا
الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم
عذاب مهين الشيطان خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوف اولياءه جملة مستأنفة بيان لتثبيطه او الشيطان صفة لاسم الاشارة
ويخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم او ابو سفيان ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف بمعنى انما ذلكم قول الشيطان اي قول ابليس لعنه الله يخوف اولياءه يخوفكم
اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم اولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن
الخروج مع رسول الله صلعم فان قلت فالام رجع الضمير في فلا تخافوهم على هذا التفسير قلت الى الناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن
القتال وتجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يأمركم به ان كنتم مؤمنين يعني ان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا يخشون احدا الا
الله يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام فان قلت فما معنى قوله ولا يحزنك
ومن حق الرسول ان يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد قلت معناه لا يحزنوك لخوف ان يضروك ويعينوا عليك الا ترى الى قوله انهم لن يضروا الله شيئا يعني انهم
لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله الا يجعل لهم حظا في الآخرة اي
نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك ابلغ ما ضرّ به الانسان نفسه فان قلت هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا في الآخرة واي فائدة في ذكر الارادة
قلت فائدته الاشعار بان الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان
وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين يريد ان لا يرحمهم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اما ان يكون تكريرا لذكرهم للتأكيد والتسجيل عليهم

بما اضافوا اليه واما ان يكون عاما للكفار والاول خاصا فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام او على العكس وشيئا نصب على المصدر لان المعنى شيئا من الضرر
او بعض الضرر الذين كفروا فيمن قرأ بالتاء نصب وانما نملي لهم خير لانفسهم بدل منه اي ولا تحسبن انما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين
كقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن ان املاءنا خير وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة
فلا تخالف وتتبع سنة الامام في خط المصاحف فان قلت كيف صح مجيء البدل ولم يذكر الا احد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد قلت صح ذلك
من حيث ان التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحّى الا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز ان يقدر مضاف محذوف
على ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وهو فيمن قرأ بالياء رفع والفعل متعلق بان وما في
حيزه والاملاء لهم تخليتهم وشانهم مستعار من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن ان الاملاء خير
لهم من منعهم او قطع آجالهم انما نملي لهم ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستأنفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا
لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما فان قلت كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم قلت هو علة للاملاء وما كل علة بغرض الا تراك تقول قعدت
عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شيء منها بغرض لك وانما هي علل واسباب فكذلك ازدياد الاثم جعل علة للاملاء وسببا فيه فان قلت
كيف يكون ازدياد الاثم علة للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب قلت لما كان في علم الله المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله وبسببه
على طريق المجاز وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد الاثم كما يفعلون وانما هو ليتوبوا ويدخلوا
في الايمان وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه ان املاءنا خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة
بالعقوبة فان قلت فما معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة قلت معناه ولا تحسبوا ان املاءنا لزيادة الاثم وللتعذيب والواو للحال كانه قيل ليزدادوا اثما
معدا لهم عذاب مهين اللام لتأكيد النفي ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله
من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم على ما انتم عليه من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل
المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميّزه وفي رواية عن ابن كثير يميز من اماز بمعنى ميز فان قلت لمن الخطاب في انتم قلت للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كانه
قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي
الى نبيه واخباره باحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق الرجل واخلاص
الآخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بان في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلان في
قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز ان يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة
التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم
ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذوات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما استأثر الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات
القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره ببعض المغيبات فآمنوا بالله ورسله بان تقدروه حق قدره وتعلموه
وحده مطلعا على الغيوب وان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب

في عنقه وعن السدي قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير ولا يحسبن من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله صلعم او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرأ الاعمش بغير هو سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك وعن النبي صلعم في مانع الزكوة يطوق بشجاع اقرع وروي بشجاع اسود وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار ولله ميراث السموات والارض اي وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقرئ بما تعملون بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلوا اما ان يقولوه عن اعتقاد لذلك او عن استهزاء بالقرآن وايهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمردين في كفرهم ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد لهم كفاءه من العقاب سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فان قلت كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قيل ولقد كتبنا قلت ذكر وجود السماع اولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا ابدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان وبان هذا ليس باول ما ركبوه من العظائم وانهم اصلاء في الكفر ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول وروي ان رسول الله صلعم كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي ان الله فقير حين سألنا القرض فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد ما قاله ونحو قوله يد الله مغلولة ونقول ذوقوا وننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه احس وذق وقال ابو سفيان لحمزة ذق عقق وقرأ حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء وقرأ الحسن والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرأ ابن مسعود ويقال لهم ذوقوا ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير ذلك اشارة الى ما تقدم من عقابهم وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب فان قلت فلم عطف قوله وان الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات في استحقاق التعذيب قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل ان يعاقب المسئ منهم ويثيب المحسن عهد الينا امرنا في التورية واوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه الآية الخاصة وهو ان يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتأكله كما كان انبياء بني اسرائيل تلك آيتهم كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان للرسول الآتي به الا لكونه آية ومعجزة فهو اذن وسائر الآيات سواء فلا يجوز ان يعينه الله تعالى من بين الآيات وقد الزمهم الله ان انبياءهم جاؤهم بالبينات الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق وجاؤهم ايضا بهذه الآية التي

اقترحوا فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين ان الايمان يلزمكم باتيانها وقرئ بقربان بضمتين ونظيره السلطان فان قلت ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه وبمعنى الذي قلتموه من قولكم قربان تأكله النار ومؤداه كقوله لقد جاءكم من قبلي رسل بالبينات وبقربان تأكله النار ومؤداه كقولك لمن نهيتم يعودون لما قالوا والزبر الصحف والكتاب المنير التورية والانجيل والزبور وهذه تسلية لرسول الله صلعم من تكذيب قومه وتكذيب اليهود كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور قرأ اليزيدي ذائقة الموت على الاصل وقرأ الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا فان قلت كيف اتصل به قوله وانما توفون اجوركم قلت اتصاله به على ان كلكم تموتون ولا بد لكم من الموت ولا توفون اجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم عن القبور فان قلت فهذا يوهم نفي ما يروى ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار قلت كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور فمن زحزح عن النار للتنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز في المآب وعن النبي صلعم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله تعالى وحقوق العباد شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى والشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء في الانفس القتل والاسر والجراح وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصائب وفي الاموال الانفاق في سبيل الخير وما يقع فيها من الآفات وما يسمعون من اهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف من هجائه لرسول الله صلعم وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير فان تصبروا وتتقوا من عزم الامور من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب واذ اخذ الله واذكر وقت اخذ الله ميثاق اهل الكتاب لتبيننه الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له الله لتفعلن فنبذوه وراء ظهورهم فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه وكفى به دليلا على انه مأخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمبارهم او لجر منفعة او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي صلعم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت

على علمه والجاهل لجاهل ان يتكل على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا وقرئ
ليبيننه ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن لا تحسبن خطاب لرسول الله صلعم
واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين وقرئ لا يحسبن فلا يحسبنهم
بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على ان الفعل للرسول صلعم وقرا ابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني
على ان الفعل للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين وفلا يحسبنهم
تاكيد ومعنى بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده ماتيا لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا
وقرئ آتوا بمعنى اعطوا وعن علي رضي بما اوتوا ومعنى بمفازة من العذاب بنجاة منه روي ان رسول الله صلعم سال اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه
بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون
بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما اوتوا بما اتوه من علم التوراة
وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله صلعم ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابراهيم حيث ادعوا ان ابراهيم كان على اليهودية وانهم على دينه وقيل
هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله صلعم فلما قفل اعتذروا اليه بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون
بما اتوا من اظهار الايمان للمسلمين وبما نفقهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز ان
يكون شاملا لكل من ياتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد وبما ليس فيه ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم
والله على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم لايات لادلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته لاولي الالباب للذين يفتحون بصائرهم للنظر
والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفي النصائح الصغار املاء فعينيك من زينة هذه الكواكب واجلهما
في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر رضي قلت لعائشة
اخبريني باعجب ما رايت من رسول الله صلعم فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك
ان تاذني الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضا ولم يكثر من صب الماء ثم قام
يصلي فقرا من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه
بلال يؤذنه بصلوة الغداة فراه يبكي فقال له يا رسول الله ايبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال وما لي لا ابكي
وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتاملها وعن علي رضي ان النبي صلعم
كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض وحكي ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلاثين سنة اظلته سحابة
فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظلله فقالت له امه لعل فرطة فرطت منك في مدتك قال ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت
فما اتيت الا من ذاك **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا**
سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان

ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد
يذكرون الله ذكرا دائبا على اي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في اغلب احوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة انهم خرجوا يوم العيد
الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال على حسب استطاعتهم قال رسول الله صلعم لعمران بن الحصين صل قائما فان
لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء وهذه حجة للشافعي في اضجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند ابي حنيفة انه يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد
ومحل على جنوبهم نصب على الحال عطفا على ما قبله كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين ويتفكرون في خلق السموات والارض وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام
وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شان الصانع وكبرياء سلطانه وعن سفيان الثوري انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع
راسه الى السماء فلما راى الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى النجوم والى السماء
فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال النبي صلعم لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء
للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل
اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض ما خلقت هذا باطلا على ارادة
القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن
للمكلفين وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله فقنا عذاب النار لانه جزاء من عصى ولم يطع فان قلت هذا اشارة الى
ماذا قلت الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات والارض اي فيما خلق منهما ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض
لانها في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويجوز ان يكون باطلا
حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة فقد اخزيته فقد ابلغت في اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم
من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق وما للظالمين اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة
ولا غيرها تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن
ذكره ولولا الوصف او الحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله فان قلت فاي فائدة في الجمع بين المنادي وينادي قلت ذكر النداء مطلقا
ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدي للاسلام وذلك ان المنادي
اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب او لكفاية بعض النوازل او لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي
للطريق ويهدي لسداد الراي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا
وندب له واليه وناداه له واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو الرسول ادع الى الله
ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القرآن ان آمنوا اي آمنوا او بان آمنوا ذنوبنا كبائرنا سيئاتنا صغائرنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين
في جملتهم والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب على رسلك على هذه صلة للوعد في قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق

ورسلك الا تراه كيف اتبع ذكره المنادي للايمان وهو الرسول وقوله آمنوا وهو التصديق ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا
على رسلك لان الرسل محملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعداء فان قلت كيف دعوا الله بانجاز ما
وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه طلبوا التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او هو باب من اللجا الى الله تعالى والخضوع له كما كان الانبيا
عليهم الصلوة والسلام يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه واللجا الذي هو سيما العبودية فاستجاب لهم
ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا
لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب يقال استجاب له واستجابه
فلم يستجبه عند ذاك مجيب اني لا اضيع بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا اضيع بالتشديد من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم
من بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر اي من اصله او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة
بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت
فالذين هاجروا تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله
بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشاوا بما سامهم المشركون من الخسف واوذوا في سبيلي من اجله وبسببه يريد سبيل الدين وقاتلوا
وقتلوا وغزوا المشركين واستشهدوا وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثاني
للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل ثوابا في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم
وعنده مثل اي يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وبملكه وان لم يكن بحضرته وهذا
تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وحسن الاثابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر
على صعوبة تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة وروي عن جعفر الصادق
من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الآية وعن الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم
الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم ماواهم جهنم وبئس
المهاد لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد اي لا تنظر الى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولا تغترر بظاهر
ما ترى من تبسطهم في الارض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس هم اهل مكة وقيل هم اليهود وروي ان ناسا من المؤمنين
كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فان قلت كيف جاز ان يغتر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك حتى ينهى عن الاغترار قلت فيه وجهان احدهما ان مدره القوم ومتقدمهم يخاطب بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم
والثاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور بحالهم فاكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تطع
المكذبين وهذا في النهي نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا
من تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر مبتدا محذوف

اي ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد اراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب او اراد انه قليل في نفسه لانقضائه
وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع وبئس المهاد وساء ما مهدوا لانفسهم
لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار وان من اهل الكتاب لمن يؤمن
بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب
النزل والنزل ما يقام للنازل قال ابو الشعر الضبي
وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا ... جعلنا القنا والمرهفات له نزلا
وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز ان يكون بمعنى مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله من الكثير الدائم خير
للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرا مسلمة بن محارب والاعمش نزلا بالسكون وقرا يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد وان من اهل
الكتاب عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمي اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى
فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى اصحمة عطية بالعربية وذلك انه لما مات نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات
بغير ارضكم فخرج الى البقيع ونظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه
فنزلت ودخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله
حال من فاعل يؤمن لان من يؤمن في معنى الجمع لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم اي ما يختص
بهم من الاجر وهو ما وعده في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين يؤتكم كفلين من رحمته ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه
كل عامل ويجوز ان يراد ان ما توعدون لآت قريب بعد ذكر الموعد يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون
اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا اعداء الله في الجهاد اي غالبوهم في الصبر على شدائد الحروب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما
يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته ورابطوا واقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا

يا ايها الناس يا بني آدم خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد وهو نفس آدم ابيكم فان قلت علام عطف قوله
وخلق منها زوجها قلت فيه وجهان احدهما ان يعطف على محذوف كانه قيل من نفس واحدة انشاها وابتداها وخلق منها زوجها حوا من ضلع من اضلاعها
وبث منهما نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والثاني ان يعطف على خلقكم

ويكون الخطاب في يا ايها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلعم والمعنى خلقكم من نفس آدم لانه من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها امكم حوا وبث

منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر فان قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يوجبها

او يدعو اليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا اليها قلت لان ذلك مما يدل على

القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يودي الى ان يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولانه

يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها او اراد بالتقوى تقوى خاصة وهي ان يتقوه فيما يتصل

بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة فيما يجب

على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ وخالق منهما زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو

خبر مبتدا محذوف تقديره وهو خالق تساءلون به اي تتساءلون به فادغمت التاء الثانية في السين وقرئ تساءلون بطرح التاء الثانية اي يسال بعضكم بعضا بالله

وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وانا شدك الله والرحم او تسالون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك

رايت الهلال وتراءيناه ونصب حمزة من قراءة تساءلون به مهموزا وغير مهموز وقرئ والارحام بالحركات الثلاث فالنصب على وجهين اما على واتقوا الله في

الارحام او ان يعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا ونصره قراءة ابن مسعود تسالون به وبالارحام والجر عطف الظاهر على المضمر

وليس بسديد لان الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد فكانا في قولك مررت به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال

لتكرره اشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد الا ترى الى صحة قولك رايتك وزيدا ومررت بزيد

وعمرو لما لم يقو الاتصال لانه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بانها على تقدير تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر فاذهب فما بك والايام من عجب

والرفع على انه مبتدا خبره محذوف كانه قيل والارحام كذلك على معنى والارحام مما يتقى او والارحام مما يتساءل به والمعنى انهم كانوا يقرون بان لهم خالقا وكانوا

يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الارحام فلا تقطعوها واتقوا الله الذي تتعاطفون

باذكاره وباذكار الرحم وقد آذن عز وجل اذ قرن الارحام باسمه ان صلتها منه بمكان كما قال الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعن الحسن اذا سالك بالله فاعطه

واذا سالك بالرحم فاعطه وللرحم حجنة عند العرش ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها

القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم فقال يقول لاولادكم وذلك ان يضع ولده في الحلال الم تسمع قوله تساءلون به

والارحام واول صلتها ان يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع شهوة قبيحة

شهوته وهواه بغير هدى من الله وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا وان

خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعولوا

وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا اليتامى الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة

والدرة اليتيمة وقيل اليتم في الاناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الامهات فان قلت كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى قلت فيه وجهان ان يجمع على

يتمى كاسرى لان اليتم من وادي الآفات والاوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كاسارى ويجوز ان يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس

فقال اليتامى ثم يتامى على القلب. وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ
الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا اكفاء يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يتيم ابي طالب اما على القياس واما حكاية للحال التي كان عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا له واما قوله صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم فما هو الا تعليم
شريعة لا لغة يعني انه اذا احتلم لم تجر عليه احكام الصغار. **فان قلت** فما معنى قوله وآتوا اليتامى اموالهم **قلت** اما ان يراد باليتامى الصغار وبايتائهم
الاموال ان لا يطمع فيها الاولياء والاوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها ايديهم الخاطفة حتى تأتي اليتامى اذا بلغوا سالمة غير محذوفة واما ان يراد
الكبار تسمية لهم يتامى على القياس او لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشارا بعد وضعها على ان فيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم عن حد
البلوغ ولا يمطلوا ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما
بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر
قالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت اجر الغلام وبقي الوزر على والده ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب
ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتأكلوه مكانه او لا تستبدلوا الامر الخبيث
وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار
قال ذو الرمة . فيا كرم السكن الذين تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل . اراد ويا لؤم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو ان يعطي رديا
ويأخذ جيدا وعن السدي ان يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبدل انما هو تبديل الا ان يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان
سمينة من مال الصبي ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها اليها في الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم
قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال **فان قلت** قد حرم عليهم اكل مال اليتامى وحده ومع اموالهم فلم ورد النهي عن اكله معها **قلت**
لانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ والذم احق ولانهم كانوا يفعلون
كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم والحوب الذنب العظيم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان طلاق ام ايوب لحوب فكانه قيل انه كان ذنبا عظيما
كبيرا وقرأ الحسن حوبا بفتح الحاء [illegible] حاب يحوب حوبا وحابا ونظير الحوب والحاب القول والقال والطرد والطرد ولما نزلت الآية في
اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب بترك الاقساط في حقوق اليتامى واخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم
ربما كانت تحته العشر من الازواج والثمان والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم
منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لانه انما وجب
ان يتحرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل لهم ان خفتم الجور في حق
اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا
بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم

ألا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للإناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل أيامى والأصل أيايم ويتائم
وقرأ النخعي تَقسطوا بفتح التاء على أن لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وإن خفتم أن تجوروا ما طاب لكم ما حل لكم من النساء لأن منهن ما حرم كاللاتي في آية
التحريم وقيل ما ذهابا إلى الصفة ولأن الإناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى أو ما ملكت أيمانكم مثنى وثلاث ورباع معدولة عن أعداد مكررة
وإنما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغتها وعدلها عن تكررها وهي نكرات يعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن
النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا **فإن قلت** الذي أطلق للناكح
في الجمع أن يجمع بين ثنتين أو ثلاث أو أربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع **قلت** الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذي
أطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ولو أفردت لم يكن له معنى **فإن قلت** فلم جاء العطف
بالواو دون أو **قلت** كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين أو ثلاثة ثلاثة أو أربعة أربعة أعلمت
أنه لا يسوغ لهم أن يقتسموه إلا على أحد أنواع هذه القسمة وليس لهم أن يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب
معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة الذي دلت عليه الواو وتحريره أن الواو دلت على إطلاق أن يأخذ الناكحون من أرادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع إن شاؤا مختلفين
في تلك الأعداد وإن شاؤا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرأ إبراهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا بين هذه الأعداد
كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فواحدة فالزموا أو فاختاروا واحدة وذروا الجمع رأسا فإن الأمر كله يدور مع العدل فأينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدةٌ
بالرفع على فالمقنع واحدة أو فكفت واحدة أو فحسبكم واحدة أو ما ملكت أيمانكم سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الإماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري
إنهن أقل تبعة وأقصر شغبا وأخف مؤنة من المهائر لا عليك أكثرت منهن أم أقللت عدلت بينهن في القسم أم لم تعدل عزلت عنهن أم لم تعزل وقرأ ابن أبي عبلة من ملكت
ذلك إشارة إلى اختيار الواحدة والتسري أدنى ألا تعولوا أقرب من أن لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا إذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم في حكمه
إذا جار وروي أن أعرابيا حكم عليه حاكم فقال له أتعول علي وقد روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تعولوا ألا تجوروا والذي يحكى عن الشافعي
أنه فسر ألا تعولوا أن لا تكثر عيالكم فوجهه أن يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولهم مانهم يمونهم إذا أنفق عليهم لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم
وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤوس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة
والسداد وأن لا يظن به تحريف تعيلوا إلى تعولوا فقد روي عن عمر بن الخطاب رض لا تظنن بكلمة خرجت من في أخيك سوءا وأنت تجد لها في الخير محملا وكفى
بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بأنه كان أعلى كعبا وأطول باعا في علم كلام العرب من أن يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا
وأساليب فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات **فإن قلت** كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في المهائر **قلت** ليس كذلك لأن الغرض
بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير إذنهن فكان التسري مظنة لقلة الولد بالإضافة إلى التزوج كتزوج الواحدة
بالإضافة إلى تزوج الأربع وقرأ طاوس أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي رض من حيث المعنى الذي قصده
صدقاتهن مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة وقرئ صَدْقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصُدْقاتهن بضم الصاد وسكون
الدال جمع صُدْقة بوزن غرفة وقرئ صُدُقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك في ظلمة ظلمة نحلة من نحله كذا إذا أعطاه

لأن ما سؤال عن الصفة كما أن من سؤال عن الذات

إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث أبي بكر رضي الله عنه إني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لأن النحلة
والإيتاء بمعنى الإعطاء فكأنه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة أي أعطوهن مهورهن عن طيبة أنفسكم أو على الحال من المخاطبين أي آتوهن
صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالإعطاء أو من الصدقات أي منحولة معطاة عن طيبة الأنفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن
وقيل النحلة الملة ونحلة الإسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا أي يدين به والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على أنها مفعول لها ويجوز أن يكون حالا
من الصدقات أي دينا من الله شرعه وفي صدر الخطاب للأزواج وقيل للأولياء لأنهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة
لمن تولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك أي تعظمه الضمير في منه جار مجرى اسم الإشارة كأنه قيل عن شيء من ذلك كما قال الله تعالى قل أؤنبئكم
بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من أفواه العرب ما روي عن رؤبة أنه قيل له في قوله كأنه في الجلد توليع البهق
فقال أردت كأن ذاك أو يرجع إلى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق لأنك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله فأصدق وأكن
من الصالحين كأنه قيل أصدق ونفسا تمييز وتوحيدها لأن الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فإن وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن
طيبات غير مخبثات بما يضطرهن إلى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه فأنفقوه قالوا فإن وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة
علم أنها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي أن رجلا أتى مع امرأته شريحا في عطية أعطتها إياه وهي تطلب أن ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل أليس
قد قال الله فإن طبن لكم فقال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه أقيلها فيما وهبت ولا أقيله لأنهن يخدعن وحكي أن رجلا من آل أبي معيط
أعطته امرأته ألف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته إلى عبد الملك بن مروان فقال الرجل أعطتني طيبة بها
نفسها فقال عبد الملك فأين الآية التي بعدها فلا تأخذوا منه شيئا اردد عليها وعن عمر أنه كتب إلى قضاته إن النساء يعطين رغبة ورهبة
فأيما امرأة أعطت ثم أرادت أن ترجع فذلك لها وعن ابن عباس أن رسول الله صلعم سئل عن هذه الآية فقال إذا جادت لزوجها بالعطية طائعة
غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة وروي أن ناسا كانوا يتأثمون أن يرجع أحدهم في شيء مما ساق إلى امرأته فقال
الله تعالى إن طابت نفس واحدة من غير إكراه ولا خديعة فكلوه هنيئا مريئا وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بني
الشرط على طيب النفس فقيل فإن طبن ولم يقل فإن وهبن أو سمحن إعلاما بأن المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فإن طبن لكم عن شيء
منه ولم يقل فإن طبن لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها إلا باليسير وعن الأوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد
أو تقم في بيت زوجها سنة ويجوز أن يكون تذكير الضمير لينصرف إلى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو أنث لتناول ظاهره هبة الصداق كله
لأن بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا الهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ إذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء
ما يحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم إلى فم المعدة المريء لمروء الطعام فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر أي أكلا
هنيئا مريئا أو حال من الضمير أي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى أنهما صفتان أقيمتا مقام المصدرين كأنه قيل
هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الإباحة وإزالة التبعة ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم
وقولوا لهم قولا معروفا وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا

وبدارا ان يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا

السفهاء المبذرون اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضاف الاموال اليهم لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل على انه خطاب للاولياء في اموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكانها في انفسها قيامكم وانتعاشكم وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرأ عبد الله بن عمر قواما بالواو وقوام الشيء ما يقام به كقولك هو ملاك الامر لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان اترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا فقال لئن ادنتني من الدنيا لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما ياكل دينه وربما راوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك وارزقوهم فيها واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فلا ياكلها الانفاق وقيل هو امر لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء قريب او اجنبي رجل او امراة يعلم انه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده قولا معروفا قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وعن عطاء اذا ربحت اعطيتك وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله واياك بارك الله فيك وكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا تبينتم منهم رشدا اي هداية دفعتم اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ وبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد والتناسل والايناس الاستيضاح فاستعير للتبيين واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء عند ابي حنيفة واصحابه ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه والرشد التهدي الى وجوه التصرف وعن ابن عباس رضه الصلاح في العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعي الابتلاء ان تتبع احواله وتصرفه في الاخذ والاعطاء ويتبصر مخايله وميله الى الدين والرشد الصلاح في الدين لان الفسق مفسدة للمال فان قلت فان لم يؤنس منه رشد الى حد البلوغ قلت عند ابي حنيفة ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يونس وعند اصحابه لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد فان قلت ما معنى تنكير الرشد قلت معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد فان قلت كيف نظم هذا الكلام قلت ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتي في قوله

فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل

والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقرأ ابن مسعود فان احستم بمعنى احسستم قال احسن به فهن اليه شوس وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين اسرافا وبدارا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا ثم قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعفف من اكلها ولا يطمع ويقتنع بما رزقه الله

من الغني اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة او استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف
ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما أفآكل من ماله
قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله قال أفأضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس ان ولي اليتيم قال له أفأشرب من لبن ابله قال
ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم فليأكل بالمعروف
ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابراهيم لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة وواري العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة
الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر
ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل
وعن عمر بن الخطاب رض اني انزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت
واستعفف ابلغ من عف كأنه طالب زيادة العفة فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك ابعد من التجاحد والتخاصم
وادخل في الامانة وبراءة الساحة ولا ترى انه اذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة
فكان في الاشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع
والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبا مفروضا واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم
قولا معروفا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ان الذين يأكلون
اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا الاقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل
من ما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا نصب على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستأثر به ويجوز
ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كأنه قيل قسمة مفروضة روي ان اوس بن صامت الانصاري ترك امرأته ام كجة وثلاث بنات
فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح
وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلعم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا
من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم
واذا حضر القسمة اي قسمة التركة اولوا القربى ممن لا يرث فارزقوهم منه الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو امر ندب قال الحسن كان
المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله على ذلك تأديبا من غير ان يكون فريضة قالوا
ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروي ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر رض قسم ميراث ابيه وعائشة حية فلم يدع في
الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الآية وقيل هو على الوجوب وقيل نسخ باية الميراث كالوصية وعن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت والله
ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس والقول المعروف ان يلطفوا لهم القول ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا

ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم لو مع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا ويجوز ان يتصل بما قبله وان يكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم واليتامى والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضايعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة فان قلت ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين قلت معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القايل ∴ لقد زاد الحيوة الي حبا ∴ بناتي انهن من الضعاف ∴ احاذر ان يرين البوس بعدي ∴ وان يشربن رنقا بعد صافي وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى وسكارى والقول السديد من الاوصياء ان لا يوذوا اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي ومن الجالسين الى المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلعم لسعد انك ان تترك ولدك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رض يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين ظالمين على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال ∴ كلوا في بعض بطنكم تعفوا ∴ ومعنى ياكلون نارا ما يجر الى النار فكانه نار في الحقيقة وروي انه يبعث اكل مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم في الدنيا وقرئ سيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها او دين اباوكم وابناوكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما يوصيكم الله يعهد اليكم ويامركم في اولادكم في شان ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر قلت ليبدا ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله كان ادل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الاية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به فان قلت فان حظ الانثيين الثلثان فكانه قيل للذكر الثلثان قلت اريد حال الاجتماع لا الانفراد اي اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين واما في حال الانفراد فالابن ياخذ المال كله والبنتان تاخذان الثلثين والدليل على ان الغرض حكم الاجتماع انه اتبعه حكم الانفراد وهو قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم فحذف

الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم فان كن نساء فان كانت البنات او المولودات نساء خلصا ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين يجوز ان يكون خبرا ثانيا لكان وان يكون صفة لنساء اي نساء زايدات على اثنتين وان كانت واحدة وان كانت البنت او المولودة منفردة فذة ليس معها اخرى فلها النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب اوفق لقوله فان كن نساء وقرا زيد بن ثابت النصف بالضم والضمير في ترك للميت لان الاية لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت فان قلت قوله للذكر مثل حظ الانثيين كلام مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف صح ان يردف قوله فان كن نساء وهو لبيان حظ الاناث قلت وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا انه لما فقه منه وتبين حظ الانثيين مع اخيهما كان كانه مسوق للامرين جميعا فلذلك صح ان يقال فان كن نساء فان قلت هل يصح ان يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة قلت لا ابعد ذلك فان قلت لم قيل فان كن نساء ولم يقل وان كانت امراة قلت لان الغرض ثمة خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن ليتميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن واريد ههنا ان يميز بين كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها فان قلت قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر قلت اما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس ابى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فاعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف واما ساير الصحابة فقد اعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على ان حكم الانثيين حكم الذكر وذلك ان الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للاثنتين وهو الثلثان لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل ان البنتين امس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما اوجب الله للاختين ولم يروا ان يقصروا بهما عن حظ من هو ابعد رحما منهما وقيل ان البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث كانت احرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها ايضا مع اخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولابويه الضمير للميت ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفايدة هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها فان قلت فهلا قيل ولكل من ابويه السدس واي فايدة في ذكر الابوين اولا ثم في الابدال منهما قلت لان في الابدال والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر والتفسير والسدس مبتدا وخبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرا الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن والولد يقع على الذكر والانثى ويختلف حكم الاب في ذلك فان كان ذكرا اقتصر بالاب على السدس وان كان انثى عصب مع اعطاء السدس فان قلت قد بين حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه الثلث واي فايدة في قوله وورثه ابواه قلت معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس مما ترك لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس رض والمعنى ان الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت ما العلة في ان كان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال قلت فيه وجهان احدهما ان الزوج انما استحق ما يسهم بحق العقد لا بالقرابة

فأشبه الوصية في قسمة ما وراءه والثاني أن الأب أقوى في الإرث من الأم بدليل أنه يضعف عليها إذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعاً بين الأمرين
فلو ضرب لها الثلث كملاً لأدى إلى حط نصيبه عن نصيبها ألا ترى أن امرأة لو تركت زوجاً وأبوين فصار للزوج النصف وللأم الثلث والباقي للأب
حازت الأم سهمين والأب سهماً واحداً فينقلب الحكم إلى أن يكون للأنثى مثل حظ الذكرين فإن كان له إخوة فلأمه السدس الإخوة يحجبون الأم من الثلث
وإن كانوا لا يرثون مع الأب فيكون لها السدس وللأب خمسة الأسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعداً إلا عند ابن عباس رضي الله عنه وعنه أنهم يأخذون
السدس الذي حجبوا عنه الأم فإن قلت فكيف صح أن يتناول الإخوة الأخوين والجمع خلاف التثنية قلت الإخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير
كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في إفادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالإخوة عليه وقرئ فلإمه بكسر الهمزة إتباعاً
للجر ألا تراها لا تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية من بعد وصية متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كأنه قيل قسمة
هذه الأنصباء من بعد وصية يوصي بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففاً فإن قلت ما معنى أو قلت معناها الإباحة
وأنه إن كان أحدهما أو كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين فإن قلت لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة
قلت لما كانت الوصية مشبهة بالميراث في كونها مأخوذة من غير عوض كان إخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب أنفسهم بها فكان
أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فإن نفوسهم مطمئنة إلى أدائه فلذلك قدمت على الدين بعثاً على وجوبها والمسارعة إلى إخراجها مع الدين
ولذلك جيء بكلمة أو للتسوية بينهما في الوجوب ثم أكد ذلك ورغب فيه بقوله آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً أي لا تدرون من أنفع لكم من آبائكم وأبنائكم الذين
يموتون أمن أوصى منهم أم من لم يوص يعني أن من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بإمضاء وصيته فهو أقرب لكم نفعاً وأحضر جدوى ممن ترك
الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض الدنيا ذهاباً إلى حقيقة الأمر لأن عرض الدنيا وإن كان عاجلاً قريباً في الصورة
إلا أنه فان فهو في الحقيقة الأبعد الأقصى وثواب الآخرة وإن كان آجلاً إلا أنه باق فهو في الحقيقة الأقرب الأدنى وقيل إن الابن إن كان أرفع
درجة من أبيه في الجنة سأل أن يرفع أبوه إليه فيرفع وكذلك الأب إن كان أرفع درجة من ابنه سأل أن يرفع ابنه إليه فأنتم لا تدرون في الدنيا أيهم أقرب
لكم نفعاً وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع فوضعتم أنتم الأموال على غير حكمة وقيل الأب تجب
عليه النفقة على الابن إذا احتاج وكذلك الابن إذا كان محتاجاً فهما في النفع بالنفقة لا يدرى أيهما أقرب نفعاً وليس شيء من هذه الأقاويل بملائم
للمعنى ولا مجاوب له لأن هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض أن يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم فريضة نصبت نصب المصدر
المؤكد أي فرض ذلك فرضاً إن الله كان عليماً بمصالح خلقه حكيماً في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن
لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن
الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر
من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم تلك حدود الله ومن يطع الله
ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب
مهين فإن كان لهن ولد منكم أو من غيركم جعلت المرأة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب

والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن وإن كان رجل يعني الميت يورث من ورث أي يورث منه وهو صفة لرجل وكلالة خبر كان أي وإن كان رجل
موروث منه كلالة أو يجعل يورث خبر كان وكلالة حالاً من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورّث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال
أو مفعول به فإن قلت ما الكلالة قلت تنطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولداً ولا والداً وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة
الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة
من الإعياء قال الأعشى فآليت لا أرثي لها من كلالة ولا من حفى حتى تلاقي محمداً فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد
لأنها بالإضافة إلى قرابتهما كالة ضعيفة وإذا جعل صفة للموروث أو الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز أن
يكون صفة كالهجاجة والفقاقة للأحمق فإن قلت فإن جعلتها اسماً للقرابة في الآية فعلام تنصبها قلت على أنها مفعول له أي يورث لأجل
الكلالة أو يورث غيره لأجلها فإن قلت فإن جعلت يورث على البناء للمفعول من أورث فما وجهه قلت الرجل حينئذ هو الوارث لا الموروث
فإن قلت فالضمير في قوله فلكل واحد منهما إلى من يرجع حينئذ قلت إلى الرجل وإلى أخيه أو أخته وعلى الأول إليهما فإن قلت إذا رجع الضمير إليهما
أفاد استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الأنثى فهل تبقى هذه الفائدة قائمة في هذا الوجه قلت نعم لأنك إذا قلت السدس له أو لواحد
من الأخ أو الأخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والأنثى وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن الكلالة فقال أقول فيه برأيي فإن كان صواباً
فمن الله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك أن الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن
جبير هو الوارث وقد أجمعوا على أن المراد أولاد الأم وتدل عليه قراءة أبي وله أخ أو أخت من الأم وقراءة سعد بن أبي وقاص وله أخ أو أخت من أم وقيل
إنما استدل على أن الكلالة ههنا الإخوة للأم خاصة بما ذكر في آخر السورة من أن للأختين الثلثين وأن للإخوة كل المال فعلم ههنا أنه لما جعل للواحد
السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا على الثلث شيئاً أنه يعني بهم الإخوة للأم وإلا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الإخوة الأخياف والأعيان
وأولاد العلات وغيرهم غير مضار حال أي يوصي بها وهو غير مضار لورثته وذلك أن يوصي بزيادة على الثلث أو يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة
ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله تعالى وعن قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين أن يوصي بدين ليس عليه
ومعناه الإقرار وصية من الله مصدر مؤكد أي يوصيكم الله بذلك وصية كقوله فريضة من الله ويجوز أن تكون منصوبة بغير مضار أي لا يضار وصية
من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث أو وصية من الله بالأولاد وأن لا يدعهم عالة بإسرافه في الوصية وينصر هذا الوجه قراءة الحسن
غير مضار وصية من الله بالإضافة والله عليم بمن جار أو عدل في وصيته حليم عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد فإن قلت فيوصى ضمير الرجل
إذا جعلته الموروث فكيف إذا جعلته الوارث قلت كما عملت في قوله تعالى فلهن ثلثا ما ترك لأنه علم أن التارك والموصي هو الميت
فإن قلت فأين ذو الحال فيمن قرأ يوصى بها على ما لم يسم فاعله قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لأنه لما قيل يوصى بها علم أن ثم موصياً
كما قال يسبح له على ما لم يسم فاعله فعلم أن ثم مسبحاً فأضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما دل عليه يسبح كان غير مضار حالاً عما دل عليه
يوصى بها تلك إشارة إلى الأحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدوداً لأن الشرائع كالحدود المضروبة الموقتة
للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها ويتخطوها إلى ما ليس لهم بحق يدخله قرئ بالياء والنون وكذلك يدخله ناراً وقيل يدخله

وخالدين حالا على اللفظ ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال فإن قلت هل يجوز أن يكونا صفتين لجنات ونارا قلت لا لأنهما جريا على
غير من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن
شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله
كان توابا رحيما إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما
وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم
عذابا أليما يأتين الفاحشة يرهقنها يقال أتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفي قراءة ابن مسعود يأتين بالفاحشة والفاحشة الزنا
لزيادتها في القبح على كثير من القبائح فأمسكوهن في البيوت فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في أول الإسلام ثم نسخ بقوله
تعالى الزانية والزاني الآية ويجوز أن تكون غير منسوخة بأن يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بإمساكهن في البيوت بعد أن يحددن
صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال أو يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح
وقيل السبيل هو الحد لأنه لم يكن مشروعا ذلك الوقت فإن قلت ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كأنه قيل يميتهن الموت قلت
يجوز أن يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت أو حتى يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن
واللذان يأتيانها منكم يريد الزاني والزانية فآذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله فإن تابا وأصلحا وغيرا الحال
فأعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ والمذمة فإن التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل أن يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما
ويراد بالإيذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع إلى الإمام والحد فإن تابا قبل الرفع إلى الإمام فأعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت
الأولى في السحاقات وهذه في اللواطين وقرئ واللذان بتشديد النون واللذأن بالهمزة وتشديد النون التوبة من تاب الله عليه إذا قبل توبته
وغفر له يعني إنما القبول والغفران واجب على الله تعالى لهؤلاء بجهالة في موضع الحال أي يعملون السوء جاهلين سفهاء لأن ارتكاب القبيح مما يدعو
إليه السفه والشهوة لا مما تدعو إليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته من قريب من زمان قريب
والزمان القريب ما قبل حضرة الموت ألا ترى إلى قوله حتى إذا حضر أحدهم الموت فبين أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة
فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب وعن ابن عباس قبل أن ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي
ما لم يؤخذ بكظمه وروى أبو أيوب عن النبي صلعم إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن أن
إبليس قال حين أهبط إلى الأرض وعزتك لا أفارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال وعزتي لا أغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر
فإن قلت ما معنى من في قوله من قريب قلت معناه التبعيض أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت
زمانا قريبا ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب وإلا فهو تائب من بعيد فإن قلت ما فائدة قوله فأولئك يتوب الله عليهم
بعد قوله إنما التوبة على الله لهم قلت قوله إنما التوبة على الله إعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فأولئك يتوب الله
عليهم عدة بأنه يفي بما وجب عليه وإعلام بأن الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب ولا الذين يموتون عطف على الذين يعملون

السيئات سوى بين الذين سوفوا توبتهم إلى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه لا توبة لهم لأن حضرة الموت أول أحوال الآخرة فكما أن
المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف إلى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما أوان التكليف والاختيار أولئك أعتدنا لهم
في الوعيد نظير قوله أولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين أن الأمرين كائنان لا محالة فإن قلت من المراد بالذين يعملون السيئات أهم الفساق
من أهل القبلة أم الكفار قلت فيه وجهان أحدهما أن يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وأن يراد الفساق لأن الكلام إنما وقع في الزانيين والإعراض
إن تابا وأصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله تعالى ومن كفر فإن الله غني عن العالمين وقوله صلى الله عليه وسلم فليمت إن شاء
يهوديا أو نصرانيا من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر لأن من كان مصدقا ومات وهو لم يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لأنه لا يجترئ
على ذلك إلا قلب مصمت يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين
بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وإن أردتم استبدال زوج
مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن
بأنواع الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل إذا مات له قريب من أب أو أخ أو حميم عن امرأة ألقى ثوبه عليها وقال أنا أحق بها من كل أحد فقيل لهم
لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها أي أن تأخذوهن على سبيل الإرث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك أو مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل
لا يحل لكم أن تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بإمساككم وكان الرجل إذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر
لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها إذا اختنقت
رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وشكاسة الخلق وإيذاء الزوج وأهله بالبذاء والسلاطة أي إلا أن
يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع ويدل عليه قراءة أبي إلا أن يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنا فإن فعلت حل لزوجها
أن يسألها الخلع وقيل كانوا إذا أصابت امرأة فاحشة أخذوا منها ما ساق إليها وأخرجوها وعن أبي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتى يوجد
رجل على بطنها وعن قتادة لا يحل له أن يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وإن زنت وقيل نسخ ذلك بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل
لهم وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت والنفقة والإجمال في القول فإن كرهتموهن فلا تفارقوهن لكراهة الأنفس وحدها
فربما كرهت النفس ما هو أصلح في الدين وأحمد وأدنى إلى الخير وأحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في أسباب الصلاح وكان الرجل إذا طمحت عينه
إلى استطراف امرأة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها إلى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه إلى تزوج غيرها فقيل وإن أردتم
استبدال زوج الآية والقنطار المال العظيم من قنطرت الشيء إذا رفعته ومنه القنطرة لأنها بناء مشيد قال كقنطرة الرومي أقسم ربها
لتكتنفن حتى تشاد بقرمد وعن عمر رضه أنه قام خطيبا فقال أيها الناس لا تغالوا بصدق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله
لكان أولاكم بها رسول الله صلعم ما أصدق امرأة من نسائه أكثر من اثنتي عشرة أوقية فقامت إليه امرأة فقالت له يا أمير المؤمنين لم تمنعنا
حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم إحداهن قنطارا فقال عمر كل أحد أعلم من عمر ثم قال لأصحابه تسمعونني أقول مثل هذا فلا تنكرونه
علي حتى ترد علي امرأة ليست من أعلم النساء والبهتان أن يستقبل الرجل بأمر قبيح يبهت فيه وهو بريء منه لأنه يبهت عند ذلك أي يتحير

وانتصب بهتانا على الحال اى باهتين وآثمين او على انه مفعول له وان لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض
واخذن منكم ميثاقا غليظا ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم
وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم
من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد
سلف ان الله كان غفورا رحيما والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كانه قيل واخذن به منكم ميثاقا غليظا اى بافضاء بعضكم الى بعض ووصفه
بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجرى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو قول الولى عند العقد انكحتك
على ما فى كتاب الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان وعن النبى صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان فى ايديكم اخذتموهن بامانة الله
واستحللتم فروجهن بكلمة الله وكانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه من ذوى مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتى
ومن ثم قيل ومقتا كانه قيل هو فاحشة فى دين الله بالغة فى القبح قبيح ممقوت فى المروءة ولا مزيد على ما يجمع القبحين لا يحل لكم النساء على ان
ترثوا بمعنى الوراثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة والاكراه وقرئ بفاحشة مبينة من ابانت بمعنى تبينت او بينت كما قرئ مبينة بكسر الياء وفتحها
ويجعل الله بالرفع على انه فى موضع الحال وآتيتم احداهن بوصل همزة احداهن كما قرئ فلا اثم عليه فان قلت تعضلوهن ما وجه اعرابه قلت النصب
عطفا على ان ترثوا ولا لتأكيد النفى اى لا يحل لكم ان ترثوا النساء ولا ان تعضلوهن فان قلت اى فرق بين تعديته ذهب بالباء وبينها بالهمزة قلت
اذا عدى بالباء فمعناه الاخذ والاستصحاب كقوله تعالى فلما ذهبوا به واما الاذهاب فكالازالة فان قلت الا ان يأتين ما هذا الاستثناء قلت
هو استثناء من اعم عام الظرف او المفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن فى جميع الاوقات الا وقت ان يأتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل
الا لان يأتين بفاحشة فان قلت من اى وجه صح قوله فعسى ان تكرهوا جزاء للشرط قلت من حيث ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن
مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه فان قلت كيف استثنى ما قد سلف مما نكح اباؤكم قلت كما استثنى غير ان سيوفهم
من قوله ولا عيب فيهم يعنى ان امكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة فى تحريمه وسد الطريق الى اباحته
كما يعلق بالمحال فى التأبيد فى نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل فى سم الخياط معنى حرمت عليكم امهاتكم تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح
اباؤكم من النساء ولان تحريم نكاحهن هو الذى يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله وقرئ وبنات الاخت بتخفيف الهمزة
وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له
من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته
لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحرم من الرضاع كحرمة النسب الا فى
مسئلتين احداهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المانع فى النسب وطء امها
وهذا المعنى غير موجود فى الرضاع من نسائكم متعلق بربائبكم ومعناه ان الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها
فان قلت هل يصح ان يتعلق بقوله وامهات نسائكم قلت لا يخلو اما ان يتعلق بهن وبالربائب فتكون حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين

جميعا

جميعا واما ان يتعلق بهن دون الربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة فلا يجوز الاول لان معنى من مع احد المتعلقين خلاف معناه
مع الآخر الا تراك اذا قلت وامهات نسائكم اللاتى دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن واذا قلت وربائبكم
من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فانك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وليس بصحيح ان يعنى بالكلمة الواحدة فى خطاب واحد
معنيان مختلفان ولا يجوز الثانى لان ما يليه هو الذى يستوجب التعليق به ما لم يعرض امر لا يرد الا ان تقول اعلقه بالنساء والربائب واجعل من للاتصال
كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فانى لست منك ولست منى ما انا من دد ولا الدد منى وامهات النساء متصلات بالنساء
لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان تحريم امهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله
وقد روى عن النبى صلعم فى رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه قال لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن
الحصين رضى الله عنهما ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هى مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله الا ما روى عن على وابن عباس
وزيد وابن عمر وابن الزبير انهم قرأوا وامهات نسائكم اللاتى دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا وعن جابر روايتان وعن سعيد بن
المسيب عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت مقام الدخول فى ذلك كما قام مقامه
فى باب المهر وسمى ولد المرأة من غيره ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده فى غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما فان قلت
ما فائدة قوله فى حجوركم قلت فائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن او لكونهن بصدد احتضانكم وفى حكم التقلب فى حجوركم اذا دخلتم
بامهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بان تجروا اولادهن مجرى اولادكم كانكم
فى العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن على رضى الله عنه انه شرط ذلك فى التحريم وبه اخذ داود فان قلت ما معنى دخلتم بهن قلت هى كناية عن الجماع كقولهم
بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعنى ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابى حنيفة وعن عمر رضى الله عنه انه خلا
بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق انه امر ان تباع جاريته بعد موته وقال اما انى لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدى
من اللمس والنظر وعن الحسن فى الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن ابى سليمان اذا نظر الى
فرج امرأة فلا ينكح امها ولا ابنتها وعن الاوزاعى اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده واغلق الباب وارخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس
وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده الذين من اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلعم زينب بنت جحش الاسدية بنت عمته
اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم وان تجمعوا فى موضع الرفع عطف على
المحرمات اى وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم فى الآية تحريم النكاح واما الجمع بينهما فى ملك اليمين فعن عثمان وعلى رضى الله عنهما
انهما قالا احلتهما آية وحرمتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح على التحريم وعثمان التحليل الا ما قد سلف ولكن ما مضى مغفور
بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم
محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما
حكيما والمحصنات القراءة بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف انه قرأ بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن

ونى كلا ته اشكال تو ى وسوال المحصنات في قوله فعليهن نصف ما على المحصنات اما ان يكون المراد منه الحراير المتزوجات او المراد منه الحراير الابكار والثيب في اطلاق اسم المحصنات عليهن حريتهن والاول مشكل لان الواجب الحراير المتزوجات في الزنا الرجم وهذا يقتضى ان يجب في زنا الاماء نصف الرجم ومعلوم ان ذلك باطل والثاني لا يكون المراد الحراير الابكار فنصف ما عليهن خمسون جلدة وهذا القدر واجب في زنا الاماء سواء كانت محصنة او لم تكن وحينئذ يكون هذا الحكم معلقا بمجرد صدور الزنا عنهن وظاهر الآية يقتضي كونه معلقا بمجموع الامرين الاحصان والزنا لان قوله فاذا احصن فان اتين بفاحشة شرط بعد شرط فيقتضي كون الحكم مشروطا بهما والجواب انا نختار القسم الثاني وقوله فاذا احصن ليس المراد منه جعله الاحصان شرطا لان يجب في زناها خمسون جلدة بل المعنى ان حد الزنا يغلظ عند التزوج فهي اذا زنت وقد تزوجت

بالتزويج فهن محصنات ومحصنات الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق ⁂ وذات حليل انكحتها رماحنا ⁂ حلال لمن يبني بها لم تطلق ⁂ كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفريضة وهو تحريم ما حرم فان قلت علام عطف قوله واحل لكم قلت على الفعل المضمر الذي نصب كتاب اي كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراءة اليماني كتب الله عليكم واحل لكم وروى عن اليماني كتب الله عليكم على الجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم ومن قرأ واحل لكم على البناء للمفعول فقد عطفه على حرمت ان تبتغوا مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والاموال المهور وما يخرج في المناكح فان قلت اين مفعول تبتغوا قلت يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا بدلا من ما وراء ذلكم مسافحين الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وماذيني من المذي فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فآتوهن اجورهن عليه فاسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله تعالى ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان يكون ما في معنى النساء ومن للتبعيض او البيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن واجورهن مهورهن لان المهر ثواب على البضع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او يزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت كان الرجل ينكح المرأة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر رض لا اوتى برجل تزوج امرأة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلعم انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن باذن اهلهن وآتوهن اجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم والله غفور رحيم الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول اي زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طائل ⁂ قال ⁂ لقد زادني حبا لنفسي انني ⁂ بغيض الى كل امرئ غير طائل ⁂ ومنه قولهم ما خلا منه بطائل اي بشيء يعتد به مما له فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة قال ابن عباس من ملك ثلثمائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي واما ابو حنيفة فيقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة ويفسر الآية بان من لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة ويروى عن ابن عباس انه قال ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وكذلك قوله من فتياتكم المؤمنات الظاهر ان لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب اهل الحجاز

١٠١

قوله الا اتاهم من قبل النساء وهذا استثناء من نفي وهو استثناء مفرغ في الاثبات فيلزم حصول الاياس للشيطان من جهة النساء والجواب ان الاستثناء مفرغ والتقدير ما فعل الشيطان شيئا في حال من الاحوال الا ان اتاهم من قبل النساء

وعند اهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المؤمنة افضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على ان الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا انه ليس بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه افضل فان قلت لم كان نكاح الامة منحطا عن نكاح الحرة قلت لما فيه من اتباع الولد الام في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وقوله من فتياتكم اي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين فان قلت فما معنى قوله والله اعلم بايمانكم قلت معناه ان الله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة والمرأة افضل من الرجل وحق المؤمنين ان لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب وهذا تانيس بنكاح الاماء وترك الاستنكاف منه بعضكم من بعض اي انتم وارقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الايمان لا يفضل حر عبدا الا برجحان فيه باذن اهلهن اشتراط لاذن الموالي في نكاحهن ويحتج به لقول ابي حنيفة رض ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم وآتوهن اجورهن بالمعروف وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء واللز فان قلت الموالي هم ملاك مهورهن لا هن والواجب اداؤها اليهم لا اليهن فلم قيل وآتوهن قلت لانهن وما في ايديهن مال الموالي فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالي او على ان اصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف محصنات عفائف ولا متخذات اخدان اخلاء في السر كانه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له فاذا احصن بالتزويج وقرئ احصن فعليهن نصف ما على المحصنات اي الحرائر من العذاب من الحد كقوله وليشهد عذابهما ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف ذلك اشارة الى نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الاثم الذي تؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم وقيل اراد به الحد لانه اذا هويها خشي ان يواقعها فيحد فيتزوجها وان تصبروا في محل الرفع على الابتداء اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم وعن النبي صلعم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا يريد الله ليبين لكم اصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا ابا لك لتاكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم وان يهديكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم ويتوب عليكم ويرشدكم الى طاعات ان قمتم بها كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم والله يريد ان يتوب عليكم ان تفعلوا ما تستوجبون به ان يتوب عليكم ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل هم المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة النساء وقرئ ان يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرأ ابن عباس وخلق الانسان على البناء للفاعل ونصب الانسان وعنه رضي الله عنه ثماني آيات في سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم

يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا بالباطل بما لم يبحه الشرع من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا إلا أن تكون تجارة إلا أن تقع تجارة وقرئ تجارة على إلا أن تكون التجارة تجارة عن تراض منكم والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض أو ولكن كون تجارة عن تراض منكم غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة أي تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لأن أسباب الرزق أكثرها متعلق بها والتراضي رضى المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الإيجاب والقبول وهو مذهب أبي حنيفة رض وعند الشافعي تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين ولا تقتلوا أنفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا إخوانكم أو لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص أنه تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلعم وقرئ ولا تقتلوا بالتشديد للتكثير إن الله كان بكم رحيما أي أمر ما نهاكم عنه لفرط رحمته عليكم وقيل معناه أنه أمر بني إسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا أمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ذلك إشارة إلى القتل أي ومن يقدم على قتل الأنفس عدوانا وظلما لا خطأ ولا اقتصاصا وقيل عدوانا إلى الكل فسوف نصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله عز وجل أو لذلك من حيث أنه سبب للصلي نارا نارا مخصوصة شديدة العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لأن الحكمة تدعو إليه ولا صارف عنه من ظلم أو نحوه إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله عنها والرسول نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم من العقاب في كل وقت على صغائركم ونجعلها كأن لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة إنما وصفتا بالكبر والصغر بإضافتهما إما إلى طاعة أو معصية أو ثواب فاعلهما والتكفير إماطة المستحق من العقاب بثواب أزيد أو بتوبة والإحباط نقيضه وهو إماطة الثواب المستحق بعقاب أزيد أو بندم على الطاعة وعن علي رض الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف والزنا وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس أن رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي إلى سبعمائة أقرب لأنه لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروي إلى سبعين وقرئ يكفر بالياء ومدخلا بفتح الميم وهو يحتمل المكان والمصدر فيهما ولا تتمنوا نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لأن ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم بأحوال العباد وبما ينبغي لكل من بسط في الرزق أو قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض فعلى كل أحد أن يرضى بما قسم له علما بأن ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد أخاه على حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط والقبض كسبا له واسألوا الله من فضله ولا تتمنوا أنصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا إن الله فضلنا على النساء في الدنيا فلنا سهمان فنرجو أن يكون لنا أجران في الآخرة على الأعمال ولهن أجر واحد فقالت أم سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الأجر مثل ما لهم فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شيء شهيدا [illegible] ولكل أي ولكل مما ترك الوالدان والأقربون من المال جعلنا موالي وراثا يلونه ويحرزونه أو ولكل قوم جعلناهم

موالي نصيب مما ترك الوالدان والأقربون على أن جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع إلى كل محذوف والكلام مبتدأ وخبر كما تقول لكل من خلقه الله إنسانا من رزق الله أي حظ من رزق الله أو ولكل أحد جعلنا موالي مما ترك أي وراثا مما ترك على أن من صلة موالي لأنهم في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل وتفسير الموالي بقوله الوالدان والأقربون كأنه قيل من هم فقيل الوالدان والأقربون والذين عاقدت أيمانكم مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله فآتوهم نصيبهم ويجوز أن يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز أن يعطف على الوالدان ويكون المضمر في فآتوهم للموالي والمراد بالذين عاقدت أيمانكم موالي الموالاة كان الحليف يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثأري ثأرك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي صلعم أنه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فإنه لم يزده الإسلام إلا شدة ولا تحدثوا حلفا في الإسلام وعند أبي حنيفة رض لو أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعي رض وقيل المعاقدة التبني ومعنى عاقدت أيمانكم عاقدتهم أيديكم وماسحتموهم وقرئ عقدت بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم أيمانكم الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك والضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا يعني إنما كانوا مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على أن الولاية إنما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وأن منهم الأنبياء والعلماء وفيهم الإمامة الكبرى والصغرى والجهاد والأذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند أبي حنيفة والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الأزواج وإليهم الانتساب وهم أصحاب اللحى والعمائم وبما أنفقوا وبسبب ما أخرجوا في نكاحهن من أموالهم في المهور والنفقات وروي أن سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الأنصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير فلطمها فانطلق بها أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أفرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال أردنا أمرا وأراد الله أمرا والذي أراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص إلا في الجرح والقتل وأما اللطمة ونحوها فلا فالصالحات قانتات مطيعات لله قائمات بما عليهن للأزواج حافظات للغيب لما غاب عنه الأزواج أي حافظات لمواجب الغيب إذا كان الأزواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والأموال وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لأسرارهم بما حفظ الله بما حفظهن الله حين أوصى بهن الأزواج في كتابه وأمر رسوله فقال استوصوا بالنساء خيرا أو بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب أو بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب وأوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله بالنصب على أن ما موصولة أي حافظات للغيب بالأمر الذي يحفظ حق الله وأمانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم وقرئ فالصوالح

قوله تعالى واللاتي تخافون نشوزهن الآية تفصيل لما اجمله قوله الرجال قوامون على النساء لما اخبر الله بفضل الرجال على النساء ثم فصل النساء قسمين اما انهن قانتات حافظات ازواجهن في الحضور والغيبة فعلى الرجال الشفقة عليهن والنصيحة لهن واما انهن ناشزات غير مطيعات فعلى الرجال الرفق بهن اولا بالوعظ فان لم يحج الوعظ فيهن فبالهجران في مضاجعهن ثم التاديب بالضرب ط ه

حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن نشوزها ونشوصها ان تعصى زوجها ولا تطمئن اليه واصله الانزعاج في المضاجع في المراقد

اى لا تداخلوهن تحت اللحف او هي كناية عن الجماع وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها اى لا تبايتوهن وقرئ

في المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن في النشوز امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران

وقيل معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا يجب ان يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها

عظما ويجتنب الوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علق سوطا حيث يراه اهلك وعن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير

ابن العوام فاذا غضب على احدانا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير ابيات منها ولولا بنوها حولها لخبطتها فلا تبغوا عليهن

سبيلا فازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك

النشوز ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم ويروى ان ابا مسعود الانصاري

رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله صلعم فصاح به ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام او ان الله كان عليا كبيرا

وانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن تجني عليكم اذا رجع شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما

فاضيف الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار واصله بل مكر في الليل والنهار او على ان جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين

على قولهم نهارك صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء حكما من اهله رجلا مقنعا رضيا يصلح لحكومة

العدل والاصلاح بينهما وانما كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرف بواطن الاحوال واطلب للصلاح وانما تسكن اليهم نفوس الزوجين ويبرز

اليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ويحبان ان يطلعوا عليه فان قلت

فهل يليان الجمع بينهما والتفريق ان رايا ذلك قلت قد اختلف فيه فقيل ليس اليهما ذلك الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما وما جعل الحكمين الا واليهما

بناء الامر على ما يقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلماني شهدت عليا رضه وقد جاءته امراة وزوجها ومع كل واحد منهما فئام من الناس فاخرج هؤلاء حكما

وهؤلاء حكما فقال علي للحكمين اتدريان ما عليكما ان عليكما ان رايتما ان تفرقا فرقتما وان رايتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج اما الفرقة فلا فقال علي

كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المراة رضيت بكتاب الله لي وعلي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبي ما قضى الحكمان جاز

ان يريدا اصلاحا ضمير الحكمين وفي يوفق الله بينهما للزوجين اى ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك

في وساطتهما واوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة والقى في نفوسهما المودة والرحمة وقيل الضميران للحكمين اى ان قصدا اصلاح

ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل الضميران

للزوجين اى ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلبا الخير وان يزول عنهما الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة ان الله

كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم واعبدوا الله ولا

تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت

ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا

قوله واحسن المطابقة لطيف لطابقة الضير لهذا وتذاعقاق المال القابل وتطرد ومعوله وانا مالك وصف بالنبح واحسن المطابق القوان لانه اعرق في بيان شحهم حيث جعل نصيبهم من الملك ما ليس شحا وبح منه وهو ملك الله ووصف سعيهم بني لبس بني اكل منه وهو المعدودة في النواة ما عرق في حرف ما ولطدوا التفريط ط ه

قوله ويجوز ان يكون معنى الهمزة اعلم ان الفاء في قوله فاذن يحتمل ان تكون لجزاء الشرط محذوف وحينئذ تكون الانكار مخصوصا بالجملة الاولى متوجها الى ان يكون لهم نصيب من الملك ويحتمل ان تكون عطفا على الجملة الاولى فيكون الانكار على مجموع الجملتين ومتوجها الى ان لهم نصيبا من الملك والى انهم لا يؤتون احدا شيئا اى ما عدم ما تبادر ان لهم نصيبا من الملك فهو المعنى الثاني فالهمزة للانكار والتقرير ومعناه فلم كان فان قولنا لم كان انكار وتقرير للكون وعلى الاول انكار فقط ه

واما هذا الاجر العظيم فانه لا يكون من جنس ذلك الثواب والظاهر ان ذلك التضعيف يكون من الثواب من جنس اللذات الموعود بها في الجنة واما هذا الاجر العظيم الذي يؤتيه من لدنه فهو اللذة الحاصلة عند الرؤية وعند الاستغراق في المحبة والمعرفة وانما خص هذا النوع بقوله من لدنه لان هذا النوع من الغبطة والسعادة والبهجة والكمال لا ينال بالاعمال

وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى وبكل من بينكم وبينه قربى من اخ او عم او غيرهما والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي جواره بعيد وقيل الجار القريب النسيب والجار الجنب الاجنبي وانشد لبلعا بن قيس لا تحرمنا بالجوار وانما ذو رحم او مجاور جنب وقرئ والجار ذا القربى نصبا على الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى تنبيها على عظم حقه لادلائه بحقي الجوار والقربى والصاحب بالجنب الذي هو صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا في السفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم علم او حرفة واما قاعدا الى جنبك في مجلس او مسجد او غير ذلك من ادنى صحبة التامت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المرأة وابن السبيل المسافر المنقطع وقيل الضيف والمختال التياه الجهول الذي يتكبر عن اقاربه واصحابه ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم وقرئ والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون الذين يبخلون بدل من قوله من كان مختالا او نصب على الذم ويجوز ان يكون رفعا عليه وان يكون مبتدأ خبره محذوف كانه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة وقرئ بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين وضمتين اي يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدي غيرهم فيأمرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد وفي امثال العرب ابخل من الضنين بنائل غيره قال

وان امرأ ضنت يداه على امرئ … بنيل يد من غيره لبخيل

ولقد رأينا ممن بلي بداء البخل من اذا طرق سمعه ان احدا جاد على احد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في راسه كانما نهب رحله وكسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده وقيل هم اليهود كانوا يأتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضل الغنى والتفاقر الى الناس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان ترى نعمته على عبده وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى آثار نعمتك فاعجبه كلامه وقيل نزلت في شان اليهود الذين كتموا صفة رسول الله صلعم والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما رئاء الناس للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم واي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومصلحة في ذلك كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة ولا مرزئة في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة وكان الله بهم عليما وعيد الذرة النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة وفيه دليل على انه لو نقص من الاجر ادنى شيء واصغره او زاد في العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة وان تك حسنة وان يك مثقال الذرة حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث وقرئ بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقها عند الثواب في كل وقت من الاوقات المستقبلة غير المتناهية وعن عثمان النهدي انه قال لابي هريرة بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة فقال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الآية والمراد الكثير لا التحديد ويؤت من لدنه اجرا عظيما ويعط صاحبها من عنده على سبيل

الفضل عطاء عظيما ويسميه اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثبوته وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من اضعف وضعّف وقرأ ابن هرمز نضاعفها بالنون
فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا
فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم
وجئنا بك على هؤلاء المكذبين شهيدا وعن ابن مسعود رضه انه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلعم وقال حسبنا
لو تسوى بهم الارض لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا
فيودون حالها ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون
الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم عند ذلك فتكلمت ايديهم وارجلهم
بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى نحو لويته
فتلوى وتسوى بادغام التاء في السين كقوله يسمعون وناصيه اسوي كادي روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله صلعم
حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب تقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد
فنزلت يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر
او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم ان الله كان عفوا غفورا
فكانوا لا يشربون في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا
الصلوة لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد لقوله
صلى الله عليه وسلم جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله ورانوا بسكر سناتهم كل الرنون وقرئ سكارى بالفتح
وسكرى على ان يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان السكر علة تلحق العقل او مفردا بمعنى وانتم جماعة سكرى كقولك امرأة سكرى وسكرى بضم السين
كحبلى على ان يكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال
كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب الا عابري سبيل
استثناء من عامة احوال المخاطبين وانتصابه على الحال فان قلت كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها قلت كانه قيل ولا تقربوا الصلوة في حال
الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز ان لا يكون حالا ولكن صفة لقوله جنبا اي لا تقربوا الصلوة
جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير معذورين فان قلت كيف تصح صلوتهم على الجنابة لعذر السفر قلت اريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه قيل
لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلوة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق
فيه او الماء فيه او احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم وروي
ان رسول الله صلعم لم يأذن لاحد ان يجلس في المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلي رضه لان بيته كان في المسجد فان قلت ادخل في حكم الشرط اربعة
وهم المرضى والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم قلت الظاهر انه تعلق بهم جميعا

وان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك السفر اذا عدموه لبعده والمحدثون واهل الجنابة كذلك
اذا لم يجدوه لبعض الاسباب وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك
طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رضه فان قلت فما يصنع بقوله في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي بعضه وهذا لا يتأتى في الصخر الذي لا تراب
عليه قلت قالوا ان من لابتداء الغاية فان قلت قولهم انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم احد من العرب من قول القائل مسحت برأسه من الدهن
ومن الماء ومن التراب الا معنى التبعيض قلت هو كما تقول والاذعان للحق احق من المراء ان الله كان عفوا غفورا كناية عن الترخيص
والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخاطئين ويغفر لهم آثر ان يكون ميسرا غير معسر فان قلت كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين
وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سببان من اسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل قلت اراد سبحانه ان يرخص
للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون للماء في التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم
لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة ثم عم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف عدو او سبع او عدم آلة استقاء او ارهاق في
مكان الماء فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر وقرئ من غيط قيل هو تخفيف غيط كهين في هين والغيط بمعنى الغائط الم تر الى الذين اوتوا
نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا يحرفون
الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا
لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الم تر من رؤية القلب وعدي بالى على معنى الم ينته علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم اوتوا نصيبا
من الكتاب حظا من علم التوراة وهم احبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة والانجيل ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه وتنخرطوا في سلكهم
لا تكفيهم ضلالتهم بل يحبون ان يضل معهم غيرهم وقرئ ان يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء
واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم في اموركم ولا تستشيروهم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته دونهم
او لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم من الذين بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله والله اعلم وكفى بالله وكفى بالله
جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كقوله تعالى ونصرناه من
القوم الذين كذبوا ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ على ان يحرفون صفة مبتدا محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله وما الدهر الا تارتان
فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح اي فمنهما تارة اموت فيها يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره
فقد اما لوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وازالوه عنها وذلك نحو تحريفهم اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم
بوضعهم الحد بدله فان قلت كيف قيل ههنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه قلت اما عن مواضعه فعلى ما فسرنا من ازالته عن مواضعه التي اوجبت
حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه واما من بعد مواضعه فالمعنى انه كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه
كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة

حال من المخاطب اى اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع
قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع كلاما
ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع مفعول اسمع اى اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح اى اسمع غير مسمع
مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه وكذلك قولهم راعنا يحتمل راعنا نكلمك اى ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون
بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير
والاكرام ليا بالسنتهم فتلا بها وتحريفا اى يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها
او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا فان قلت كيف جاؤا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا
قلت جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز ان يقولوه فيما بينهم ويجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم
لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به وقرئ راعونا وانظرنا من الانظار وهو الامهال فان قلت الام يرجع الضمير في قوله لكان خيرا لهم قلت الى انهم
قالوا لان المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا واطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم واقوم واعدل واسد ولكن لعنهم الله بكفرهم اى خذلهم بسبب كفرهم وابعدهم
عن الطاعة فلا يؤمنون الا ايمانا قليلا اى ضعيفا ركيكا لا يعبأ به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره او اراد بالقلة العدم كقوله
قليل التشكي للمهم يصيبه ... اى عديم التشكي او الا قليلا منهم قد آمنوا يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان
نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ان نطمس وجوها اى نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم فنردها على ادبارها فنجعلها على
هيئة ادبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الآخر ردها على ادبارها بعد
طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فننكسها الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام ووجه آخر وهو ان يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة
وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم اى من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم او نردهم الى حيث
جاؤا منه وهي اذرعات الشام يريد اجلاء بني النضير فان قلت لمن الراجع في قوله او نلعنهم قلت للوجوه ان اريد الوجهاء او لاصحاب الوجوه لان المعنى
من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات او نلعنهم او نخزيهم بالمسخ كما مسخنا اصحاب السبت فان قلت فاين وقوع الوعيد
قلت هو مشروط بالايمان وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة ولان الله تعالى اوعدهم باحد الامرين بطمس وجوه
منهم او بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم او اجلاءهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان
والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ الا ترى الى قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير
وكان امر الله مفعولا فلا بد ان يقع احد الامرين ان لم يؤمنوا فان قلت قد ثبت ان الله عز وجل يغفر الشرك لمن تاب منه وانه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر
الا بالتوبة فما وجه قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قلت الوجه ان يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين الى قوله
لمن يشاء كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثاني من تاب ونظيره قولك ان

الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله فقد افترى [illegible]
[illegible] ما لا يصح كونه الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما
مبينا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك الذين
لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا الذين يزكون انفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل
ونزلت ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله فان قلت اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني
لامين في السماء امين في الارض قلت انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل في القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من
شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه او شهد له من لا يعلم بل الله يزكي من يشاء اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم
بمن هو اهل للتزكية فيعني بل الله يزكي من يشاء ان يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به ولا يظلمون اى الذين يزكون انفسهم يعاقبون
على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى كيف يفترون
على الله الكذب في زعمهم انهم عند الله ازكياء وكفى بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر آثامهم الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت
الشيطان وذلك ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا انتم اهل الكتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت
والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قالوا يامر بعبادة الله
وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني فقال انتم اهدى سبيلا ام لهم نصيب من الملك
فاذا لا يؤتون الناس نقيرا ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما
فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما اوتوا من النعمة ويتمنون
ان تكون لهم نعمة غيرهم فقال ام لهم نصيب من الملك على ان ام منقطعة ومعنى الهمزة لانكار ان يكون لهم نصيب من الملك ثم قال فاذا لا يؤتون احدا
مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير والمراد بالملك اما ملك اهل الدنيا واما ملك الله كقوله تعالى
قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وهذا اوصف لهم بالشح واحسن لطباقه نظيره من القرآن ويجوز ان يكون معنى الهمزة
في ام لانكار انهم قد اوتوا نصيبا من الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون احوال الملوك وانهم لا يؤتون احدا مما يملكون شيئا وقرأ
ابن مسعود فاذا لا يؤتوا على اعمال اذن عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في قراءة العامة كانه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا ام يحسدون الناس بل يحسدون
رسول الله والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد آتينا

الزاما لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة آل ابرهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله مثل ما اوتى اسلافه وعن ابن عباس الملك في آل ابرهيم ملك يوسف وداود وسليمان وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمن ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم فمن اليهود من آمن به اى بما ذكر من حديث آل ابرهيم ومنهم من صد عنه وانكره مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله صلعم ومنهم من انكر نبوته او من آل ابرهيم من آمن بابرهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون بدلناهم جلودا غيرها ابدلناهم اياها فان قلت كيف يعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص قلت العذاب للجملة الحساسة وهي التي عصت لا للجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن النبي صلى الله عليه وسلم تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اى ادامك على عزك وزادك فيه عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما لا يعذب الا بعدل من يستحقه ظليلا صفة مشتقة من لفظ الظل لتاكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه لما يزلف اليه التفيؤ تحت ذلك الظل ونداه عبد الله سيد خلقه به الياء ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تاويلا ان تؤدوا الامانات الخطاب عام لكل احد في كل امانة وقيل نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى على بن ابى طالب رضى الله عنه يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلعم وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلى اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرآنا وقرا عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فهبط جبريل واخبر رسول الله صلعم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقيل هو خطاب للولاة باداء الامانات والحكم بالعدل وقرئ الامانة على التوحيد نعما يعظكم به اما ان تكون منصوبة موصوفة بيعظكم واما ان تكون مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اى نعما يعظكم به ذاك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح النون لما امر الولاة باداء الامانات الى اهلها وان يحكموا بالعدل امر الناس بان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد باولى الامر منكم امراء الحق لان امراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين الله ورسوله والامراء الموافقين لهما في ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن اضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان وكان الخلفاء يقولون اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي عليكم وعن ابي حازم ان مسلمة بن عبد الملك قال له الستم امرتم بطاعتنا في قوله واولى الامر منكم قال اليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل هم امراء السرايا وعن النبي صلعم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع اميري فقد اطاعني وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فان تنازعتم في شيء فان اختلفتم انتم واولو الامر منكم في شيء من امور الدين فردوه الى الله ورسوله

اى ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة وكيف تلزم طاعة امراء الجور وقد جنح الله الامر بطاعة اولى الامر بما لا يبقى معه شك وهو ان امرهم اولا باداء الامانات وبالعدل في الحكم وامرهم آخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل وامراء الجور لا يؤدون امانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا الى كتاب ولا الى سنة انما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم اولوا الامر عند الله ورسوله واحق اسمائهم اللصوص المتغلبة ذلك اشارة الى الرد الى الكتاب والسنة خير لكم واصلح واحسن تاويلا واحسن عاقبة وقيل احسن تاويلا من تاويلكم الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين يصدون عنك صدودا روى ان بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلعم فقضى لليهودي فلم يرض المنافق فقال تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق اكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله انت الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلعم او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله صلعم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم وقرئ بما انزل وما انزل على البناء للفاعل وقرا عباس بن الفضل ان يكفروا بهن ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وقرا الحسن تعالوا بضم اللام على انه حذف اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة واصلها بالية كعافية وكما قال الكسائي في آية ان اصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت اللام وقعت واو الجمع بعد اللام من تعال فاضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول اهل مكة تعالى بكسر اللام للمراة وفي شعر الحمداني

تعالى اقاسمك الهموم تعالى

والوجه فتح اللام فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون امرا ولا يوردونه اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاؤك حين يصابون فيعتذرون اليك ويحلفون ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا احسانا لا اساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به فاعرض عنهم لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه وقل لهم في انفسهم قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم بالتخويف والانذار فان قلت بم تعلق قوله في انفسهم قلت بقوله بليغا اى قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستيصال ان نجم منهم النفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا لاظهاركم الايمان واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم ما تشفقون به غطاءكم لم يبق الا السيف او يتعلق في انفسهم بقوله قل لهم اى قل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية

على النفاق قولاً بليغاً وأن الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم إبطانه فأصلحوا أنفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق
وإلا أنزل الله بكم ما أنزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشراً من ذلك وأغلظ أو قل لهم في أنفسهم خالياً بهم ليس معهم غيرهم مساراً لهم بالنصيحة
لأنها في السر أنجع وفي الإمحاض أدخل قولاً بليغاً يبلغ منهم ويؤثر فيهم ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا
أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ وما أرسلنا من رسول وما أرسلنا رسولاً قط إلا ليطاع بإذن الله بسبب إذن الله
في طاعته وبأنه أمر المبعوث إليهم بأن يطيعوه ويتبعوه لأنه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد أطاع
الله ويجوز أن يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت جاءوك تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا
فاستغفروا الله من ذلك بالإخلاص وبالغوا في الاعتذار إليك من إيذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعاً لهم إلى الله ومستغفراً لوجدوا الله تواباً
لعلموه تواباً أي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيماً لشأن رسول الله صلعم وتعظيماً لاستغفاره وتنبيهاً
على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فلا وربك معناه فوربك كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم كما زيدت في لئلا يعلم لتأكيد وجوب العلم
ولا يؤمنون جواب القسم فإن قلت هلا زعمت أنها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون قلت يأبى ذلك استواء النفي والإثبات فيه وذلك قوله فلا أقسم بما
تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل أغصانه حرجاً ضيقاً أي لا تضيق صدورهم
من حكمك وقيل شكاً لأن الشاك في ضيق من أمره حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا ويذعنوا لما تأتي به من قضائك لا يعارضوه بشيء من قولك سلم الأمر لله
وأسلم له وحقيقته سلم نفسه له وأسلمها إذا جعلها سالمة له خالصة وتسليماً تأكيد للفعل بمنزلة تكريره كأنه قيل وينقادوا لحكمه انقياداً لا شبهة
فيه بظاهرهم وباطنهم ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان
خيراً لهم وأشد تثبيتاً وإذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً﴾ قيل نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل نزلت في شأن
الزبير وحاطب بن أبي بلتعة وذلك أنهما اختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم أرسل الماء
إلى جارك فغضب حاطب وقال لأن كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلعم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر واستوف حقك ثم
أرسله إلى جارك كان قد أشار على الزبير برأي فيه السعة له ولخصمه فلما أحفظ رسول الله صلعم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على
المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الأنصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون أنه رسول الله ثم
يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد أذنبنا ذنباً مرة في حياة موسى فدعانا إلى التوبة منه وقال اقتلوا أنفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين ألفاً
في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس أما والله إن الله ليعلم مني الصدق لو أمرني محمد أن أقتل نفسي لقتلتها وروي أنه قال ذلك ثابت وابن مسعود
وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلعم والذي نفسي بيده إن من أمتي رجالاً الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب رضه أنه قال والله لو أمرنا
ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الآية في شأن حاطب ونزلت في شأن هؤلاء ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أي لو أوجبنا عليهم
مثل ما أوجبنا على بني إسرائيل من قتلهم أنفسهم أو خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه إلا ناس قليل منهم وهذا توبيخ عظيم

والرفع على البدل من الواو في فعلوه وقرئ إلا قليلاً بالنصب على أصل الاستثناء أو على إلا فعلاً قليلاً ما يوعظون به من اتباع رسول الله صلعم وطاعته والانقياد
لما يراه ويحكم به لأنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيراً لهم أيضاً بعد التثبيت وقيل وإذن لو ثبتوا لآتيناهم لأن إذن
جواب وجزاء من لدنا أجراً عظيماً لقوله ويؤت من لدنه أجراً عظيماً في أن المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته أجراً لأنه تابع للأجر لا يثبت
إلا بثباته ولهديناهم وللطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات ﴿ومن يطع الرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً﴾ الصديقون
أفاضل صحابة الأنبياء الذين تقدموا في تصديقهم كأبي بكر الصديق رضه وصدقوا في أقوالهم وأفعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا
مرافقة أقرب عباد الله وأرفعهم درجات عنده وحسن أولئك رفيقاً فيه معنى التعجب كأنه قيل وما أحسن أولئك رفيقاً ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن
بسكون السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه
ويجوز أن يكون مفرداً بين به الجنس في باب التمييز وروي أن ثوبان مولى رسول الله صلعم كان شديد الحب لرسول الله صلعم قليل الصبر عنه فأتاه يوماً وقد
تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلعم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت
وحشة شديدة حتى ألقاك فذكرت الآخرة فخفت أن لا أراك هناك لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين وإن أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وإن
لم أدخل فذاك حين لا أراك أبداً فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين
وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة ذلك مبتدأ والفضل صفته ومن الله الخبر ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ والخبر الفضل من الله والمعنى أن ما أعطي
المطيعون من الأجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لأنه تفضل به عليهم تبعاً لثوابهم وكفى بالله عليماً بجزاء من أطاعه أو أراد فضل المنعم عليهم
ومزيتهم من الله لأنهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليماً بعباده فهو يوفقهم على حسب أحوالهم خذوا حذركم الحذر والحذر بمعنى كالإثر والأثر
يقال أخذ حذره إذا تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من
أنفسكم فانفروا إذا نفرتم إلى العدو إما ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية وإما جميعاً أي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا
بأنفسكم إلى التهلكة وقرئ فانفروا بضم الفاء ﴿وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم
شهيداً ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون
الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً﴾ اللام في لمن للابتداء بمنزلتها في قوله إن الله لغفور وفي
ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والعائد الراجع منها إليه ما استكن في ليبطئن والخطاب
لعسكر رسول الله صلعم والمبطئون منهم المنافقون لأنهم كانوا يغزون معهم نفاقاً ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى أبطأ كعتم
بمعنى أعتم إذا أبطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ علي فلان وأبطأ علي وبطؤ نحو ثقل ويقال ما أبطأ بك فيعدى بالباء ويجوز أن يكون منقولاً
من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن أبي وهو الذي ثبط الناس يوم أحد فإن أصابتكم
مصيبة من قتل أو هزيمة فضل من الله من فتح أو غنيمة ليقولن وقرأ الحسن ليقولن بضم اللام إعادة للضمير إلى معنى من لأن قوله لمن في معنى الجماعة

وقوله كأن لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني والمعنى كأن لم يتقدم له معكم موادة لأن المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وإن كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر أنه تهكم لأنهم كانوا أعدى عدو للمؤمنين وأشدهم حسداً لهم فكيف يوصفون بالمودة إلا على وجه العكس تهكماً بحالهم وقرئ فأفوز بالرفع عطفاً على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز في معنى التمني فيكونا متمنيين جميعاً ويجوز أن يكون خبر محذوف بمعنى فأنا أفوز في ذلك الوقت يشرون بمعنى يبيعون ويشترون قال ابن مفرغ وشريت برداً ليتني من بعد برد كنت هامه ط والذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة هم المبطئون وعظوا بأن يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد والذين يشترون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى إن صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل في سبيل الله ظافراً أو مظفوراً به إيتاء الأجر العظيم على اجتهاده في إعزاز دين الله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً والمستضعفين فيه وجهان أن يكون مجروراً عطفاً على سبيل الله أي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوباً على الاختصاص يعني وأخص من سبيل الله خلاص المستضعفين لأن سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من أيدي الكفار من أعظم الخير وأخصه والمستضعفون هم الذين أسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين أظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الأذى الشديد وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله تعالى لبعضهم الخروج إلى المدينة وبقي بعضهم إلى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلعم تولاهم أحسن التولي ونصرهم أقوى النصر ولما خرج استعمل على أهل مكة عتاب بن أسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما أرادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا أعز بها من الظلمة فإن قلت لم ذكر الولدان قلت تسجيلاً بإفراط ظلمهم حيث بلغ أذاهم الولدان غير المكلفين إرغاماً لآبائهم وأمهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولأن المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالاً لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة بإخراجهم في الاستسقاء وعن ابن عباس أنا وأمي من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز أن يراد بالرجال والنساء الأحرار والحرائر وبالولدان العبيد والإماء لأن العبد والأمة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد الولدان لتغليب الذكور على الإناث كما يقال الآباء والإخوة فإن قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث قلت هو وصف للقرية إلا أنه مسند إلى أهلها فأعطي إعراب القرية لأنه صفتها وذكر لإسناده إلى الأهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم أهلها ولو أنث فقيل الظالمة أهلها جاز لا لتأنيث الموصوف ولكن لأن الأهل يذكر ويؤنث فإن قلت هل يجوز من هذه القرية الظالمين أهلها قلت نعم كما تقول التي ظلموا أهلها على لغة من يقول أكلوني البراغيث ومنه وأسروا النجوى الذين ظلموا رغب الله المؤمنين ترغيباً وشجعهم تشجيعاً بإخبارهم أنهم إنما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم وأعداؤهم يقاتلون في سبيل الشيطان فلا ولي لهم إلا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين إلى جنب كيد الله للكافرين أضعف شيء وأوهنه ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت

علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً كفوا أيديكم أي كفوها عن القتال وذلك أن المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة كع فريق منهم لا شكاً في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفوراً عن الإخطار بالأرواح وخوفاً من الموت كخشية الله من إضافة المصدر إلى المفعول فإن قلت ما محل كخشية الله قلت محلها النصب على الحال من الضمير في يخشون أي يخشون الناس مثل أهل خشية الله أي مشبهين لأهل خشية الله أو أشد خشية يعني أو أشد خشية من أهل خشية الله وأشد معطوف على الحال فإن قلت لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدره يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله قلت أبى ذلك قوله أو أشد خشية لأنه وما عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس أشد خشية وأنت تريد المصدر لم تقل أشد خشية فتجرها وإذا نصبتها لم يكن أشد خشية عبارة عن الفاعل حالاً منه اللهم إلا أن تجعل الخشية خاشية وذات خشية على قولهم جد جده فتزعم أن معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله أو خشية أشد خشية من خشية الله ويجوز على هذا أن يكون محل أشد مجروراً عطفاً على خشية الله تريد كخشية الله أو كخشية أشد خشية منها لولا أخرتنا إلى أجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال إلى وقت آخر كقوله لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق ولا تظلمون فتيلاً ولا تنقصون أدنى شيء من أجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً وقرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كأنه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل من يفعل الحسنات الله يشكرها ويجوز أن يقال حمل على ما يقع موقع أينما تكونوا وهو أينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير ط يقول لا غائب مالي ولا حرم ط وهو قول نحوي سيبويه ويجوز أن يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلاً أي ولا تنقصون شيئاً مما كتب من آجالكم أينما تكونوا في ملاحم حرب أو غيرها ثم ابتدأ قوله يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على أينما تكونوا والبروج الحصون مشيدة مرفعة وقرئ مشيدة من شاد القصر إذا رفعه أو طلاه بالشيد وهو الجص وقرأ نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفاً لها بفعل فاعلها مجازاً كما قالوا قصيدة شاعرة وإنما الشاعر فارضها السيئة تقع على البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقال إن الحسنات يذهبن السيئات والمعنى وإن تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها إلى الله وإن تصبهم بلية من قحط وشدة أضافوها إليك وقالوا هي من عندك وما كانت إلا بشؤمك كما حكى الله عن قوم موسى وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك وروي عن اليهود لعنت أنها تشاءمت برسول الله صلعم فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها فرد الله عليهم بقوله قل كل من عند الله يبسط الأرزاق ويقبضها على حسب المصالح لا يكادون يفقهون حديثاً فيعلموا أن الله هو القابض الباسط وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال ما أصابك يا إنسان خطاباً عاماً من حسنة أي من نعمة وإحسان فمن الله تفضلاً منه وإحساناً وامتناناً وامتحاناً وما أصابك من سيئة أي من بلية ومصيبة فمن نفسك لأنك السبب فيها بما اكتسبت يداك وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب

حق الشوكة بينا لها حتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وارسلناك للناس رسولا اى رسولا للناس جميعا لست برسول العرب
وحدهم انت رسول العرب والعجم كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا وكفى بالله شهيدا على ذلك فما ينبغى
لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك
بيت طائفة منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا من يطع الرسول فقد اطاع الله
لانه لا يامر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته فى امتثال ما امر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله وروى انه قال من
احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله
ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن الطاعة فاعرض عنه فما ارسلناك الا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا
عليهم تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما انت عليهم بوكيل ويقولون اذا امرتهم بشىء طاعة بالرفع اى امرنا وشاننا
طاعة ويجوز النصب بمعنى اطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال
له كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كانه قال امرى وشانى حمد الله ولو نصب حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة
واستقرارها بيت طائفة زورت طائفة وسوت غير الذى تقول خلاف ما قلت وما امرت به او خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم ابطنوا
الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل
يقال هذا امر بيت بليل واما من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها والله يكتب ما يبيتون يثبته فى صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل
الوعيد او يكتبه فى جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان ابطانهم يغنى عنهم فاعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل
على الله فى شانهم فان الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوى امر الاسلام وعز انصاره وقرئ بيت طائفة بالادغام وتذكير الفعل لان تانيث
الطائفة غير حقيقى ولانها فى معنى الفريق والفوج افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واذا جاءهم امر من الامن
او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم
الشيطان الا قليلا فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف باس الذين كفروا والله اشد باسا واشد تنكيلا
تدبر الامر تامله والنظر فى ادباره وما يؤول اليه فى عاقبته ومنتهاه ثم استعمل فى كل تامل فمعنى تدبر القرآن تامل معانيه وتبصر ما فيه لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته
وبعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعانى وبعضه دالا
على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق اخبار علم انه ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه
غيره عالم بما لا يعلمه احد سواه فان قلت اليس نحو قوله فاذا هى ثعبان مبين كانها جان فوربك لنسألنهم اجمعين فيومئذ لا يسأل عن ذنبه
ولا جان من الاختلاف قلت ليس باختلاف عند المتدبرين هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استبطان
للامور كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك

الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اولى الامر وهم كبراء الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما اخبروا به الذين
يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله واولى الامر على امن ووثوق
بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر وفوضوه اليهم
وكانوا كان لم يسمعوا لعلمه الذين يستنبطونه تدبيره كيف يدبرونه وما ياتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا
مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو
مما يذاع او لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولى الامر
اى يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال اذاع السر واذاع به قال ... اذاع به فى الناس حتى كانه
بعلياء نار اوقدت بثقوب ... ويجوز ان يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وقرئ لعلمه باسكان اللام كقوله
فان اهجه يضجر كما ضجر بازل ... من الادم دبرت صفحتاه وغاربه ... والنبط الماء يخرج من البئر اول ما تحفر وانباطه
واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعانى والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته
وهو ارسال الرسول وانزال الكتاب والتوفيق لاتبعتم الشيطان لبقيتم على الكفر الا قليلا منكم او الا اتباعا قليلا لما ذكر فى الاى قبلها تثبطهم عن القتال
واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال فقاتل فى سبيل الله ان افردوك وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك وحدها ان تقدمها الى
الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود فان شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الالوف وقيل دعا الناس فى بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان
واعد رسول الله صلعم اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده وقرئ
لا تكلف بالجزم على النهى ولا نكلف بالنون وكسر اللام اى لا نكلف نحن الا نفسك وحدها وحرض المؤمنين وما عليك فى شانهم الا التحريض فحسب لا
التعنيف بهم عسى الله ان يكف باس الذين كفروا وهم قريش وقد كف باسهم فقد بدا لابى سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد الا
السويق ولا يلقون الا فى عام مخصب فرجع بهم والله اشد باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها
ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شىء مقيتا واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها ان الله
كان على كل شىء حسيبا الشفاعة الحسنة هى التى روعى بها حق مسلم ودفع بها عنه شر او جلب اليه خير وابتغى بها وجه الله ولم تؤخذ عليها
رشوة وكانت فى امر جائز لا فى حد من حدود الله ولا فى حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع
جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما فى قلبك لما تكلمت فى حاجتك ولا اتكلم فيما بقى منها وقيل الشفاعة الحسنة هى الدعوة للمسلم لانها فى معنى
الشفاعة الى الله وعن النبى صلعم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك
مقيتا شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا واقات على الشىء قال الزبير بن عبد المطلب ... وذى ضغن كففت النفس عنه
وكنت على اساءته مقيتا ... وقال السموال ... الى الفضل ام على اذا حوسبت انى على الحساب مقيت
واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها الاحسن منها ان تقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم

وان زيد وبركاته اذا قال ورحمة الله وروى ان رجلا قال لرسول الله صلعم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله
فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله وتلا الآية فقال
انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله او ردوها اي اجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة
واجب والتخيير انما وقع بين الزيادة وتركها وعن ابي يوسف رحمه الله من قال لآخر اقرئ فلانا السلام وجب عليه ان يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد
فريضة وعن ابن عباس رضه الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة
ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن ابي يوسف لا يسلم على لاعب النرد
والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام او غيره وذكر الطحاوي ان المستحب رد السلام على الطهارة
وعن النبي صلعم انه تيمم لرد السلام ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته ولا يسلم على الاجنبية ويسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على
راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلعم اذا سلم عليكم اهل
الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي بالسلام وان بدأ فقل وعليك وعن الحسن يجوز
ان تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له فقال اليس في
رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء في ان يبدأ اهل الذمة بالسلام اذا دعت الى ذلك حادثة تحوج اليهم وروي ذلك عن النخعي وعن ابي حنيفة
لا تبدأه بسلام في كتاب ولا غيره وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا باس بالدعاء له بما يصلحه
في دنياه ان الله كان على كل شيء من التحية وغيرها حسيبا اي محاسبا الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله
حديثا فما لكم في المنافقين فئتين والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر
للمبتدأ او اعتراض والخبر ليجمعنكم ومعناه والله ليجمعنكم الى يوم القيمة اي ليحشرنكم اليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم
من القبور او قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا لانه عز وجل صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك ان الكذب مستقبح
بصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه ووجه قبحه الذي هو كونه كذبا واخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب الا لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة
او يدفع مضرة او هو غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب
احلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء انه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك به ما فارقته وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا
اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح فما لكم مبتدأ وخبر
الحال كقولك ما لك قائما روي ان قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله صلعم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين
مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا
لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلعم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلعم
يوم احد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه

ما لكم اختلفتم في شأن قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تثبتوا القول بكفرهم والله اركسهم اي ردهم في حكم المشركين
كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله صلعم او اركسهم في الكفر بان خذلهم حتى اركسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم
اتريدون ان تهدوا ان تجعلوا من جملة المهتدين من اضل الله من جعله من جملة الضلال او حكم عليه بذلك او خذله حتى ضل وقيل ركسهم واركسهم بمعنى
ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم
ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاءوكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم
ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فتكونون عطف على تكفرون
ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم وكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء فلا تتولوهم وان آمنوا حتى
يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من اغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بدا ولا تعرب فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة
الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا
منهم الا الذين يصلون استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون بهم وعن ابي عبيدة هو من الانساب وصلت
الى فلان واتصلت به اذا انتميت اليه وقيل ان الانساب لا اثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله من معه من هو من انسابهم والقوم هم الاسلميون
كان بينهم وبين رسول الله عهد وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى
هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح او جاءوكم لا يخلو من ان يكون معطوفا على صفة قوم
كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين كانه قيل الا الذين يصلون بالمعاهدين
او الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بعد قوله فخذوهم
واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم فان قلت كل واحد من
الاتصالين له تاثير في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالكافين لان الاتصال بهؤلاء او هؤلاء دخول
في حكمهم فهلا جوزت ان يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالكافين واختلاطهم بهم وجريهم
على سننهم قلت هو جائز ولكن الاول اظهر واجرى على اسلوب الكلام وفي قراءة ابي بينكم وبينهم ميثاق جاءوكم حصرت صدورهم بغير او
ووجهه ان يكون جاءوكم بيانا ليصلون او بدلا او استئنافا او صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار قد والدليل عليه
قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف اي او جاءوكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان
لجاءوكم وهم بنو مدلج جاءوا الى رسول الله صلعم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم عن ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم فان قلت
كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه
لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم فان لم يتعرضوا
لكم والقوا اليكم السلم الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم

ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم
فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ستجدون آخرين هم قوم من أسد وغطفان كانوا إذا أتوا
المدينة أسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا إلى الفتنة كلما دعاهم قومهم إلى قتال المسلمين أركسوا
فيها قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم
وانكشاف حالهم في الكفر والغدر وإضرارهم بأهل الإسلام أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ
ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان
الله عليما حكيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما وما كان لمؤمن وما صح له ولا
استقام ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبي أن يغل وما يكون لنا أن نعود فيها أن يقتل مؤمنا ابتداء غير قصاص إلا خطأ إلا على وجه الخطأ
فإن قلت بم انتصب خطأ قلت بأنه مفعول له أي ما ينبغي له أن يقتله لعلة من العلل إلا للخطأ وحده ويجوز أن يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال
من الأحوال إلا في حال الخطأ وأن يكون صفة للمصدر إلا قتلا خطأ والمعنى أن من شأن المؤمن أن ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة إلا إذا وجد منه
خطأ من غير قصد بأن يرمي كافرا فيصيب مسلما أو يرمي شخصا على أنه كافر فإذا هو مسلم وقرئ خطاء بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة
وروي أن عياش بن أبي ربيعة وكان أخا أبي جهل لأمه أسلم وهاجر خوفا من قومه إلى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلعم فأقسمت أمه لا تأكل ولا تشرب
ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل ومعه الحرث بن زيد بن أبي أنيسة فأتياه وهو في أطم ففتل منه أبو جهل في الذروة والغارب وقال أليس
محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر أمك وأنت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد مائة جلدة فقال
للحرث هذا أخي فمن أنت يا حارث لله علي إن وجدتك خاليا أن أقتلك وقدما به على أمه فحلفت لا يحل كتافه أو يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك وأسلم الحرث
وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر بإسلامه فأنحى عليه فقتله ثم أخبر بإسلامه فأتى رسول الله صلعم فقال قتلته ولم أشعر بإسلامه فنزلت
فتحرير رقبة فعليه تحرير رقبة والتحرير الإعتاق والحر والعتيق الكريم لأن الكرم في الأحرار كما أن اللؤم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق
الطير لكرامها وحر الوجه أكرم موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالرأس في قولهم فلان يملك
كذا رأسا من الرقيق والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الإسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزي إلا رقبة قد صلت وصامت
ولا تجزي الصغيرة وقاس عليها الشافعي رض كفارة الظهار فاشترط الإيمان وقيل لما أخرج نفسا مؤمنة من جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسا مثلها
في جملة الأحرار لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من قبل أن الرقيق ممنوع من تصرف الأحرار مسلمة إلى أهله مؤداة إلى ورثته يقتسمونها
كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة في كل شيء فيقضى منها الدين وتنفذ الوصية وإذا لم يبق وارث فهي لبيت المال لأن المسلمين
يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلعم أنا وارث من لا وارث له وعن عمر رض أنه قضى بدية المقتول فجاءت امرأته تطلب ميراثها من عقله
فقال لا أعلم لك شيئا إنما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام ضحاك بن سفيان الكلابي فقال كتب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم

أن أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها أشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية
دين ولا تنفذ وصية وعن ربيعة الغرة لأم الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة فإن قلت على من تجب الرقبة والدية قلت على القاتل إلا أن
الرقبة في ماله والدية تتحملها عنه العاقلة فإن لم تكن له عاقلة فهي في بيت المال فإن لم يكن ففي ماله إلا أن يصدقوا إلا أن يتصدقوا عليه بالدية
ومعناه العفو كقوله إلا أن يعفون ونحوه وأن تصدقوا خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرأ أبي إلا أن يتصدقوا فإن قلت
بم تعلق أن يصدقوا وما محله قلت تعلق بعليه أو بمسلمة كأنه قيل وتجب عليه الدية أو يسلمها إلا حين يتصدقون عليه ومحلها النصب على الظرف
بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز أن يكون حالا من أهله بمعنى إلا متصدقين من قوم عدو لكم من قوم كفار أهل حرب وذلك
نحو رجل أسلم في قومه الكفار وهو بين أظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة إذا قتله خطأ وليس على عاقلته لأهله شيء لأنهم كفار محاربون وقيل
كان الرجل يسلم ثم يأتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطأ لأنهم يظنونه كافرا مثلهم وإن كان من قوم كفار لهم ذمة
كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين وأهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من مسلمين فمن لم يجد رقبة يعني لم يملكها ولا ما يتوصل به
إليها فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه إذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه أو نقلكم
من الرقبة إلى الصوم توبة منه هذه الآية فيها من التهديد والإيعاد والإبراق والإرعاد أمر عظيم وخطب غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس ما
روي من أن توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان أهل العلم إذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله
في التغليظ والتشديد وإلا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه
لو أن رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لأشرك في دمه وفيه إن هذا الإنسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من أعان على قتل مؤمن
بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤون هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الأحاديث العظيمة
وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم أشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل إليهم مناهم أن يطمعوا في العفو
عن قاتل المؤمن بغير توبة أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ثم ذكر الله سبحانه التوبة في قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب
من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للأطماع وأي حسم ولكن لا حياة لمن تنادي فإن قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من أهل الكبائر قلت ما أبين
الدليل فيها وهو تناول قوله ومن يقتل أي قاتل كان من مسلم أو كافر تائب أو غير تائب إلا أن التائب أخرجه الدليل فمن ادعى إخراج المسلم غير التائب
فليأت بدليل مثله يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا فعند الله
مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيرا لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون
في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين
على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما فتبينوا وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال
أي اطلبوا بيان الأمر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل الإسلام وقيل التسليم الذي هو تحية أهل الإسلام
لست مؤمنا وقرئ مؤمنا بفتح الميم من آمنه أي لا نؤمنك وأصله أن مرداس بن نهيك رجلا من أهل فدك أسلم لم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية

لرسول الله صلعم كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما
تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي قال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال يعيدها
حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد
فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض
له لتأخذوا ماله كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم في دين الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار
الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم فيه وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان
تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما
الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله فتبينوا تكرير للامر بالتبيين ليؤكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا في القتل
وكونوا محترزين محتاطين في ذلك غير اولي الضرر قرئ بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم او حال عنهم والجر
صفة للمؤمنين والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وعن زيد بن ثابت كنت الى جنب رسول الله صلعم فغشيته السكينة
فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال
ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم قال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون
من المؤمنين فقال غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها والذي نفسي بيده لكأني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف وعن
ابن عباس لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون اليها وعن مقاتل الى تبوك فان قلت معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان
فما فائدة نفي الاستواء قلت معناه الاذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته
فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اريد به التحريك من حمية الجاهل وانفته ليهاب
الى التعلم ولينهض بنفسه عن صفة الجهل الى شرف العلم فضل الله المجاهدين جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل ما لهم لا يستوون
فاجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين
وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي صلعم لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا
ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره فان قلت
قد ذكر الله سبحانه مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم قلت اما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الاضراء واما
المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية فان قلت لم نصب درجة واجرا
ودرجات قلت نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضيلة واحدة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربة
واما اجرا فقد انتصب بفضل لانه في معنى اجرهم اجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات نصب درجة كما

تقول ضربه اسواطا بمعنى ضربات كأنه قيل وفضلهم تفضيلات ونصب اجرا عظيما على انه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب
مغفرة ورحمة باضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة ان الذين توفيهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا
مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأويهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال
والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا توفيهم يجوز ان يكون ماضيا
كقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفيهم كقراءة من قرأ توفيهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من
استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم قالوا قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم وهم ناس من اهل مكة
اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة فان قلت كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الارض جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب ان يقولوا
كنا في كذا او لم نكن في شيء قلت معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين
اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وانهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها
ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله صلعم كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة
وهذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق عن اقامة الدين لا تنحصر او علم انه في غير بلده
اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي صلعم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان
رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما السلام اللهم ان كنت تعلم ان مهاجري اليك لم تكن الا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك
والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين
لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروي ان رسول الله صلعم بعث بهذه الآية الى مسلمي مكة فقال جندب بن
ضمرة او ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة
وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم فان قلت كيف ادخل الولدان في جملة المستثنين من اهل الوعيد كأنهم كانوا يخلصون من الوعيد مع الرجال والنساء
لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا قلت الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك واما الولدان فلا يكونون الا عاجزين
عن ذلك فلا توجه عليهم وعيد لان سبب خروج الرجال والنساء من جملة اهل الوعيد انما هو كونهم عاجزين فاذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون
عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا اذا اريد بالولدان الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا
بهم في التكليف وان اريد العبيد والاماء البالغون فلا سؤال فان قلت الجملة التي هي لا يستطيعون ما موقعها قلت هي صفة للمستضعفين
او للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني
فان قلت لم قيل عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع قلت للدلالة على ان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه
ان يقول عسى الله ان يعفو عني فكيف بغيره ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله
ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة

إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه أي يفارقهم على رغم أنوفهم
والرغم الذل والهوان وأصله لصوق الأنف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل إذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه
بذلك قال النابغة الجعدي ... كطود يلاذ بأركانه ... عزيز المراغم والمذهب ... وقرئ مرغما وقرئ ثم يدركه الموت
بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كأنه أراد أن يقف عليها ثم نقل حركة الهاء إلى الكاف كقوله
من عنزي سبني لم أضربه ... وقرئ يدركه بالنصب على إضمار أن كقوله ... وألحق بالحجاز فأستريحا ... فقد وقع أجره على الله
فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فإذا وجبت جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك
واجب عليه وروي في قصة جندب بن ضمرة أنه لما أدركه الموت أخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك
على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره أصحاب رسول الله صلعم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان أتم أجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما أدرك
هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم أو حج أو جهاد أو فرار إلى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة وزهدا في الدنيا
أو ابتغاء رزق طيب فهي هجرة إلى الله ورسوله وإن أدركه الموت في طريقه فأجره واقع على الله ضربتم في الأرض سافرتم وأدنى مدة السفر
الذي يجوز فيه القصر عند أبي حنيفة رض مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن سير الإبل ومشي الأقدام على القصد ولا اعتبار بإبطاء الضارب وإسراعه
فلو سار مسيرة ثلاثة أيام ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة أيام لم يقصر وعند الشافعي رض أدنى مدة السفر أربعة برد
مسيرة يومين وقوله فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة ظاهره التخيير بين القصر والإتمام وأن الإتمام أفضل وإلى التخيير ذهب الشافعي
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أتم في السفر وعن عائشة رضي الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة حتى إذا قدمت مكة
قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي قصرت وأتممت وصمت وأفطرت فقال أحسنت يا عائشة وما عاب علي وكان عثمان رض يتم ويقصر وعند أبي حنيفة
القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره وعن عمر رض صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة أول ما فرضت
الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فأقرت في السفر وزيدت في الحضر فإن قلت فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح أن تقصروا قلت كأنهم ألفوا
الإتمام فكانوا مظنة لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب أنفسهم بالقصر ويطمئنوا إليه وقرئ تقصروا من أقصر
وجاء في الحديث إقصار الخطبة بمعنى تقصيرها وقرأ الزهري تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله إن خفتم
أن يفتنكم الذين كفروا وأما في حال الأمن فبالسنة وفي قراءة عبد الله من الصلوة أن يفتنكم ليس فيها إن خفتم على أنه مفعول له بمعنى كراهة أن يفتنكم
والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا
من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم
وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم
إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلوة تعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف بعد رسول الله صلعم حيث شرط كونه
فيهم وقال [illegible] بعده إن الأئمة نواب عن رسول الله صلعم في كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل إمام يكون حاضر الجماعة

في

في حال الخوف عليه أن يؤمهم كما أم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعات التي كان يحضرها والضمير في فيهم للخائفين فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم
طائفتين فلتقم إحديهما معك فصل بهم وليأخذوا أسلحتهم الضمير إما للمصلين وإما لغيرهم فإن كان للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم
عن الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما وإن كان لغيرهم فلا كلام فيه فإذا سجدوا أي الذين يصلون مع الإمام فليكونوا يعني غير المصلين من ورائكم يحرسونكم
وصفة صلوة الخوف عند أبي حنيفة رض أن يصلي الإمام بإحدى الطائفتين ركعة إن كانت الصلوة ركعتين والأخرى بإزاء العدو ثم تقف هذه الطائفة بإزاء
العدو وتأتي الأخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلوته ثم تقف بإزاء العدو وتأتي الأولى فتصلي بها ركعة وتتم صلوتها ثم تقف بإزاء العدو وتأتي الأولى فتؤدي
الركعة بغير قراءة وتتم صلوتها ثم تحرس وتأتي الأخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلوتها والسجود على ظاهره عند أبي حنيفة وعند مالك بمعنى الصلوة لأن
الإمام يصلي عنده بطائفة ركعة ويقف قائما حتى تتم صلوتها وتسلم وتذهب ثم يصلي بالثانية ركعة ويقف قاعدا حتى تتم صلوتها ويسلم بهم وعضده
ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وقرئ وليأت فإن قلت كيف جمع بين الأسلحة وبين الحذر في الأخذ قلت جعل الحذر وهو التحرز
والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ وجعلا مأخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والإيمان جعل الإيمان
مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء فيميلون عليكم فيشدون عليكم شدة واحدة ورخص لهم في وضع الأسلحة
إن ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر أو يضعفهم من مرض وأمرهم مع ذلك بأخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو فإن قلت كيف طابق الأمر
بالحذر من العدو يوهمهم توقع غلبته واعتزازه نفي عنهم ذلك الإيهام بإخبارهم أن الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم
وليعلموا أن الأمر بالحذر ليس لذلك وإنما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة فإذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى
جنوبكم فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلوة إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما
تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما فإذا قضيتم الصلوة فإذا صليتم في حال الخوف والقتال فاذكروا الله فصلوها قياما
مسايفين ومقارعين وقعودا جاثين على الركب مرامين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فإذا اطمأننتم حين تضع الحرب أوزارها وأمنتم فأقيموا
الصلوة فاقضوا ما صليتم في تلك الأحوال التي هي أحوال القلق والانزعاج إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا محدودا بأوقات لا يجوز
إخراجها عن أوقاتها على أي حال كنتم خوف أو أمن وهذا ظاهر على مذهب الشافعي رحمه الله في إيجابه الصلوة على المحارب في حال المسايفة
والمشي والاضطراب في المعركة إذا حضر وقتها فإذا اطمأن فعليه القضاء وأما عند أبي حنيفة رحمه الله فهو معذور في تركها إلى أن يطمئن وقيل
معناه فإذا قضيتم صلوة الخوف فأديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتأييد في كافة أحوالكم من قيام وقعود واضطجاع
فإن ما أنتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجأ إليه فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلوة فأتموها ولا تهنوا ولا تضعفوا ولا
تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم ألزمهم الحجة بقوله إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون أي ليس
ما تكابدون من الألم بالجرح والقتل مختصا بكم إنما هو أمر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم إنهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم
لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم أولى منهم بالصبر لأنكم ترجون من الله ما لا يرجون من إظهار دينكم على سائر الأديان ومن الثواب العظيم
في الآخرة وقرأ الأعرج أن تكونوا بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لأن تكونوا تألمون وقوله فإنهم يألمون كما تألمون تعليل وقرئ فإنهم يئلمون

كما تعلمون وروي ان هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا وكان الله عليما حكيما لا يكلفكم شيئا ولا يأمركم ولا ينهاكم الا لما هو عالم به مما يصلحكم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما روي ان طعمة بن ابيرق احد بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلعم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله ان يفعل وان يعاقب اليهودي وقيل هم ان يقطع يده فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله بما اراك الله بما عرفك واوحى به اليك وعن عمر رضه لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه ولكن ليجتهد رايه لان الرأي من رسول الله كان مصيبا لان الله كان يريه اياه وهو منا الظن والتكلف ولا تكن للخائنين خصيما ولا تكن لاجل الخائنين مخاصما للبرآء يعني لا تخاصم اليهود لاجل بني ظفر واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهودي يختانون انفسهم يخونونها بالمعصية كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لان الضرر راجع اليهم فان قلت لم قيل للخائنين ويختانون انفسهم وكان السارق طعمة وحده قلت لوجهين احدهما ان بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الاثم والثاني انه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه فان قلت لم قيل خوانا اثيما على المبالغة قلت كان الله عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة امره لم يشك في حاله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضه انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما يستخفون يستترون من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين انهم في حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس الا الكشف الصريح والافتضاح يبيتون يدبرون ويزورون واصله ان يكون بالليل ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف انه بريء فان قلت كيف سمي التدبير قولا وانما هو معنى في النفس قلت لما حدث بذلك نفسه سمي قولا على المجاز ويجوز ان يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بيته وتوركه الذنب على اليهودي ها انتم هؤلاء ها للتنبيه في انتم واولاء وهما مبتدأ وخبر وجادلتم جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كما تقول لبعض الاسخياء انت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه وقرأ عبد الله عنه اي عن طعمة وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه ومن يعمل سوءا

قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه او لقومه لما فرط منهم من نصرتهم والذب عنه فانما يكسبه على نفسه اي لا يتعداه ضرره الى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما خطيئة صغيرة او اثما او كبيرة ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا واثما لانه بكسب الاثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين الامرين وقرأ معاذ بن جبل رضه ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة واصله يكتسب ولولا فضل الله عليك ورحمته اي عصمته والطافه وما اوحى اليك من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان الجاني صاحبهم فقد روي ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة وما يضلون الا انفسهم لان وباله عليهم وما يضرونك من شيء لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور وضمائر القلوب او من امور الدين والشرائع ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم الى الناس وقيل الآية في المنافقين لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا لا خير في كثير من نجواهم من تناجي الناس الا من امر بصدقة الا نجوى من امر على انه مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير قيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف وقيل هو عام في كل جميل ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبي صلعم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وسمع سفيان رجلا يقول ما اشد هذا الحديث فقال الم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا بعينه اوما سمعته يقول والعصر ان الانسان لفي خسر فهو هذا بعينه وشرط في استيجاب الاجر العظيم ان ينوي فاعل الخير عبادة الله والتقرب به اليه وان يبتغي به وجهه خالصا لان الاعمال بالنيات فان قلت كيف قال الا من امر ثم قال ومن يفعل ذلك قلت قد ذكر الامر بالخير ليدل على فاعله لانه اذا دخل الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم ويجوز ان يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل كما يعبر به عن سائر الافعال وقرئ يؤتيه بالياء ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو دليل على ان الاجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله عز وعلا جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه الى مكة ان الله لا يغفر ان يشرك به تكرير للتأكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروي انه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول الله صلعم فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته

وآمنت ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراءة على الله ولا مكابرة له وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر
فما ترى حالي عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا
مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن
خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون
عنها محيصا الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي من احياء العرب صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا
يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقرئ انثا جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل
جمع وثن كقولك اسد واسد واسد وقلبت الواو الفا نحو اجوه في وجوه وقرأت عائشة رضي الله عنها اوثانا وان يدعون وان يعبدون بعبادة الاصنام
الا شيطانا لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة لعنه الله وقال لاتخذن صفتان يعني شيطانا مريدا جامعا بين
لعنة الله وهذا القول الشنيع نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا فرضه لنفسي من قولهم فرض له في العطاء وفرض الجند رزقه قال الحسن من كل الف
تسعمائة وتسعين الى النار ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها
بالشفاعة ونحو ذلك وتبتيكهم الآذان فعلهم بالبحائر كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم
الانتفاع بها وتغييرهم خلق الله فقء عين الحامي واعفاؤه عن الركوب وقيل الخصاء وهو في قول عامة العلماء مباح في البهائم واما في بني آدم فمحظور
وعند ابي حنيفة رحمه الله يكره شرى الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقيل فطرة الله التي هي دين الاسلام
وقيل للحسن ان عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات
خلق الله وقيل التخنث والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن
اصدق من الله قيلا ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات
من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم
حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا وعد الله حقا مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره ومن اصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ فان قلت ما فائدة
هذه التوكيدات قلت معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة واماني اهله الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه ترغيبا للعباد في ايثار ما يحظون
به على ما يتجرعون في عاقبته غصص اخلاف مواعيد الشيطان ليس بامانيكم اي ليس ينال ما وعد الله من الثواب بامانيكم ولا باماني
اهل الكتاب والخطاب للمسلمين لانه لا يتمنى وعد الله الا من آمن به ولذلك ذكر اهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم في الايمان بوعد الله وعن مسروق
والسدي هي في المسلمين وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا
ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن بالله لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب
نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت ويحتمل
ان يكون الخطاب للمشركين لقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا لاوتين مالا وولدا ان لي عنده للحسنى وكان

بحرت اذن الناقة بحرا شققتها وخرقتها ومنه البحيرة وهي ابنة السائبة وحكمها حكم امها

اهل الكتاب يقولون نحن ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودة وبعضها تقدم ذكر اهل الشرك قبله وعن مجاهد ان الخطاب
للمشركين قوله من يعمل سوءا يجز به وقوله ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمني اهل الكتاب نحو من قوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته
وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة واذا ابطل الله الاماني واثبت ان الامر
كله معقود بالعمل وان من اصلح عمله فهو الفائز ومن اساء عمله فهو الهالك تبين الامر ووضح ووجب قطع الاماني وحسم المطامع والاقبال
على العمل الصالح ولكنه نصح لا تعيه الآذان ولا تلقى اليه الاذهان فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض
اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف
لا حج عليه ولا جهاد ولا زكوة وتسقط عنه الصلوة في بعض الاحوال والثانية لتبيين الابهام في ومن يعمل فان قلت كيف خص الصالحون بانهم
لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثاني
ان يكون ذكره عند احد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لان كلا الفريقين مجزيون باعمالهم لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسيء ان يزاد في عقابه
وارحم الراحمين معلوم انه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه واما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هي في حكم الثواب
فجاز ان ينقص من الفضل لانه ليس بواجب فكان نفي الظلم دلالة على انه لا يقع نقصان في الفضل اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله وجعلها سالمة
له لا يعرف لها ربا ومعبودا سواه وهو محسن وهو عامل للحسنات تارك للسيئات حنيفا حال من المتبع او من ابرهيم كقوله بل ملة ابرهيم حنيفا وهو الذي
تحنف اي مال عن الاديان كلها الى دين الاسلام واتخذ الله ابرهيم خليلا مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخليل
المخال وهو الذي يخالك اي يوافقك في خلالك او يسايرك في طريقه من الخل وهو الطريق في الرمل او يسد خللك كما تسد خلله او يداخلك خلال
منازلك وحجبك فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والحوادث جمة
فائدتها تاكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة
قبلها لم يكن لها معنى وقيل ان ابرهيم عليه السلم بعث الى خليل له بمصر فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا
ابرهيم ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته الى غرارة منها فاخرجت احسن حوارى واختبزت واستنبه ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال
من اين لكم فقالت امرأته من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض وكان الله بكل شيء
محيطا ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون
ان تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما ولله ما في السموات وما في الارض
متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين ومعناه ان له ملك اهل السموات والارض فطاعته واجبة عليهم وكان الله بكل شيء محيطا فكان عالما
باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم ان يختاروا لانفسهم ما هو اصلح لها ما يتلى في محل الرفع اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى
اليتامى يعني قوله وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على انها
جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان العدل والنصفة في حقوق اليتامى من عظائم الامور المرفوعة

قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله الآية فان قيل لا نسلم ان عدم اتباع سبيل المؤمنين يصدق عليه انه اتباع لغير سبيل المؤمنين فانه لا يمتنع ان لا يتبع
لا سبيل المؤمنين ولا غير سبيل المؤمنين واجيب عن هذا السؤال بان المتابعة عبارة عن الاتيان بمثل ما فعل الغير ... سبيل المؤمنين ... سبيل يفعل غير
المؤمنين ... الدليل ٥ كبير

قوله واتخذ الله ابراهيم خليلا ... ان اتخذه الله خليلا كان جديرا بان يتبع ملته ...
كان عاملا بذلك الشرع ... ٥ كبير

الدرجات عند الله التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها والخلل بها ظلم ستهاونون بها لعظمه الله ونحوه في تعظيم القرآن وانه في ام الكتاب لدينا لعلي
حكيم ويجوز ان يكون مجرورا على القسم كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم ايضا لمعنى التعظيم وليس بسديد
ان يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى فان قلت بم تعلق قوله في يتامى النساء قلت في الوجه الاول هو صلة تتلى اي تتلى عليكم
في معانيهن ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن واما في الوجهين الاخيرين فبدل لا غير فان قلت الاضافة في يتامى النساء ما هي قلت اضافة
بمعنى من كقولك عندي سحق عمامة وقرئ في ييامى النساء بيايين على قلب همزة ايامى ياء لا تؤتونهن ما كتب لهن وقرئ ما كتب الله لهن اي ما فرض
لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه وما لها فان كانت جميلة تزوجها واكل المال وان كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى
تموت فيرثها وترغبون ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن وروي ان عمر بن الخطاب رض كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة
غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وان كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فانت احق بها والمستضعفين مجرور معطوف
على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال والنساء ويجوز ان يكون خطابا للاوصياء كقوله ولا تتبدلوا
الخبيث بالطيب وان تقوموا مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى
ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم ولا يخلوا احدا يهتضمهم وان امراة خافت من بعلها نشوزا
او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن الله
كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما خافت من بعلها توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وامارته والنشوز ان يتجافى عنها
بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمراة وان يؤذيها بسب او ضرب والاعراض ان يعرض عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها
وذلك لبعض الاسباب من طعن في سن او دمامة او شيء في خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير ذلك فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما وقرئ يصالحا
ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو اصلح اصبر في اصطبر وصلحا في معنى مصدر كل واحد من الافعال الثلاثة ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب
له نفسها عن القسمة او عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلعم وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها
وكما روي ان امراة اراد ان يطلقها زوجها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال ان كان
يصلح هذا فهو احب الي او تهب له بعض المهر او كله او النفقة فان لم تفعل فليس له الا ان يمسكها باحسان او يسرحها والصلح خير من الفرقة او من النشوز
والاعراض وسوء العشرة او هو خير من الخصومة في كل شيء او الصلح خير من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله واحضرت
الانفس الشح ومعنى احضار الانفس الشح ان الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا ينفك عنها يعني انها مطبوعة عليه والغرض ان المراة لا تكاد تسمح
بقسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها وان يمسكها اذا رغب عنها واحب غيرها وان تحسنوا بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن
واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة فان الله كان بما تعملون من
الاحسان والتقوى خبيرا وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان الخارجي من ادم بني ادم وامراته من اجملهم فاجالت في وجهه

نظرها

نظرها ثم تابعت الحمد لله فقال ما لك قالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت
مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين ولن تستطيعوا ومحال ان تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى
لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون
بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لان تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه ان تعدلوا
في المحبة وعن النبي صلعم انه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان
عائشة كانت احب اليه وقيل ان العدل بينهن امر صعب بالغ من الصعوبة حدا يوهم انه غير مستطاع لانه يجب ان يسوي بينهن في القسمة
والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر ياتي من ورائه فهو كالخارج من حد
الاستطاعة هذا اذا كن محبوبات كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها
من غير رضى منها يعني ان اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب
من التوبيخ فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال هل هي الا حظة او تطليق او صلف او بين ذاك تعليق
وفي قراءة ابي فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امراتان يميل مع احدهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وروي ان عمر بن الخطاب رض
بعث الى ازواج رسول الله صلعم بمال فقالت عائشة الى كل ازواج رسول الله بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن
بغيره فقالت ارفع راسك فان رسول الله كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا وكان لمعاذ امراتان فاذا
كان عند احديهما لم يتوضا في بيت الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة وتتقوا فيما
يستقبل غفر الله لكم وان يتفرقا يعني وان يفارق كل واحد منهما صاحبه يغن الله كلا يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنا من عيشه
والسعة الغنى والمقدرة والواسع الغني المقتدر ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم
ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا
من قبلكم متعلق بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية ان اتقوا بان اتقوا
او تكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول وقوله وان تكفروا فان لله عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم
ولكم ان تكفروا فان لله والمعنى ان لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي
يتقون عقابه ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من الامم السالفة ووصيناكم ان اتقوا الله يعني انها وصية قديمة ما زال يوصي الله
بها عباده لستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله في سمواته
وارضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه
وان لم يحمده احد منهم وتكرير قوله لله ما في السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشية والتقوى
اصل الخير كله ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات باخرين وكان الله على ذلك قديرا من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة

وكان الله سميعا بصيرا يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا
فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ان يشأ يذهبكم يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم
وانشأكم ويأت بآخرين ويوجد اناسا آخرين مكانكم او خلقا آخرين غير الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه
شيء اراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله صلعم من العرب ان يشأ يمتكم ويأت بناس آخرين يوالونه
ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده
الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب احدهما دون الآخر والذي يطلبه اخسهما لان من جاهد لله خالصا لم تخطئه الغنيمة وله من
ثواب الآخرة ما الغنيمة الى جنبه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له ان اراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط قوامين بالقسط مجتهدين
في اقامة العدل حتى لا تجوروا شهداء لله تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما امرتم باقامتها ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم او آبائكم او اقاربكم
فان قلت الشهادة على الوالدين والاقربين ان يقول اشهد ان لفلان على والدي كذا او على اقاربي فما معنى الشهادة على نفسه قلت هي الاقرار
على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز ان يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على آبائكم او اقاربكم
وذلك ان يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره ان يكن المشهود عليه غنيا فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا
فلا يمنعها ترحما عليه فالله اولى بهما بالغني والفقير اي بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه
انظر لعباده من كل ناظر فان قلت لم ثنى الضمير في اولى بهما وكان حقه ان يوحد لان قوله ان يكن غنيا او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين قلت
قد رجع الضمير الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا او فقيرا لا الى المذكور فلذلك ثنى ولم يفرد وهو جنس الغني وجنس الفقير كانه قيل فالله اولى بجنسي الغني
والفقير اي بالاغنياء والفقراء وفي قراءة ابي فالله اولى بهم وهي شاهدة على ذلك وقرأ عبد الله ان يكن غني او فقير على كان التامة ان تعدلوا يحتمل
العدل والعدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا او تعرضوا وان تلووا السنتكم
عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها وقرئ وان تلوا او تعرضوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او
اعرضتم عن اقامتها فان الله كان بما تعملون خبيرا وبمجازاتكم عليه يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله
والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ان الذين آمنوا ثم كفروا
ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما الذين يتخذون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين
ومعنى آمنوا اثبتوا على الايمان وداوموا عليه وازدادوه والكتاب الذي انزل من قبل المراد به جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب والدليل
عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه على ارادة الجنس وقرئ نزل وانزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا ببعض الكتب
والرسل وكفروا ببعض وروي انه لعبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن اخت عبد الله بن سلام وسلمة بن اخيه
ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلعم وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل

فقال صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين
كانه قيل يا ايها الذين آمنوا نفاقا آمنوا اخلاصا فان قلت كيف قيل لاهل الكتاب والذي انزل من قبل وكانوا مؤمنين بالتوراة والانجيل
قلت كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما انزل من الكتب فامروا ان يؤمنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا به لان
طريق الايمان به هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان ايمانهم بما آمنوا به لاجل المعجزة لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه
علم انهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم ايمانا وهذا الذي اراد عز وجل في قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا
بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا فان قلت لم قيل نزل على رسوله وانزل من قبل قلت لان القرآن نزل مفرقا منجما في عشرين
سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله ومن يكفر بالله الآية ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل لان الكفر ببعضه كفر بكله الا ترى كيف قدم الامر
بالايمان به جميعا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي تعطيها اللام والمراد بنفيهما
نفي ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه يستبعد منهم ان
يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب اولئك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضريت بالكفر
ومرنت على الردة وكان الايمان اهون شيء عندهم حيث يبدو لهم فيه كرة بعد اخرى وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت
توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وانه امر لا يكاد يكون
وهكذا ترى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على شر حالة واسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا
بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالانجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلعم بشر المنافقين وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم الذين نصب على الذم
او رفع بمعنى اريد الذين او هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد فتولوا اليهود فان العزة لله جميعا يريد
لاوليائه الذين كتب الله لهم العزة والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله
يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا
الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم
من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ان اذا سمعتم هي ان المخففة من الثقيلة والمعنى انه
اذا سمعتم اي نزل عليكم ان الشان كذا والشان ما افادته الجملة بشرطها وجزائها وان مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل او في موضع النصب
بنزل فيمن قرأه والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزئون به فنهى المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه وكان
احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين
في القرآن من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم انكم اذا مثلهم مثل الاحبار في الكفر ان الله جامع المنافقين والكافرين يعني القاعدين والمقعود
معهم فان قلت الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم الى من يرجع قلت الى من دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كانه قيل فلا تقعدوا

مع الكافرين بها والمستهزئين بها فإن قلت لم يكونون مثلهم بالمجالسة إليهم في وقت الخوض قلت لأنهم إذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين
والراضي بالكفر كافر فإن قلت فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين قلت لأنهم كانوا لا ينكرون لعجزهم
وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الإنكار لرضاهم الذين يتربصون إما بدل من الذين يتخذون وإما صفة للمنافقين أو نصب على الذم منهم
يتربصون بكم أي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر أو إخفاق ألم نكن معكم مظاهرين فأسهموا لنا في الغنيمة ألم نستحوذ عليكم ألم نغلبكم ونتمكن
من قتلكم وأسركم فأبقينا عليكم ونمنعكم من المؤمنين بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم
عليكم فهاتوا نصيبا لنا بما أصبتم وقرئ ونمنعكم بإضمار أن قال الحطيئة ألم أك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والإخاء فإن قلت
لم سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشأن المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لأن ظفر المسلمين أمر عظيم تفتح لهم أبواب
السماء حتى ينزل على أوليائه وأما ظفر الكافرين فما هو إلا حظ دني ولمظة من الدنيا يصيبونها إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا
إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا يخادعون الله يفعلون ما يفعل
المخادع من إظهار الإيمان وإبطان الكفر وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والأموال في الدنيا وأعد
لهم الدرك الأسفل من النار في الآخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة وإحلال بأس ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته
إذا غلبته وكنت أخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس
من نوركم كسالى بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران أي يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيئا على كره لا عن طيبة نفس
ورغبة يراءون الناس يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ولا يذكرون الله إلا قليلا ولا يصلون إلا قليلا لأنهم لا يصلون قط غائبين عن عيون
الناس إلا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل أيضا لأنهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه أو ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل
إلا ذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالإسلام لو صحبته الأيام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث
الدنيا يستغرق به أوقاته لا يفتر عنه ويجوز أن يراد بالقلة العدم فإن قلت ما معنى المراءاة وهي مفاعلة من الرؤية قلت فيها وجهان أحدهما
أن المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني أن يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس بمعنى رأاهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه
وفانقه وعيش مفانق وروى أبو زيد رأت المرأة المرآة الرجل إذا أمسكتها لترى وجهه ويدل عليه قراءة ابن أبي إسحاق يرؤونهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم
أي يبصرونهم أعمالهم ويراؤونهم كذلك مذبذبين إما حال نحو قوله ولا يذكرون عن واو يراءون أي يراؤونهم غير ذاكرين أو منصوب على الذم ومعنى
مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الإيمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين أي
يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرجوان إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كأن المعنى كلما مال إلى جانب ذب
عنه وقرأ ابن عباس مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو رأيهم أو بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى وفي مصحف
عبد الله متذبذبين وعن أبي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكأن المعنى أخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا بماضين

على دبة واحدة والدبة الطريقة ومنه دبة قريش وذلك إشارة إلى الكفر والإيمان لا إلى هؤلاء لا منسوبين إلى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا إلى
هؤلاء ولا منسوبين إلى هؤلاء فيسموا مشركين لا تتخذوا الكافرين أولياء لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من أعداء الإسلام أولياء
سلطانا مبينا حجة بينة على النفاق يعني أن موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن صعصعة بن صوحان أنه قال لابن أخ له خالص المؤمن وخالق
الكافر والفاجر فإن الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وإنه يحق عليك أن تخالص المؤمن إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا
إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما ما يفعل الله بعذابكم
إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما الدرك الأسفل الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة
بعضها فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم أدراك جهنم فإن قلت لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر قلت لأنه مثله في الكفر
وضم إلى كفره الاستهزاء بالإسلام وأهله ومداجاتهم وأصلحوا ما أفسدوا من أسرارهم وأحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به كما يثق المؤمنون
الخلص وأخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم إلا وجهه فأولئك مع المؤمنين فهم أصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين
أجرا عظيما فيشاركونهم فيه ويساهمونهم فإن قلت من المنافق قلت هو في الشريعة من أظهر الإيمان وأبطن الكفر وأما تسمية من ارتكب
ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى
وزعم أنه مسلم من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وقيل لحذيفة من المنافق فقال الذي يصف الإسلام ولا يعمل به وقيل
لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فإذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن أتى على النفاق زمان وهو
مقروع فيه فأصبح وقد عمم وقلد وأعطي سيفا يعني الحجاج ما يفعل الله بعذابكم أيتشفى به من الغيظ أم يدرك به الثأر أم يستجلب به
نفعا أم يستدفع به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك وإنما هو أمر أوجبته الحكمة أن يعاقب المسيء فإن
قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أبعدتم عن أنفسكم استحقاق العذاب وكان الله شاكرا مثيبا موفيا أجوركم عليما بحق شكركم وإيمانكم
فإن قلت لم قدم الشكر على الإيمان قلت لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما
فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الإيمان وكأنه أصل التكليف ومداره لا يحب الله
الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا إن الذين
يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا
أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا إلا من ظلم إلا جهر من ظلم استثني من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم
وهو أن يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو أن يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه
فأصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ إلا من ظلم على البناء للفاعل للانقطاع أي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء
ويجوز أن يكون من ظلم مرفوعا كأنه قيل لا يحب الجهر بالسوء إلا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد إلا عمرو ومنه لا يعلم من في السماوات والأرض
الغيب إلا الله ثم حث على العفو وأن لا يجهر أحد لأحد بسوء وإن كان على وجه الانتصار بعد ما أطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الأحب إلى الله

والافضل عنه والادخل في الكرم والتخشع والعبودية وذكر ابداء الخير واخفاءه تسبيبا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته
وان له مكانا في باب الخير وسيطا والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يعفو عن
الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله او آمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض
كافرين بالله ورسله جميعا لما ذكرنا من العلة ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا دينا وسطا بين الايمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلاتك ولا
تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اي طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد اخطأوا فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال
اولئك هم الكافرون حقا اي هم الكاملون في الكفر وحقا تأكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او هو صفة
لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم
اجورهم وكان الله غفورا رحيما فان قلت كيف جاز دخول بين على احد وهو يقتضي شيئين فصاعدا قلت ان احدا عام في الواحد المذكر والمؤنث
وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رأيت احدا فتقصد العموم الا تراك تقول الا بني فلان والا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة
ومنه قوله تعالى لستن كأحد من النساء سوف يؤتيهم اجورهم معناه ان ايتاءها كائن لا محالة وان تأخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه
متأخرا يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة
بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم
وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا روي ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء
وغيرهما قالوا لرسول الله ان كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى فنزلت وقيل كتابا الى فلان وكتابا الى فلان بأنك
رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما اتاهم كفاية فقد
سألوا موسى جواب لشرط مقدر معناه ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى اكبر من ذلك وانما اسند السؤال اليهم وان وجد من آبائهم
في ايام موسى وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت جهرة عيانا بمعنى ارناه نره جهرة
بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا امرا جائزا لما سموا ظالمين ولما اخذتهم الصاعقة كما سأل ابراهيم صلوات الله عليه ان يريه احياء الموتى
فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين امرهم
بان يقتلوا انفسهم حتى تابوا فأطاعوه واحتبوا بأفنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيالك من سلطان مبين بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا
فلا ينقضوه وقلنا لهم والطور مطل عليهم ادخلوا الباب سجدا ولا تعدوا في السبت وقد اخذنا منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا واطعنا ومعاهدتهم
على ان يتموا عليه ثم نقضوه بعد ذلك وقرئ لا تعدوا ولا تعدّوا بادغام التاء في الدال فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم
الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا
قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم
الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما فبما نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد فان قلت بم

تعلقت

تعلقت الباء وما معنى التوكيد قلت اما ان يتعلق بمحذوف كأنه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا واما ان يتعلق بقوله حرمنا عليهم
على ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم واما التوكيد فمعناه تحقيق ان العقاب او تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد
وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك فان قلت هلا زعمت ان المحذوف الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون
التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم قلت لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار
لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك انهم ارادوا بقولهم قلوبنا غلف ان الله خلق قلوبنا غلفا اي في اكنة لا يتوصل اليها شيء من الذكر
والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وكمذهب المجبرة فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم
فصارت كالمطبوع عليها لا ان تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله فان قلت علام عطف قوله وبكفرهم قلت الوجه ان يعطف
على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقولهم قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله
بكفرهم فان قلت فما معنى المجيء بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الاضراب او على ما بعده وهو قوله وكفرهم بآيات الله وقوله
بكفرهم قلت قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلوة والسلام فعطف بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف
على مجموع المعطوف عليه كأنه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم
مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا والبهتان العظيم هو التزنية فان قلت كانوا
كافرين بعيسى عليه السلام اعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله
قلت قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية
عنهم رفعا لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما ارادوا بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا روي
ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من
سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي
فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم
عليه فدخل بيت عيسى فرفع عيسى وألقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله وقال
بعضهم انه قد قتل وصلب وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم رفع الى السماء وقال بعضهم
الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فان قلت شبه مسند الى ماذا ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وان اسندته
الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر قلت هو مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز ان يسند الى ضمير
المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كأنه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه الا اتباع الظن استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم
يعني ولكنهم يتبعون الظن فان قلت قد وصفوا بالشك والشك ان لا يترجح احد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن ان يترجح احدهما فكيف يكونون
شاكين ظانين قلت اريد انهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك وما قتلوه يقينا وما قتلوه قتلا يقينا

او ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم انا قتلنا المسيح او يجعل نفيا تاكيدا لقوله وما قتلوه كقولك ما قتلوه حقا اي حق انتفاء قتله
حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا نفي عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه علم
يقين والاحاطة لم يكن الا تهكما بهم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين
منهم عذابا اليما ليؤمنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام
معلوم وان منكم الا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله يعني اذا عاين قبل ان تزهق روحه
حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال اني
اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا
يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله
حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال
لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت له ما اردت الى ان تقول حدثني محمد بن علي ابن الحنفية قال اردت ان اغيظه يعني بزيادة
اسم علي لانه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها
شفتيه قال وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به ويدل عليه قراءة ابي الا ليؤمنن به قبل
موتهم بضم النون على معنى وان منهم احد الا ليؤمنون به قبل موتهم لان احدا يصلح للجمع فان قلت ما فائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم قلت
فائدته الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بد لهم من الايمان به عن قرب عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الايمان به
في اوان الانتفاع به وليكون الزاما للحجة لهم وكذلك قوله تعالى ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى
بانهم دعوه ابن الله وقيل الضميران لعيسى بمعنى وان منهم احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه
ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال
وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي
عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم
نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى الله وقيل الى محمد صلعم فبظلم من الذين هادوا فباي ظلم
منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات التي حرمت عليهم
ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الالبان وكلما اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات
من المطاعم وغيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيرا او صدا كثيرا بالباطل بالرشوة التي كانوا يأخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب
لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون

بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم
عليك وكلم الله موسى تكليما لكن الراسخون يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام واضرابه والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون
والمؤمنون يعني المؤمنين منهم او المؤمنين من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء ويؤمنون خبره والمقيمين نصب على المدح
لبيان فضل الصلوة وهو باب واسع قد كسره سيبويه على امثلة وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت
اليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه ان السابقين الاولين الذين مثلهم
في التورية ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا
يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما انزل اليك اي يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم الانبياء وفي مصحف عبد الله والمقيمون بالواو
وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي انا اوحينا اليك جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ان ينزل عليهم كتابا من السماء و
احتجاج عليهم بان شانه في الوحي اليه كشان سائر الانبياء الذين سلفوا وقرئ زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب ورسلا نصب بمضمر
في معنى اوحينا اليك وهو ارسلنا ونبأنا وما اشبه ذلك او بما فسره قصصناهم وفي قراءة ابي ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل
لم نقصصهم وعن ابرهيم ويحيى بن وثاب انهما قرءا وكلم الله بالنصب ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان معناه وجرح الله موسى باظفار
المحن ومخالب الفتن رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد
بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا رسلا مبشرين ومنذرين الاوجه ان ينتصب على المدح ويجوز
انتصابه على التكرير فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله تعالى من الادلة التي النظر فيها موصل
الى المعرفة والرسل في انفسهم لم يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة ولا عرف انهم رسل الله الا بالنظر فيها قلت الرسل منبهون
عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء اهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرائع
فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه
له قرأ السلمي لكن الله يشهد بالتشديد فان قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو في قوله لكن الله يشهد قلت لما سال اهل
الكتاب انزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال لكن الله يشهد بمعنى انهم لا يشهدون لكن الله يشهد
وقيل لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت
الدعاوى بالبينات وشهادة الملائكة شهادتهم بانه حق وصدق فان قلت بم يجابون لو قالوا بم نعلم ان الملائكة يشهدون بذلك قلت
يجابون بانه ثبت علم شهادة الله لانه لما علم باظهار المعجزات انهم شاهدون بصحته علم ان الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لان شهادتهم
تبع لشهادته فان قلت ما معنى قوله انزله بعلمه وما موقعه من الجملة التي قبله قلت معناه انزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره
وهو تاليفه على نظم واسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وان شهادته بصحته

انه انزله بالنظم المعجز الفائت للقدرة وقيل انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه وقيل انزله بما علم من مصالح العباد مشتملا
عليه ويحتمل انه انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة والملائكة يشهدون بذلك كما قال في آخر سورة الجن
الا ترى الى قوله واحاط بما لديهم والاحاطة بمعنى العلم وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجزة هو اثبات شهادة حقا فلا اي شي
اكبر شهادة قل الله ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم
طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم
وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي وكان بعضهم كافرين
وبعضهم ظالمين اصحاب كبائر لانه لا فرق بين الفريقين في انه لا يغفر لهما الا بالتوبة ولا ليهديهم طريقا لا يلطف بهم فيسلكون الطريق
الموصل الى جهنم او لا يهديهم يوم القيامة الا طريقها يسيرا اي لا صارف له عنه فآمنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر
وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اي اقصدوا او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من
الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله
وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات
وما في الارض وكفى بالله وكيلا لا تغلوا في دينكم غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت
النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه الها ولا تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الشريك والولد وقرا جعفر بن محمد انما المسيح بوزن
السكيت وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وامره لا غير من غير واسطة اب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لذلك لانه
ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله وقيل لانه حاله صفة ومعنى القاها الى
مريم اوصلها اليها وحصلها فيها ثلاثة خبر مبتدأ محذوف فان صحت الحكاية عنهم انهم يقولون هو جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب
واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن العلم وباقنوم روح القدس الحيوة فتقديره الله ثلاثة
والا فتقديره الالهة ثلاثة والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى الى قوله
أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم انهم يقولون في المسيح
لاهوتية وناسوتية من جهة الاب والام ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى بن مريم فاثبت انه ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد بامهاتهم
وان اتصاله بالله عز وجل من حيث انه رسوله وانه موجود بامره وابتداعه جسدا حيا من غير اب فنفى ان يتصل به اتصال الابناء بالآباء وقوله
سبحانه ان يكون له ولد وحكاية الله اوفق من حكاية غيره ومعنى سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد وقرئ
ان يكون بكسر الهمزة ورفع النون اي سبحانه ما يكون له ولد على ان الكلام جملتان له ما في السموات وما في الارض بيان لتنزهه عما نسب اليه
يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض
وكفى بالله وكيلا تكل اليه الخلق كلهم امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء اليه لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا

الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا لن يستنكف لن يانف ولن
يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك ولا الملائكة المقربون ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم منه خطرا
وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبرئيل وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم فان قلت من اين دل قوله ولا الملائكة المقربون على
ان المعنى ولا من فوقه قلت من حيث ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك ان الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة
العبودية فوجب ان يقال لهم لن ترتفع عيسى عن العبودية ولا من هو ارفع درجة كانه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح
ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم ارفع الملائكة درجة واعلاهم منزلة ومثاله قول القائل ۞ وما مثله ممن يجاود حاتم
ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخره ۞ لا شبهة في انه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذقه مع هذه الآية قوله
ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين وقرا علي رضه عبيدا على التصغير وروى ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلعم لم تعيب
صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا بلى فنزلت
اي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف لان العار الصق به فان قلت علام عطف قوله
ولا الملائكة قلت لا يخلو اما ان يعطف على المسيح او على اسم يكون او على المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة وقولك
مررت برجل عبد ابوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو ان المسيح لا يانف ان يكون هو ولا من فوقه
موصوفين بالعبودية او ان يعبد الله هو ومن فوقه فان قلت قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبدا لله في هذا العطف فما وجهه قلت فيه وجهان احدهما
ان يراد ولا كل واحد من الملائكة او ولا الملائكة المقربون ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا واما اذا عطفتهم على الضمير
في عبدا فقد طاح هذا السؤال قرئ فسنحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل
على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما ان يحذف
ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في قوله عقيبه فاما الذين آمنوا بالله
واعتصموا به والثاني وهو ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب
بالحسرة اذا راى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين آمنوا
بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما البرهان والنور المبين القرآن او اراد بالبرهان دين الحق
او رسول الله صلعم وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز في رحمة منه وفضل في ثواب مستحق وتفضل ويهديهم اليه الى عبادته صراطا
مستقيما وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت
فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين
يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم روي انه آخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله صلعم في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله

فقال انى لى اخوات فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله فقال انى كلالة فكيف اصنع فى مالى فنزلت ان امرؤ هلك اى ان هلك امرؤ مضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة لا النصب على الحال اى ان هلك امرؤ غير ذى ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه على الذكر وعلى الانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت الا فى مذهب ابن عباس وبالاخت التى هى لاب وام او لاب دون التى لام لان الله فرض لها النصف وجعل اخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت للام فلها السدس فى آية المواريث مسوى بينها وبين اخيها وهو يرثها ولم يفرض لها ولد ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم يكن لها ولد اى ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده فان الاب نظيره فى الاسقاط فلم اقتصر على نفى الولد قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله صلعم الحقوا الفرائض باهلها فما بقى فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ وليسا باول حكمين بين احدهما بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز ان يدل بحكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لان الولد اقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند انتفاء الاقرب فاولى ان يرث عند انتفاء الابعد ولان الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء احدهما دالا على انتفاء الآخر قلت الى من يرجع ضمير التثنية والجمع فى قوله تعالى فان كانتا اثنتين وان كانوا اخوة قلت اصله فان كان من يرث بالاخوة اثنتين وان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت امك وكما انث ضمير من لمكان تانيث الخبر كذلك ثنى وجمع ضمير من يرث فى كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة ان تضلوا مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا عن النبى صلعم من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطى من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان فى مشية الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهى مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلى الصيد وانتم حرم ان الله يحكم ما يريد

يقال وفى بالعهد واوفى به والموفون بعهدهم والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قول الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا وهى عقود الله التى عقدها على عباده والزمها اياهم من مواجب التكليف وقيل ما يعقدون بينهم من عقود الامانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر انها عقود الله عليهم فى دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله احلت لكم وما بعده البهيمة كل ذات اربع فى البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهى الاضافة التى بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام الا ما يتلى عليكم آية تحريم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش كانهم ارادوا ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم فى الاجترار وعدم الانياب فاضيفت الى الانعام لملابسة الشبه غير محلى الصيد نصب على الحال من الضمير فى لكم اى احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش ان انتصابه عن قوله اوفوا بالعقود وقوله وانتم حرم حال عن محلى الصيد كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام فى حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا تحرج عليكم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام ويعلم انه حكمة ومصلحة والحرم جمع حرام وهو المحرم يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب الشعائر جمع شعيرة وهى اسم ما اشعر اى جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامى الجمار والمطاف والمسعى والافعال التى هى علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعى والحلق والنحر والشهر الحرام شهر الحج والهدى ما اهدى الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك وهو جمع هدية كما يقال جدى فى جمع جدية السرج والقلائد جمع قلادة وهى ما قلد به الهدى من نعل او عروة مزادة او لحاء شجر او غيره وآمو المسجد الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة الشعائر وحرمة وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا فى اشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وان يتعرض للهدى بالغصب او بالمنع عن بلوغ محله واما القلائد ففيها وجهان احدهما ان يراد بها ذوات القلائد من الهدى وهى البدن وتعطف على الهدى للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها اشرف الهدى كقوله وجبريل وميكائيل كانه قيل والقلائد منها خصوصا والثانى ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدى مبالغة فى النهى عن التعرض للهدى على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة فى النهى عن ابداء مواقعها ولا آمين ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام يبتغون فضلا من ربهم وهو الثواب ورضوانا وان يرضى عنهم اى لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا ان يتعرض لمثلهم قيل هى محكمة وعن النبى صلعم المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابى ميسرة فيها ثمانى عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هى منسوخة وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبى لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون فى انفسهم انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم وقرا عبد الله ولا آمى البيت الحرام على الاضافة وقرا حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين فاصطادوا اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كانه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء وقرئ واذا احللتم يقال حل المحرم واحل جرم يجرى مجرى كسب فى تعديه الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه ويقال اجرمته ذنبا على نقل المتعدى الى مفعول واحد بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء واول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثانى ان تعتدوا وان صدوكم بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض وقرئ بسكون النون والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه وقرئ ان صدوكم على ان الشرطية وفى قراءة عبد الله ان يصدوكم ومعنى صدهم اياكم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام والتشفى ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح

على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم كان اهل الجاهلية ياكلون هذه المحرمات البهيمة
التي تموت حتف انفها والفصيد وهو الدم في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به وهو قولهم باسم
اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت بسبب والموقوذة التي اثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت والمتردية التي تردت
من جبل او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح وما اكل السبع بعضه الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكوته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب
اوداجه وقرا عبد الله والمنطوحة وفي رواية عن ابي عمرو والسبع بسكون الباء وقرا ابن عباس واكيل السبع وما ذبح على النصب كانت لهم حجارة منصوبة
حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به اليها تسمى الانصاب والنصب واحد قال الاعشى
وذا النصب المنصوب لا تعبدنه وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد وان تستقسموا بالازلام وحرم عليكم الاستقسام
بالقداح كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا من معاظم الامور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها امرني ربي وعلى بعضها
نهاني ربي وبعضها غفل فان خرج الآمر مضى لطيته وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اجالها عودا فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما
قسم لهم مما لم يقسم لهم بالازلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام او الى تناول ما حرم عليهم
لان المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا فان قلت لم كان استقسام المسافر وغيره بالازلام ليتعرف الحال فسقا قلت لانه دخول في علم
الغيب الذي استأثر به علام الغيوب وقال لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله واعتقاد ان اليه طريقا والى استنباطه وقوله امرني ربي ونهاني
ربي افتراء على الله وما يدريه انه امره او نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وان كان اراد بالرب الصنم فقد روي انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم
فامره ظاهر اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابا وانت
اليوم اشيب فلا تريد بالامس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك ونحوه الآن في قوله
الآن لما ابيض مسربتي وعضضت من نابي على جذمي
وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم يئسوا منه ان يبطلوه وان
يرجعوا محللين لهذه الخبائث بعد ما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه لان الله عز وجل وفى بوعده من اظهاره على الدين كله فلا
تخشوهم بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعد ما كانوا غالبين واخشون واخلصوا لي الخشية اكملت لكم
دينكم كفيتكم امر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما يقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد اذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا الى اغراضهم
ومباغيهم او اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس واصول الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي
بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان او اتممت نعمتي عليكم باكمال امر الدين
والشرائع كانه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا يعني اخترته لكم من بين
الاديان وآذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا وان هذه امتكم امة واحدة فان قلت بم اتصل قوله فمن اضطر قلت بذكر
المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت

بالرضى دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها في مخمصة في مجاعة غير متجانف لاثم غير منحرف اليه كقوله غير باغ ولا عاد
فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك يسألونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا
مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم
حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي
اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا احل لهم كانه قيل يقولون
لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية لما قالوه لان يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن واحل لنا لكان
صوابا وماذا مبتدأ واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات
المآكل سألوا عما احل لهم منها فقيل احل لكم الطيبات اي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يات تحريمه في كتاب او سنة او قياس مجتهد وما علمتم من
الجوارح عطف على الطيبات اي احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف او تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع
البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازي والشاهين والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها
لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لان التأديب اكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته في
جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد او من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال
هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم فان قلت ما فائدة هذه الحال وقد استغنى عنها بعلمتم قلت فائدتها ان
يكون من يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب تعلمونهن حال ثانية او استئناف وفيه فائدة جليلة وهي ان على كل آخذ علما
ان لا ياخذه الا من اقتل اهله علما وانحرهم دراية واغوصهم على لطائفه وحقائقه وان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من آخذ
من غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله مما علمكم الله من علم التكليب لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل او مما
عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وان لا ياكل منه وقرئ مكلبين
بالتخفيف وافعل وفعل يشتركان كثيرا والامساك على صاحبه ان لا ياكل منه لقوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما
امسك على نفسه وعن علي رض اذا اكل البازي فلا تاكل وفرق العلماء فاشترطوا في سباع البهائم ترك الاكل لانها تؤدب بالضرب ولم يشترطوه
في سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الاكل اصلا ولم يفرق بين ما اكل الكل والبعض وعن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله عنهم
اذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل فان قلت الام رجع الضمير في قوله واذكروا اسم الله عليه قلت اما ان يرجع
الى ما امسكن على معنى وسموا عليه اذا ادركتم ذكاته او الى ما علمتم من الجوارح اي سموا عليه عند ارساله وطعام الذين اوتوا الكتاب قيل هو ذبائحهم
وقيل جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن علي رض انه استثنى نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا
شرب الخمر وبه اخذ الشافعي رض وعن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة واصحابه
رضي الله عنهم وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عند ابي حنيفة رض وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة

وصنف لا يعرفون كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم
ونكاح نسائهم وقد روى عن ابن المسيب انه قال اذا كان المسلم مريضا فامر المجوسي ان يذكر اسم الله ويذبح فلا باس وقال ابو ثور وان امره بذلك في
الصحة فلا باس وقد اساء وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم المحصنات الحرائر
او العفايف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والاماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفايف منهن واما الاماء
الكتابيات فعند ابي حنيفة هن كالمسلمات وخالفه الشافعي وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول
لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى وعن عطاء قد اكثر الله المسلمات وانما رخص لهم يومئذ محصنين اعفاء ولا متخذي اخدان صديق
والخدن يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان بشرائع الاسلام وما احل الله وحرم يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم
الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط
او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد
ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون اذا قمتم الى الصلوة كقوله تعالى فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله وكقولك اذا ضربت غلامك فهون عليه
في ان المراد ارادة الفعل فان قلت لم جاز ان يعبر عن ارادة الفعل بالفعل قلت لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وارادته له وهي قصده اليه وميله
وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الانسان لا يطير والاعمى لا يبصر اي لا يقدران على الطيران والابصار ومنه
قوله تعالى نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني انا كنا قادرين على الاعادة كذلك عبر عن ارادة الفعل بالفعل وذلك لان الفعل مسبب عن القدرة
والارادة فاقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولايجاز الكلام ونحوه من اقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدأ
الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم الى الصلوة قصدتموها لان من توجه الى الشيء وقام اليه كان قاصدا له لا محالة فعبر
عن القصد له بالقيام اليه فان قلت ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة محدث وغير محدث فما وجهه قلت يحتمل ان يكون الامر للوجوب
فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وان يكون للندب وعن رسول الله صلعم والخلفاء بعده انهم كانوا يتوضؤون لكل صلوة وعن النبي صلعم من توضأ على طهر
كتب الله له عشر حسنات وعنه صلى الله عليه وسلم انه كان يتوضأ لكل صلوة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال
له عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز فان قلت هل يجوز ان يكون الامر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء
على وجه الايجاب ولهؤلاء على وجه الندب قلت لا لان تناول الكلمة الواحدة لمعنيين مختلفين من باب الالغاز والتعمية وقيل كان الوضوء
لكل صلوة واجبا اول ما فرض ثم نسخ الى تفيد معنى الغاية مطلقا فاما دخولها في الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج
قوله تعالى فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منظرا في كلتا الحالتين
معسرا وموسرا وكذلك ثم اتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من اوله الى آخره
لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بانه لا يسرى به الى بيت المقدس من غير ان يدخله
وقوله تعالى الى المرافق والى الكعبين لا دليل فيه على احد الامرين فاخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل واخذ زفر

وداود بالمنبقش فلم يدخلاها وعن النبي صلعم انه كان يدير الماء على مرفقيه وامسحوا برؤسكم المراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه
بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه وقد أخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب او اكثره على اختلاف الرواية واخذ الشافعي باليقين فاوجب اقل
ما يقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة ببيان رسول الله صلعم وهو ما روي انه صلى الله عليه وسلم مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الرأس وقرأ جماعة
وارجلكم بالنصب فدل على ان الارجل مغسولة فان قلت فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح قلت الارجل من بين الاعضاء الثلثة
المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة الاسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد
في صب الماء عليها وقيل الى الكعبين فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وعن علي انه اشرف على
فتية من قريش فرأى في وضوئهم تجوزا فقال ويل للاعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها دلكا وعن ابن عمر كنا مع رسول الله صلعم
فتوضأ قوم واعقابهم بيض تلوح فقال ويل للاعقاب من النار وفي رواية جابر ويل للعراقيب وعن عمر انه رأى رجلا يتوضأ فترك باطن قدميه فامره
ان يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن عائشة رضي الله عنها لان تقطعا احب الي من ان امسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت
ان احدا من اصحاب رسول الله صلعم مسح على القدمين وقد ذهب بعض الناس الى ظاهر العطف فاوجب المسح وعن الحسن انه جمع بين الامرين وروي عن
الشعبي نزل القرآن بالمسح والغسل سنة وقرأ الحسن وارجلكم بالرفع بمعنى وارجلكم مغسولة او ممسوحة الى الكعبين وقرئ فاطهروا اي فطهروا
ابدانكم وكذلك ليطهركم وفي قراءة عبد الله فأموا صعيدا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد
ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء وليتم نعمته عليكم وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم

**واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور يا ايها الذين
امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما
تعملون وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم**

واذكروا نعمة الله عليكم وهي نعمة الاسلام وميثاقه الذي واثقكم به اي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين
حين بايعهم رسول الله صلعم على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا سمعنا واطعنا وقيل هو الميثاق
ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان عدي يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كانه قيل ولا يحملنكم ويجوز ان يكون
قوله ان تعتدوا بحذف مع ان ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم من اتبع على ملي فليتبع لانه بمعنى احيل وقرئ شنان بالسكون ونظيره في المصادر ليان والمعنى
لا يحملنكم بغضكم للمشركين على ان تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بان تنتصروا منهم وتتشفوا بما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل
من مثلة او قذف او قتل اولاد او نساء او نقض عهد او ما اشبه ذلك اعدلوا هو اقرب للتقوى نهاهم اولا ان تحملهم البغضاء على ترك العدل
ثم استانف فصرح لهم بالامر بالعدل تأكيدا وتشديدا ثم استانف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى
التقوى وادخل في مناسبتها او اقرب للتقوى لكونه لطفا فيه وفيه تنبيه عظيم على ان وجوب العدل مع الكفار الذين هم اعداء الله اذا كان بهذه
الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم اولياؤه واحباؤه لهم مغفرة واجر عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كانه قال

تقدم لهم وعدا فقيل أي شيء وعده لهم فقيل لهم مغفرة وأجر عظيم أو يكون على إرادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة أو على إجراء وعد مجرى قال
لأنه ضرب من القول أو يجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كأنه قيل وعدهم هذا القول وإذا وعدهم
من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والأجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيمة فيسرون به
ويستروحون إليه ويهون عليهم السكرات والأهوال قبل الوصول إلى الثواب يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا
إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون روي أن المشركين رأوا رسول الله وأصحابه قاموا إلى صلوة الظهر يصلون
معا وذلك بعسفان في غزوة ذي أنمار فلما صلوا ندموا ألا كانوا أكبوا عليهم فقالوا إن لهم بعدها صلوة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم يعنون
صلوة العصر وهموا بأن يوقعوا بهم إذا قاموا إليها فنزل جبريل بصلوة الخوف وروي أن رسول الله صلعم أتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم
يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه في
صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبره فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق الناس
في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله صلعم سلاحه بشجرة فجاء أعرابي فسل سيف رسول الله ثم أقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلاث مرات
فشام الأعرابي السيف فصاح رسول الله صلعم بأصحابه فأخبرهم وأبى أن يعاقبه يقال بسط إليه لسانه إذا شتمه وبسط إليه يده إذا بطش به ويبسطوا
إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها إلى المبطوش به ألا ترى إلى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الذراع بمعنى فكف أيديهم عنكم
فمنعها أن تمد إليكم ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة
وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك
منكم فقد ضل سواء السبيل لما استقر بنو إسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمسير إلى أريحاء أرض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة
وقال لهم إني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها وإني ناصركم وأمر موسى بأن يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء
بما أمروا به توثقة عليهم فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بني إسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون
فرأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى أن يحدثوهم فنكثوا الميثاق إلا كالب بن يوقنا من سبط يهودا
ويوشع بن نون من سبط أفرائيم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذي ينقب عن أحوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لأنه يتعرفها
إني معكم إني ناصركم ومعينكم عزرتموهم نصرتموهم ومنعتموهم من أيدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ
بالتخفيف يقال عزرت الرجل إذا حطته وكنفته والتعزير والتأزير من واد واحد ومنه لأنصرنك نصرا مؤزرا أي قويا وقيل معناه ولقد أخذنا ميثاقهم
بالإيمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيهم العدل ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر واللام في لئن أقمتم موطئة
للقسم وفي لأكفرن جواب له وهذا الجواب ساد مسد جوابي القسم والشرط جميعا بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم فإن قلت
من كفر قبل ذلك أيضا فقد ضل سواء السبيل قلت أجل ولكن الضلال بعده أظهر وأعظم لأن الكفر إنما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فإذا زادت
النعمة زاد قبح الكفر وتمادى فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا

به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ومن الذين قالوا إنا نصارى
أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون
لعناهم طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم ومنعناهم الألطاف
حتى قست قلوبهم أو أملينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست قلوبهم وقرأ عبد الله قسية أي رديئة مغشوشة من قولهم درهم قسي وهو
من القسوة لأن الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسح بالحاء أخوان في الدلالة على اليبس والصلابة
وقرئ قسية بكسر القاف للإتباع يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم لأنه لا قسوة أشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه ونسوا حظا وتركوا
نصيبا جزيلا وقسطا وافيا مما ذكروا به من التوراة يعني أن تركهم وإعراضهم عن التوراة إغفال حظ عظيم أو قست قلوبهم وفسدت
فحرفوا التوراة وزلت أشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب
أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته ولا تزال تطلع أي هذه عادتهم وكان عليها أسلافهم كانوا
يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وأن يسموك على خائنة على خيانة أو على فعلة
ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة قال حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن
للغدر خائنة مغل الإصبع وقرئ على خيانة منهم إلا قليلا وهم الذين آمنوا منهم فاعف عنهم بعث على مخالفتهم وقيل هو منسوخ بآية
السيف وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم أخذنا ميثاقهم أخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى أي مثل
ميثاقهم بالإيمان بالله والرسل وبأفعال الخير أو أخذنا من النصارى ميثاق أنفسهم بذلك فإن قلت فهلا قيل من النصارى قلت لأنهم إنما
سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن أنصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية أنصار الشيطان
فأغرينا فألصقنا وألزمنا من غري بالشيء إذا لزمه ولصق به وأغراه غيره ومنه الغراء الذي يلصق به بينهم بين فرق النصارى المختلفين
وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض يا أهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه
سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم يا أهل الكتاب خطاب لليهود والنصارى مما كنتم
تخفون من نحو صفة رسول الله ومن نحو الرجم ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يبينه إذا لم تضطر إليه مصلحة دينية ولم تكن فيه فائدة إلا افتضاحكم
وصفته مما لا بد من بيانه وكذلك الرجم وما فيه إحياء شريعة وإماتة بدعة وعن الحسن ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه قد جاءكم
من الله نور وكتاب مبين يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولإبانته ما كان خافيا على الناس من الحق أو لأنه ظاهر الإعجاز من اتبع رضوانه
من آمن منهم سبل السلام طرق السلامة والنجاة من عذاب الله أو سبل الله لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله
شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير
وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب

من يشاء والله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير قولهم إن الله هو المسيح ابن مريم معناه بت القول على أن حقيقة الله هو المسيح لا غير
قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدي إليه حيث اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت ويدبر أمر العالم فمن يملك
من الله شيئا فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيئا إن أراد أن يهلك من دعوه إلها من المسيح وأمه دلالة على أن المسيح عبد مخلوق كسائر العباد وأراد
بعطف من في الأرض على المسيح وأمه أنهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية يخلق ما يشاء أي يخلق من ذكر وأنثى ويخلق من أنثى من غير
ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم أو يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له وكإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص
وغير ذلك فيجب أن ينسب إليه ولا ينسب إلى البشر المجرى على يده أبناء الله أشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لأشياع أبي خبيب وهو عبد الله بن
الزبير الخبيبون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن أنبياء الله ويقول أقرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال مؤمن آل فرعون لكم
الملك اليوم فلم يعذبكم بذنوبكم فإن صح أنكم أبناء الله وأحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار أياما معدودات
على زعمكم ولو كنتم أبناء الله لكنتم من جنس الأب غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم أحباءه لما عصيتموه ولما عاقبكم بل أنتم
بشر من جملة من خلق من البشر يغفر لمن يشاء وهم أهل الطاعة ويعذب من يشاء وهم العصاة يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة
من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله
عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم
ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين يبين لكم إما أن يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحذفه لظهور ما ورد الرسول لتبيينه أو يقدر
ما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره أو لا يقدر ويكون المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب على الحال أي مبينا لكم وعلى فترة متعلق بجاءكم أي جاءكم
على حين فتور من إرسال الرسل وانقطاع من الوحي أن تقولوا كراهة أن تقولوا فقد جاءكم متعلق بمحذوف أي لا تعتذروا فقد جاءكم وقيل كان بين عيسى
ومحمد صلى الله عليهما خمسمائة وستون سنة وقيل ستمائة وقيل أربعمائة ونيف وستون وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة وألف نبي وبين
عيسى ومحمد أربعة أنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى الامتنان عليهم وأن الرسول بعث إليهم حين انطمست
آثار الوحي أحوج ما يكونون إليه ليهشوا إليه ويعدوه أعظم نعمة من الله وفتح باب إلى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بأنه لم يرسل إليهم من
ينبههم عن غفلتهم جعل فيكم أنبياء لأنه لم يبعث في أمة ما بعث في بني إسرائيل من الأنبياء وجعلكم ملوكا لأنه ملكهم بعد فرعون ملكه وقيل
الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه إلى تكلف الأعمال وتحمل المشاق ما لم يؤت أحدا من العالمين
من فلق البحر وإغراق العدو وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغير ذلك من الأمور العظام وقيل أراد عالمي زمانهم الأرض المقدسة أرض بيت المقدس
وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الأردن وقيل سماها الله لإبراهيم ميراثا لولده حين رفع على الجبل فقيل له انظر
فلك ما أدرك بصرك وكان بيت المقدس قرار الأنبياء ومسكن المؤمنين كتب الله لكم قسمها لكم وسماها أو خط في اللوح أنها لكم ولا ترتدوا على أدباركم ولا
تنكصوا على أعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا قيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر
وقالوا تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا إلى مصر ويجوز أن يراد لا ترتدوا على أدباركم في دينكم بمخالفتكم أمر ربكم وعصيانكم نبيكم فترجعوا خاسرين

ثواب الدنيا والآخرة قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون قال رجلان من الذين
يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين الجبار فعال من جبره
على الأمر بمعنى أجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد قال رجلان هما كالب ويوشع من الذين يخافون الله ويخشونه كأنه قيل رجلان
من المتقين ويجوز أن تكون الواو لبني إسرائيل والراجع إلى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم بنو إسرائيل وهم الجبارون وهما رجلان منهم
أنعم الله عليهما بالإيمان فآمنا قالا لهم إن العمالقة أجسام لا قلوب فيها فلا تخافوهم وازحفوا إليهم فإنكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم
وقراءة من قرأ يخافون بالضم شاهدة له وكذلك أنعم الله عليهما كأنه قيل من المخوفين وقيل هو من الإخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله
بالتذكرة والموعظة أو يخوفهم وعيد الله بالعقاب فإن قلت ما محل أنعم الله عليهما قلت إن انتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم
الوصف لرجلان فمرفوع وإن جعل كلاما معترضا فلا محل له فإن قلت من أين علما أنهم غالبون قلت من جهة إخبار موسى بذلك وقوله كتب الله
لكم وقيل من جهة غلبة الظن وما تبيناه من عادة الله في نصرة رسله وما عهدا من صنع الله لموسى في قهر أعدائه وما عرفا من حال الجبابرة والباب
باب قريتهم قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون قال رب إني لا أملك إلا نفسي
وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين واتل
عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين
لن ندخلها نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التأكيد المؤيس وأبدا تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول وما داموا فيها بيان للأبد فاذهب أنت
وربك يحتمل أن لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد معنى الإرادة والقصد للجواب كأنهم قالوا أريدا قتالهم والظاهر
أنهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفائهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل
وسألوا بها رؤية الله جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفائهم وقسوة قلوبهم بقعودهم ويحكى أن موسى وهرون خرا لوجوههما
قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما ولأمر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله لتجدن أشد الناس عداوة للذين
آمنوا اليهود والذين أشركوا لما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به إلا هرون عليه السلام
قال رب إني لا أملك لنصرة دينك إلا نفسي وأخي وهذا من البث والحزن والشكوى إلى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل
النصرة ونحوه قول يعقوب عليه السلام إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وعن علي رضي الله عنه أنه كان يدعو الناس على منبر الكوفة إلى قتال البغاة
فما أجابه إلا رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال أين تقعان مما أريد وذكر في إعراب أخي وجوه أن يكون منصوبا عطفا على نفسي أو على الضمير
في إني بمعنى لا أملك إلا نفسي وإن أخي لا يملك إلا نفسه ومرفوعا عطفا على محل إن واسمها كأنه قيل أنا لا أملك إلا نفسي وهرون كذلك
لا يملك إلا نفسه أو على الضمير في لا أملك وجاز للفصل ومجرورا عطفا على الضمير المجرور إلا نكير الجار فإن قلت أما كان معه الرجلان
المذكوران قلت كأنه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن إلى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من أحوال قومه وتلونهم فلم يذكر إلا
النبي المعصوم الذي لا شبهة في أمره ويجوز أن يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم تقليلا لمن يوافقه ويجوز أن يريد ومن يؤاخيني

على دعي فافرق فافصل بيننا وبينهم بأن تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون وهو في معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به
قوله فإنها محرمة عليهم على وجه التسبيب أو فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين فإنها فإن الأرض
المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها فإن قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله التي كتب الله لكم قلت فيه وجهان أحدهما أن يراد
كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل فإنها محرمة عليهم والثاني أن يراد فإنها محرمة عليهم أربعين سنة فإذا مضت
الأربعون كان ما كتب فقد روي أن موسى عليه السلم سار بمن بقي من بني إسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح أريحاء وأقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل
لما مات موسى بعث يوشع نبيا فأخبرهم بأنه نبي الله وأن الله تعالى أمره بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه وسار بهم إلى أريحاء وقتل الجبابرة
وأخرجهم وصار الشام كله لبني إسرائيل وقيل لم يدخل الأرض المقدسة أحد ممن قال إنا لن ندخلها وهلكوا في التيه ونشأت نواشئ من ذرياتهم
فقاتلوا الجبابرة ودخلوها والعامل في الظرف إما محرمة وإما يتيهون ومعنى يتيهون في الأرض يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا
والتيه المفازة التي يتاه فيها روي أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى إذا أمسوا وأصبحوا إذا هم بحيث
ارتحلوا عنه وكان الغمام يظللهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم وإذا ولد
لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله فإن قلت فلم كانوا ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون قلت كما ينزل بعض النوازل
على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤدبه ليتأدب ويتثقف ولا
يقطع عنه معروفه وإحسانه فإن قلت هل كان معهم في التيه موسى وهرون عليهما السلام قلت اختلف في ذلك فقيل لم يكونا معهم
لأنه كان عقابا وقد طلب موسى أن يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم إلا أنه كان ذلك روحا لهما وسلاما لا عقوبة كالنار لإبراهيم وملائكة
العذاب وروي أن هرون عليه السلم مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع أريحاء بعد موته بثلاثة أشهر ومات النقباء في التيه
بغتة إلا كالب ويوشع فلا تأس فلا تحزن عليهم لأنه ندم على الدعاء عليهم فقيل إنهم أحقاء لفسقهم بالعذاب فلا تحزن ولا تندم هما
ابنا آدم لصلبه قابيل وهابيل أوحى الله إلى آدم أن يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها إقليما فحسد عليها أخاه
وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما تقبل زوجها فقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده
بالقتل وقيل هما رجلان من بني إسرائيل بالحق تلاوة ملتبسة بالحق والصحة أو اتل نبأهما ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الأولين أو بالغرض
الصحيح وهو تقبيح الحسد لأن المشركين وأهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله صلعم ويبغون عليه أو اتل عليهم وأنت محق صادق وإذ قربا
نصب بالنبأ أي قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت ويجوز أن يكون بدلا من النبأ أي اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان
اسم ما يتقرب به إلى الله تعالى من نسيكة أو صدقة كما أن الحلوان اسم ما يحلى أي يعطى يقال قرب صدقة وتقرب بها لأن تقرب مطاوع قرب
قال الأصمعي تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب فإن قلت كيف كان قوله إنما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لأقتلنك
قلت لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له إنما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي
فلم تقتلني وما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول فأجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه

دليل على أن الله لا يقبل طاعة إلا من مؤمن متق فما أنعاه على أكثر العاملين أعمالهم وعن عامر بن عبد الله أنه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له
ما يبكيك فقد كنت وكنت فقال إني أسمع الله يقول إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك
إني أخاف الله رب العالمين إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل أخيه
ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك قيل كان أقوى من القاتل وأبطش منه ولكنه تحرج عن قتل أخيه واستسلم له خوفا من الله لأن الدفع لم يكن
مباحا في ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك أن تحتمل إثم قتلي لو قتلتك وإثم قتلك فإن قلت كيف يحتمل إثم قتله
له ولا تزر وازرة وزر أخرى قلت المراد بمثل إثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قرأت قراءة فلان وكتبت كتابته تريد المثل وهو
اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم على أن
البادي عليه إثم سبه ومثل إثم سب صاحبه لأنه كان سببا فيه إلا أن الإثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لأنه مكافئ دافع عن عرضه
ألا ترى إلى قوله ما لم يعتد المظلوم لأنه إذا خرج من حد المكافأة واعتدى لم يسلم فإن قلت فحين كف هابيل عن قتل أخيه واستسلم وتحرج
عما كان محظورا في شريعته من الدفع فأين الإثم حتى يتحمل أخوه مثله فيجتمع عليه الإثمان قلت هو مقدر فهو يتحمل مثل الإثم المقدر
كأنه قال إني أريد أن تبوء بمثل إثمي لو بسطت إليك يدي وقيل بإثمي بإثم قتلي وإثمك الذي من أجله لم يتقبل قربانك فإن قلت فكيف جاز أن يريد
شقاوة أخيه وتعذيبه بالنار قلت كان ظالما وجزاء الظالم حسن جائز أن يراد ألا ترى إلى قوله وذلك جزاء الظالمين وإذا جاز
أن يريده الله جاز أن يريده العبد لأنه لا يريد إلا ما هو حسن والمراد بالإثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب فإن قلت لم جاء
الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما أنا بباسط قلت ليفيد أنه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف
الشنيع ولذلك أكده بالباء المؤكدة للنفي فطوعت له نفسه قتل أخيه فوسعته له ويسرته من طاع له المرتع إذا اتسع وقرأ الحسن فطاوعت
وفيه وجهان أن يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وأن يراد أن قتل أخيه كأنه دعا نفسه إلى الإقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة
الربط كقولك حفظت لزيد ماله وقيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الأعظم فبعث الله
غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين
من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما
أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون بعث الله غرابا روي أنه أول قتيل
قتل على وجه الأرض من بني آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى أروح وعكفت
عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم ألقاه في الحفرة فقال يا ويلتى أعجزت وروي
أنه لما قتله اسود جسده وكان أبيض فسأله آدم عن أخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وروي أن آدم مكث
بعد قتله مائة سنة لا يضحك وأنه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر إلا منحول ملحون وقد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر
ليريه ليريه الله أو ليريه الغراب أي ليعلمه لأنه لما كان سبب تعليمه فكأنه قصد تعليمه على سبيل المجاز سوءة أخيه عورة أخيه

وما لا يجوز ان ينكشف من جسده والسوأة الفضيحة لقبحها قال يا للقوم للسوأة السوآء اى للفضيحة العظيمة فكنى بها عنها
فأوارى بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على فأنا أوارى او على التسكين فى موضع النصب للتخفيف من النادمين لما تعب فيه من حمله
وتحيره فى أمره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط ابيه ولم يندم ندم التائبين من أجل ذلك بسبب ذلك وبعلته وقيل
أصله من أجل شرا اذا جناه يأجله أجلا ومنه قول خوات بن جبير: وأهل خباء صالح ذات بينهم * قد احتربوا فى عاجل انا آجله
كأنه اذا قلت من أجلك فعلت كذا اردت من أن جنيت فعله وأوجبته ويدل عليه قولهم من جراك فعلته اى من أن جررته بمعنى جنيته وذلك
اشارة الى القتل المذكور اى من أجل ذلك القتل الكتب وجره كتبنا على بنى اسرائيل ومن لابتداء الغاية اى ابتداء الكتب ونشأه من أجل ذلك
ويقال فعلت كذا لأجل كذا وقد يقال أجل كذا بحذف الجار وايصال الفعل قال: أجل ان الله قد فضلكم. وقرئ من اجل ذلك بحذف الهمزة
وفتح النون لالقاء حركتها عليها وقرأ ابو جعفر من إجل ذلك بكسر الهمزة وهى لغة فاذا خفف كسر النون ملقيا كسر الهمزة عليها بغير نفس بغير قتل
نفس لا على وجه الاقتصاص او فساد عطف على نفس بمعنى او بغير فساد فى الارض وهو الشرك وقيل قطع الطريق ومن أحياها ومن استنقذها من بعض
أسباب الهلكة قتل او غرق او حرق او هدم او غير ذلك فان قلت كيف شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم قلت لأن كل انسان
يدلى بما يدلى به الآخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد اهين ما كرم على الله وهتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق اذن بين الواحد والجميع
فى ذلك فان قلت فما الفائدة فى ذكر ذلك قلت تعظيم قتل النفس واحياؤها فى القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا فى المحاماة
على حرمتها لأن المتعرض لقتل النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك
الذى اراد احياءها وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن
يا ابن آدم أرأيت لو قتلت الناس جميعا أكنت تطمع ان يكون لك عمل يوازى ذلك فيغفر لك به كلا انه شىء سولته لك نفسك والشيطان
فكذلك اذا قتلت واحدا بعد ذلك بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجىء الرسل بالآيات لمسرفون يعنى فى القتل لا يبالون بعظمته انما جزاء الذين
يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم
خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم. يحاربون الله
ورسوله يحاربون رسول الله ومحاربة المسلمين فى حكم محاربته ويسعون فى الارض فسادا مفسدين او لأن سعيهم فى الارض لما كان على طريق
الفساد نزل منزلة ويفسدون فى الارض فانتصب فسادا على المعنى ويجوز ان يكون مفعولا له اى للفساد نزلت فى قوم هلال بن عويمر وكان بينه
وبين رسول الله صلعم عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله فقطعوا عليهم وقيل فى العرنيين فأوحى اليه ان من جمع بين القتل واخذ المال قتل وصلب
ومن افرد القتل قتل ومن افرد اخذ المال قطعت يده لأخذ المال ورجله لاخافة السبيل ومن افرد الاخافة نفى من الارض وقيل هذا حكم
كل قاطع طريق كافرا كان او مسلما ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ قال
ابو حنيفة ومحمد رضى الله عنهما يصلب حيا حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا المال او ينفوا من الارض اذا لم يزيدوا
على الاخافة وعن جماعة منهم الحسن والنخعى ان الامام مخير بين هذه العقوبات فى كل قاطع طريق من غير تفصيل والنفى الحبس

عند ابى حنيفة رحمه الله وعند الشافعى النفى من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد
فى اقصى تهامة وناصع وهو من بلاد الحبشة خزى ذل وفضيحة الا الذين تابوا استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة واما حكم
القتل والجراح واخذ المال فالى الاولياء ان شاءوا عفوا وان شاءوا استوفوا وعن على رضه ان الحارث بن بدر جاءه تائبا بعدما كان يقطع الطريق
فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة. يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون ان الذين كفروا لو ان
لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم
بخارجين منها ولهم عذاب مقيم. الوسيلة كل ما يتوسل به اى يتقرب من قرابة او صنيعة او غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به الى الله
من فعل الطاعات وترك المعاصى وانشد للبيد: أرى الناس لا يدرون ما قدر امرهم * ألا كل ذى لب الى الله واسل
ليفتدوا به ليجعلوه فدية لأنفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه وعن النبى صلعم يقال للكافر يوم القيامة
أرأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا أكنت تفتدى به فيقول نعم فيقال له قد سئلت أيسر من ذلك ولو مع ما فى حيزه خبر ان فان قلت لم وحد الراجع
فى قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيئان قلت هو نحو قوله: فانى وقيار بها لغريب. او على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة كأنه قيل ليفتدوا
بذلك ويجوز ان يكون الواو فى ومثله بمعنى مع فيتوحد المرجوع اليه فان قلت فبم ينتصب المفعول معه قلت بما يستدعيه لو من الفعل لأن التقدير
لو ثبت ان لهم ما فى الارض. قرأ ابو واقد ان يخرجوا بضم الياء من أخرج ويشهد لقراءة العامة قوله بخارجين وما يروى عن عكرمة ان نافع بن الازرق
قال لابن عباس يا اعمى البصر اعمى القلب تزعم ان قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين منها فقال ويحك اقرأ ما فوقها
هذا للكفار فمما لفقته المجبرة وليس بأول تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق ابن عم رسول الله وهو بين اظهر اعضاده من قريش
وانضاده من بنى عبد المطلب وهو حبر الامة وبحرها بالخطاب الذى لا يجسر على مثله احد من اهل الدنيا وبرفعه الى عكرمة دليلين ناصعين ان الحديث
فرية ما فيها مرية. والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان
الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شىء قدير. والسارق
والسارقة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كأنه قيل وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اى حكمهما ووجه آخر وهو ان يرتفعا
بالابتداء والخبر فاقطعوا ايديهما ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لأن المعنى والذى سرق والتى سرقت فاقطعوا ايديهما والاسم الموصول يضمن
معنى الشرط وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة العامة لأجل الامر لأن زيدا فاضربه احسن من زيد فاضربه ايديهما يديهما ونحوه
فقد صغت قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف واريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا
ايمانهم والسارق فى الشريعة من سرق من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذى يجب به القطع عشرة دراهم عند ابى حنيفة
وعند مالك والشافعى ربع دينار وعن الحسن درهم وفى مواعظه احذر من قطع يدك فى درهم جزاء ونكالا مفعول لهما فمن تاب من السراق من بعد ظلمه
من بعد سرقته واصلح امره بالتفصى عن التبعات فان الله يتوب عليه ويسقط عنه عقاب الآخرة واما القطع فلا تسقطه التوبة عند ابى حنيفة واصحابه
وعند الشافعى فى احد قوليه تسقطه من يشاء من يجب فى الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين والتائبين وقيل يسقط حد الحربى اذا سرق

بالتوبة ليكون أدعى له إلى الإسلام وأبعد من التنفير عنه ولا يسقط عن المسلم لأن في إقامته الصلاح للمؤمن والحيوة ولكم في القصاص حيوة **فإن قلت** لم قدم التعذيب على المغفرة **قلت** لأنه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة **يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم** قرئ لا يحزنك بضم الياء ويسرعون والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر أي في إظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للإسلام ومن موالاة المشركين فإني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال أسرع فيه الشيب وأسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر وقوعهم وتهافتهم فيه أسرع شيء إذا وجدوا فرصة لم يخطئوها وآمنا مفعول قالوا وبأفواههم متعلق بقالوا لا بآمنا ومن الذين هادوا منقطع مما قبله خبر لسماعون أي ومن اليهود قوم سماعون ويجوز أن يعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون والضمير للفريقين أو للذين هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون لما يفتريه الأحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يعني اليهود الذين لم يصلوا إلى مجلس رسول الله صلعم وتجافوا عنه لما أفرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة أي قابلون من الأحبار ومن أولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون أن ينظروا إليك وقيل سماعون إلى رسول الله لأجل أن يكذبوا عليه بأن يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون من رسول الله لأجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون يهود خيبر يحرفون الكلم يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان ذا مواضع إن أوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا أنه الحق واعملوا به وإن لم تؤتوه وأفتاكم محمد بخلافه فاحذروا وإياكم وإياه فهو الباطل والضلال وروي أن شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله عن ذلك وقالوا إن أمركم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا وأرسلوا الزانيين معهم فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا أمرد أعور أبيض يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو أعلم يهودي على وجه الأرض ورضوا به حكما فقال له رسول الله أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت إن كذبته أن ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلعم عن أشياء كان يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله النبي الأمي العربي الذي بشر به المرسلون وأمر رسول الله صلعم بالزانيين فرجما عند باب مسجده ومن يرد الله فتنته تركه مفتونا وخذلانه فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يمنحهم من ألطافه ما يطهر به قلوبهم لأنهم ليسوا من أهلها لعلمه أنها لا تنفع فيهم ولا تنجع إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم **سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين** السحت كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته إذا استأصله لأنه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق الله الربوا والربوا باب منه وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا يأخذون الرشى على الأحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم في بني إسرائيل إذا أتاه أحدهم برشوة جعلها في كمه فأراها إياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي أن عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدم إليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال أعرابي من القوم نحن كما قال الله سماعون للكذب أكالون للسحت وعن النبي صلعم كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به قيل كان رسول الله صلعم مخيرا إذا تحاكم إليه أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم وبين أن لا يحكم وعن عطاء والنخعي والشعبي أنهم إذا ارتفعوا إلى حكام المسلمين فإن شاءوا حكموا وإن شاءوا أعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله وعند أبي حنيفة إن احتكموا إلينا حملوا على حكم الإسلام وإن زنى منهم رجل بمسلمة أو سرق من مسلم شيئا أقيم عليه الحد وأما أهل الحجاز فإنهم لا يرون إقامة الحدود عليهم يذهبون إلى أنهم قد صولحوا على شركهم وهو أعظم من الحدود ويقولون إن النبي صلعم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية فلن يضروك شيئا لأنهم كانوا لا يتحاكمون إليه إلا لطلب الأيسر والأهون عليهم كالجلد مكان الرجم فإذا أعرض عنهم وأبى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا إعراضه عنهم وكانوا خلفاء بأن يعادوه ويضاروه فأمن الله سربه بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم وكيف يحكمونك تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع أن الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الإيمان به ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به وما أولئك بالمؤمنين بكتابهم كما يدعون أو وما أولئك بالكاملين في الإيمان على سبيل التهكم بهم **فإن قلت** فيها حكم الله ما موضعه من الإعراب **قلت** إما أن ينتصب حالا من التوراة وهي مبتدأ خبره عندهم وإما أن يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله وإما أن لا يكون له محل وتكون جملة مبينة لأن عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره **فإن قلت** لم أنثت التوراة **قلت** لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوها في كلام العرب **فإن قلت** علام عطف ثم يتولون **قلت** على يحكمونك **إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** فيها هدى يهدي للحق والعدل ونور يبين ما استبهم من الأحكام الذين أسلموا صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح وأريد بإجرائها التعريض باليهود وأنهم بعداء من ملة الإسلام التي هي دين الأنبياء كلهم في القديم والحديث وأن اليهودية بمعزل منها وقوله الذين أسلموا للذين هادوا مناد على ذلك والربانيون والأحبار والزهاد والعلماء من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود بما استحفظوا من كتاب الله بما سألهم أنبياؤهم حفظه من التوراة أي بسبب سؤال أنبيائهم إياهم أن يحفظوه من التغيير والتبديل ومن في من كتاب الله للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم بأحكام التوراة النبيون بين موسى وعيسى وكان بينهما

الفتحي وتعيير للذين هادوا وحملهم على احكام التورية لا يتركونهم ان يعدلوا عنها كما فعل رسول الله صلعم من حملهم على حكم الرجم وارغام انوفهم
وابايه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك يحكم الربانيون والاحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم انبياؤهم من كتاب الله والقضاء باحكامه وبسبب
كونهم عليه شهداء ويجوز ان يكون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله اي كلفهم الله حفظه وان
يكونوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وادهانهم فيها وامضائها على خلاف ما امروا به من العدل لخشية
سلطان ظالم او خيفة اذية احد من القرباء والاصدقاء ولا تشتروا ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا بآيات الله واحكامه ثمنا قليلا وهو
الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس كما حرف احبار اليهود كتاب الله وغيروا احكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا ومن لم يحكم
بما انزل الله مستهينا به فاولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا
بان حكموا بغيرها وعن ابن عباس ان الكافرين والظالمين والفاسقين اهل الكتاب وعنه نعم القوم انتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر
فهو لاهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم وفاسق وعن الشعبي هذه في اهل الاسلام والظالمون
في اليهود والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود هو عام في اليهود وغيرهم وعن حذيفة انتم اشبه الامم سمتا ببني اسرائيل لتركبن طريقهم
حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا في مصحف ابي وانزل الله على بني اسرائيل فيها وفيها ان الجروح قصاص
والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل ان النفس لان المعنى وكتبنا عليهم فيها النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا
مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناها
ولذلك قال الزجاج لو قرئ ان النفس بالكسر لكان صحيحا او للاستئناف والمعنى فرضنا عليهم فيها ان النفس مأخوذة بالنفس مقتولة بها اذا
قتلتها بغير حق وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص ذات
قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص وتعرف المساواة وعن ابن عباس كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت فمن تصدق من اصحاب
الحق به بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة له فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيآته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله
عمرو يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجاني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة ابي فهو كفارته
له يعني فالمتصدق كفارته له اي الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فاجره على الله وترغيب في العفو وقفينا على
آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التورية وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم
بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون قفيته مثل عقبته اذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه الى الثاني بزيادة الباء
فان قلت فاين المفعول الاول في الآية قلت هو محذوف والظرف الذي هو على آثارهم كالساد مسده لانه اذا قفى به على اثره فقد قفى به اياه
والضمير في آثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين اسلموا وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة فان صح عنه فلانه اعجمي خرج لعجمته
عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجر ومصدقا عطف على محل فيه هدى ومحله النصب على الحال وهدى وموعظة يجوز ان ينتصبا على الحال
كقوله مصدقا وان ينتصبا مفعولا لهما لقوله وليحكم كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الانجيل وللحكم بما انزل الله فيه من الاحكام

فان قلت

فان قلت فان نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم قلت اصنع به ما صنعت بهدى وموعظة حين
جعلتهما مفعولا لهما فاقدر وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله آتيناه اياه وقرئ وليحكم على لفظ الامر بمعنى وقلنا ليحكم وروي في قراءة
ابي وان ليحكم بزيادة ان مع الامر على ان ان موصولة بالامر كقولك امرته بان قم كانه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل وقيل ان
عيسى عليه السلم كان متعبدا بما في التورية من الاحكام لان الانجيل مواعظ وزواجر والاحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم اهل الانجيل
بما انزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وان ساغ لقائل ان يقول معناه وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل
باحكام التورية وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع
اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتيكم فاستبقوا الخيرات
الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون فان قلت اي فرق بين التعريفين في قوله وانزلنا اليك الكتاب وقوله لما بين يديه
من الكتاب قلت الاول تعريف العهد لانه عنى به القرآن والثاني تعريف الجنس لانه عنى جنس الكتب المنزلة ويجوز ان يقال هو للعهد
لانه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الاطلاق وانما اريد نوع معلوم منه وهو ما انزل من السماء سوى القرآن ومهيمنا ورقيبا على سائر الكتب
لانه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم اي هومن عليه بان حوفظ من التغيير والتبديل كما قال لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه والذي هيمن عليه الله عز وجل او الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف منه او حركة او سكون لتنبه عليه كل احد ولاشمازوا رادين
ومنكرين ضمن ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذلك عدي بعن كانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم لكل جعلنا منكم ايها الناس
شرعة شريعة وقرا يحيى بن وثاب بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين تجرون عليه وقيل هذا دليل على انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا
لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة اي دين واحد لا اختلاف فيه ولكن اراد ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة هل
تعملون بها مذعنين معتقدين انها مصالح قد اختلفت على حسب الاحوال والاوقات معترفين بان الله لم يقصد باختلافها الا ما اقتضته
الحكمة ام تتبعون الشبه وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها الى الله مرجعكم استيناف في معنى التعليل لاستباق
الخيرات فينبئكم فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل وان احكم بينهم بما انزل الله ولا
تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا
من الناس لفاسقون افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون فان قلت وان احكم بينهم معطوف على ماذا
قلت على الكتاب في قوله وانزلنا اليك الكتاب كانه قيل وانزلنا اليك ان احكم على ان ان وصلت بالامر لانه فعل كسائر الافعال ويجوز ان يكون
معطوفا على بالحق اي انزلناه بالحق وبان احكم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك لانه فعل كسائر الافعال ان يضلوك عنه ويستنزلوك
وذلك ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد نفتنه عن دينه فقالوا له يا محمد قد عرفت انا احبار
اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك
فابى ذلك رسول الله فنزلت فان تولوا عن الحكم بما انزل الله اليك وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني بذنب

التولي عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك واراد ان لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وان هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها
وهذا الابهام لتعظيم التولي واسترافهم في ارتكابه ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد ❊ او يرتبط بعض النفوس حمامها ❊ اراد نفسه
وانما قصد تفخيم شانها بهذا الابهام كانه قال نفسا كبيرة ونفسا اي نفس فكما ان التنكير يعطي معنى التكبير وهو معنى البعضية فلذلك اذا صرح
بالبعض لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه يعني ان التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر افحكم الجاهلية
يبغون فيه وجهان احدهما ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروي ان رسول الله صلعم
قال لهم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت والثاني ان يكون تعييرا لليهود بانهم اهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة
الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحي من الله وعن الحسن هو عام في كل من يبتغي غير حكم الله والحكم حكمان حكم
بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرا هذه الآية وقرئ تبغون بالتاء والتاء
وقرا السلمي افحكم الجاهلية برفع الحكم على الابتداء وايقاع يبغون خبرا واسقاط الراجع عنه كاسقاطه عن الصلة في اهذا الذي بعث الله رسولا وعن
الصفة في الناس رجلان رجل اهنت ورجل اكرمت وعن الحال في مررت بهند يضرب زيد وقرا قتادة افحكم الجاهلية على ان هذا الحكم الذي يبغونه
انما يحكم به افعى نجران او نظيره من حكام الجاهلية فارادوا بسفههم ان يكون محمد خاتم النبيين حكما كاولئك الحكام اللام في قوله لقوم يوقنون للبيان
كاللام في هيت لك اي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتيقنون ان لا اعدل من الله ولا احسن حكما منه يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين فترى
~~الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا
في انفسهم نادمين~~ لا تتخذوهم اولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتواخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي
بقوله بعضهم اولياء بعض اي انما يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجتماعهم في الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم ومن يتولهم منكم فانه
من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلعم لا تتراءى ناراهما ومنه
قول عمر لابي موسى في كاتبه النصراني لا تكرموهم اذ اهانهم الله ولا تامنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ اقصاهم الله وروي انه قال له ابو موسى
لا قوام للبصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه قد مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه
بغيره ان الله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة يمنعهم الله الطافه ويخذلهم مقتا لهم فترى الذين
في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا
في انفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا
خاسرين يسارعون فيهم ينكمشون في موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بانهم لا يامنون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان اي صرف
من صروفه ودولة من دوله فيحتاجوا اليهم والى معونتهم وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه انه قال لرسول الله ان لي موالي من يهود
كثيرا عددهم واني ابرا الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرا من ولاية

موالي وهم يهود قينقاع فعسى الله ان ياتي بالفتح لرسول الله صلعم على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شافة اليهود ويجليهم عن بلادهم
فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به انفسهم وذلك انهم كانوا يشكون في امر رسول الله صلعم ويقولون ما نظن ان يتم له امر وبالحري ان تكون
الدولة والغلبة لهؤلاء وقيل او امر من عنده اي ان يؤمر النبي صلعم باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل او امر من عند الله لا يكون فيه
للناس فيه فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فاعطوا بايديهم من غير ان يوجف عليهم بخيل ولا ركاب ويقول الذين آمنوا قرئ
بالنصب عطفا على ان ياتي وبالرفع على انه كلام مبتدا اي ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهي في مصاحف مكة والمدينة والشام
كذلك على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا فان قلت لمن يقولون هذا القول قلت اما
ان يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق في الاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم
ومعاضدوكم على الكفار واما ان يقولوه لليهود لانهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم حبطت اعمالهم
من جملة قول المؤمنين اي بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في راي اعين الناس وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم او من قول الله
عز وجل شهادة لهم بحبوط الاعمال وتعجيبا من سوء حالهم يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم
قرئ من يرتد ومن يرتدد وهو في الامام بدالين وهو من الكائنات التي اخبر عنها في القرآن قبل كونها وقيل كان اهل الردة احدى عشرة فرقة ثلاث
في عهد رسول الله بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الاسود العنسي وكان كاهنا تنبا باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله فكتب رسول الله صلعم
الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون
وقبض رسول الله صلعم من الغد واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبا وكتب الى رسول الله صلعم من مسيلمة رسول الله الى محمد
رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رض بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس
في الاسلام اراد في جاهليتي واسلامي وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبا فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فانهزم بعد القتال
الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر رض فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة
ابن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء
المعري في كتاب استغفر واستغفري ❊ امت سجاح ووالاها مسيلمة ❊ كذابة في بني الدنيا وكذاب ❊ وكندة قوم الاشعث
بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يدي ابي بكر الصديق رض عنه وفرقة واحدة في عهد عمر رض غسان قوم جبلة بن
الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم بعد اسلامه فسوف ياتي الله بقوم قيل لما نزلت اشار رسول الله صلعم الى ابي موسى الاشعري فقال قوم هذا
وقيل هم الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل هم الانصار وقيل سئل رسول الله
عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس يحبهم ويحبونه

محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده ان يثيبهم احسن الثواب على طاعتهم
ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم واما ما يعتقده اجهل الناس واعداهم للعلم واهله وامقتهم للشرع واسوؤهم طريقة وان كانت
طريقتهم عند امثالهم من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة المتفعلة المتسمية بالصوفية وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم
خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بابيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي اين عنها صعقة موسى
عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون النعوت
والصفات ومنها الحب شرطه ان تلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم يكن فيه حقيقة فان قلت اين الراجع من الجزاء الى
الاسم المتضمن لمعنى الشرط قلت هو محذوف معناه فسوف ياتي الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم او ما اشبه ذلك اذلة جمع ذليل
واما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم انه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه ان ذلولا لا يجمع على اذلة فان قلت هلا قيل
اذلة للمؤمنين اعزة على الكافرين قلت فيه وجهان احدهما ان يضمن الذل معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه
التذلل والتواضع والثاني انهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم ونحوه قوله عز وعلا اشداء
على الكفار رحماء بينهم وقرئ اذلة واعزة بالنصب على الحال ولا يخافون لومة لائم يحتمل ان تكون الواو للحال على انهم يجاهدون وحالهم
في المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود لعنت فاذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا اولياءهم اليهود فلا يعملون
شيئا مما يعلمون انه يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط وان تكون للعطف
على ان من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وانهم صلاب في دينهم اذا شرعوا في امر من امور الدين انكار منكر او امر بمعروف مضوا فيه كالمسامير
المحماة لا يرعبهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم في انكارهم وصلابتهم في امرهم واللومة المرة من اللوم
وفيها وفي التنكير مبالغتان كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم احد من اللوام وذلك اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة
والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة يؤتيه يوفق له من يشاء ممن يعلم ان له لطفا واسع كثير الفواضل والالطاف عليم بمن هو من اهلها انما وليكم
الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله
هم الغالبون يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء
واتقوا الله ان كنتم مؤمنين عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله انما وليكم الله ورسوله والذين
آمنوا ومعنى انما وجوب اختصاصهم بالموالاة فان قلت قد ذكرت جماعة فهلا قيل انما اولياؤكم قلت اصل الكلام انما
وليكم الله فجعلت الولاية لله على طريق الاصالة ثم نظم في سلك اثباتها له اثباتها لرسول الله والمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل انما اولياؤكم الله ورسوله
والذين آمنوا لم يكن في الكلام اصل وتبع وفي قراءة عبد الله انما مولاكم فان قلت الذين يقيمون ما محله قلت الرفع على البدل من الذين آمنوا
او على هم الذين يقيمون او النصب على المدح وفيه تمييز للخلص من الذين آمنوا نفاقا او واطأت قلوبهم السنتهم الا انهم مفرطون في العمل
وهم راكعون الواو فيه للحال اي يعملون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والاخبات والتواضع لله اذا صلوا واذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون

الزكوة بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلوة وانها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه كانه كان مرجا
في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلوته فان قلت كيف صح ان يكون لعلي رضي الله عنه واللفظ لفظ الجماعة قلت جيء به على لفظ
الجمع وان كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على ان سجية المؤمنين يجب ان تكون على هذه الغاية
من الحرص على البر والاحسان وتفقد الفقراء حتى ان لزهم امر لا يقبل التأخير وهم في الصلوة لم يؤخروه الى الفراغ منها فان حزب الله من اقامة
الظاهر مقام المضمر ومعناه فانهم هم الغالبون ولكنهم بذلك جعلوا اعلاما لكونهم حزب الله واصل الحزب القوم يجتمعون لامر
حزبهم ويحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب روي ان رفاعة
ابن زيد وسويد بن الحرث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني ان اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا
لا يصح ان يقابل باتخاذكم اياهم اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار وان كان اهل
الكتاب من الكفار اطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين اشركوا وقرئ والكفار بالنصب والجر ويعضد
قراءة الجر قراءة ابي ومن الكفار واتقوا الله في موالاة الكفار وغيرها ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان حقا يأبى موالاة اعداء الدين
واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله
وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم
القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا
به والله اعلم بما كانوا يكتمون اتخذوها الضمير للصلوة او للنداء قيل كان رجل من النصارى بالمدينة اذا سمع المؤذن
يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمة بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق
البيت واحترق هو واهله وقيل فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده لا يعقلون لان لعبهم وهزؤهم من افعال السفهاء
والجهلة فكانه لا عقل لهم قرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة
كلها وان اكثركم فاسقون فان قلت علام عطف قوله وان اكثركم فاسقون قلت فيه وجوه منها ان يعطف على ان آمنا بمعنى وما تنقمون
منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الايمان كانه قيل وما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الاسلام وانتم
خارجون منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف اي واعتقاد ان اكثركم فاسقون ومنها ان يعطف على المجرور اي وما تنقمون منا الا
الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي وما تنقمون منا الا الايمان مع انكم فاسقون ويجوز ان
يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كانه قيل وما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه
تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا وروي ان نفرا من اليهود اتوا رسول الله فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل
الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم
فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وان اكثركم بالكسر ويحتمل ان ينتصب وان اكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون

ان اكثركم فاسقون او برفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لانكم علمتم انا على الحق وانكم على الباطل الا ان
حب الرياسة وكسب الاموال لا يدعكم فتنصفوا ذلك اشارة الى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من
لعنه الله ومن لعنه الله في محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله قل افانبئكم بشر من ذلكم النار او في محل الجر على البدل من بشر
وقرئ مثوبة ومثوبة ومثالهما مشورة ومشورة فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان فكيف جاءت في الاساءة قلت وضعت المثوبة
موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومنه فبشرهم بعذاب اليم فان قلت المعاقبون من الفريقين هم
اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة قلت كان اليهود لعنوا يزعمون ان المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر
عقوبة في الحقيقة واليقين من اهل الاسلام في زعمكم ودعواكم وعبد الطاغوت عطف على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وفي
قراءة ابي وعبدوا الطاغوت على المعنى وقرا ابن مسعود ومن عبدوا وقرئ وعابد الطاغوت عطفا على القردة وعابدي وعباد وعبد وعبد
ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال ابني لبيني ان امكم امة وان اباكم عبد
وعبد بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد واصله عبدة فحذفت التاء للاضافة او هو كخدم في جمع
خادم وعبد وعباد واعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم او بينهم وعبد الطاغوت
بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك امر اذا صار اميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله فان قلت كيف جاز ان يجعل الله
منهم عباد الطاغوت قلت فيه وجهان احدهما انه خذلهم حتى عبدوها والثاني انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل الطاغوت العجل لانه معبود من دون الله ولان عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان
فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت وعن ابن عباس الطاغوت الكهنة وكل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده وقرا
الحسن الطواغيت وقيل وجعل منهم القردة اصحاب السبت والخنازير كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا
قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وروي انها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤوسهم
اولئك الملعونون الممسوخون شر مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست في قولك اولئك شر واضل لدخوله في باب الكناية
التي هي اخت المجاز نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله يظهرون له الايمان نفاقا فاخبره الله بشانهم وانهم يخرجون
من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك وقوله بالكفر وبه حالان اي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين
وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال ولمعنى آخر وهو ان امارات
النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله صلعم متوقعا لاظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا اي قالوا ذلك
وهذه حالهم وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم
الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم
ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا

يعني دخول قد يفيد ان رسول الله صلعم كان منتظرا لاظهار الله شأنهم واظهاره لظهور امارات النفاق

١٣٢

والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين

الاثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم وقيل الاثم كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان
ما يتعداهم الى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكان المعنى في ذلك ان مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه
اليها وتحمله على ارتكابها واما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فاذا فرط في الانكار كان اشد حالا من المواقع ولعمري ان هذه الآية مما يقد
السامع وينعي على العلماء توانيهم وعن ابن عباس هي اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها غل اليد وبسطها مجاز
عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط
ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه لانهما كلامان معتقبان على حقيقة واحدة حتى انه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه
الا باشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها ولو اعطى الاقطع الى المنكب عطاء جزلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال لان بسط اليد وقبضها
عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوها حيث لا تصح اليد كقوله • جاد الحمى بسط اليدين بوابل • شكرت نداه تلاعه ووهاده •
ولقد جعل لبيد للشمال يدا في قوله • اذ اصبحت بيد الشمال زمامها • ويقال • بسط اليأس كفيه في صدري • فجعلت لليأس الذي هو من المعاني
لا من الاعيان كفان ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تاويل امثال هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن اذا عبثت
به فان قلت قد صح ان قوله يد الله مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت ايديهم ومن حقه ان يطابق ما تقدمه والا تنافر
الكلام وزل عن سننه قلت يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا ابخل خلق الله وانكدهم ونحوه بيت الاشتر
بقيت وفري وانحرفت عن العلى • ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة يغلون في الدنيا اسارى وفي الآخرة معذبين
باغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز كما تقول سبني سب الله دابره اي قطعه لان السب اصله القطع
فان قلت كيف جاز ان يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد قلت المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون
بخلا الى بخلهم ونكدا الى نكدهم او بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة التي تخزيهم وتمزق اعراضهم
فان قلت لم ثنيت اليد في بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة قلت ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وادل على اثبات غاية
السخاء له ونفي البخل عنه وذلك ان غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا فبنى المجاز على ذلك وقرئ ولعنوا
بسكون العين وفي مصحف عبد الله بل يداه بسطان يقال يده بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة سرح ينفق كيف يشاء تاكيد للوصف
بالسخاء ودلالة على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي ان الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا
فلما عصوا الله تعالى في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف الله ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازورا يد الله مغلولة
ورضي بقوله الآخرون فاشركوا فيه وليزيدن اي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بآيات الله والقينا بينهم العداوة
فكلمهم ابدا مختلف وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد كلما اوقدوا نارا كلما ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا ولم يقم
لهم نصر من الله على احد قط وقد اتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التورية فبعث الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا

فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله نصر عليهم وعن قتادة
لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس ويسعون ويجتهدون في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله صلعم من كتبهم ولو ان اهل الكتاب
آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت
رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين ولو ان اهل الكتاب مع ما عددنا من سيئاتهم آمنوا برسول الله وبما جاء به
وقرنوا ايمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالايمان لكفرنا عنهم تلك السيئات ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم مع المسلمين الجنة وفيه اعلام
بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة الله وفتحه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت
مبالغ سيئات اليهود والنصارى وان الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فاين الاطناب ولو انهم اقاموا
التورية والانجيل اقاموا احكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله وما انزل اليهم من سائر كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكانها
انزلت اليهم وقيل هو القرآن لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم عبارة عن التوسعة وفيه ثلثة
اوجه ان يفيض عليهم بركات السماء وبركات الارض وان يكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلة وان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون
ما تهدل منها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض من تحت ارجلهم منهم امة مقتصدة طائفة حالها امم في عداوة رسول الله صلعم وقيل
هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعون من النصارى وساء ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوء عملهم
وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه والروم بلغ ما انزل اليك جميع ما انزل اليك واي شيء انزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف
ان ينالك مكروه وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته وقرئ رسالاته فلم تبلغ اذن ما كلفت من اداء الرسالات ولم تؤد منها
شيئا قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن
لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن وعن
ابن عباس رضه ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلعم بعثني برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي
عذبتك وضمن لي العصمة فقويت فان قلت وقوع قوله فما بلغت رسالاته جزاء للشرط ما وجه صحته قلت فيه وجهان احدهما انه اذا
لم يمتثل امر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كانه لم يبعث رسولا كان امرا شنيعا لا خفاء بشناعته فقيل ان لم تبلغ منها ادنى شيء وان كلمة
واحدة فانت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو كتمانها كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكانما قتل الناس جميعا والثاني ان يراد فان لم تفعل فلك
ما يوجبه كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله عليه السلم فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك والله يعصمك
عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من اعدائك فما عذرك في مراقبتهم فان قلت اين ضمان العصمة وقد شج في وجهه
يوم احد وكسرت رباعيته قلت المراد انه يعصمه من القتل وفيه ان عليه ان يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله فما اشد تكليف الانبياء
عليهم الصلوة والسلام وقيل نزلت بعد يوم احد والناس الكفار بدليل قوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين ومعناه انه لا يمكنهم مما يريدون

انزل الله بك من الهلاك وعن انس كان رسول الله صلعم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس
قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا
وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون لستم على شيء اي على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شانه وفي امثالهم
اقل من لا شيء فلا تأس فلا تتأسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فان ضرر ذلك راجع اليهم لا اليك وفي المؤمنين غنى عنهم والصابئون رفع على الابتداء
وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز ان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون
كذلك وانشد سيبويه شاهدا له وإلا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق اي فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك فان قلت هلا زعمت
ان ارتفاعه للعطف على محل ان واسمها قلت لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان فان قلت لم لا يصح والنية
به التأخير فكانك قلت ان زيدا منطلق وعمرو قلت لاني اذا رفعته رفعته عطفا على محل ان واسمها والعامل في محلهما هو الابتداء
فيجب ان يكون هو العامل في الخبر لان الابتداء ينتظم الجزئين في عمله كما ينتظمهما ان في عملها فلو رفعت الصابئون المنوي به التأخير بالابتداء
وقد رفعت الخبر بان لاعملت فيهما رافعين مختلفين فان قلت فقوله والصابئون معطوف لا بد له من معطوف عليه فما هو قلت
هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الى آخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها فان قلت ما التقديم والتأخير
الا لفائدة فما فائدة هذا التقديم قلت فائدته التنبيه على ان الصابئين يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم
وذلك ان الصابئين ابين هؤلاء المعدودين ضلالا واشدهم غيا وما سموا صابئين الا لانهم صبؤا عن الاديان كلها اي خرجوا كما ان الشاعر
قدم قوله وانتم تنبيها على ان المخاطبين اوغل في الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي
قبلهم مع كونهم اوغل فيه منهم واثبت قدما فان قلت فلو قيل والصابئين وإيانا لكان التقديم حاصلا قلت لو قيل هكذا لم يكن من التقديم
في شيء لانه لا ازالة فيه عن موضعه وانما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام فان قلت كيف
قال الذين آمنوا ثم قال من آمن قلت فيه وجهان ان يراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بالسنتهم وهم المنافقون وان يراد بمن آمن من ثبت على الايمان
واستقام ولم يخالجه ريبة فيه فان قلت فما محل من آمن قلت اما الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدأ معنى
الشرط ثم الجملة كما هي خبر ان واما النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه او من المعطوف عليه فان قلت فاين الراجع الى اسم ان قلت هو
محذوف تقديره من آمن منهم كما جاء في موضع آخر وقرئ والصابيون بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرأ يستهزيون والصابون
وهو من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ادلة العقل والسمع وفي قراءة ابي والصابئين بالنصب وبها قرأ
ابن كثير وقرأ عبد الله يا ايها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم
رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا الا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير
منهم والله بصير بما يعملون لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم

إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأويه النار وما للظالمين من أنصار. لقد أخذنا ميثاقهم بالتوحيد وأرسلنا إليهم رسلا ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم. كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف أي رسول منهم بما لا تهوى أنفسهم بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع. فإن قلت أين جواب الشرط فإن قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب عن الجواب لأن الرسول الواحد لا يكون فريقين ولأنه لا يحسن أن تقول إن أكرمت أخي أخاك أكرمت. قلت هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كأنه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه. وقوله فريقا كذبوا استئناف كأن قائلا يقول كيف فعلوا برسلهم. فإن قلت لم جيء بأحد الفعلين ماضيا وبالآخر مضارعا. قلت جيء يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها. وقرئ ألا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على أن أن هي المخففة من الثقيلة أصله أنه لا تكون فتنة فخففت أن وحذف ضمير الشأن. فإن قلت كيف دخل فعل الحسبان على أن التي هي للتحقيق. قلت نزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم. فإن قلت فأين مفعولا حسب. قلت سد ما يشتمل عليه صلة أن وأن من المسند والمسند إليه مسد المفعولين. والمعنى وحسب بنو إسرائيل أنهم لا يصيبهم من الله فتنة أي بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله وهو الرؤية. وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم أي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته إذا ضربته بالنيزك وركبته إذا ضربته بركبتك. كثير منهم بدل من الضمير أو على قولهم أكلوني البراغيث أو هو خبر مبتدإ محذوف أي أولئك كثير منهم. لم يفرق عيسى صلوات الله عليه بينه وبينهم في أنه عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى إنه من يشرك بالله في عبادته أو فيما هو مختص به من صفاته أو أفعاله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين أي حرم دخولها ومنعه منها كما يمنع المحرم من المحرم عليه. وما للظالمين من أنصار كلام الله على أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وأنكره وإن كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره أو من قول عيسى على معنى ولا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول أو ولا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله. لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون. من في قوله وما من إله إلا إله واحد للاستغراق وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا إله إلا الله والمعنى وما إله قط في الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له. ومن في قوله ليمسن الذين كفروا منهم للبيان كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان. فإن قلت فهلا قيل ليمسنهم عذاب أليم. قلت في إقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة أخرى وهي الإعلام في تفسير الذين كفروا منهم أنهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب أليم أي نوع من الألم من العذاب كما تقول أعطني عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الأجناس التي يجوز أن يتناولها عشرون. ويجوز أن تكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لأن كثيرا منهم تابوا من النصرانية. أفلا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة

عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من إصرارهم والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء إن تابوا ولغيرهم. قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول أي ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها إن أبرأ الله الأكمه والأبرص وأحيى الموتى على يده فقد أحيا العصى وجعلها حية تسعى وفلق البحر وطمس على يد موسى وإن خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى. وأمه صديقة أي وما أمه أيضا إلا كبعض النساء المصدقات للأنبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما إلا منزلة بشرين أحدهما نبي والآخر صحابي فمن أين اشتبه عليكم أمرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الأنبياء وصحابتهم مع أنه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما نسبا إليهما في قوله كانا يأكلان الطعام لأن من احتاج إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن إلا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وأمزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الأجسام. كيف نبين لهم الآيات أي الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم. أنى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله. فإن قلت ما معنى التراخي في قوله ثم انظر. قلت معناه ما بين العجبين يعني أنه بين لهم الآيات بيانا عجيبا وأن إعراضهم عنها أعجب منه. قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم. ما لا يملك هو عيسى أي شيئا لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الأنفس والأموال ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الأبدان والسعة والخصب ولأن كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فبإقدار الله وتمكينه فكأنه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب أن يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته. والله هو السميع العليم متعلق بأتعبدون أي أتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون أو أتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذي يصح منه أن يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك إلا وهو حي قادر. قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل. غير الحق صفة للمصدر أي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق أي غلوا باطلا لأن الغلو في الدين غلوان حق وهو أن يفحص عن حقائقه ويفتش عن أباعد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من أهل العدل والتوحيد وغلو باطل وهو أن يجاوز الحق ويتخطاه بالإعراض عن الأدلة واتباع الشبه كما يفعل أهل الأهواء والبدع. قد ضلوا من قبل هم أئمتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلعم وأضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث وضلوا لما بعث رسول الله صلعم عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه. لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون. نزل الله لعنهم في الزبور على لسان داود وفي الإنجيل على لسان عيسى وقيل إن أهل أيلة لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية ولما كفر أصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم عذب من كفر بعدما أكل من المائدة عذابا لم تعذبه أحدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فأصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي. ذلك بما عصوا أي لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سببا في مسخهم إلا لأجل المعصية والاعتداء

لا ينتهي آخر ثم فسر المعصية والاعتدا بقوله كانوا لا يتناهون لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه ثم قال لبئس ما كانوا يفعلون للتعجيب
من سو فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم فيا حسرتا على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي عن المناكير وقلة عبئهم به كانه ليس من ملة الاسلام
في شي مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب **فان قلت** كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية والاعتدا **قلت**
من قبل ان الله عز وجل امر بالتناهي وكان الاخلال به معصية وهو اعتدا لان في التناهي حسما للفساد فكان تركه على عكسه **فان قلت** ما
معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل **قلت** معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله
كما ترى امارات الخوض في الفسق وآلاته تسوى وتهيا فتنكر ويجوز ان يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه
بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ترى كثيرا منهم هم منافقوا اهل الكتاب كانوا يوالون
المشركين ويصافونهم ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كانه قيل لبئس زادهم الى الآخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب
سخط الله ولو كانوا يؤمنون ايمانا خالصا غير نفاق ما اتخذوا المشركين اوليا يعني ان موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم وان ايمانهم
ليس بايمان ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين
اوليا كما لم يوالهم المسلمون **لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين
قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض
من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين** وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين عريكة
النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم الى الاسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم
على الذين اشركوا وكذلك فعل في قوله ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا ولعمري انهم لكذلك واشد وعن النبي صلعم
ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بان منهم قسيسين ورهبانا اي علما وعبادا
وانهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل بين على ان العلم انفع شي واهداه الى الخير وادله على
الفوز حتى علم القسيسين وكذلك علم الآخرة والتحدث بالعاقبة وان كان في راهب والبراءة من الكبر وان كانت في نصراني ووصفهم الله
برقة القلوب وانهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما يحكى عن النجاشي انه قال لجعفر بن ابي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى
الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنتهم عنده هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب اليها فقرأها الى قوله
ذلك عيسى بن مريم وقرأ سورة طه الى قوله وهل اتيك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله وهم سبعون رجلا حين
قرأ عليهم ~~رسول الله سبعون رجلا حين قرأ عليهم~~ رسول الله سورة يس فبكوا **فان قلت** بم تعلقت اللام في قوله للذين آمنوا **قلت** بعداوة
ومودة على ان عداوة اليهود التي اختصت المؤمنين اشد العداوات واظهرها وان مودة النصارى التي اختصت المؤمنين اقرب المودات
وادناها وجودا واسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة والمودة بالاشد
والاقرب **فان قلت** ما معنى قوله تفيض من الدمع **قلت** معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء او غيره حتى

يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من اقامة المسبب مقام السبب او قصدت المبالغة في وصفهم
بالبكاء فجعلت اعينهم كانها تفيض بانفسها اي تسيل من الدمع من اجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا فان قلت اي فرق بين من ومن
في قوله مما عرفوا من الحق قلت الاولى لابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتداء ونشأ من معرفة الحق وكان من اجله وبسببه والثانية لتبيين
الموصول الذي هو ما عرفوا ويحتمل معنى التبعيض على انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وقرأوا القرآن واحاطوا
بالسنة وقرئ ترى اعينهم على البناء للمفعول ربنا آمنا المراد به انشاء الايمان والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد صلى الله عليه وسلم
الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيمة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا نؤمن بالله وما
جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فاثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك
جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا
ان الله لا يحب المعتدين وما لنا لا نؤمن بالله انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام الله عليهم بصحبة
الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك وارادوا وما لنا لا نؤمن بالله وحده لانهم كانوا مثلثين وذلك ليس بايمان بالله
ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك قائما والواو في ونطمع واو الحال فان قلت ما العامل في الحال الاولى والثانية
قلت العامل في الاولى ما في اللام من معنى الفعل كانه قيل اي شيء حصل لنا غير مؤمنين وفي الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال
الاولى لانك لو ازلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على انهم انكروا على انفسهم انهم
لا يوحدون الله تعالى ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا الصالحين وان يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع في
صحبة الصالحين او على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في الاسلام لان الكافر ما ينبغي له ان يطمع في صحبة الصالحين وقرأ الحسن فآتاهم الله
بما قالوا بما تكلموا به عن اعتقاد واخلاص من قولك هذا قول فلان اي اعتقاده وما يذهب اليه طيبات ما احل الله لكم ما طاب ولذ من
الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا
وروي ان رسول الله صلعم وصف القيمة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان
لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا
في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني
اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وروي ان رسول الله صلعم كان ياكل الدجاج
والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود ان رجلا قال له اني حرمت الفراش فتلا هذه الآية
وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن الحسن انه دعي الى طعام ومعه فرقد السبخي واصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان
من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن اهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فاقبل الحسن
عليه وقال يا فريقد اترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا ياكل الفالوذ ويقول لا اؤدي

شكرهم قال اتشرب الماء البارد قال نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه في الماء البارد اكثر من نعمته عليه في الفالوذ وعنه ان الله تعالى
ادب عباده فاحسن ادبهم وقال لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا واطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه
ولا تعتدوا ولا تتعدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى
عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده على عقبه او اراد ولا تعتدوا بذلك وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا
واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون وكلوا مما رزقكم الله واتقوا الله تاكيد للتوصية بما امر به وزاده تاكيدا بقوله الذي انتم به مؤمنون
لان الايمان به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما امر به وعما نهى عنه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام
عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا
حلفتم واحفظوا ايمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف
فيه فعن عائشة رضي الله عنها انها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو مذهب الشافعي رض وعن مجاهد هو الرجل يحلف
على الشيء يرى انه كذلك وليس كما ظن وهو قول ابي حنيفة رض بما عقدتم الايمان بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروي
ان الحسن سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال يا ابا سعيد دعني اجب عنك فقال ه ولست بماخوذ بلغو تقوله ه
اذا لم تعمد عاقدات العزائم ه وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لانه
كان معلوما عندهم او بنكث ما عاقدتم فحذف المضاف فكفارته فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة اي تسترها
من اوسط ما تطعمون من اقصده لان منهم من يسرف في اطعام اهله ومنهم من يقتر وهو عند ابي حنيفة نصف صاع من بر او صاع من غيره
لكل مسكين او يغديهم ويعشيهم وعند الشافعي مد لكل مسكين وقرأ جعفر بن محمد اهاليكم بسكون الياء والاهالي اسم جمع لاهل كالليالي
في جمع ليلة والاراضي في جمع ارض وقولهم اهلون كقولهم ارضون بسكون الراء واما تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف كما قالوا رأيت
معدي كرب تشبيها للياء بالالف او كسوتهم عطف على محل من اوسط وقرئ بضم الكاف ونحوه قدوة في قدوة واسوة في اسوة والكسوة
ثوب يغطي العورة وعن ابن عباس كانت العباءة تجزئ يومئذ وعن ابن عمر ازار او قميص او رداء او كساء وعن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن
ثوبان ابيضان وقرأ سعيد بن المسيب واليماني او كأسوتهم بمعنى او مثل ما تطعمون اهليكم اسرافا كان او تقتيرا لا تنقصونهم عن مقدار نفقتهم
ولكن تواسون بينهم وبينهم فان قلت ما محل الكاف قلت الرفع تقديره او طعامهم كاسوتهم بمعنى كمثل طعامهم ان لم تطعموهم الاوسط
او تحرير رقبة شرط الشافعي الايمان قياسا على كفارة القتل واما ابو حنيفة واصحابه فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة في كل كفارة سوى القتل
فان قلت ما معنى او قلت التخيير وايجاب احدى الكفارات الثلث على الاطلاق بايتها اخذ المكفر فقد اصاب فمن لم يجد احداها فصيام
ثلثة ايام متتابعات عند ابي حنيفة تمسكا بقراءة ابي وابن مسعود فصيام ثلثة ايام متتابعات وعن مجاهد كل صوم متتابع الا قضاء
رمضان ويخير في كفارة اليمين ذلك المذكور كفارة ايمانكم ولو قيل تلك لكان صحيحا بمعنى تلك الاشياء او لتانيث الكفارة والمعنى اذا حلفتم وحنثتم
فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة انما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه

ويجوز عند الشافعي بالمال اذا لم يحنث بالحنث واحفظوا ايمانكم فبرّوا فيها ولا تحنثوا اراد الايمان التي الحنث فيها معصية لان الايمان
اسم جنس يجوز اطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها بان تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل
ذلك البيان يبين الله لكم آياته اعلام شريعته واحكامه لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر
والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا
انما على رسولنا البلاغ المبين اكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التاكيد منها تصدير الجملة بانما ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله عليه السلام
شارب الخمر كعابد الوثن ومنها انه جعلهما رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها انه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا ياتي
منه الا الشر البحت ومنها انه امر بالاجتناب ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة
ومنها انه ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض من اصحاب الخمر والقمر وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة
اوقات الصلوة وقوله فهل انتم منتهون من ابلغ ما ينهى به كانه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم منتهون مع هذه الصوارف
منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا ولم تزجروا فان قلت الام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه قلت الى المضاف المحذوف
كانه قيل انما شان الخمر والميسر او تعاطيهما او ما اشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب
والازلام اولا ثم افردهما آخرا قلت لان الخطاب مع المؤمنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر
وذكر الانصاب والازلام لتاكيد تحريم الخمر والميسر واظهار ان ذلك جميعا من اعمال الجاهلية واهل الشرك فوجب اجتنابه باسره وكانه لا مباينة
بين من عبد صنما واشرك بالله في علم الغيب وبين من شرب خمرا او قامر ثم افردهما بالذكر ليري ان المقصود بالذكر الخمر والميسر وقوله وعن الصلوة
اختصاص للصلوة من بين الذكر كانه قيل وعن الصلوة خصوصا واحذروا وكونوا حذرين خاشين لانهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء
كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز ان يراد واحذروا ما عليكم في الخمر والميسر او في ترك طاعة الله والرسول فان توليتم فاعلموا انكم
لم تضروا بتوليكم الرسول لان الرسول ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه ليس على الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين يا ايها
الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك
فله عذاب اليم رفع الجناح عن المؤمنين في اي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها اذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وآمنوا وثبتوا على
الايمان والعمل الصالح وازدادوه ثم اتقوا وآمنوا ثم ثبتوا على التقوى والايمان ثم اتقوا واحسنوا ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا اعمالهم
او احسنوا الى الناس وآسوهم بما رزقهم الله من الطيبات وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون
الخمر ويأكلون مال الميسر فنزلت يعني ان المؤمنين لا جناح عليهم في اي شيء طعموه من المباحات اذا اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا
واحسنوا على معنى ان اولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان ومثاله ان يقال لك هل على زيد

بما فعل جناح فيقول وقد علمت ان ذلك امر مباح ليس على احد جناح في المباح اذا اتقى المحارم وكان نحو مثلهما نريد ان زيدا تقي مؤمن
محسن وانه غير متوان بما فعل نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون
من صيده اخذا بايديهم وطعنا برماحهم ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر في الآخرة فيتقي
الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فالوعيد لاحق به فان قلت ما معنى التقليل والتصغير في قوله بشيء من الصيد
قلت قلل وصغر ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عندها اقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الارواح والاموال وانما هو
شبيه بما ابتلي به اهل ايلة من صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف شأنهم عندما هو اشد منه وقرأ ابراهيم يناله بالياء يا ايها الذين
آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة
طعام مساكين او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام حرم محرم
جمع حرام كردح في جمع رداح والتعمد ان يقتله وهو ذاكر لاحرامه او عالم ان ما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى صيدا
وهو يظن انه ليس بصيد فاذا هو صيد او قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فاصاب صيدا فهو مخطئ فان قلت فمحظورات
الاحرام يستوي فيها العمد والخطأ فما بال التعمد مشروطا في الآية قلت لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روي انه عن لهم في
عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت ولان الاصل فعل
المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله منه وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت
السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير لا ارى في الخطأ شيئا اخذا باشتراط العمد في الآية وعن الحسن روايتان فجزاء مثل ما قتل برفع جزاء
ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو عند ابي حنيفة قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي
تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان
شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق به وعند محمد والشافعي مثله نظيره من النعم
فان لم يوجد له نظير من النعم عدل الى قول ابي حنيفة فان قلت ما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله
هديا بالغ الكعبة قلت قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هديا او طعاما او يصوم كما خير الله تعالى في الآية فكان قوله
من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة في احد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما
قتل من النعم على ان التخيير الذي في الآية بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام او الصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف
اذا قوم ونظر بعد التقويم اي الثلاثة يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيئا لا نظير له قوم
حينئذ ثم يتخير بين الاطعام والصوم ففيه نبو عما في الآية الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما كيف خير بين
الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم وقرأ عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الاضافة واصله فجزاء
مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد وقرأ السلمي [illegible]

وقرأ محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل نصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل وقرأ الحسن من النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق لثقله
يحكم به بمثل ما قتل ذوا عدل منكم حكمان عادلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد
دون الاشياء المشاهدة وعن قبيصة انه اصاب ظبيا وهو محرم فسأل عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم امره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله
ما علم امير المؤمنين حتى سأل غيره فاقبل عليه ضربا بالدرة وقال أتغمص الفتيا وتقتل الصيد وانت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل
منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل منكم اراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل اراد الامام هديا حال عن جزاء
فيمن وصفه بمثل لان الصفة خصصته فقربته من المعرفة او بدل عن مثل فيمن نصبه او عن محله فيمن جره ويجوز ان ينتصب حالا عن الضمير
في به ووصف هديا ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت عند ابي حنيفة وعند
الشافعي في الحرم فان قلت بم يرفع كفارة من ينصب جزاء قلت يجعلها خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل او الواجب عليه كفارة او يقدر فعليه ان يجزي
جزاء او كفارة فيعطفها على ان يجزي وقرئ او كفارة طعام مساكين على الاضافة وهذه الاضافة مبينة كأنه قيل او كفارة من طعام مساكين كقولك
خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة وقرأ الاعرج او كفارة طعام مسكين وانما وحد لانه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عدل
ذلك بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار ومنه عدلا الحمل لان كل
واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا كأن المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح ونحوه ونحوهما الحمل والحمل وذلك اشارة
الى الطعام وصياما تمييز للعدل كقولك لي مثله رجلا والخيار في ذلك الى قاتل الصيد عند ابي حنيفة وابي يوسف وعند محمد الى الحكمين ليذوق متعلق
بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازى او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله
عليه من قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ عفا الله عما سلف لكم من الصيد في حال الاحرام
قبل ان تراجعوا رسول الله وتسألوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن
عاد الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي عنه فينتقم الله منه ينتقم خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت
الفاء ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف يعني ينتقم منه في الآخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد فعن عطاء وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها
وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم
عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد
ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم صيد البحر مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل وطعامه وما يطعم من صيده
والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم اكل المأكول منه وهو السمك وحده عند ابي حنيفة وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على
ان تفسير الآية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه متاعا لكم مفعول له اي احل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى
ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة في باب الحال لان قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة حال مختصة بيعقوب يعني احل لكم طعامه
تمتيعا لتنائكم يأكلونه طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر وقوله وصيد البر

ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء عند ابي حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انهم اجازوا للمحرم اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي واحمد لا يباح له ما صيد لاجله

فان قلت ما يصنع ابو حنيفة بعموم قوله صيد البر قلت قد اخذ ابو حنيفة بالمفهوم من قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما لان ظاهره انه صيد المحرمين دون صيد غيرهم لانهم هم الحاملون فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقرأ ابن عباس وحرم عليكم صيد البر اي الله عز وجل وقرئ ما دمتم بكسر الدال فيمن يقول دام يدام البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء الصفة كذلك قياما للناس انتعاشا لهم في امر دينهم ودنياهم ونهوضا الى اغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من امر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافعهم وعن عطاء بن ابي رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر الحرام الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لان لاختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شانا قد عرفه الله وقيل عنى به جنس الاشهر الحرم والهدي والقلائد والمقلد منه خصوصا وهو البدن لان الثواب فيه اكثر وبهاء الحج معه اظهر ذلك اشارة الى جعل الكعبة قياما للناس او الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره لتعلموا ان الله يعلم كل شيء وهو عالم بما يصلحكم ولما ينعشكم مما امركم به وكلفكم

اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون

شديد العقاب لمن انتهك محارمه غفور رحيم لمن حافظ عليها ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر به وان الرسول قد تفرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله وان كان قريبا عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل فان ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم فاتقوا الله وآثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر ومن حق هذه الآية ان تكفح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا بالكثرة

كاثر بسعد ان سعدا كثيرة ... ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا

لا يدهمنك من دهمائهم عدد ... فان جلهم بل كلهم بقر

وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين اراد المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عن الايقاع بهم وان كانوا مشركين

يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين

الجملة الشرطية والمعطوفة عليها اعني قوله ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم صفة للاشياء والمعنى لا تكثروا مسألة رسول الله صلعم حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها اغمتكم وشقت عليكم وتندمتم على السؤال عنها وذلك نحو ما روي ان سراقة بن مالك او عكاشة بن محصن قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فاعرض عنه رسول الله حتى اعاد مسألته ثلث مرات فقال رسول الله صلعم ويحك ما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين اظهركم يوحى اليه تبد لكم تلك التكاليف التي تسؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها عفا الله عنها عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته

فان قلت كيف قال لا تسألوا عن اشياء ثم قال قد سألها ولم يقل قد سأل عنها قلت الضمير في سألها ليس براجع الى اشياء حتى يجب تعديته بعن وانما هو راجع الى المسألة التي دل عليها لا تسألوا يعني قد سأل هذه المسألة قوم من الاولين ثم اصبحوا بها اي بمرجوعها او بسببها كافرين وذلك ان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم عن اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا

ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون

كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واذا لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمي ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا امر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكنهم بتحريمهم ما حرموا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم الى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم والواو في قوله او لو كان آباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى ان الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدي وانما يعرف اهتداؤه بالحجة كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم في الاسلام فقيل لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم اذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذلك من تأسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم فهو مخاطب به وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وانما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه وعن ابن مسعود انها قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن يوشك ان يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم انفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه ليس هذا زمان تأويلها قيل فمتى قال اذا جعل دونها السيف والسوط والسجن وعن ابي ثعلبة الخشني انه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله صلعم عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع امر العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك ولاموه فنزلت

عليكم انفسكم عليكم من اسماء الفعل بمعنى الزموا اصلاح انفسكم ولذلك جزم جوابه وعن نافع عليكم انفسكم بالرفع وقرئ لا يضركم وفيه وجهان
ان يكون خبرا مرفوعا ويعضده قراءة ابي حيوة لا يضيركم وان يكون جوابا للامر مجزوما وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها
من الراء المدغمة والاصل لا يضرركم ويجوز ان يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم
اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او آخران من غيركم ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما
من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين ارتفع اثنان على انه
خبر للمبتدا الذي هو شهادة بينكم على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان
وقرأ الشعبي شهادةٌ بينكم بالتنوين وقرأ الحسن شهادةً بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه
وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية وانها من الامور اللازمة التي ما ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور امارات
بلوغ الاجل منكم من اقاربكم من غيركم من الاجانب ان انتم ضربتم في الارض يعني ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم احد من عشيرتكم فاستشهدوا اجنبيين
على الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم باحوال الميت وبما هو اصلح وهم له انصح وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من الكفار وقيل هو
منسوخ لا تجوز شهادة الذمي على المسلم وانما جاز في اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر وعن مكحول نسخها قوله و
اشهدوا ذوي عدل منكم روي انه خرج بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدي بن زيد وتميم بن اوس وكانا نصرانيين
تجارا الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه فاوصى اليهما
ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه فاخذا اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهل بديل الصحيفة
فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلعم فنزلت تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما للحلف من بعد الصلوة من بعد صلوة العصر لانه وقت
اجتماع الناس وعن الحسن بعد العصر او الظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلوة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من عدي وتميم وقيل صلوة اهل الذمة
وهم يعظمون صلوة العصر ان ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى ان ارتبتم في شانهما واتهمتموهما فحلفوهما وقيل ان اريد بهما الشاهدان
فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علي انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا اتهمهما والضمير في به للقسم
وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى ان هذه
عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدا وانهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين شهادة
الله اي الشهادة التي امر الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام
منه وروي عنه بغير مد على ما ذكره سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وقرئ لملاثمين
بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون من فيها لقوله عادلولى فان قلت ما موقع تحبسونهما قلت هو استيناف كلام كانه قيل بعد
اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما فان قلت كيف فسرت الصلوة بصلوة العصر وهي مطلقة قلت لما كانت

معروفة عندهم بالتحليف بعدها اغنى ذلك عن التقييد كما لو قلت في بعض ائمة الفقه اذا صلى اخذ في الدرس علم انها صلوة الفجر ويجوز ان يكون اللام
للجنس وان يقصد بالتحليف على اثر الصلوة لطفا في النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فان عثر على انهما
استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا
لمن الظالمين فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن الآثمين فآخران فشاهدان آخران يقومان
مقامهما من الذين استحق عليهم اي من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفي قصة بديل انه لما ظهرت
خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما احق من شهادتهما الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما
وارتفاعهما على هما الاوليان كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان وقيل هما بدل من الضمير في يقومان او من آخران ويجوز ان يرتفعا باستحق اي من الذين
استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال وقرئ الاولين على انه وصف للذين استحق عليهم مجرور او منصوب
على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرأ الحسن الاولان
ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي وابو حنيفة واصحابه لا يرون ذلك فوجهه عندهم ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما قد اختانا فحلفا
فلما ظهر كذبهما ادعيا الشري فيما كتما فانكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهم الشري فان قلت فما وجه قراءة من قرأ استحق عليهم الاوليان
على البناء للفاعل وهو علي وابي وابن عباس رضي الله عنهم قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام
بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم واتقوا الله واسمعوا والله
لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب ذلك الذي تقدم من بيان الحكم ادنى
ان ياتي الشهداء على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان ان تكرر ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم
كما جرى في قصة بديل واسمعوا سمع قبول يوم يجمع بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كانه قيل واتقوا الله يوم جمعه او ظرف لقوله لا يهدي اي
لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم او منصوب باضمار اذكر يوم يجمع الله الرسل كانه قيل ثم وماذا منصوب باجبتم انتصاب مصدره على معنى
اي اجابة اجبتم فان قلت ما معنى سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائد فان قلت فكيف يقولون لا علم لنا وقد علموا
بما اجيبوا قلت يعلمون ان الغرض بالسؤال توبيخ اعدائهم فيكلون الامر الى علمه واحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء اجابتهم اظهارا للتشكي
واللجأ الى ربهم في الانتقام منهم وذلك اعظم على الكفرة وافت في اعضادهم واجلب لحسرتهم وسقوطهم في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي
انبيائه عليهم ومثاله ان ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه
فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له انت اعلم بما فعل بي تفويضا للامر الى علم سلطانه واتكالا
عليه واظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما تثوب اليهم عقولهم بالشهادة
على اممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لانك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها اجابة الامم لرسلهم فكانه
لا علم لنا الى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وانما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم امرهم وقد راوهم سود الوجوه زرق العيون

نحو تجيء ونزل علام الغيوب بالنصب على أن الكلام قد تم بقوله إنك أنت أي إنك الموصوف بأوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب
على الاختصاص أو على النداء أو صفة لاسم إن. إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس
في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا
بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا
إلا سحر مبين وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون. إذ قال الله بدل من يوم يجمع والمعنى أنه يوبخ
الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن إجابتهم وبتعديد ما أظهر على أيديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة أو جاوزوا حد التصديق إلى
أن اتخذوهم آلهة كما قال بعض بني إسرائيل فيما أظهر على يدي عيسى من البينات والمعجزات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وأمه إلهين. أيدتك قويتك وقرئ
آيدتك على أفعلتك بروح القدس بالكلام الذي يحيى به الدين وأضافه إلى القدس لأنه سبب الطهر من أوضار الآثام والدليل عليه قوله تكلم الناس
وفي المهد في موضع الحال لأن المعنى تكلمهم طفلا وكهلا إلا أن في المهد فيه دليل على حد من الطفولة وقيل روح القدس جبريل عليه السلام أيد به لتثبيت الحجة
فإن قلت ما معنى قوله في المهد وكهلا قلت معناه تكلمهم في هاتين الحالتين من غير أن يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي
هو وقت كمال العقل وبلوغ الأشد والحد الذي يستنبأ فيه الأنبياء. والتوراة والإنجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب لأن المراد بهما جنس الكتاب والحكمة
وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب. كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير بإذني بتسهيلي فتنفخ فيها الضمير للكاف لأنها صفة الهيئة
التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع إلى الهيئة المضاف إليها لأنها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء وكذلك الضمير في فتكون. تخرج الموتى تخرجهم من القبور
وتبعثهم قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية. وإذ كففت بني إسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله. وقيل لما قال الله لعيسى اذكر نعمتي عليك
كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد يموت أينما أمسى بات. أوحيت إلى الحواريين
أمرتهم على ألسنة الرسل مسلمون مخلصون من أسلم وجهه لله. إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا
الله إن كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين. عيسى في محل النصب على اتباع
حركته حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز أن يكون مضموما كقولك يا زيد بن عمرو والدليل عليه قوله أحار بن عمرو كأني خمر
لأن الترخيم لا يكون إلا في المضموم. فإن قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد إيمانهم وإخلاصهم قلت ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص وإنما
حكى ادعاءهم لهما ثم أتبعه قوله إذ قالوا فآذن أن دعواهم كانت باطلة وأنهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين
معظمين لربهم وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات
فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها إن كنتم مؤمنين إن كانت دعواكم للإيمان صحيحة وقرئ هل تستطيع ربك أي هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله
ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله والمائدة الخوان إذا كان عليه الطعام وهي من ماده إذا أعطاه ورفده كأنها تميد من تقدم إليه ونكون عليها من الشاهدين
نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني إسرائيل أو نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على أن عليها في موضع الحال وكانت دعواهم
لإرادة ما ذكروا كدعواهم للإيمان والإخلاص وإنما سأل عيسى وأجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب إذا خالفوا وقرئ ونعلم بالياء

على البناء للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب. قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا
وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين. اللهم أصله
يا الله فحذف حرف النداء وعوضت منه الميم وربنا نداء ثان. تكون لنا عيدا أي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الأحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا
وقيل العيد السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرئ تكن على جواب الأمر ونظيرهما يرثني ويرث. لأولنا وآخرنا
بدل من لنا بتكرير العامل أي لمن في زماننا من أهل ديننا ولمن يأتي بعدنا وقيل يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم ويجوز للمقدمين منا والأتباع وفي قراءة
زيد لأولانا وأخرانا والتأنيث بمعنى الأمة والجماعة. عذابا بمعنى تعذيبا والضمير في لا أعذبه للمصدر ولو أريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء. وروي
أن عيسى عليه السلام لما أراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم أنزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وأخرى تحتها وهم ينظرون إليها حتى
سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم أحسنكم عملا يكشف عنها
ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين أنت أولى بذلك فقام عيسى فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فإذا
سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث وإذا خمسة أرغفة على واحد منها
زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما
ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية
أخرى فقال يا سمكة احيي بإذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروي
أنهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه قالوا لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكانت عيدا إلى يوم القيامة
لقوله وآخرنا والصحيح أنها نزلت. وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي
أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا
الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد. سبحانك من أن يكون لك شريك
ما يكون لي ما ينبغي لي أن أقول قولا لا يحق لي أن أقوله في نفسي في قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا أعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح
الكلام وبينه فقال في نفسك لقوله في نفسي إنك أنت علام الغيوب تقرير للجملتين معا لأن ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولأن ما يعلمه علام الغيوب
لا ينتهي إليه علم أحد. أن في قوله أن اعبدوا الله إن جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر إما فعل القول وإما فعل الأمر وكلاهما لا وجه له أما فعل القول فيحكى بعده
الكلام من غير أن يتوسط بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم إلا اعبدوا الله وأما فعل الأمر فمسند إلى ضمير الله عز وجل
فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لأن الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وإن جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من أن تكون بدلا
من ما أمرتني به أو من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لأن البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم
إلا عبادته لأن العبادة لا تقال وكذلك إذا جعلته بدلا من الهاء لأنك لو أقمت أن اعبدوا الله مقام الهاء فقلت إلا ما أمرتني بأن اعبدوا الله لم يصح لبقاء
الموصول بغير راجع إليه من صلته. فإن قلت فكيف يصنع قلت يحمل فعل القول على معناه لأن معنى ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ما أمرتهم إلا بما أمرتني

حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز ان تكون ان موصولة عطفا بيانا للهاء لا بدلا وكنت عليهم شهيدا رقيبا كالشاهد
على المشهود عليه امنعهم من ان يقولوا ذلك ويتدينوا به فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الادلة وانزلت
عليهم من البينات وارسلت اليهم من الرسل ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم قال الله هذا يوم ينفع الصادقين
صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والارض
وما فيهن وهو على كل شيء قدير ان تعذبهم فانهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لانبيائك وان تغفر لهم فانك
انت العزيز القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان قلت المغفرة لا تكون
للكفار فكيف قال وان تغفر لهم قلت ما قال انك تغفر لهم ولكن بنى الكلام على ان يقال ان عذبتهم عدلت لانهم احقاء بالعذاب وان غفرت لهم
مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لان المغفرة حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان المجرم اعظم جرما كان العفو عنه احسن قرئ هذا يوم ينفع
بالرفع والاضافة وبالنصب اما على انه ظرف لقال واما على ان هذا مبتدا والظرف خبر ومعناه هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز ان يكون
فتحا كقوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا لانه مضاف الى متمكن وقرا الاعمش يوم ينفع بالتنوين كقوله واتقوا يوما لا تجزي فان قلت ما معنى قوله ينفع الصادقين
صدقهم ان اريد صدقهم في الآخرة فليست الآخرة بدار عمل وان اريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لانه في معنى الشهادة لعيسى بالصدق
فيما يجيب به يوم القيامة قلت معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم وعن قتادة متكلمان تكلما يوم القيامة اما ابليس فقال
ان الله وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه واما عيسى فكان صادقا في الحيوة وبعد الممات فنفعه صدقه فان قلت
في السموات والارض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن قلت ما يتناول الاجناس كلها تناولا عاما الا تراك تقول اذا رايت
شبحا من بعيد ما هو قبل ان تعرف اعاقل هو ام غير عاقل فكان اولى بارادة العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المائدة اعطي من الاجر
عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم
وجهركم ويعلم ما تكسبون وما تاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن
جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى احدث وانشا كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق بين الخلق والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كانشاء شيء من شيء او تصيير شيء شيئا
او نقله من مكان الى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار وخلقكم من نفس واحدة وجعل منها
ازواجا اجعل الآلهة الها واحدا فان قلت لم افرد النور قلت للقصد الى الجنس كقوله تعالى والملك على ارجائها او لان الظلمات كثيرة لانه
ما من جنس من اجناس الاجرام الا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار فان قلت علام عطف قوله ثم الذين

كفروا بربهم يعدلون قلت اما على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فانكر
فيكفرون بنعمته واما على قوله خلق السموات على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شي منه
فما معنى ثم قلت استبعاد ان يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم انتم تمترون استبعاد لان يمتروا فيه بعد ما ثبت انه محييهم
ومميتهم وباعثهم ثم قضى اجلا الاجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة وقيل الاجل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني
ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت فان قلت المبتدا النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تاخيره فلم
جاز تقديمه في قوله واجل مسمى عنده قلت لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت الكلام السائر
ان يقال عندي ثوب جيد ولي عبد كيس وما اشبه ذلك فما اوجب التقديم قلت اوجبه ان المعنى واي اجل مسمى عنده تعظيما لشان الساعة
فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم في السموات متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيهما ومنه قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض
اله او وهو المعروف بالالهية فيهما او المتوحد بالالهية فيها او وهو الذي يقال له الله فيها لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز ان يكون الله
في السموات خبرا بعد خبر على معنى انه الله وانه في السموات والارض بمعنى انه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شي كان ذاته فيهما فان قلت كيف موقع قوله
يعلم سركم وجهركم قلت ان اردت المتوحد بالالهية كان تقريرا له لان الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك اذا جعلت
في السموات خبرا بعد خبر والا فهو كلام مبتدا بمعنى هو يعلم سركم وجهركم او خبر ثالث ويعلم ما تكسبون من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب من
في من آية للاستغراق وفي من آيات ربهم للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا كانوا
عنه معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به رأسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب فقد كذبوا مردود على كلام محذوف
كانه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو اعظم آية واكبرها وهو الحق لما جاءهم يعني القرآن الذي
تحدوا به على تناهيهم في الفصاحة فعجزوا عنه فسوف يأتيهم انباء الشي الذي كانوا به يستهزؤن وهو القرآن اي اخباره واحواله بمعنى
سيعلمون باي شي استهزؤا وسيظهر لهم انه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام
وعلو كلمته الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم
فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا آخرين ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر
مبين وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما
يلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن مكن له في الارض جعل له مكانا فيها ونحوه ارض له
قوله انا مكنا له في الارض او لم نمكن لهم واما مكنته في الارض فاثبته فيها ومنه قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ولتقارب المعنيين
جمع بينهما في قوله مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام
والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا والسماء المظلة لان الماء ينزل منها الى السحاب او السحاب او المطر والمدرار المغزار
فان قلت اي فائدة في ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم قلت الدلالة على انه لا يتعاظمه ان يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر

على ان ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله ولا يخاف عقباها كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق فلمسوه بايديهم ولم يقتصر بهم
على الرؤية لئلا يقولوا انما سكرت ابصارنا ولا تبقى لهم علة لقالوا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره لقضي الامر
لقضي امر اهلاكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين اما لانهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله في صورته وهي آية لا شيء ابين
منها وايقن ثم لا يؤمنون كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة لم يكن بد من اهلاكهم كما اهلك اصحاب المائدة واما لانه يزول الاختيار الذي
هو قاعدة التكليف عند نزول الملك فيجب اهلاكهم واما لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون
ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة اشد من نفس الشدة ولو جعلناه
ملكا ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا انزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا
لانزل ملائكة لجعلناه رجلا لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله صلعم في اعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون
مع رؤية الملائكة في صورهم وللبسنا عليهم ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ فانهم يقولون اذا رأوا الملك في صورة الانسان
هذا انسان وليس بملك فان قال لهم الدليل على اني ملك اني جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق باني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا فاذا فعلوا
ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس الله عليهم ويجوز ان يراد وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة في كفرهم
بآيات الله البينة وقرأ ابن محيصن ولبسنا بلام واحدة وقرأ الزهري وللبّسنا عليهم ما يلبّسون بالتشديد ولقد استهزئ تسلية لرسول الله
عما كان يلقى من قومه فحاق بهم فاحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو الحق حيث اهلكوا من اجل الاستهزاء به قل سيروا في الارض
ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه
الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم فان قلت اي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله
ثم انظروا قلت جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين واما قوله قل سيروا
في الارض ثم انظروا فمعناه اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين
الواجب والمباح لمن ما في السموات والارض سؤال تبكيت وقل لله تقرير لهم اي هو الله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون ان تضيفوا شيئا منه
الى غيره كتب على نفسه الرحمة اي اوجبها على ذاته في هدايتكم الى معرفته ونصب الادلة لكم على توحيده بما انتم مقرون به من خلق السموات
والارض ثم اوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة فيجازيكم على اشراككم
وقوله الذين خسروا انفسهم نصب على الذم او رفع اي اريد الذين خسروا او انتم الذين خسروا فان قلت كيف جعل عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم
على العكس قلت معناه الذين خسروا انفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون وله عطف على الله ما سكن في الليل والنهار
من السكنى وتعديه بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهو السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء
مما يشتمل عليه الملوان قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن
من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز العظيم

المبين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير اولي غير الله همزة الاستفهام دون الفعل
الذى هو اتخذ لان الانكار فى اتخاذ غير الله وليا لا فى اتخاذ الولى فكان اولى بالتقديم ونحوه افغير الله تامروني اعبد آلله اذن لكم وقرئ فاطر
السموات بالجر صفة لله وبالرفع على المدح وقرا الزهرى فطر وعن ابن عباس ما عرفت ما فاطر السموات والارض حتى اتانى اعرابيان يختصمان
فى بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتداتها وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق كقوله تعالى ما اريد منهم من رزق وما اريد
ان يطعمون والمعنى ان المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا يطعم بفتح اليا وروى ابن المامون عن يعقوب وهو
يطعم ولا يطعم على بناء الاول للمفعول والثانى للفاعل والضمير لغير الله وقرا الاشهب وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل
وفسر بان معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الازهرى اطعمت بمعنى استطعمت ونحوه افدت ويجوز ان يكون المعنى
وهو يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطى ويمنع ويبسط ويقدر ويغنى ويفقر اول من اسلم لان النبى صلعم
سابق امته فى الاسلام كقوله وبذلك امرت وانا اول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن وقيل لى
لا تكونن من المشركين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الله الرحمة العظمى وهى النجاة
كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت اليه تريد فقد اتممت الاحسان اليه او فقد ادخله الجنة لان من لم يعذب لم يكن له بد
من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البنا للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه فى ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم
من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما او مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز ان ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به اى من
يصرف الله عنه ذلك اليوم اى هوله فقد رحمه وينصره هذه القراة قراة ابى من يصرف الله عنه وان يمسسك الله بضر من مرض او فقر او غير ذلك
من بلاياه فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شئ قدير فكان قادرا على ادامته او ازالته وهو القاهر فوق
عباده وهو الحكيم الخبير قل اى شئ اكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم واوحى الى هذا القران لانذركم به ومن بلغ
اينكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد واننى برئ مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه
كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله
وانا فوقهم قاهرون الشئ اعم العام لوقوعه على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك
صح ان يقال فى الله تعالى شئ لا كالاشيا كانك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولا يصح جسم لا كالاجسام واراد اى شهيد اكبر شهادة فوضع شيئا
مقام شهيد ليبالغ بالتعميم قل الله شهيد بينى وبينكم يحتمل ان يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله اكبر شهادة ثم ابتدى
شهيد بينى وبينكم وان يكون الله شهيد بينى وبينكم هو الجواب لدلالته على ان الله عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شئ شهادة شهيد له
ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين من اهل مكة اى لانذركم وانذر كل من بلغه القران من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم
القيمة وعن سعيد بن جبير من بلغه القران فكانما راى محمدا صلى الله عليه وسلم اينكم لتشهدون تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد شهادتكم
الذين آتيناهم الكتاب يعنى اليهود والنصارى يعرفونه يعرفون رسول الله بحليته ونعته الثابت فى الكتابين معرفة خالصة كما يعرفون

أبناءهم بحليتهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال الذين
خسروا أنفسهم من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون به ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون
ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
جمعوا بين أمرين متناقضين فكذبوا على الله بما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما أشركنا
ولا آباؤنا وقالوا والله أمرنا بها وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا إليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا
القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول ويوم نحشرهم ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الإبهام
الذي هو داخل في التخويف أين شركاؤكم أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقوله الذين كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان
وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما وإنما يقال لهم ذلك على جهة التوبيخ ويجوز أن يشاهدوهم إلا أنهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا
من الشفاعة فكأنهم غيب عنهم وأن يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيروا مكان خزيهم
وحسرتهم فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا إلا جحوده والتبرؤ
منه والحلف على الانتفاء من التدين به ويجوز أن يراد ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا فسمي فتنة لأنه كذب وقرئ تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب
وإنما أنث أن قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت أمك وقرئ بالياء ونصب الفتنة وبالياء والتاء مع رفع الفتنة وقرئ ربنا بالنصب على النداء
انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا
وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين وهم ينهون عنه وينأون
عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون وضل عنهم ما كانوا يفترونه أي يفترون إلاهيته وشفاعته فإن قلت كيف يصح أن يكذبوا
حين يطلعون على حقائق الأمور وعلى أن الكذب والجحود لا وجه لمنفعته قلت الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما
حيرة ودهشا ألا تراهم يقولون ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون وقد أيقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه وقالوا يا مالك ليقض
علينا ربك وقد علموا أنه لا يقضى عليهم وأما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند أنفسنا وما علمنا أنا على خطأ في معتقدنا وحمل قوله
انظر كيف كذبوا على أنفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لأفصح الكلام إلى ما هو عي وإفحام لأن المعنى الذي ذهبوا إليه ليس هذا الكلام
بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه أشد النبو وما أدري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون
أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا ومنهم من يستمع
إليك حين تتلو القرآن روي أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله فقالوا
للنضر يا أبا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين
مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان إني لأراه حقا فقال أبو جهل كلا فنزلت والأكنة على القلوب والوقر في الآذان مثل
في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه إسناد الفعل إلى ذاته وهو قوله وجعلنا للدلالة على أنه أمر ثابت فيهم

لا يزول عنهم كأنهم مجبولون عليه أو هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرأ طلحة وقرا بالكسر
الواو في حتى إذا جاءوك يجادلونك هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله إذا جاءوك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز أن تكون
الجارة ويكون إذا جاءوك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم
يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون إن هذا إلا أساطير الأولين فيجعلون كلام الله وأصدق الحديث خرافات وأكاذيب وهي الغاية
في التكذيب وهم ينهون الناس عن القرآن أو عن الرسول واتباعه ويثبطونهم عن الإيمان به وينأون عنه بأنفسهم فيضلون ويضلون وإن يهلكون
بذلك إلا أنفسهم ولا يتعداهم الضرر إلى غيرهم وإن كانوا يظنون أنهم يضرون رسول الله وقيل هو أبو طالب لأنه كان ينهى قريشا عن التعرض
لرسول الله وينأى عنه فلا يؤمن به وروي أنهم اجتمعوا إلى أبي طالب وأرادوا برسول الله سوءا فقال

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصح ... ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لا محالة أنه ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذاري سبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

فنزلت

ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا
قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت أمرا شنيعا وقفوا على النار أروها حتى
يعاينوها أو اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم أو أدخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا إذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء
للفاعل من وقف عليه وقوفا يا ليتنا نرد تم تمنيهم ثم ابتدأوا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين الإيمان كأنهم قالوا ونحن لا نكذب
ونؤمن على وجه الإثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا أعود بمعنى دعني وأنا لا أعود تركتني أو لم تتركني ويجوز أن يكون معطوفا على نرد أو حالا
على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمني فإن قلت يدفع ذلك قوله وإنهم لكاذبون لأن المتمني
لا يكون كاذبا قلت هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز أن يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فأحسن إليك وأكافئك على صنيعك
فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن إلى صاحبه ولم يكافئه كذب كأنه قال إن رزقني الله مالا كافأتك على الإحسان وقرئ ولا نكذب
ونكون بالنصب بإضمار أن على جواب التمني ومعناه إن رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من الناس من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم
وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا أنهم عازمون على أنهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين وأنه يظهر نفاقهم الذي
كانوا يسرونه وقيل هو في أهل الكتاب وأنه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله ولو ردوا إلى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا
عنه من الكفر والمعاصي وإنهم لكاذبون فيما وعدوا من أنفسهم لا يوفون به وقالوا عطف على لعادوا أي ولو ردوا لكفروا ولقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا كما كانوا
يقولون قبل معاينة القيامة ويجوز أن يعطف على قوله وإنهم لكاذبون على معنى وإنهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا
وكفى به دليلا على كذبهم وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على

جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف قال بلى مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم إذ وقفوا عليه فقيل قال أليس هذا بالحق وهذا تعيير من الله
لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما هو إلا باطل بما كنتم تكفرون بكفركم قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون
وما الحيوة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن
الظالمين بآيات الله يجحدون بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه في موضع آخر وحتى غاية لكذبوا لا لخسر لأن
خسرانهم لا غاية له أي ما زال بهم التكذيب إلى حسرتهم وقت مجيء الساعة فإن قلت أما يتحسرون عند موتهم قلت لما كان الموت وقوعا
في أحوال الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته أو جعل
مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة بغتة فجأة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة أو على المصدر كأنه قيل بغتتهم الساعة بغتة
فرطنا فيها الضمير للحيوة الدنيا جيء بضميرها وإن لم يجر لها ذكر لكونها معلومة أو للساعة على معنى قصرنا في شأنها وفي الإيمان بها كما تقول فرطت في فلان
ومنه فرطت في جنب الله يحملون أوزارهم على ظهورهم كقوله تعالى فبما كسبت أيديكم لأنه اعتيد حمل الأثقال على الظهور كما ألف الكسب بالأيدي
ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم كقوله تعالى ساء مثلا القوم جعل أعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب
أعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله للذين يتقون دليل على أن ما سوى أعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عباس ولدار الآخرة وقرئ يعقلون بالياء
والتاء قد في قد نعلم بمعنى ربما الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في إنه ضمير الشأن
ليحزنك قرئ بفتح الياء وضمها والذي يقولون هو قولهم ساحر كذاب لا يكذبونك قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه إذا جعله كاذبا في زعمه
وأكذبه إذا وجده كاذبا والمعنى أن تكذيبك أمر راجع إلى الله تعالى لأنك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وإنما يكذبون الله
بجحود آياته فانته عن حزنك لنفسك وأنهم كذبوك وأنت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو أهم وهو استعظامك بجحود آيات الله والاستهانة بكتابه
ونحوه قول السيد لغلامه إذا أهانه بعض الناس إنهم لم يهينوك وإنما أهانوني ومن هذه الطريقة قوله تعالى إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله
وقيل فإنهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بألسنتهم وقيل فإنهم لا يكذبونك لأنك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون
بآيات الله وعن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الأمين فعرفوا أنه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وكان أبو جهل يقول
ما نكذبك وإنك عندنا لمصدق وإنما نكذب ما جئتنا به وروي أن الأخنس بن شريق قال لأبي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق
هو أم كاذب فإنه ليس عندنا أحد غيرنا فقال له والله إن محمدا لصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة
فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقوله ولكن الظالمين من إقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم ولقد كذبت رسل من قبلك
فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت
أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ولقد كذبت تسلية
لرسول الله صلعم وهذا دليل على أن قوله فإنهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وإنما هو من قولك لغلامك ما أهانوك ولكنهم أهانوني على ما كذبوا

وأوذوا على تكذيبهم وإيذائهم ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون ولقد جاءك
من نبإ المرسلين بعض أنبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين كان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه وإعراضهم عما جاء به
فنزل لحالك بلغ نفسك أنك لا تهدي من أحببت وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا منفذا تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض
حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها أو سلما في السماء فتأتيهم منها بآية فافعل يعني أنك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على إسلام قومه وتهالكه عليه
وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء إيمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات فكان يود أن يجابوا إليها لتمادي
حرصه على إيمانهم فقيل له إن استطعت كذا فافعل دلالة على أنه بلغ من حرصه أنه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا لعلهم يؤمنون
ويجوز أن يكون ابتغاء النفق في الأرض أو السلم في السماء هو الإتيان بالآيات كأنه قيل لو استطعت النفوذ إلى ما تحت الأرض أو الرقي إلى السماء لفعلت
لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها وحذف جواب إن كما تقول إن شئت أن تقوم بنا إلى فلان نزوره ولو شاء الله لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية
ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه إنما يستجيب الذين يسمعون
والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون إنما يستجيب
الذين يسمعون يعني أن الذين تحرص على أن يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وإنما يستجيب من يسمع كقوله إنك لا تسمع الموتى والموتى
يبعثهم الله مثل لقدرته على إلجائهم إلى الاستجابة بأنه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيمة ثم إليه يرجعون للجزاء فكان قادرا على هؤلاء الموتى
بالكفر أن يحييهم بالإيمان وأنت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم إليه يرجعون فحينئذ يسمعون وأما قبل
ذلك فلا سبيل إلى استماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء لولا نزل عليه آية من ربه نزل بمعنى أنزل وقرئ أن ينزل بالتخفيف والتشديد وذكر الفعل والفاعل
مؤنث لأن تأنيث آية غير حقيقي وحسن للفصل وإنما قالوا ذلك مع تكاثر ما أنزل من الآيات على رسول الله لتركهم الاعتداد بما أنزل عليه كأنه لم ينزل
عليه شيء من الآيات عنادا منهم قل إن الله قادر على أن ينزل آية تضطرهم إلى الإيمان كنتق الجبل على بني إسرائيل ونحوه أو آية إن جحدوها جاءهم
العذاب ولكن أكثرهم لا يعلمون أن الله قادر على أن ينزل تلك الآية وأن صارفا من الحكمة يصرفه عن إنزالها وما من دابة في الأرض ولا طائر
يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله
يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون
أمم أمثالكم مكتوبة أرزاقها وآجالها وأعمالها كما كتبت أرزاقكم وآجالكم وأعمالكم ما فرطنا ما تركنا وما أغفلنا في الكتاب في اللوح المحفوظ
من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب أن يثبت مما يختص به ثم إلى ربهم يحشرون يعني الأمم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض
كما روي أنه يأخذ للجماء من القرناء فإن قلت كيف قيل إلا أمم مع إفراد الدابة والطائر قلت لما كان قوله وما من دابة ولا طائر دالا على معنى الاستغراق
ومغنيا عن أن يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله إلا أمم على المعنى فإن قلت هلا قيل وما من دابة ولا طائر إلا أمم أمثالكم وما معنى زيادة في الأرض
ويطير بجناحيه قلت معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة كأنه قيل وما من دابة قط في جميع الأرضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير
بجناحيه إلا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها فإن قلت فما الغرض في ذكر ذلك قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه

وتدبير تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن على احوالها لا يشغله شان عن شان وان المكلفين
ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان وقرا ابن ابي عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كانه قيل وما دابة ولا طائر وقرا علقمة ما فرطنا بالتخفيف
فان قلت كيف اتبعه قوله والذين كذبوا باياتنا قلت لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون صم لا يسمعون
كلام المنبه بكم لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تامل ذلك والتفكر فيه ثم قال ايذانا بانهم من اهل الطبع من يشا الله
يضلله اي يخذله ويخله وضلاله لم يلطف به لانه ليس من اهل اللطف ومن يشا يجعله على صراط مستقيم اي يلطف به لان اللطف يجدي عليه ارايتكم
اخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت للكاف محلا لكنت كانك تقول ارايت نفسك زيدا ما شانه وهو خلف
من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله اغير الله تدعون بمعنى
اتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعون اليه
ان شاء وتنسون ما تشركون ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا
ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا
اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان اراد
ان يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة وتنسون ما تشركون وتتركون آلهتكم ولا تذكرونها في ذلك الوقت لان اذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر
على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله اغير الله تدعون كانه قيل ارايتكم اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله فان قلت ان علقت
الاستخبارية فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين قلت قد اشترط في الكشف المشيئة
وهو قوله ان شاء ايذانا بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة ارجح منه البأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء القحط والجوع والضراء المرض ونقصان
الانفس والاموال والمعنى ولقد ارسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم
باسنا تضرعوا معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم باسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم
واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء اي تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم ابواب
كل شيء من الصحة والسعة وصنوف النعمة ليزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه
حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون واجمون
متحسرون آيسون فقطع دابر القوم آخرهم لم يترك منهم احد قد استؤصلت شأفتهم والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وانه
من اجل النعم واجزل القسم وقرئ فتحنا بالتشديد قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله ياتيكم به انظر
كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون وما نرسل المرسلين الا مبشرين
ومنذرين فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون قل لا اقول لكم عندي خزائن الله
ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون ان اخذ الله سمعكم وابصاركم

١٤٦

بان يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يذهب عنه فهمكم وعقلكم يأتيكم به اي بذلك اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة
او بما اخذ وختم عليه يصدفون يعرضون عن الآيات صدوف بعير عن اكات البغتة ان يقع الامر من غير ان يشعر به وتظهر اماراته قبل
بغتة او جهرة وعن الحسن وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك اي ما يهلك هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون وقرئ هل يهلك بفتح اليا
الا مبشرين ومنذرين من آمن بهم وبما جاؤا به والطاعة ومن كذبهم وعصاهم ولم نرسلهم ليتلهى بهم ويقترح عليهم الآيات بعد وضوح
امرهم بالبراهين القاطعة واصلح ما يجب اصلاحه مما كلف جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام ومنه قولهم لقيت منه
الامرين والاقورين بحيث جمعوا اجمع العقلاء وقوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا اي لا ادعي ما يستبعد في العقول
ان يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمة من الخلق وارزاقه وعلم الغيب واني من الملائكة الذين هم اشرف جنس خلقه الله وافضله واقربه
منزلة منه اي لم ادع الالهية ولا الملكية لانه ليس بعد الالهية منزلة ارفع من منزلة الملكية حتى تستبعدوا دعواي وتستنكروها وانما ادعي
ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي ويجوز ان يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع
او لمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال هو الالهية والملكية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه العميان او فتعلموا اني ما ادعيت
ما لا يليق بالبشر او فتعلموا ان اتباع ما يوحى الي مما لا بد لي منه وان قلت اعلم الغيب ما محله من الاعراب قلت النصب عطفا على محله
لو لم يعد عندي خزائن الله لانه من جملة المقول كانه قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا القول وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم
ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء
وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وانذر به الضمير راجع الى قوله ما يوحى الي والذين يخافون ان يحشروا اما قوم داخلون
في زمرة اهل التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا حديث البعث
ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون المتمردين منهم فامر ان ينذر هؤلاء وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع
الحال من يحشروا يعني يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر على هذه الحال
ذكر غير المتقين من المسلمين وامر بانذارهم ليتقوا ثم اردفهم ذكر المتقين منهم وامره بتقريبهم واكرامهم وان لا يطيع فيهم من اراد بهم خلاف
ذلك واثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم اي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل معناه يصلون صلوة الصبح
والعصر ووسمهم بالاخلاص في عبادتهم بقوله يريدون وجهه والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته روي ان رؤسا من المشركين قالوا لرسول الله
لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف
جلسنا اليك وحادثناك فقال صلى الله عليه وسلم ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت
قال نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون قالوا فاكتب بذلك لنا كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه
ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر من مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلعم يقعد معنا وندنو منه حتى كادت ركبنا تمس ركبته
وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني

قوله ولكن قست قلوبهم لا يبعد يعني معنى قوله فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا نفي التضرع عند مجيء الباس وانما قيل فلم
تضرعوا اذ جاءهم باسنا ... ان المعنى ... لا يبعد انهم لكن لهم عذر ... فلم تضرعوا لا يبعد ذلك لان
التضرع لا بد له عدم المانع من التضرع فربما كان عدم التضرع لعذر مانع واما ... على انهم لم يكن
لهم عذر اذ لو كان عذر لا يلام على الترك ... ان عدم التضرع ما كان لعذر مانع بل للعناد ...

ان اخبر نفسي بها من اتقى بعلم الخفيات وبحكم السرائر ما عليك من حسابهم من شيء كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم
فقال ما عليك من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله في اعمالهم على معنى وان كان الامر على ما يقولون عند الله فما يلزمك الا
اعتبار الظاهر والاتسام بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك لا يتعداك اليهم
كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى فان قلت اما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شيء حتى ضم اليه وما من حسابك عليهم من شيء قلت قد جعلت الجملتان
منزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كانه قيل لا تؤاخذ
انت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويحركك الحرص عليه الى ان تطرد
المؤمنين فتطردهم جواب النفي فتكون جواب النهي ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبب عن طردهم وقرئ
بالغدوة والعشي وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين واذا جاءك الذين يؤمنون
بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم وكذلك
نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا
من المهتدين ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس ببعض اي ابتليناهم بهم وذلك ان المشركين كانوا يقولون للمسلمين اهؤلاء
الذين من الله عليهم من بيننا اي انعم عليهم بالتوفيق لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء
انكارا لان يكون امثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه أأنزل عليه الذكر من بيننا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى فتناهم
ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لانه لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون اليس الله باعلم بالشاكرين
اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق فقل سلام عليكم اما ان يكون امرا
بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة من جملة ما يقول لهم
ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم وقرئ انه فانه بالكسر على الاستئناف كان الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم وبالفتح على
الابدال من الرحمة بجهالة في موضع الحال اي عمله وهو جاهل وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل الجهلة لان من عمل ما يؤدي الى الضرر في العاقبة
وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر على انها قالت عشية زرتها
جهلت على عمد ولم تك جاهلا والثاني انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم ان لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته
وقيل انها نزلت في عمر رضي الله عنه حين اشار باجابة الكفرة الى ما سألوا ولم يعلم انها مفسدة وقرئ ولتستبين بالتاء والياء مع رفع السبيل لانها تذكر
وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل
آيات القرآن ونلخصها في صفة احوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن يرى فيه امارة القبول وهو الذي يخاف اذا سمع ذكر القيامة
ومن دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل نهيت صرفت
وزجرت بما ركب فيّ من ادلة العقل وبما اوتيت من ادلة السمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا

فيه على غير بصيرة قل لا اتبع اهواءكم اي لا اجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه
وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق ومجانبة الباطل قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من الهدى في شيء
ان تكونوا كذلك قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو ان عندي
ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط
من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل
ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ولما نفى ان يكون الهوى
متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي ومعنى قوله اني على بينة من ربي وكذبتم به اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه
على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به غيره يقال انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عندك
بدليل ثم عقبه بما دل به على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وانهم احقاء بان يغافصوا بالعذاب المستأصل فقال
ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فامطر علينا حجارة من السماء ان الحكم الا لله في تأخير عذابكم يقضي الحق
اي القضاء الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل في اقسامه وهو خير الفاصلين اي القاضين وقرئ يقص الحق اي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره
من قص اثره لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانتقاما
من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا والله اعلم بالظالمين وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهي القرآن
وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تأويل البيان او القرآن فان قلت بم انتصب الحق قلت بانه صفة لمصدر اي يقضي القضاء الحق ويجوز ان
يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبد الله يقضي بالحق فان قلت لم اسقطت الياء في الخط قلت
اتباعا للخط اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن المستوثق
منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل اليها فاراد انه هو المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح
اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هي جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن
ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كانه قيل وما يسقط من شيء من هذه الاشياء الا يعلمه وقوله الا في كتاب مبين
كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله او اللوح المحفوظ وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا
يابس بالرفع وفيه وجهان ان يكون عطفا على محل من ورقة وان يكون رفعا على الابتداء وخبره الا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امرأة الا في
الدار وهو الذي يتوفاكم بالليل الخطاب للكفرة اي انتم منسدحون الليل كله كالجيف ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه
ثم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ومن اجله كقولك فيم دعوتني فيقول في امر كذا ليقضى
اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون
في ليلكم ونهاركم وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله

مولیهم الحق الا له الحکم وهو اسرع الحاسبين قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجينا من هذه لنكونن من الشاكرين
قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون حفظة ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن ابي حاتم السجستاني انه كان يكتب
عن الاصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه انت شبه الحفظة تكتب لفظ اللفظة فقال ابو حاتم وهذا ايضا مما يكتب فان قلت الله تعالى غني
بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها قلت فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله تعالى رقيب عليهم والملائكة الذين هم اشرف خلقه موكلون
بهم يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها عليهم في صحائف تعرض على رؤوس الاشهاد في مواقف القيمة كان ذلك ازجر لهم عن القبيح وابعد من السوء توفته
رسلنا اي استوفت روحه وهم ملك الموت واعوانه وعن مجاهد جعلت الارض له مثل الطست يتناول من يتناوله وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم
في كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز ان يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه ويفرطون بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني والتأخير عن الحد والافراط
مجاوزة الحد اي لا ينقصون مما امروا به او لا يزيدون فيه ثم ردوا الى الله اي الى حكمه وجزائه مولىهم مالكهم الذي يلي عليهم امورهم الحق
العدل الذي لا يحكم الا بالحق الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وهو اسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح
كقولك الحمد لله الحق ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما واهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اي اشتدت ظلمته حتى عاد
كالليل ويجوز ان يراد ما يشفون عليه من الخسف في البر والغرق في البحر بذنوبهم فاذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا
من ظلماتهما لئن انجيتنا على ارادة القول من هذه الظلمة والشدة وقرئ ينجيكم بالتخفيف والتشديد وانجانا وخفية بالضم والكسر قل هو
القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض انظر كيف نصرف الايات لعلهم يفقهون
وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا
في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين هو القادر هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة عذابا من فوقكم
كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة وارسل على قوم نوح الطوفان او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم
من قبل اكابركم وسلاطينكم ومن تحت ارجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات او يلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا مختلفين
على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله
وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم
او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني واخبرني جبريل ان فناء امتي بالسيف وعن جابر بن عبد الله لما نزلت من فوقكم
قال رسول الله اعوذ بوجهك فلما نزلت او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا قال هاتان اهون ومعنى الاية الوعيد باحد اصناف العذاب المعدودة
والضمير في قوله وكذب به راجع الى العذاب وهو الحق اي لا بد ان ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل اليّ امركم امنعكم من التكذيب اجبارا
انما انا منذر لكل نبأ لكل شيء ينبأ به يعني انباءهم بانهم يعذبون وايعادهم به مستقر وقت استقرار وحصول لا بد منه وقيل الضمير في به للقرآن
يخوضون في آياتنا في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش في انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره فلا بأس ان تجالسهم حينئذ واما ينسينك الشيطان وان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى

بعد ان تذكر النهي وقرئ ينسينك بالتشديد ويجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسيك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول
فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء
فتطردهم فتكون من الظالمين ولكن ذكرى لعلهم يتقون وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة الدنيا وذكر به ان تبسل نفس
بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم
وعذاب اليم بما كانوا يكفرون قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته
الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين وان اقيموا الصلوة
واتقوه وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اذا
سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون
الضمير للذين يتقون اي يذكرونهم ارادة ان يثبتوا على تقواهم ويزدادوها وروي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع
ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف فرخص لهم فان قلت ما محل ذكرى قلت يجوز ان يكون نصبا على ولكن يذكرونهم ذكرى اي تذكيرا او رفعا على
ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من شيء كقولك ما في الدار من احد ولكن زيد لان من حسابهم يأبى ذلك اتخذوا دينهم لعبا ولهوا
اي دينهم الذي كان يجب ان يأخذوا به لعبا ولهوا وذلك ان عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع
هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد او اتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الاصنام وغيرها دينا لهم او اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا
اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم
من المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم لعبا ولهوا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم
ولا تشغل قلبك بهم وذكر به اي بالقرآن ان تبسل نفس مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها واصل الابسال المنع لان المسلم اليه
يمنع المسلم قال وابسالي بني بغير جرم وشجاع باسل لانه ممتنع على قرنه والباسل الشجاع الممتنع من قرنه او لانه شديد البسور يقال
بسر الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه وان تعدل كل عدل اي وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادي
يعدل المفدى بمثله وكل عدل نصب على المصدر وفاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما في قوله
ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده اليه اولئك اشارة الى المتخذين دينهم لعبا ولهوا قيل نزلت في ابي بكر الصديق حين دعاه ابنه عبد الرحمن
الى عبادة الاوثان قل اندعوا انعبد من دون الله الضار النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا ونرد على اعقابنا راجعين الى الشرك بعد اذ انقذنا الله
منه وهدانا للاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن والغيلان في الارض في المهمه حيران تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف
يصنع له اي لهذا المستهوى اصحاب رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستقيم او سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف المهمه
تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده ان الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه كالذي يتخبطه الشيطان
فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم قل ان هدى الله وهو الاسلام هو الهدى

وحاجّ وما وراءه ضلال وغيّ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فماذا بعد الحق الا الضلال فان قلت ما محل الكاف في قوله كالذي استهوته
قلت هو استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كأن معناه طلبت هويه وحرصت عليه فان قلت ما محل امرنا قلت النصب عطفا
على محل قوله ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان كأنه قيل قل هذا القول وقل امرنا لنسلم فان قلت ما معنى اللام في لنسلم قلت هي تعليل
للامر بمعنى امرنا وقيل لنا اسلموا لأجل ان نسلم فان قلت فاذا كان هذا واردا في شأن ابي بكر فكيف قيل للرسول قل اندعو قلت للاتحاد
الذي كان بين رسول الله صلعم والمؤمنين خصوصا بينه وبين الصديق رضوان الله عليه فان قلت علام عطف قوله وان اقيموا ويجوز ان يكون التقدير
وامرنا لأن نسلم ولأن اقيموا اي للاسلام ولاقامة الصلوة وهو الذي اليه تحشرون وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول
كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير واذ قال ابرهيم لابيه آزر أتتخذ اصناما
آلهة اني اراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين قوله الحق مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما
عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والارض قائما بالحق والحكمة وحين يقول
لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة اي لا يكون شيئا من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب ويوم ينفخ ظرف
لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم ويجوز ان يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق
وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه قوله بالحق كأنه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق عالم الغيب هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح آزر اسم ابي ابرهيم
وفي كتب التواريخ ان اسمه تارخ والاقرب ان يكون وزن آزر فاعل مثل تابخ وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما اشبهها من اسمائهم وهو عطف بيان لابيه
وقرئ آزر بالضم على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز ان ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن فقيل ابن قيس
الرقيات وفي شعر بعض المحدثين ادعى باسماء نبزا في قبائلها كأن اسماء اضحت بعض اسمائي او اريد عابد آزر فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه وقرئ أ أزرا تتخذ اصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم
ومعناه أتعبد أزرا على الانكار ثم قال تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل في حكم الانكار لانه كالبيان له فلما جن
عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن
من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت
وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء
ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما افلا تتذكرون فلما جن عليه الليل عطف على قال ابرهيم لابيه وقوله وكذلك نري ابرهيم جملة معترضة بين المعطوف
والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف ابرهيم ونبصره ملكوت السموات والارض يعني الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده
بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونري حكاية حال ماضية وكان ابوه وقومه يعبدون
الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على الخطأ في دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح
مؤد الى ان شيئا منها لا يصح ان يكون الها لقيام دليل الحدوث فيها وان وراءها محدثا احدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وافولها وسيرها

وانتقالها ومسيرها وسائر احوالها هذا ربي قول من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لان ذلك ادعى الى الحق وانجى من الشغب
ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة لا احب الآفلين لا احب عبادة الارباب المتغيرين من حال الى حال المتنقلين من مكان الى مكان المحتجبين
بستر فان ذلك من صفات الاجرام بازغا مبتدئا في الطلوع لئن لم يهدني ربي تنبيه لقومه على ان من اتخذ القمر الها وهو نظير الكواكب في الافول
فهو ضال وان الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه هذا اكبر من باب استعمال النصفة ايضا مع خصومه اني بريء مما تشركون من الاجرام التي تجعلونها
شركاء لخالقها اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض اي للذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى انه مبتدئها ومبتدعها وقيل هذا
كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله والاول اظهر لقوله لئن لم يهدني ربي وقوله يا قوم اني بريء مما تشركون فان قلت لم احتج عليهم
بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج بالافول اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب فان قلت ما وجه التذكير
في قوله هذا ربي والاشارة للشمس قلت جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ما جاءت حاجتك ومن كانت امك ولم تكن
فتنتهم الا ان قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التانيث الا تراهم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة
وان كان العلامة ابلغ احترازا من علامة التانيث وقرئ ترى ابرهيم ملكوت السموات والارض بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية
وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وكانوا حاجوه في توحيد الله ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك وقد هدان يعني الى التوحيد ولا اخاف ما تشركون به
وقد خوفوه ان معبوداتهم تصيبه بسوء الا ان يشاء ربي شيئا الا وقت مشيئة ربي شيئا يخاف فحذف الوقت يعني لا اخاف معبوداتكم في وقت
قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربي ان يصيبني بمخوف من جهتها ان اصبت ذنبا استوجب به انزال المكروه مثل ان يرجمني
بكوكب او بشقة من الشمس او القمر او يجعلها قادرة على مضرتي وسع ربي كل شيء علما اي ليس بعجب ولا مستبعد ان يكون في علمه انزال المخوف بي من جهتها
افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم
سلطانا فأي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا
آتيناها ابرهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم وكيف اخاف لتخويفكم شيئا مأمون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه وانتم لا تخافون
ما يتعلق به كل مخوف وهو اشراككم بالله ما لم ينزل به سلطانا اي حجة لان الاشراك لا يصح ان يكون عليه حجة كأنه قال وما لكم تنكرون على الامن
في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف ولم يقل فأينا احق بالامن انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه فعدل عنه الى قوله فأي
الفريقين يعني فريقي المشركين والموحدين ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم
وابى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس وتلك اشارة الى جميع ما احتج به ابرهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون ومعنى آتيناها ارشدناه
اليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء يعني في العلم والحكمة وقرئ بالتنوين ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته
داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا
وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده
ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها

بكافرين أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين ومن ذريته الضمير لنوح أو لإبراهيم وداود عطف
على نوحا أي وهدينا داود ومن آبائهم في موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض آبائهم ولو أشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات
لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك أولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد الجنس فإن يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة أو بالنبوة هؤلاء يعني أهل مكة
قوما هم الأنبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وبدليل قوله فإن يكفر بها هؤلاء وقيل هم أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم وكل من آمن به من بني آدم وقيل الملائكة أو الأنصار أتباعهم وعن مجاهد هم الفرس ومعنى توكيلهم بها أنهم وفقوا للإيمان بها
والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء في بها صلة كافرين وفي بكافرين تأكيد النفي فبهداهم اقتده فاختص هداهم
بالاقتداء ولا تقتد إلا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فإنها مختلفة
وهي هدى ما لم تنسخ فإذا نسخت لم تبق هدى بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبدا والهاء في اقتده للوقف تسقط في الدرج واستحسن إيثارا للوقف
لثبات الهاء في المصحف وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس
تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا كتاب أنزلناه مبارك
مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون وما قدروا الله حق قدره وما
عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين أنكروا بعثة الرسل والوحي إليهم وذلك من أعظم رحمته وأجل نعمته وما أرسلناك إلا رحمة
للعالمين أو ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من إنكار النبوة والقائلون
هم اليهود بدليل قراءة من قرأ تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن على رسول الله صلعم فألزموا ما لا بد
من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى وأدرج تحت الإلزام توبيخهم وأن نعى عليهم سوء جهلهم لكتابهم وتحريفهم وإبداء بعض وإخفاء بعض فقيل
جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الإبداء والإخفاء وروي
أن مالك بن الصيف من أحبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلعم أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين فأنت
الحبر السمين وقد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت إلى عمر رضي الله عنه فقال ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له قومه
ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك فقال إنه أغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف وقيل القائلون قريش وقد ألزموا إنزال التوراة لأنهم كانوا يسمعون
من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة وكانوا يقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم الخطاب لليهود
أي علمتم على لسان محمد صلعم مما أوحي إليه ما لم تعلموا أنتم وأنتم حملة التوراة ولم يعلمه آباؤكم الأقدمون الذين كانوا أعلم منكم إن هذا القرآن يقص على
بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم قل الله أي أنزله الله فإنهم لا يقدرون أن
يناكروك ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد التبليغ وإلزام الحجة ويقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه إنما أنت لاعب يلعبون
حال من هم الأول أو من خوضهم والظرف حال من يلعبون وأن يكون صلة لهم أو لذرهم مبارك كثير المنافع والفوائد لتنذر معطوف على ما دل
عليه صفة الكتاب كأنه قيل أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والإنذار وقرئ لينذر بالياء أي الكتاب وسميت مكة أم القرى لأنها

مكان أول بيت وضع للناس أو لأنها قبلة أهل القرى كلها ومحجهم ولأنها أعظم القرى شأنا ولبعض المجاورين فمن يلق في بعض القريات رحله
فأم القرى ملقى رحالي ومنتابي والذين يؤمنون بالآخرة يصدقون بالعاقبة ويخافونها يؤمنون بهذا الكتاب وذلك أن أصل الدين خوف العاقبة فمن
خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وخص الصلاة لأنها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطفا له في المحافظة على أخواتها ومن أظلم ممن افترى على الله
كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا
أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون افترى على الله كذبا فزعم أن الله بعثه
نبيا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء وهو مسيلمة الحنفي الكذاب أو كذاب صنعاء الأسود العنسي وعن النبي صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم كأن في يدي سوارين
فكبرا علي فأوحى الله إلي أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الأسود العنسي
ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي كان يكتب لرسول الله صلعم فكان إذا أملى عليه سميعا بصيرا كتب هو عليما حكيما وإذا قال عليما حكيما
كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين إلى آخر الآية عجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان فقال فتبارك الله أحسن الخالقين
فقال صلى الله عليه وسلم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحي إلي كما أوحي إليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الإسلام
ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحارث والمستهزئون ولو ترى جوابه محذوف أي لرأيت أمرا عظيما إذ الظالمون يريد الذين ذكرهم
من اليهود والمتنبئة فيكون اللام للعهد ويجوز أن يكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله وغمرات الموت شدائده وأصل الغمرة ما يغمر
من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة باسطوا أيديهم يبسطون إليهم أيديهم يقولون هاتوا أرواحكم أخرجوها إلينا من أجسادكم وهذا عبارة
عن العنف في السياق والإلحاح والتشديد في الإزهاق من غير تنفيس وإمهال وأنهم يفعلون بهم فعل الغريم الملظ يبسط يده إلى من عليه الحق
ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول أخرج إلي ما لي عليك الساعة ولا أريم مكاني حتى أنزعه من أحداقك وقيل معناه باسطوا أيديهم عليهم
بالعذاب أخرجوا أنفسكم خلصوها من أيدينا أي لا تقدرون على الخلاص اليوم تجزون يجوز أن يريد به وقت الإماتة وما يعذبون به من شدة النزع
وأن يريد الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة والهون الهوان الشديد وإضافة العذاب إليه كقولك رجل سوء
يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه عن آياته تستكبرون فلا تؤمنون بها ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم
وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت
ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي
جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا
الآيات لقوم يفقهون فرادى منفردين عن الأموال والأولاد وما حرصتم عليه في الدنيا أو عن أوثانكم التي زعمتم أنها شفعاؤكم وشركاء لله كما خلقناكم
أول مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم لم ينفعكم ولم تحتملوا
منه نقيرا ولا قدمتموه لأنفسكم أنهم فيكم شركاء في استعبادكم لأنهم حين دعوتموها آلهة وعبدتموها فقد جعلتموها لله شركاء فيهم وفي استعبادهم وقرئ فردا
بالتنوين وفراد مثل ثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم في الأولى أي على الصفة التي جئتمونا أي مجيئا مثل خلقنا لكم

تقطع بينكم وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد أوقع الجمع بينهما على إسناد الفعل إلى مصدره بهذا التأويل ومن رفع فقد أسند الفعل إلى الظرف
كما تقول قوتل خلفكم وأمامكم وفي قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن مجاهد أراد الشقين اللذين
في النواة والحنطة يخرج الحي من الميت أي الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب والنوى ويخرج هذه الأشياء الميتة من الحيوان والنامي فإن قلت
كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت قلت عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحي من الميت
موقعه موقع الجملة المبينة لقوله تعالى فالق الحب والنوى لأن فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس إخراج الحي من الميت لأن النامي في حكم
الحيوان ألا ترى إلى قوله يحيي الأرض بعد موتها ذلكم الله ذلكم المحيي المميت هو الله الذي تحق له الربوبية فأنى تؤفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه
إلى غيره الإصباح مصدر سمي به الصبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وأنشد قوله: أفنى رباحا وبني رباح تناسخ
الإمساء والإصباح بالكسر والفتح مصدرين وجمعي صبح فإن قلت فما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال
تفري ليل عن بياض نهار قلت فيه وجهان أحدهما أن يراد فالق ظلمة الإصباح وهي الغبش في آخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح والثاني أن يراد
فالق الإصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار وإسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق وقال الطائي
وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه وقرئ فالق الإصباح وجاعل الليل بالنصب على المدح وقرأ النخعي فلق الإصباح وجعل الليل السكن ما يسكن إليه
الرجل ويطمئن استئناسا به واسترواحا إليه من زوج أو حبيب ومنه قيل للنار سكن لأنه يستأنس بها ألا تراهم سموها المؤنسة والليل يطمئن
إليه التعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز أن يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه والشمس والقمر قرئا بالحركات الثلاث فالنصب على إضمار
فعل دل عليه جاعل الليل أي جعل الشمس والقمر حسبانا أو يعطفان على محل الليل فإن قلت كيف يكون لليل محل والإضافة حقيقية لأن اسم الفاعل
المضاف إليه في معنى المضي ولا تقول زيد ضارب عمرا أمس قلت ما هو في معنى المضي وإنما هو دال على جعل مستمر في الأزمنة المختلفة وكذلك فالق الحب
وفالق الإصباح كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر
مجعولان حسبانا أو محسوبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لأن حساب الأوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان
بالضم مصدر حسب كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران ذلك إشارة إلى جعلهما حسبانا أي ذلك التسيير بالحساب المعلوم
تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما في ظلمات البر والبحر في ظلمات الليل بالبر والبحر وأضافها إليهما لملابستها لهما
أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات من قرأ فمستقر بفتح القاف كان المستودع اسم مكان مثله أو مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول
والمعنى فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب أو مستقر فوق الأرض ومستودع تحتها أو فمنكم مستقر ومنكم مستودع فإن قلت لم قيل يعلمون مع ذكر النجوم
ويفقهون مع ذكر إنشاء بني آدم قلت كان إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه
الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا
متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه
إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون فأخرجنا به بالماء

نبات كل شيء نبت كل صنف من اصناف النامي يعني ان السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف متفننة كما قال تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع كركب لان فعلان ليس من زنات التكسير دانية سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تاتي بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لان النعمة فيها اظهر او دل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وقوله وجنات من اعناب فيه وجهان احدهما ان يراد وثم جنات من اعناب اي مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان على معنى وحاصلة او ومخرجة من النخل قنوان وجنات من اعناب اي من نبات اعناب وقرئ وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات من اعناب وكذلك قوله والزيتون والرمان والاحسن ان ينتصبا على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة لفضل هذين الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله

كنت منه ووالدي بريا

والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في اللون والقدر والطعم وذلك دليل على التعمد دون الاهمال انظروا الى ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به وانظروا الى حاله وينعه ونضجه كيف يعود شيئا جامعا لمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرأ ابن محيصن ويانعه وقرئ ثمره وجعلوا لله شركاء الجن ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول فان قلت ما فائدة التقديم قلت فائدته استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا ان الله خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا ان الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم اي اختلاقهم للافك يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله امرنا بها وخرقوا له وخلقوا له اي افتعلوا له بنين وبنات وهو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات وقرأ ابن عمر وابن عباس وخرّقوا له بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرئ وحرّفوا له اي وزوروا له اولادا لان المزور محرف مغير للحق الى الباطل بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطأ او صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا

عليكم بحفيظ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون بديع السموات من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها كقولك فلان
بديع الشعر اي بديع شعره او هو بديع في السموات والارض كقولك فلان ثبت العذر اي ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير والمثل فيها وقيل البديع
بمعنى المبدع وارتفاعه على انه خبر مبتدأ محذوف او هو مبتدأ وخبره انى يكون له ولد او فاعل تعالى وقرئ بالجر ردا على قوله وجعلوا لله او على سبحانه
وبالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلثة اوجه احدها ان مبدع السموات والارض وهي اجسام عظيمة لا يستقيم ان يوصف بالولادة لان
الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا والثاني ان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس
فلم يصح ان يكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث انه ما من شيء الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه
المحتاج وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل كقوله لقد ولد الأخيطل أم سوء ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات
وهو مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اي ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة
اي من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال وهو على كل شيء وكيل يعني هو مع تلك الصفات
مالك لكل شيء من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال لا تدركه الابصار البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى ان الابصار
لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصرا في ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان في جهة اصلا او تابعا كالاجسام والهيآت وهو يدرك الابصار
وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك وهو اللطيف يلطف عن ان تدركه الابصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك
الابصار لا تلطف عن ادراكه وهذا من باب اللطف قد جاءكم بصائر من ربكم هو وارد على لسان رسول الله عليه الصلوة والسلام لقوله وما انا عليكم بحفيظ
والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور العين الذي به تبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر
فمن ابصر الحق وآمن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها
انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم وليقولوا جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي دارست
العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء
للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا وجاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز ان يكون
الفعل للآيات وهو لاهلها اي دارس اهل الآيات وحملتها محمدا وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد صلى الله عليه وسلم ودارسات على اي قديمات
اوذات دروس كعيشة راضية فان قلت اي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه قلت الفرق بينهما ان الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك
ان الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا درست ولكن لانه حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه
وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه فان قلت الام يرجع الضمير في قوله ولنبينه قلت الى الآيات لانها في معنى القرآن كانه قيل وكذلك نصرف
القرآن او الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز ان يراد فبين قرأ درست ودارست
درست الكتاب ودارسته تبرهم اي الكتاب المقدر اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا
وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا

لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما
يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون لا اله الا هو اعتراض
اكد به ايجاب اتباع الوحي لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ربك وهي حال مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا ولا تسبوا الآلهة الذين يدعون
من دون الله فيسبوا الله وذلك انهم قالوا عند نزول قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل
كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله فان قلت سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهي عنه وانما يصح النهي
عن المعاصي قلت رب طاعة علم انها تكون مفسدة فتخرج عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهي عن المنكر
هو من اجل الطاعات فاذا علم انه يؤدي الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عن ذلك النهي كما يجب النهي عن المنكر فان قلت فقد روي
عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك في ديننا قلت ليس هذا
مما نحن بصدده لان حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال او لم يحضروا بخلاف سب الآلهة وانما خيل
الى محمد رحمه الله انه مثله حتى نبه عليه الحسن رحمه الله عدوا ظلما وعدوانا وقرئ عدوا بضم العين وتشديد الواو وانتصابه على الحال
عدوا وعدوا وعدوانا وعداء وعن ابن كثير عدوا بفتح العين بمعنى اعداء بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك زينا لكل امة مثل
ذلك التزيين زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم اي خليناهم وشأنهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم او امهلنا الشيطان حتى زين لهم
او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا فينبئهم بما كانوا يعملون فيخبرهم عليه ويعاقبهم لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها
قل انما الآيات عند الله وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة او انما الآيات عند الله لا عندي فكيف اجيبكم اليها
وآتيكم بها وما يشعركم وما يدريكم انها ان الآية التي يقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون بها يعني انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وانتم لا تدرون
بذلك وذلك ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال عز وجل وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون
ما سبق علمي به من انهم لا يؤمنون الا ترى الى قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة وقيل انها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق انك تشتري لحما وقال امرؤ القيس
عوجا على الطلل المحيل لاننا نبكي الديار كما بكى ابن خذام وتقوية قراءة ابي لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وقرئ انها بالكسر على ان الكلام قد تم قبله
بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة في قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم
انها اذا جاءتهم لا يؤمنون اي يحلفون بانهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم ان تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات
مطبوعا عليها فلا يؤمنون بها ونقلب افئدتهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم يعني وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما
يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم اي نطبع على قلوبهم وابصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا اولا لا يؤمنون بها
لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم انا نذرهم في طغيانهم اي نخليهم وشأنهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم
اي الله عز وجل وقرأ الاعمش وتقلب افئدتهم وابصارهم على البناء للمفعول ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا
ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف

القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون

ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة كما قالوا لولا أنزل علينا الملائكة وكلمهم الموتى كما قالوا فأتوا بآبائنا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما قالوا أو تأتي بالله
والملائكة قبيلا قبلا كفلاء بصحة ما بشرنا به وأنذرنا أو جماعات وقيل قبلا مقابلة وقرئ قبلا أي عيانا إلا أن يشاء الله مشيئة إكراه واضطرار
ولكن أكثرهم يجهلون فيقسمون بالله جهد أيمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أن هؤلاء لا يؤمنون
إلا أن يضطرهم فيطمعون في إيمانهم إذا جاءت الآية المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا أي كما خلينا بينك وبين أعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الأنبياء
وأعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والأجر وانتصب شياطين على البدل من عدوا
أو على أنهما مفعولان كقوله وجعلوا لله شركاء الجن يوحي بعضهم إلى بعض يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس وكذلك بعض الجن إلى بعض
وبعض الإنس إلى بعض وعن مالك بن دينار أن شيطان الإنس أشد علي من شيطان الجن لأني إذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الإنس
يجيئني ويجرني إلى المعاصي عيانا زخرف القول ما زينه من القول والوسوسة والإغراء على المعاصي ويموهه غرورا خدعا وأخذا على غرة ولو شاء ربك ما فعلوه
ما فعلوا ذلك أي ما عادوك أو ما أوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول بأن يكفهم ولا يخليهم وشأنهم ولتصغى جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك
جعلنا لكل نبي عدوا على أن اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير في إليه يرجع إلى ما رجع إليه الضمير في فعلوه أي ولتميل إلى ما ذكر من
عداوة الأنبياء ووسوسة الشياطين أفئدة الكفار وليرضوه لأنفسهم وليقترفوا ما هم مقترفون من الآثام أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي
أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته
وهو السميع العليم أفغير الله أبتغي حكما على إرادة القول أي قل يا محمد أفغير الله أطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل
وهو الذي أنزل إليكم الكتاب المعجز مفصلا مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على أن
القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له فلا تكونن من الممترين من باب التهييج والإلهاب كقوله ولا تكونن من المشركين
أو فلا تكونن من الممترين في أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق ولا يريبك جحود أكثرهم وكفرهم به ويجوز أن يكون فلا تكونن خطابا للكل أو للواحد على معنى
أنه إذا تعاضدت الأدلة على صحته وصدقه فما ينبغي أن يمتري فيه أحد وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خطاب لأمته وتمت كلمة ربك أي تم
ما أخبر به وأمر ونهى ووعد وأوعد صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته لا أحد يبدل شيئا من ذلك بما هو أصدق وأعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال أو تمييز
كلمة ربك أي ما تكلم به وقيل هي القرآن وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون إن ربك هو أعلم
من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم
عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الإثم وباطنه إن الذين يكسبون
الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون وإن تطع أكثر الناس يضلوك لأن الأكثر في غالب الأمر يتبعون أهواءهم ثم قال إن يتبعون إلا الظن وهو
ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم وإن هم إلا يخرصون يكذبون أنهم على شيء أو يكذبون في أن الله حرم كذا وأحل كذا وقرئ
من يُضل بضم الياء أي يضله الله فكلوا مسبب عن إنكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك أنهم كانوا يقولون

للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه
خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى ببسم الله وما لكم الا تاكلوا واى غرض لكم في ان لا
تاكلوا وقد فصل لكم وقد بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ما حرم عليكم على تسمية الفاعل
وهو الله عز وجل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة وان كثيرا ليضلون قرئ بفتح الياء وضمها اى يضلون
فيحرمون ويحللون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما اعلنتم منه وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره
الزنى في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم
وان اطعتموهم انكم لمشركون او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها
كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون وانه لفسق الضمير
راجع الى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني وان الاكل منه لفسق او الى الموصول على وان اكله لفسق او جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا
فان قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز اكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان او عمد قلت قد تاوله هؤلاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه كقوله
او فسقا اهل لغير الله به ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم ولا تاكلوا مما قتله الله وبهذا يرجح تاويل من تاوله بالميتة
انكم لمشركون لان من اتبع غير الله في دينه فقد اشرك به ومن حق ذي البصيرة في دينه ان لا ياكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيف ما كان لما يرى
في الآية من التشديد العظيم وان كان ابو حنيفة رضي الله عنه مرخصا في النسيان دون العمد ومالك والشافعي رضي الله عنهما فيهما مثل الذي هداه
الله بعد الضلال ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال بمن كان ميتا فاحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس
مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلاهم ومن بقي على الضلال بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله كمن مثله في الظلمات
ليس بخارج منها كمن صفته هذه وهي قوله في الظلمات ليس بخارج منها كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار اى صفتها هذه وهي قوله فيها
انهار زين للكافرين اى زينه الشيطان او الله عز وجل على قوله زينا لهم اعمالهم ويدل عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها يعني وكما جعلنا
في مكة صناديدها ليمكروا فيها لذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها لذلك ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص الاكابر لانهم
هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله امرنا مترفيها وقرئ اكبر مجرميها على قولك هم اكبر قومهم واكابر قومهم وما يمكرون الا بانفسهم
لان مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم موعد بالنصرة عليهم واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي
رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون فمن يرد الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون
وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون روى ان الوليد بن
المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وروى ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف
في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت

وهو نحو قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة الله اعلم كلام مستأنف للانكار عليهم وان الله لا يصطفي للنبوة الا
من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم سيصيب الذين اجرموا اصلا من اكابرها صغار وقماءة بعد كبرهم وعظمهم
وعذاب شديد في الدارين من الاسر والقتل وعذاب النار فمن يرد الله ان يهديه ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف يشرح
صدره للاسلام يلطف به حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد ان يضله ان يخذله ويخليه وشأنه
وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو قلبه عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرئ
ضيقا بالتخفيف والتشديد حرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء
مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة ويضيق عنه المقدرة وقرئ يصعد واصله يتصاعد ويصعد من صعد ويصعد من اصعد كذلك يجعل الله
الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب او اراد الفعل المؤدي الى الرجس وهو العذاب من
الارتجاس وهو الاضطراب وهذا صراط ربك وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان مستقيما عادلا مطردا
وانتصابه على انه حال مؤكدة لقوله وهو الحق صدقا قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام دار الله يعني الجنة اضافها الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة
من كل آفة وكدر عند ربهم في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى او ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين وهو وليهم مواليهم ومحبهم او ناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون ويوم نحشرهم جميعا
يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار
مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون يا معشر الجن والانس
الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم
انهم كانوا كافرين ويوم نحشرهم منصوب بمحذوف اي واذكر يوم نحشرهم فنقول يا معشر الجن او ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف
لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين قد استكثرتم من الانس اضللتم منهم كثيرا او جعلتموهم اتباعكم فحشر
معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير من الجنود واستكثر فلان من الاشياع وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم واستمعوا الى
وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس
حيث اطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في اغوائهم وقيل استمتاع الانس بالجن ما في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال
من الجن وان الرجل كان اذا نزل واديا وخاف قال اعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع الجن بالانس اعتراف الانس لهم بانهم
يقدرون على الدفع عنهم واجارتهم لهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين
واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم خالدين فيها الا ما شاء الله اي يخلدون في عذاب النار الابد كله الا ما
شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم
من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم او يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انيابه وقد طلب اليه

ان ينفس عن خناقه اهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت وقد علم انه لا يشاء الا التشفي منه باقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد
فيكون قوله الا اذا شئت من اشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه اطماع ان ربك حكيم لا يفعل الا بموجب
الحكمة عليم بان الكفار يستوجبون عذاب الابد وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الانس
او يجعل بعضهم اولياء بعض يوم القيامة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يقال لهم يوم القيامة
على جهة التوبيخ الم يأتكم رسل منكم واختلف في ان الجن هل بعث اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الآية ولم يفرق بين مكلفين
ومكلفين ان يبعث اليهم رسول من جنسهم لانهم به آنس وله آلف وقال آخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلان
في الخطاب صح ذلك وان كان من احدهما كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل اراد رسل الرسل من الجن اليهم لقوله تعالى ولوا الى قومهم
منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان بعث محمد صلى الله عليه وسلم يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجن والانس قالوا شهدنا
على انفسنا حكاية لتصديقهم وايجابهم قوله الم يأتكم لان الهمزة الداخلة على نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا
على انفسنا اقرار منهم بان حجة الله لازمة لهم وانهم محجوجون بها فان قلت ما لهم مقرين في هذه الآية جاحدين في قوله تعالى والله ربنا ما كنا
مشركين قلت تتفاوت الاحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في البعض او اريد شهادة ايديهم وارجلهم
وجلودهم حين يختم على افواههم فان قلت لم كرر ذكر شهادتهم على انفسهم قلت الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون
والثانية ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحياة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة امرهم
ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وانما قال ذلك تحذيرا للسامعين ذلك ان لم يكن ربك مهلك
القرى بظلم واهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم
ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة
وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك وان لم يكن ربك مهلك القرى تعليل اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى على ان هي التي
تنصب الافعال ويجوز ان تكون مخففة من الثقيلة على معنى لان الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ولك ان تجعله بدلا من ذلك كقوله
وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع بظلم بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب
لكان ظلما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح ولكل من المكلفين درجات منازل مما عملوا من جزاء اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون بساه عنه
يخفى عليه مقاديره واحواله وما يستحق عليه من الاجر وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع
الدائمة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع كما انشأكم من ذرية قوم آخرين من اولاد قوم آخرين
لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون
وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى
شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم

وما يفترون المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله اعملوا على مكانتكم
يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم او اعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان
اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه اني عامل اي عامل على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم
فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على المامور بانه لا ياتي منه الا الشر
فكانه مامور به وهو واجب عليه حتم ليس له ان يتقصى عنه ويعمل بخلافه فان قلت ما موضع من قلت الرفع اذا كان بمعنى اي وعلق عنه فعل العلم
او النصب اذا كان بمعنى الذي وعاقبة الدار العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال وادب
حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق وان المنذر مبطل كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله واشياء منهما لآلهتهم فاذا راوا ما جعلوه
لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للآلهة واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه لها واعتلوا بان الله غني وانما ذلك لحبهم آلهتهم وايثارهم
لها وقوله مما ذرا فيه ان الله كان اولى بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذراه وزكاه ولا يرد الى ما لا يقدر على ذرء ولا تزكية بزعمهم وقرئ بالضم اي قد زعموا
انه لله والله لم يامرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لانهم اشركوا بين الله وبين اصنامهم في القربة فلا يصل الى الله اي لا يصل الى الوجوه
التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين فهو يصل الى شركائهم من انفاق عليها وذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك
ساء ما يحكمون في ايثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم على ما لم يشرع لهم وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله والآلهة
او ومثل ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين والمعنى ان شركاءهم من الشياطين او من سدنة الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم بالوأد او بنحرهم
للآلهة وكان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ زين على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم
ونصب قتل اولادهم وزين على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كانه قيل لما قيل زين لهم قتل اولادهم من زينه
فقيل زينه لهم شركاؤهم واما قراءة ابن عامر قتل اولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل
بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج ورد ••• زج القلوص ابي مزاده ••• فكيف به في الكلام المنثور
فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك ان راى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء
لان الاولاد شركاؤهم في اموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوه
عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل حتى زلوا عنه الى الشرك وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس
فان قلت ما معنى اللام قلت ان كان التزيين من الشياطين فهي على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة ولو شاء الله مشيئة
قسر ما فعلوه لما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او لما فعل الشياطين او السدنة التزيين او الارداء او اللبس او جميع ذلك ان جعلت الضمير
جاريا مجرى اسم الاشارة وما يفترون وما يفترونه من الافك او وافتراءهم وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام
حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم
على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما

رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد
والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة حجر بضم الحاء وعن ابن عباس حرج وهو من التضييق وكانوا اذا عينوا اشياء من حرثهم
وانعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء وانعام حرمت ظهورها هي البحاير والسوايب
والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى انهم قسموا
انعامهم فقالوا هذه انعام حجر وهذه انعام محرمة الظهور وهذه انعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها اجناسا بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس
الى الله افتراء عليه اي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر موكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء كانوا يقولون
في اجنة البحاير والسوايب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا ياكل منه الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وانث خالصة للحمل على
المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر ومحرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك ويجوز ان تكون التاء للمبالغة
مثلها في راوية الشعر وان تكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعافية اي ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على ان قوله لذكورنا
هو الخبر وخالصة مصدر موكد ولا يجوز ان يكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرأ ابن عباس خالصه وفي مصحف عبد الله خالص
وان يكن ميتة وان يكن ما في بطونها ميتة وقرئ وان تكن بالتانيث على وان تكن الاجنة ميتة وقرأ اهل مكة وان تكن ميتة بالتانيث والرفع على كان التامة
وتذكير الضمير في قوله فهم فيه شركاء لان الميتة لكل ميت ذكر او انثى فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم
الكذب على الله تعالى في التحليل والتحريم من قوله وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا
حرام نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر سفها بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم بان الله هو رازق اولادهم
لا هم وقرئ قتلوا بالتشديد ما رزقهم الله من البحاير والسوايب وغيرها وهو الذي انشا جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا
اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومن الانعام
حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين
قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين انشا جنات من الكروم معروشات مسموكات
وغير معروشات متروكات على وجه الارض لم تعرش وقيل المعروشات ما في الارياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات
مما انبته الله وحشيا في البراري والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه
مختلفا اكله في اللون والطعم والحجم والرائحة وقرئ اكله بالضم والسكون وهو ثمره الذي يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه
ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك كقوله فادخلوها خالدين وقرئ ثمره بضمتين فان قلت ما فائدة قوله اذا اثمر وقد علم انه اذا
لم يثمر لم يؤكل منه قلت لما ابيح لهم الاكل من ثمره قيل اذا اثمر ليعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك
واينع وآتوا حقه يوم حصاده الآية مكية والزكوة انما فرضت بالمدينة فاريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه
افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق هو الزكوة المفروضة ومعناه واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد

حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء ولا تسرفوا في التصدق كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه
شيئا الى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ينسج
من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها
مثل الفرش المفروش عليها ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية ثمانية ازواج بدل من حمولة
وفرشا اصناف زوجين اثنين يريد الذكر والانثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد اذا كان وحده فهو فرد
فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله ثمانية ازواج ثم فسرها
بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون معه آخر من جنسه
تسميتهم الزجاجة كأسا بشرط ان يكون فيها خمر والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئ بفتح العين وقرأ ابي ومن المعزى وقرئ
اثنان على الابتداء الهمزة في آلذكرين للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضأن والانثى
من المعز على طريق الجنسية والمعنى انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكرين
من جنسي الابل والبقر والانثيين منهما وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت ذكورا
او اناثا او مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم
صادقين في ان الله حرمه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء
اذ وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي محرما
على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور
رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم
ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون ام كنتم شهداء بل أكنتم شهداء ومعنى الهمزة الانكار يعني أم شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم
وذكر المشاهدة على مذهبهم لانهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله ام كنتم شهداء على معنى اعرفتم
التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي
بحر البحائر وسيب السوائب فان قلت كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه قلت قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير اجنبي
من المعدود وذلك ان الله عز وجل من على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من
حرمها تأكيد وتشديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد فيما اوحي الي تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحي الله وشرعه
لا بهوى النفس محرما طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها الا ان يكون ميتة الا ان يكون الشيء المحرم ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا
سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح او فسقا عطف على المنصوب قبله سمي ما اهل به لغير الله فسقا
لتوغله في باب الفسق ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق واهل صفة له منصوبة المحل ويجوز ان يكون مفعولا له من اهل

١٥٢

اي اهل لغير الله به فسقا فان قلت علام يعطف اهل والام يرجع الضمير في به على هذا القول قلت يعطف على يكون ويرجع الضمير الى ما يرجع
اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى اكل شيء من هذه المحرمات غير باغ على مضطر مثله ولا عاد متجاوز قدر حاجته
من تناوله فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ما له اصبع من دابة او طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم
ذلك عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما كقولك من زيد اخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه وترك البقر
والغنم على التحليل لم يحرم منهما الا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلى وقوله الا ما حملت ظهورهما يعني الا ما اشتمل على الظهور والجنوب
من السحفة او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء او ما اختلط بعظم وهو شحم الالية وقيل الحوايا عطف على شحومهما واو بمنزلتها في قولهم جالس
الحسن او ابن سيرين ذلك الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون فيما اوعدنا به العصاة لا نخلف كما لا نخلف ما وعدناه
اهل الطاعة فلما عصوا وبغوا الحقناهم الوعيد واحللنا بهم العقاب فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم
المجرمين سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم
فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله
حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون فان كذبوك
في ذلك فزعموا ان الله واسع الرحمة وانه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا او لكن ما تقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لاهل طاعته ولا يرد
بأسه مع سعة رحمته عن القوم المجرمين فلا تغتر برجاء رحمته عن خوف نقمته سيقول الذين اشركوا اخبار عما سوف يقولونه ولما قالوا وقال الذين
اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يعنون بكفرهم وتمردهم ان شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما احل الله بمشيئة الله وارادته ولولاه
لم يكن شيء من ذلك كمذهب المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم اي جاؤوا بالتكذيب المطلق لان الله عز وعلا ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل
على غناه وبراءته من مشيئة القبائح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وارادته فقد كذب
التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ ادلة العقل والسمع وراء ظهره حتى ذاقوا بأسنا حتى انزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم قل هل عندكم
من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا وهذا من التهكم والشهادة بان مثل قولهم محال ان يكون له حجة ان تتبعون
الا الظن في قولكم هذا وان انتم الا تخرصون تقدرون ان الامر كما تزعمون او تكذبون وقرئ كذلك كذب الذين بالتخفيف قل فلله الحجة البالغة
يعني فان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم فلو شاء لهداكم اجمعين منكم ومن مخالفيكم في الدين
فان تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي ان تعلقوا دين من يخالفكم ايضا بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لان المشيئة
تجمع بين ما انتم عليه وبين ما هم عليه هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم
وقربوهم فان قلت كيف امره باستحضار شهدائهم الذين يشهدون ان الله حرم ما زعموه محرما ثم امره بان لا يشهد معهم قلت امره باستحضارهم
وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء انهم ليسوا على شيء لتساوي اقدام الشاهدين

والمشهود لهم في انهم لا يرجعون الى ما يصح التمسك به وقوله فلا تشهد معهم يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا سلم لهم فكانه شهد
معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ولا تتبع اهوآء الذين كذبوا باياتنا من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان من كذب بايات الله وعدل به
غيره فهو متبع للهوى لا غير لانه لو تبع الدليل لم يكن الا مصدقا بالايات موحدا لله فان قلت هلا قيل قل هلم شهدآء يشهدون
ان الله حرم هذا واي فرق بينه وبين المنزل قلت المراد ان يحضروا شهدآءهم الذين علم انهم يشهدون لهم وينصرون قولهم
وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فاضيف
الشهدآء اليهم لذلك وجيء بالذين للدلالة على انهم شهدآء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله
فان شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهدآء يشهدون لكان معناه هاتوا اناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهدآء
بالحق وذلك ليس بالغرض ويناقضه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين
احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله الا بالحق ذلكم وصيكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط
لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون ثم اتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء
وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون تعالوا من الخاص الذي صار عاما واصله ان يقوله
من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وما حرم منصوب بفعل التلاوة بمعنى اتل الذي حرمه ربكم او بحرم بمعنى اتل
اي شيء حرم ربكم لان التلاوة من القول وان في ان لا تشركوا مفسرة ولا للنهي فان قلت هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت ان لا
تشركوا بدلا مما حرم قلت وجب ان يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الاوامر عليها وهي قوله وبالوالدين
احسانا لان التقدير واحسنوا بالوالدين احسانا واوفوا واذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله اوفوا فان قلت فما تصنع بقوله وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه فيمن قرا بالفتح وانما يستقيم عطفه على ان لا تشركوا اذا جعلت ان هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى اتل عليكم نفي الاشراك والتوحيد
واتل عليكم ان هذا صراطي مستقيما قلت اجعل قوله وان هذا صراطي مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا
مع الله احدا بمعنى ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر كانه قيل واتبعوا صراطي لانه مستقيم او واتبعوا صراطي انه مستقيم
فان قلت اذا جعلت ان مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب ان يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما دخل
عليه حرف النهي فما تصنع بالاوامر قلت لما وردت هذه الاوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه
علم ان التحريم راجع الى اضدادها وهي الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله من املاق من اجل فقر
ومن خشيته كقوله تعالى خشية املاق ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه الا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم
الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعنى احفظوه عليه حتى يبلغ اشده

فادعوه اليه بالقسط بالسوية والعدل لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا تعجز عنه وانما اتبع الامر بايفاء الكيل والميزان
ذلك لان مراعاة الحق الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فامر ببلوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه ولو كان ذا قربى
ولو كان المقول له او عليه في شهادة او غيرها من اهل قرابة القائل فلا ينبغي ان يزيد في القول او ينقص لقوله تعالى ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين
وقرئ وان هذا صراطي بتخفيف ان واصله وانه هذا صراطي على ان الهاء ضمير الشأن والحديث وقرأ الاعمش وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله وهذا
صراط ربكم وفي مصحف ابي وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع
والضلالات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام وقرئ فتفرق بادغام التاء وروى ابو وائل
عن ابن مسعود عن النبي صلعم انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان
يدعو اليه ثم تلا هذه الآية وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وقيل انهن ام الكتاب
من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الآيات لاول شيء في التورية فان قلت علام عطف
قوله ثم آتينا موسى الكتاب قلت على وصيكم به فان قلت كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل قلت هذه التوصية
قديمة لم تزل توصاها كل امة على لسان نبيها كما قال ابن عباس محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكانه قيل ذلكم وصيكم به يا بني آدم قديما وحديثا
ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب
تماما على الذي احسن تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين ويدل عليه قراءة عبد الله على الذين احسنوا
او اراد به موسى عليه السلام اي تتمة للكرامة على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ في كل ما امر به او تماما على الذي احسن موسى من العلم والشرائع
من احسن الشيء اذا اجاد معرفته اي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرأ يحيى بن يعمر على الذي احسن اي على الذي هو احسن بحذف المبتدأ كقراءة
من قرأ مثلا ما بعوضة بالرفع اي على الدين الذي هو احسن دين وارضاه او آتينا موسى الكتاب تماما اي كاملا تاما على احسن ما تكون عليه الكتب اي
على الوجه والطريق الذي هو احسن وهو معنى قول الكلبي اتم له الكتاب على احسنه ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم
لغافلين او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بآيات الله
وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك او يأتي بعض آيات
ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون ان تقولوا كراهة
ان تقولوا على طائفتين يريدون اهل التورية واهل الانجيل وان كنا ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمراد
كنا عن دراستهم غافلين على ان الهاء ضمير الشأن عن دراستهم عن قراءتهم اي لم نعرف مثل دراستهم لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة
افهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب ووقائعها وخطبها واشعارها واسجاعها وامثالها على انا اميون وقرئ ان يقولوا او يقولوا بالياء
فقد جاءكم بينة من ربكم تأكيد تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا على لفظ الغيبة احسن لما فيه من الالتفات والمعنى ان صدقتم فيما كنتم تعدون
من انفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من احاسن الحذوف فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها وصدقها

قوله تعالى مكناكم اما يجري على ظاهره اي جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او ملكناكم فيها واقدرناكم على
التصرف فيها فان قلت قد ذكر في الانعام عند قوله او لم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض
ما لم نمكن لكم ان كلمتي [illegible] وخالف ههنا قلت الخطاب في الانعام مع اهل مكة [illegible]
[illegible] الاعتبار بالامم السالفة فالمناسب سلوك طريق الكناية ليكون ابلغ [illegible]
لم يكونوا متمكنين في الارض [illegible] في الاجسام والسعة في الاموال [illegible] بالدنيا [illegible]
الخطاب عام والكلام متضمن للامتنان [illegible] ولقد خلقناكم ثم صورناكم فالمناسب [illegible]
على الظاهر لان جميع بني آدم لم يكونوا متمكنين في الارض متمكنين ولهذا عطف قوله وجعلنا لكم فيها
معايش واخر المصنف الكناية عن التصريح ه ط ط

او تمكن من معرفة ذلك وصدف عنها الناس فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
زدناهم عذابا فوق العذاب الملائكة ملائكة الموت او العذاب او يأتي ربك او يأتي كل آيات ربك بدليل قوله تعالى او يأتي بعض آيات ربك يريد
آيات القيمة والهلاك الكلي وبعض الآيات اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك وعن البراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا
بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن لم تكن آمنت
من قبل او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى ان اشراط الساعة اذا جاءت وهي آيات ملجئة مضطرة ذهب اوان التكليف عندها
فلم ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها من قبل ظهور الآيات او مقدمة ايمانها غير كاسبة خيرا في ايمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة
اذا آمنت في غير وقت الايمان وبين النفس التي آمنت في وقتها ولم تكسب خيرا ليعلم ان قوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي
ان ينفك احداهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد والا فالشقوة والهلاك قل انتظروا انا منتظرون وعيد وقرئ ان تأتيهم الملائكة
بالياء والتاء وقرأ ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الايمان مضافا الى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولك ذهبت بعض اصابعه ان الذين فرقوا
دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة
فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون فرقوا دينهم اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلث
وسبعين كلها في الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقرئ فارقوا دينهم اي تركوه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة
تشيع اماما لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة بآية السيف عشر امثالها على اقامة
صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها وقرئ عشر امثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف
وقد وعد بواحد سبعمائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافأة السيئات عدل وهم لا يظلمون لا ينقص من ثوابهم
ولا يزاد على عقابهم قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي
لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة
وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون دينا نصب على البدل من محل الى صراط لان معناه هداني صراطا بدليل
قوله ويهديكم صراطا مستقيما والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم وقرئ قيما والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به
وملة ابرهيم عطف بيان وحنيفا حال من ابرهيم قل ان صلاتي ونسكي وعبادتي وتقربي كله وقيل ذبحي وجمع بين الصلوة والذبح كما في قوله فصل لربك
وانحر وقيل صلوتي وحجي من مناسك الحج ومحياي ومماتي وما آتيه في حيوتي واموت عليه من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه
وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام قل اغير الله ابغي ربا جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم
والهمزة للانكار اي منكر ان ابغي ربا غيره وهو رب كل شيء فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال

افغير الله تامروني اعبد ولا تكسب كل نفس الا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتيكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم جعلكم خلائف الارض لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين خلفت امته سائر الامم او جعلهم يخلف بعضهم بعضا او هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض في الشرف والرزق ليبلوكم فيما آتيكم من نعمة المال والجاه كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغني بالفقير ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته وانه لغفور رحيم لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ سورة الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فما كان دعويهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا باياتنا يظلمون

كتاب خبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب وانزل اليك صفته والمراد بالكتاب السورة فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك منه كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اي لا تشك في انه منزل من الله او حرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فامنه الله ونهاه عن المبالاة بهم فان قلت بم تعلق قوله لتنذر قلت بانزل اي انزل اليك لانذارك به او بالنهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذلك اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته فان قلت فما محل ذكرى قلت يحتمل الحركات الثلث النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لان الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر مبتدأ محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اي للانذار وللذكرى فان قلت النهي في قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا ارينك ههنا اتبعوا ما انزل اليكم من القرآن والسنة ولا تتبعوا من دونه من دون الله اولياء اي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه وعن الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد والله ما نزلت آية الا وهو يحب ان تعلم فيم انزلت وما معناها وقرأ مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الاسلام دينا ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ تذكرون بحذف التاء ويتذكرون بالياء وقليلا نصب بتذكرون اي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة فجاءها فجاء اهلها باسنا بياتا مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله هم قائلون حال معطوفة

على بياتا كانه قيل فجاءهم باسنا بائتين او قائلين فان قلت هل يقدر حذف المضاف الذي هو الاهل قبل قرية او قبل الضمير في اهلكناها قلت
انما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل الضمير في فجاءها لقوله او هم قائلون فان قلت لا يقال
جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله او هم قائلون قلت قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلا
او هو فارس او جاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه الى واو لان الذكر قد عاد على الاول والصحيح انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو
استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح
وارد على حده واما جاءني زيد هو فارس فخبيث فان قلت فما معنى قوله اهلكناها فجاءها باسنا والاهلاك انما هو بعد مجيء الباس قلت
معناه اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلوة وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة
فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع فقوم لوط اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة فما كان دعواهم ما كانوا يدعونه
من دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا ظالمين فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم
الا قولهم هذا لانه لا مستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعاءهم الا اعترافهم لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم
وان لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبر لكان وان قالوا رفع اسم له ويجوز العكس
فلنسألن الذين ارسل اليهم اسند السؤال الى الجار والمجرور وهو اليهم ومعناه فلنسألن المرسل اليهم وهم الامم يسالهم عما اجابوا به رسلهم كما
قال ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ونسال المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنقصن عليهم
على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم
فان قلت فاذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم قلت معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بالسنتهم وشهد
عليهم انبياؤهم والوزن يومئذ الحق يعني وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته
اي والوزن يوم يسال الله الامم ورسلهم الوزن الحق اي العدل وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحائف الاعمال بميزان
له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق تاكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم
وتشهد عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤنها في موقف
الحساب وقيل هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل فمن ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون اي فمن رجحت اعماله الموزونة
التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما توزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه
السيئات ان يخف بما كانوا باياتنا يظلمون يكذبون بها ظلما كقوله تعالى فظلموا بها ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون
ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين مكناكم في الارض جعلنا لكم فيها
مكانا وقرارا او مكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها
او ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر انه همز تشبيها بالصحائف ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني خلقنا اباكم

آدم طيناً غير مصوّر ثم صورناه بعد ذلك الا ترى الى قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم من الساجدين ممن سجد لآدم قال ما منعك ألا تسجد
إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين قال أنظرني الى يوم
يبعثون قال إنك من المنظرين قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم
ولا تجد أكثرهم شاكرين لا في أن لا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم أهل الكتاب بمعنى ليعلم فإن قلت
ما فائدة زيادتها قلت توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كأنه قيل ليتحقق علم أهل الكتاب وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه
نفسك إذ أمرتك لأن أمري لك بالسجود أوجبه عليك إيجاباً وحتمه حتماً لا بد لك منه فإن قلت لم سأله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه قلت
للتوبيخ ولإظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وازدرائه بأصل آدم وأنه خالف أمر ربه معتقداً أنه غير واجب عليه لما رأى أن سجود الفاضل
للمفضول خارج من الصواب فإن قلت كيف يكون قوله أنا خير منه جواباً لما منعك وإنما الجواب أن يقول منعني كذا قلت قد استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه
بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو أن أصله من نار وأصل آدم من طين فعلم منها الجواب وزيادة عليه وهي إنكار الأمر واستبعاد أن يكون مثله مأموراً
بالسجود لمثله كأنه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعداً أن يؤمر بما أمر به فاهبط منها من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة
الى الأرض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون لك فما يصح لك أن تتكبر فيها وتعصي فاخرج إنك من الصاغرين من أهل الصغار والهوان
على الله وعلى أوليائه لتكبرك كما تقول للرجل قم صاغراً إذا أهنته وفي ضده قم راشداً وذلك أنه لما أظهر الاستكبار ألبس الصغار وعن عمر رضي الله عنه
من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الأرض فإن قلت لم أجيب الى استنظاره
وإنما استنظر ليفسد عباده ويغويهم قلت لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من أعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف
الزخارف وأنواع الملاذ والملاهي وما ركب في الأنفس من الشهوات ليمتحن بها عباده فبما أغويتني فبسبب إغوائك إياي لأقعدن لهم وهو تكليفه إياه
ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم أفضل منه ومن آدم أنفساً ومناسب وعن الأصم أمرتني بالسجود فحملني الأنف على معصيتك والمعنى
فبسبب وقوعي في الغي لأجتهدن في إغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم فإن قلت بم تعلقت الباء فإن تعلقها بلأقعدن تصد عنه لام
القسم لا تقول والله بزيد لأمرن قلت تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما أغويتني أقسم بالله لأقعدن أي فبسبب إغوائك أقسم ويجوز أن تكون
الباء للقسم أي فأقسم بإغوائك لأقعدن وإنما أقسم بالإغواء لأنه كان تكليفاً والتكليف من أحسن أفعال الله لكونه تعريضاً لسعادة الأبد فكان جديراً بأن
يقسم به ومن تكاذيب المجبرة ما حكوا عن طاوس أنه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس تقوم أو تقام
فقام الرجل فقيل له أتقول هذا لرجل فقيه فقال إبليس أفقه منه قال رب بما أغويتني وهذا يقول أنا أغوي نفسي وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم
على إضافة القبائح الى الله تعالى سبحانه أن لفقوا الأكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين وقيل ما للاستفهام كأنه قيل بأي شيء أغويتني ثم ابتدأ
لأقعدن وإثبات الألف إذا أدخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ وأصل الغي الفساد ومنه قيل غوى الفصيل إذا بشم والبشم فساد في
المعدة لأقعدن لهم صراطك المستقيم لأعترضن لهم على طريق الإسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله
كما عسل الطريق الثعلب وتشبيه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن أي على الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان قعد

الآية
قوله تعالى نريد أن نأكل منها وتطمئن
إذا غلبنا الجوع بحيث لا نطلب غيره
الآية لحصول كونه معجزة بل لأجل
كفيتنا أحدها أن نأكل منها فإن الجوع
قد غلبنا ولا نجد طعاما وأن نجد
علمنا قدرة الله بالدليل كفانا إذا
شاهدنا نزول هذه المائدة ازداد
اليقين بها ثالثها أن جميع المعجزات
رأيناها أرضية وهذه سماوية
ه
كشف
قوله ونكون عليها من الشاهدين
تفسير لقوله ونكون عليها من الشاهدين
وقيد لا لأن على علمها صلة الشاهدين
فلا بد من تقدير آخر لكون ما بلا صريح
الكلام أي من الشاهدين عليها من
الشاهدين عليها وهذا التأكيد لإظهار
إرادة الإخلاص ه ق
قوله وكانت دعواهم الى آخره سؤال
وهو أن تعالى لما أرادوا أن يشهدوا
الله بالوحدانية ولعيسى بالنبوة
وجب القول بأنهم أجابوا بأن
دعواهم للإيمان والإخلاص طمأنينة
ه
قوله على أنه عليها في موضع الحال
صحيح من غيره كان على مذهب من يجوز
إعماله في الحال ولا يجوز أن يكون في
حالا من الشاهدين ولا من الخبر منهم
لأن الحال لا تتقدم على العامل المعنوي
على الأصح ه

لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر
ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم المال وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل ثم لآتينهم من الجهات الاربع التي يأتي منها العدو في الغالب
وهذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك **فان قلت** كيف قيل
من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة **قلت** المفعول فيه عدى اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما
اختلفت حروف التعدية في ذلك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون
جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه
انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرنا في تعال ونحوه من المفعول به قولهم
رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدأ الرمي منها وكذلك قالوا جلس
بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن
شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم
فاقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من قبل
يميني فيأتيني من قبل الثناء فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولا تجد اكثرهم
شاكرين قاله تظنيا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله لهم **قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك**
منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما
الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين
فدلاهما بغرور مذءوما من ذأمه اذا ذمه وقرأ الزهري مذوما بالتخفيف مثل مسول في مسؤول واللام في لمن تبعك موطئة للقسم ولاملأن جوابه
وهو ساد مسد جواب الشرط منكم منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله بل انتم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن
تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملأن جهنم منكم اجمعين على ان لاملأن في محل الابتداء ولمن تبعك خبره ويا آدم وقلنا يا آدم وقرئ هذي الشجرة والاصل
الياء والهاء بدل منها ويقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسوس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر
الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي تلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القاها
اليه ليبدي جعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رأيا ما يؤثران ستره وان لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه
لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول **فان قلت** ما للواو المضمومة في ووري لم تقلب همزة كما في اويصل **قلت** لان الثانية مدة
كالف وارى وقرأ عبد الله اوري بالقلب الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملكية بالمنظر الاعلى وان البشرية
تلمح مرتبتها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام لقوله وملك لا يبلى من الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين وقرئ سوءتهما بالتوحيد
وسوتهما بالواو المشددة وقاسمهما واقسم لهما اني لكما لمن الناصحين **فان قلت** المقاسمة ان تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته

وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه **قلت** كأنه قال لهما اقسم لكما اني لمن الناصحين وقالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك
ذلك مقاسمة بينهم او اقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدلاهما فنزلهما الى
الاكل من الشجرة بغرور بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر انه كان اذا رأى من عبده طاعة وحسن صلاة اعتقه
فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له **فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان**
عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها
تخرجون فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين في الاكل منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم بدت لهما سوآتهما اي تهافت عنهما اللباس
فظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس
الاظفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر ويقال طفق يفعل كذا وقرأ ابو السمال وطفقا بالفتح يخصفان ورقة فوق ورقة على عوراتهما
ليستترا بها كما تخصف النعل بان تجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرأ الحسن يخصفان بكسر الخاء وتشديد الصاد واصله يختصفان وقرأ
الزهري يخصفان من اخصف وهو منقول من خصف اي يخصفان انفسهما وقرئ يخصفان من خصف بالتشديد من ورق الجنة قيل كان ورق التين
الم انهكما عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطأ حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله تعالى من عداوة ابليس وروي انه تعالى قال لآدم الم يكن لك فيما منحتك
من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال
العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز وسميا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما
لانفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاولياء والصالحين في استعظامهم الصغير واستصغارهم العظيم من حسناتهم اهبطوا الخطاب لآدم
وحواء وابليس وبعضكم لبعض عدو في موضع الحال اي متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وانتفاع
بعيش الى حين الى انقضاء آجالكم وعن ثابت البناني لما اهبط آدم وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي
فانما اصابني الذي اصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا
لبنيه هذه سنتكم بعده جعل ما في الارض منزلا من السماء لانه قضي ثم وكتب ومنه وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج **يا بني آدم قد انزلنا عليكم**
لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم
من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة
قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير
لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرأ
عثمان رضي الله عنه ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى ولباس الورع والخشية من الله تعالى وارتفاعه على الابتداء وخبره اما الجملة
التي هي ذلك خير كأنه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر واما المفرد الذي هو خير وذلك

صفة للمبتدأ كأنه قيل ولباس التقوى المشار إليه خير ولا تخلو الإشارة من أن يراد بها تعظيم لباس التقوى أو أن تكون إشارة إلى اللباس المواري للسوأة
لأن مواراة السوأة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف أي وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفي قراءة عبد الله
وأبي ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب
عطفا على لباسا وريشا ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني إنزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية
واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليهما إظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة
والفضيحة وإشعارا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بأن لا تدخلوا الجنة كما محن أبويكم
بأن أخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال أي أخرجهما نازعا لباسهما بأن كان سببا في أن نزع عنهما إنه يراكم هو وقبيله تعليل للنهي وتحذير من فتنته بأنه بمنزلة العدو
المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار إن عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا من عصم الله وقبيله وجنوده من الشياطين
وفيه دليل بين أن الجن لا يرون ولا يظهرون للإنس وأن إظهارهم أنفسهم ليس في استطاعتهم وأن زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة
إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون أي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم وأطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي
وهذا تحذير آخر أبلغ من الأول فإن قلت علام عطف وقبيله قلت على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في إنه ضمير الشأن والحديث وقرأ
اليزيدي وقبيله بالنصب وفيه وجهان أن يعطف على اسم إن وأن يكون الواو بمعنى مع وإذا عطف على اسم إن وهو الضمير في إنه كان راجعا إلى إبليس
الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب أي إذا فعلوها اعتذروا بأن آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبأن الله أمرهم بأن يفعلوها وكلاهما باطل
من العذر لأن أحدهما تقليد والتقليد ليس بطريق العلم والثاني افتراء على الله وإلحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا
عنه وعن الحسن إن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله عز وجل وإذا فعلوا
فاحشة قل إن الله لا يأمر بالفحشاء لأن فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يأمر بفعله أتقولون على الله ما لا تعلمون
إنكار لإضافتهم القبيح إليه وشهادة على أن مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم
عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون
الله ويحسبون أنهم مهتدون يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين بالقسط بالعدل وبما قام
في النفوس أنه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد وأقيموا وجوهكم وقيل أقيموا وجوهكم أي اقصدوا عبادته مستقيمين إليها غير عادلين
إلى غيرها عند كل مسجد في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود وهو الصلوة وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين أي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا
كما بدأكم تعودون كما أنشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق والمعنى أنه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة
فريقا هدى وهم الذين أسلموا أي وفقهم الله للإيمان وفريقا حق عليهم الضلالة أي كلمة الضلالة وعلم الله أنهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب
قوله وفريقا بفعل يفسره ما بعده كأنه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة إنهم أي إن الفريق الذي حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين
أولياء أي تولوهم بالطاعة فيما أمروهم به وهذا دليل على أن علم الله لا أثر له في ضلالهم وأنهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين دون الله

خذوا زينتكم أي ثيابكم لمواراة عوراتكم عند كل مسجد كلما صليتم أو طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وإنما كان أحدهم يطوف
عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وإن طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لأنهم قالوا لا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من
الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئته للصلوة وكان بنو عامر في أيام حجهم
لا يأكلون الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فإنا أحق أن نفعل فقيل لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وعن ابن عباس
كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وحكي أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب
شيء والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه فقال وما هي قال قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا
فقال النصراني ولا يؤثر عن رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في ألفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله صلى الله عليه وسلم
المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته فقال ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا قل من حرم زينة الله التي
أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل إنما حرم ربي الفواحش
ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ولكل أمة أجل فإذا
جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون زينة الله من الثياب وكل ما يتجمل به
والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام في من إنكار تحريم هذه الأشياء وقيل كانوا إذا أحرموا حرموا الشاة وما
يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة لهم لأن المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيمة لا يشركهم فيها أحد
فإن قلت هلا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم قلت لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة وأن الكفرة تبع لهم كقوله ومن كفر فأمتعه
قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على أنها خبر بعد خبر الفواحش ما تفاحش قبحه أي تزايد وقيل هي ما يتعلق
بالفروج والإثم عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر والبغي الظلم والكبر أفرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ما لم ينزل به سلطانا فيه
تهكم لأنه لا يجوز أن ينزل برهانا بأن يشرك به غيره وأن تقولوا على الله وأن تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ولكل أمة
أجل وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم وقرئ فإذا جاء آجالهم وقال ساعة لأنها أقل الأوقات في استعمال الناس
يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد أقصر وقت وأقربه إما يأتينكم هي إن الشرطية ضمت إليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك
لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة فإن قلت فما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى وأصلح منكم والذين
كذبوا منكم وقرئ تأتينكم بالتاء فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا
يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم
من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا
فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون فمن أظلم فمن أشنع ظلما ممن تقول على الله ما لم يقله أو كذب

ينالهم نصيبهم من الكتاب اى مما كتب لهم من الارزاق والاعمار حتى اذا جاءتهم رسلنا غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم لو اى
المدة وهى حتى التى يبتدأ بعدها الكلام والكلام ههنا الجملة الشرطية وهى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم حال من الرسل اى متوفيهم
واعوانه وما وقعت موصولة باين فى خط المصحف وكان حقها ان تفصل لانها موصولة يعنى اين الآلهة التى تدعون ضلوا عنا
غابوا عنا ولا تنفعهم اعتراف منهم بانهم لم يكونوا على شئ فيما كانوا عليه وانهم لم يحمدوه فى العاقبة قال ادخلوا اى يقول الله تعالى يوم القيمة
لهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته وهم كفار العرب فى امم فى موضع الحال اى كائنين فى جملة امم مصاحبين
لهم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار كلما دخلت امة تقدم زمانهم زمانكم لعنت اختها التى ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها اى تداركوا
وتلاحقوا فيها جميعا فى النار قالت اخريهم منزلة وهى الاتباع والسفلة لاوليهم منزلة وهى القادة والرؤس ومعنى لاوليهم لاجل اوليهم لان خطابهم
مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا مضاعفا من النار قال لكل ضعف لان كلا من القادة والاتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا تعلمون قرى بالياء والتاء وقالت اوليهم
لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين فما كان لكم علينا من فضل
عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون فى استحقاق الضعف فذوقوا العذاب من قول
القادة او من قول الله لهم جميعا لا تفتح لهم ابواب السماء لا يتعلق لهم ما اليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح المؤمنين
وقيل لا ينزل عليهم البركة ولا يغاثون بفتح ابواب السماء وقرى لا تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الابواب على ان
الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله عز وجل وقرا ابن عباس الجمّل بوزن القمّل وسعيد بن جبير الجمل بوزن النغر وقرى
الجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها القلس الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس ان الله تعالى
احسن تشبيها من ان يشبه بالجمل يعنى ان الحبل يناسب الخيط الذى يسلك فى سم الابرة والبعير لا يناسبه الا ان قراءة العامة اوقع لان سم الابرة مثل فى ضيق
المسلك يقال اضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت للاهتداء به فى المضايق المشبهة باخرات الابر والجمل مثل فى عظم الجرم قال
جسم الجمال واحلام العصافير ان الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدا من ولوج هذا الحيوان الذى
لا يلج الا فى باب واسع فى ثقب الابرة وعن ابن مسعود انه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب معنى آخر تكلف وقرى
سم بالحركات الثلث وقرا عبد الله فى سم المخيط والخياط والمخيط كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو الابرة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزى المجرمين
ليدل على ان الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب وان كل من اجرم عوقب وتكرره فقال وكذلك نجزى الظالمين لان كل مجرم ظالم لنفسه مهاد
فراش ومن فوقهم غواش اغطية وقرى غواشٌ بالرفع كقوله وله الجوار المنشآت فى قراءة عبد الله والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى
لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون لا نكلف نفسا الا وسعها جملة معترضة
بين المبتدأ والخبر للترغيب فى اكتساب ما لا يكتنهه وصفا الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو فى الوسع وهو الامكان الواسع غير الضيق

من الاباق والعمل الصالح وقرا الاعمش لا تكلف نفس من كان فى قلبه غل على اخيه فى الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التواد والتعاطف
وعن على رضى الله عنه انى لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم هدانا لهذا اى وفقنا لما جزاؤه هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل الصالح
وما كنا لنهتدى اللام لتوكيد النفى يعنون وما كان يستقيم ان نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه وفى مصاحف اهل الشام ما كنا لنهتدى بغير واو
على انها جملة موضحة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا
بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا فى الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك ان لا يقوله للفرح لا للقربة ان تلكم الجنة ان مخففة من الثقيلة
تقديرها ونودوا بانه تلكم الجنة او بمعنى اى والضمير ضمير الشأن والحديث او يكون بمعنى اى لان المناداة من القول كانه قيل وقيل لهم تلكم الجنة
اورثتموها بما كنتم تعملون بسبب اعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون
وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون انى ان قد وجدنا يحتمل ان
يكون مخففة من الثقيلة وان يكون مفسرة وكذلك ان لعنة الله على الظالمين وانما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة
باصحاب النار وزيادة فى غمهم ولتكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يامره الله تعالى فينادى بينهم
نداء يسمع اهل الجنة واهل النار وقرى ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرا الاعمش ان لعنة الله بكسر ان على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال
فان قلت هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا قلت حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه ولقائل ان يقول اطلق ليتناول كل ما وعد
الله من البعث والثواب والعقاب وسائر احوال القيمة لانهم كانوا مكذبين بذلك اجمع ولان الموعود كله مما ساءهم وما نعيم اهل الجنة الا عذاب لهم فاطلق
لذلك وبينهما حجاب يعنى بين الجنة والنار او بين الفريقين وهو السور المذكور فى قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب وهو السور المضروب
بين الجنة والنار او بين الفريقين وهى اعاليه جمع عرف مستعار من عرف الفرس وعرف الديك رجال من المسلمين من آخرهم دخولا فى الجنة لقصور اعمالهم
كانهم المرجون لامر الله يحبسون بين الجنة والنار الى ان ياذن الله لهم فى دخول الجنة يعرفون كلا من زمرة السعداء والاشقياء بسيماهم بعلامتهم
التى اعلمهم الله تعالى بها يلهمهم الله ذلك او تعرفهم الملائكة اذا نظروا الى اصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم واذا صرفت ابصارهم تلقاء
اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم
وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة
ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم
كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجحدون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار رأوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته
ان لا يجعلهم معهم ونادوا رجالا من رؤس الكفرة يعرفونهم اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كان الرؤساء
يستهزؤن بهم ويحتقرونهم لفقرهم ويتبجحون بحظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا
الجنة وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفائدة ذلك بيان ان الجزاء على قدر الاعمال

وان التقدم والتأخر على حسبها وان احدا لا يسبق عند الله الا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنه الا بتخلفه فيه وليرغب السامعون في حال السابقين
ويحرصوا على احراز قصبتهم وليتصوروا ان كل احد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب ان يوسم بها من اهل الخير والشر فيرتدع المسيء
عن اساءته ويزيد المحسن في احسانه وليعلم ان العصاة يوبخهم كل احد حتى اقصر الناس عملا وقوله واذا صرفت ابصارهم فيه ان صارفا يصرف
ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ويتحولوا واذا قلبت ابصارهم وقرئ ادخلوا الجنة على البناء للمفعول ودخلوا على ان الجملة خبرية
دخلوا الجنة فان قلت لمقالهم ما بين القراءتين قوله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قلت تأويله ادخلوا الجنة او دخلوا الجنة
مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فان قلت ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون قلت لا محل له لانه استئناف كأن
سائلا سأل عن حال اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون يعني حالهم ان دخولهم الجنة استأخر عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين
وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز ان يكون له محل بان يقع صفة لرجال ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق
وعلى الناس وقرئ تستكثرون من الكثرة افيضوا علينا فيه دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من غيره من الاشربة لدخوله في حكم
الافاضة ويجوز ان يراد والقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة لقوله علفتها تبنا وماء باردا وانما يطلبون ذلك مع يأسهم من الاجابة
اليه حيرة في امرهم كما يفعل المضطر الممتحن حرمهما على الكافرين منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله
حرام على عيني ان تطعما الكرى فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به كما نسوا لقاء يومهم
كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون
الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل
قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي
الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين فصلناه على علم عالمين كيف نفصل
احكامه ومواعظه وقصصه ومواعيده حتى جاء حكيما فيه غير ذي عوج وقرئ فضلناه بالضاد المعجمة يعني فضلناه على جميع الكتب
عالمين انه اهل للتفضيل عليها وهدى ورحمة حال من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من فاعله الا تأويله الا ما يؤول اليه امره من تبيين صدقه
وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد قد جاءت رسل ربنا بالحق اي تبين وصح انهم جاؤوا بالحق او نرد جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها
في حكم الاستفهام كأنه قيل هل لنا من شفعاء او هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل آخر
يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع او نرد وقرئ او نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا او لكون او بمعنى حتى ان اي يشفعوا لنا حتى نرد
فنعمل وقرأ الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل يغشي الليل النهار وقرئ يغشي بالتشديد اي يلحق الليل بالنهار او النهار بالليل فحملهما
جميعا والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار اي يدرك النهار الليل يطلبه حثيثا
حثيثا الملائكة لقراءة حميد بالرفع بتشبيهه وتصريفه وهو متعلق بمسخرات اي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد ان يصرفها
سمى ذلك امرا على التشبيه كأنهن مأمورات بذلك وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بامره قال الا له

الخلق والامر اي هو الذي خلق الاشياء وهو الذي دبرها على حسب ارادته ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا
في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين تضرعا وخفية نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية والتضرع
تفعل من الضراعة وهي الذلة اي تذللا وتملقا وقرئ خفية وعن الحسن رحمه الله ان الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي لقد جمع
القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير ولا يشعر الناس به وان كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة وعنده الزور وما
يشعرون به ولقد ادركنا اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون ان يعملوه في السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء
وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد اثنى على زكريا فقال
اذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا انه لا يحب المعتدين اي المجاوزين ما امروا به في كل شيء من الدعاء وغيره
وعن ابن جريج هو رفع الصوت في الدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن النبي صلعم سيكون قوم يعتدون
في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله
انه لا يحب المعتدين ان رحمة الله قريب من المحسنين كقوله واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وانما ذكر قريب على تأويل الرحمة بالرحم او الترحم
او لانه صفة موصوف محذوف اي شيء قريب او على تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء واسراء او على انه بزنة المصدر الذي هو
النقيض والضغيب او لان تأنيث الرحمة غير حقيقي وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت
فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف
الآيات لقوم يشكرون لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ من قومه انا لنراك في ضلال
مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين وقرئ نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه اما لان ارسل ونشر متقاربان فكأنه قيل نشرها
نشرا واما على الحال بمعنى منتشرات ونشر جمع نشور ونشرا بالتخفيف نشر كرسل ورسل وقرأ مسروق نشرا بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كنقض وحسب
ومنه قولهم ضحك نشر وبشرا جمع بشير وبشرا بالتخفيف وبشرى بفتح الباء مصدر بشره بمعنى بشره اي باشرات وبشرى بين يدي رحمته امام نعمته
وهو الغيث الذي هو من اجل النعم واحسنها اثرا اقلت حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا سحابا
ثقالا بالماء جمع سحابة لان السحاب بمعنى السحائب سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا لبلد
ميت لاجل بلد ليس فيه حيا ولسقيه وقرئ ميت فانزلنا به بالبلد او بالسحاب او بالسوق وكذلك فاخرجنا به كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات
نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين اذ كل واحد منهما اعادة للشيء بعد انشائه والبلد الطيب الارض
الكريمة التربة والذي خبث الارض السبخة التي لا تنبت ما ينتفع به باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كأنه قيل يخرج نباته حسنا
وافيا لانه واقع في مقابلة نكدا والبلد الذي لا خير فيه وقرئ يخرج نباته اي يخرجه البلد وينبته وقوله والذي خبث صفة للبلد ومعناه والبلد
الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات واقيم المضاف اليه الذي هو الراجع الى البلد مقامه الا انه كان مجرورا بارزا
فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل او يقدر ونبات الذي خبث وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر اي ذا نكد ونكدا باسكانها للتخفيف

قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه الآية لما بالغ في ذكر المبدأ او المعاد وذكر الدلائل ظاهرة وبينات باهرة اتبعها بذكر قصص الانبياء وفيه فوائد البينة على ان اعراض الناس عن قبول هذه الدلائل ليس من خواص محمد صلعم بل هذه العادة المذمومة كانت حاصلة في جميع الامم السالفة والمصيبة اذا عمت خفت فكان ذكرها تسلية له عليه السلم وفي ذكرها فيه امر اولئك المنكرون تهديد للمنكرين وبشارة للمتقين وفيه انه تعالى وان امهل الكافرين لكن لم يهمل امرهم ولانه اخبار عن الغيب فيكون معجزا

كقوله نزه عن الريب بمعنى نزهه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث
وطيب وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله بعقله فوعاه وانتفع به كالارض الطيبة اصابها الغيث فانبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل
واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الآيات نرددها ونكررها
لقوم يشكرون نعمة الله وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها وقرئ يصرف بالياء اي يصرفها الله لقد ارسلنا جواب قسم محذوف فان قلت
ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا قلت انما كان ذلك لان الجملة
القسمية لا تساق الا تأكيدا للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم
قيل ارسل نوح وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس النبي عليه السلم وقرئ غيره بالحركات
الثلاث فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله غيره والجر على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا
زيدا او غير زيد فان قلت ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الاولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعي الى عبادته
لانه هو المحذور عقابه دون من كانوا يعبدونه من دون الله واليوم العظيم يوم القيمة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان الملأ الاشراف
والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء في ضلال في ذهاب عن طريق الصواب والحق ومعنى الرؤية رؤية القلب فان قلت لم قال ليس بي ضلالة
ولم يقل ضلال كما قالوا قلت الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كانه قال ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل لك الك
تمر فقلت ما لي تمرة فان قلت كيف وقع قوله ولكني رسول استدراكا للانتفاء عن الضلالة قلت كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا في معنى كونه
على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون اوعجبتم ان جاءكم ذكر
من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون وقرئ ابلغكم بالتخفيف فان قلت كيف موقع قوله ابلغكم قلت فيه وجهان احدهما ان يكون كلاما
مستأنفا بيانا لكونه رسول رب العالمين والثاني ان يكون صفة لرسول فان قلت كيف جاز ان يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب قلت جاز ذلك
لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب فكان في معناه كما قال انا الذي سمتني امي حيدره رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة
او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشائر والنذائر ويجوز ان يريد رسالاته اليه والى الانبياء قبله من صحف جده ادريس
وهي ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة
وانها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة امحض من نصيحة الله
ورسله واعلم من الله ما لا تعلمون اي من صفات الله واحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على اعدائه وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا
بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي الله اليه او اراد واعلم من جهة الله اشياء لا علم لكم بها قد اوحي الي بها
اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم ان جاءكم ذكر موعظة من ربكم على رجل
منكم على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون ارسال البشر
ولو شاء ربنا لانزل ملائكة لينذركم ليحذركم عاقبة الكفر ولتتقوا ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار ولعلكم ترحمون

ولترجوا الرحمة بالتقوى ان وجدت منكم فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين والى عاد اخاهم هودا قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني
رسول من رب العالمين والذين معه قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به فان قلت في الفلك بم يتعلق
قلت هو متعلق بمعه كانه قيل والذين استقروا معه في الفلك او صحبوه في الفلك ويجوز ان يتعلق بفعل الانجاء اي انجيناهم في السفينة من الطوفان
عمين عمي القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمي والعامي ان العمي يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث ونحوه قوله وضائق
به صدرك اخاهم واحدا منهم من قولك يا اخا العرب للواحد منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم افهم عن رجل منهم واعرف بحاله في صدقه وامانته
وهو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح واخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان له فان قلت لم حذف العاطف من قوله قال يا قوم ولم يقل فقال
كما في قصة نوح قلت هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك قال الملأ فان قلت لم وصف الملأ بالذين
كفروا دون الملأ من قوم نوح قلت كان في اشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي اسلم وكان يكتم اسلامه فاريدت التفرقة بالوصف
ولم يكن في اشراف قوم نوح مؤمن ونحوه قوله وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ويجوز ان يكون وصفا واردا للذم لا غير في سفاهة
في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك الى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز ارادوا انه متمكن فيها غير منفك عنها وفي
اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة بما اجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا
لهم مع علمهم بان خصومهم اضل الناس واسفههم ادب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف
يغضون عنهم ويسبلون اذيالهم على ما يكون منهم ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم
خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا
ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين
ناصح امين اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فما حقي ان اتهم وانا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه خلفاء من بعد
قوم نوح اي خلفتموهم في الارض او جعلكم ملوكا في الارض قد استخلفكم فيها بعدهم في الخلق بسطة فيما خلق من اجرامكم ذهابا في الطول
والبدانة وقيل كان اقصرهم ستين ذراعا واطولهم مائة ذراع فاذكروا آلاء الله في استخلافكم وبسطة اجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء الى ونحوه اني وآناء
وضلع واضلاع وعنب واعناب فان قلت اذ في قوله اذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه قلت هو مفعول به وليس بظرف اي اذكروا وقت استخلافكم
اجئتنا لنعبد الله وحده انكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشأوا عليه
والفا لما صادفوا آباءهم يتدينون به فان قلت ما معنى المجيء في قوله اجئتنا قلت فيه اوجه ان يكون لهود عليه السلم مكان معتزل عن قومه يتحنث
فيه كما كان يفعل رسول الله صلعم بحراء قبل المبعث فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم وان يريدوا به الاستهزاء لانهم كانوا يعتقدون ان الله
لا يرسل الا الملائكة فكانهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجيء الملك وان لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني
ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا اقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك فأتنا بما تعدنا استعجال منهم للعذاب وقد وقع

عليكم أي حق عليكم ووجب أو نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب إليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن حسان
أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له يا بني ما لك فقال لسعني طوير كأنه ملتف في بردي حبرة فضمه إلى صدره وقال
يا بني قد قلت الشعر والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب أتجادلونني في أسماء سميتموها في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات لأنكم تسمونها
آلهة ومعنى الإلهية فيها معدوم لمحال وجوده وهذا كقوله ما تدعون من دونه من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته زيدا فأنجيناه والذين
معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه
ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم وقطعنا دابرهم استأصلناهم ودمرناهم عن آخرهم وقصتهم أن عادا قد تبسطوا
في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله إليهم هودا نبيا وكان من أوسطهم وأفضلهم حسبا
فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله الفرج منه عند بيته
الحرام مسلمهم ومشركهم وأهل مكة إذ ذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد إلى مكة من أماثلهم
سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم إسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم
فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما رأى طول مقامهم
وذهولهم باللهو عما قدموا له أهمه ذلك وقال قد هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي أن يكلمهم خيفة أن يظنوا به ثقل
مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية ألا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما
فيسقي أرض عاد إن عادا قد امسوا لا يبينون الكلاما فلما غنتا به قالوا إن قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم
عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وتبتم إلى الله سقيتم
وأظهر إسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا
ما كنت تسقيهم فأنشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فإنها
أكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون
معه فأتوا مكة يعبدون الله فيها حتى ماتوا فإن قلت ما فائدة نفي الإيمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع إثبات التكذيب بآيات الله قلت هو تعريض
بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كأنه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن أن الهلاك خص المكذبين
ونجى الله المؤمنين قرئ إلى ثمود بمنع الصرف بتأويل القبيلة وإلى ثمود بالصرف بتأويل الحي أو باعتبار الأصل لأنه اسم أبيهم الأكبر وهو ثمود بن عابر بن إرم بن
سام بن نوح وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى قد جاءتكم بينة آية
ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي كأنه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية وآية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الإشارة
من معنى الفعل كأنه قيل أشير إليها آية ولكم بيان لمن هي له آية موجبة عليه الإيمان خاصة وهم ثمود لأنهم عاينوها وسائر الناس أخبروا عنها وليس الخبر
كالمعاينة كأنه قال لكم خصوصا وإنما أضيفت إلى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشأنها في أنها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة آية من آياته

كما تقول آية الله روي أن عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الأرض وكثروا وعمروا أعمارا طوالا حتى إن الرجل يبني
المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأوثان
فبعث الله إليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا فدعاهم إلى الله فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وأنذرهم
فسألوه آية فقال أية آية تريدون قالوا اخرج معنا إلى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو إلهك وندعو آلهتنا فإن استجيب لك اتبعناك وإن استجيب
لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو وأشار إلى صخرة منفردة
في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فإن فعلت صدقناك و
أجبناك فأخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها
فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع
ورهط من قومه ومنع أعقابهم ناس من رؤوسهم أن يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فإذا كان يومها
وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ أوانيهم فيشربون ويدخرون قال أبو موسى الأشعري
أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة إذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم
فتهبط إلى بطنه وإذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة أم غنم
وصدقة بنت المختار لما أضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي
جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها
فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم
العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله إلى أرض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا
بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا تأكل في أرض الله أي الأرض أرض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في أرض
ربها فليست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات من إنباتكم ولا تمسوها بسوء لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من الأذى إكراما لآية الله
ويروى أن رسول الله صلعم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين
إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم وقال صلى الله عليه وسلم يا علي أتدري من أشقى الأولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر ناقة صالح
أتدري من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك وقرأ أبو جعفر في رواية تأكل في أرض الله وهو في موضع الحال بمعنى آكلة واذكروا إذ جعلكم
خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين قال الملأ
الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون وبوأكم وأنزلكم والمباءة
المنزل في الأرض في أرض الحجر بين الحجاز والشام من سهولها قصورا أي تبنون في سهولها أو من سهولة الأرض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر وقرأ
الحسن وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون بإشباع الفتحة كقوله ينباع من ذفرى أسيل حرة فإن قلت علام انتصب بيوتا قلت على الحال كما

تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب والقصبة قميصا
وقلما في حال الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء. للذين استضعفوا للذين استضعفهم رؤساء الكفار
واستذلوهم ولمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا. فان قلت الضمير في منهم راجع الى ماذا قلت الى قومه او الى الذين استضعفوا. فان قلت هل
لاختلاف المرجعين اثر في اختلاف المعنى قلت نعم وذلك ان الراجع اذا رجع الى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن استضعف منهم فدل ان استضعافهم
كان مقصورا على المؤمنين واذا رجع الى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل ان المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين. اتعلمون ان
صالحا مرسل من ربه قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة اتعلمون ان الله فوق العرش. فان قلت كيف صح قولهم انا بما ارسل به مؤمنون
جوابا عنه قلت سألوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله امرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كأنهم قالوا العلم بارساله وبما ارسل به لا كلام
فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة انا بالذي آمنتم به كافرون
فوضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما واخذوه مسلما. قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة
وعتوا عن امر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين. فعقروا الناقة اسند العقر
الى جميعهم لانه كان برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم. وعتوا عن امر ربهم وتولوا
عنه واستكبروا عن امتثاله وعاتين. وامر ربهم ما امر به على لسان صالح عليه السلم من قوله فذروها تأكل في ارض الله. او شأن ربهم وهو دينه ويجوز
ان يكون المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم كان امر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن امري. ائتنا بما تعدنا
ارادوا من العذاب وانما جاز الاطلاق لانه كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين. الرجفة الصيحة
التي زلزلت لها الارض واضطربوا لها. في دارهم في بلادهم او في مساكنهم. جاثمين هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم اي قعود لا حراك بهم ولا
ينبسون نبسة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى. وعن جابر ان رسول الله صلعم لما مر بالحجر قال لا تسألوا
الآيات فقد سألها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه
ما اصاب قومه. وروي ان صالحا كان بعثه الى قوم فخالف امره. وروي انه مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذكر
قصة ابي رغال وانه دفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن. فتولى عنهم وقال يا قوم
لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ولوطا اذ قال لقومه اتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين
انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون. فتولى عنهم الظاهر انه كان مشاهدا لما جرى عليهم وانه تولى عنهم بعدما ابصرهم
جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي ولم آل جهدا في ابلاغكم والنصيحة لكم ولكنكم
لا تحبون الناصحين ويجوز ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب. وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء
ونزل بهم العذاب يوم السبت. وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة
دار. وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم. فان قلت كيف صح خطاب الموتى وقوله ولكن لا تحبون الناصحين قلت قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت

وكان

وكان قد نصحه ولم يسمع منه حتى ألقى بنفسه في التهلكة يا اخي لم نصحتك كم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال
ماضية. ولوطا وارسلنا لوطا. واذ ظرف لارسلنا او واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه. اتأتون الفاحشة اتفعلون السيئة
المتمادية في القبح. ما سبقكم بها ما عملها قبلكم. والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلم سبقك بها
عكاشة. من احد من العالمين من الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض. فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي
جملة مستأنفة انكر عليهم اولا بقوله اتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها او على انه جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا
لم لا نأتيها فقال ما سبقكم بها احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به. انكم لتأتون الرجال بيان لقوله اتأتون الفاحشة والهمزة مثلها في
اتأتون للانكار والتعظيم وقرئ انكم على الاخبار المستأنف لتأتون الرجال من اتى المرأة اذا غشيها. شهوة مفعول له اي للاشتهاء لا حامل
لكم عليه الا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا ذم اعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمية وانه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل
ونحوه او حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين الى السماجة. بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي توجب
ارتكاب القبائح وتدعو الى اتباع الشهوات وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثم اسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى
تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد ونحوه بل انتم قوم عادون. وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه
واهله الا امرأته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد
جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين. وما كان جواب قومه
الا ان قالوا يعني ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلم من انكار الفاحشة وتعظيم امرها ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر
كله ولكنهم جاؤا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم
وقولهم انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخار بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا
وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف واريحونا من هذا المتزهد. واهله ومن يختص به من ذويه او من المؤمنين. من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم اي بقوا
فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم. وروي انها التفتت فاصابها حجر فماتت وقيل كانت المؤتفكة خمس
مداين وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم
وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم. وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع
عليه. فان قلت اي فرق بين مطر وامطر قلت يقال مطرتهم السماء وواد ممطور وفي نوابغ الكلم حرى غير ممطور حري بان يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم
اصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال امطرت عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم ارسال المطر فامطر علينا حجارة
من السماء وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة الا ترى الى قوله فساء مطر
المنذرين. كان يقال لشعيب خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين. قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة
بصحة نبوتي اوجبت عليكم الايمان بي والاخذ بما آمركم به والانتهاء عما انهاكم عنه فاوفوا. ولا تبخسوا. فان قلت ما كانت معجزته قلت

قد وقع العلم بأنه كانت له معجزة لقوله تعالى قد جاءتكم بينة من ربكم ولأنه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه وإلا لم تصح دعواه
وكان متنبئا لا نبيا غير أن معجزته لم تذكر في القرآن كما لم يذكر أكثر معجزات نبينا فيه ومن معجزات شعيب ما روي من محاربة عصا موسى التنين
حين دفع إليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده أن يكون له الدرع من أولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع
وغير ذلك من الآيات لأن هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى فكانت معجزات لشعيب **فإن قلت** كيف قيل الكيل والميزان
وهلا قيل المكيال والميزان كما في سورة هود **قلت** أريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال أو سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش
لما يعاش به أو أريد فأوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز أن يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ويقال بخسته حقه إذا
نقصته إياه ومنه قيل للمكس البخس وفي أمثالهم تحسبها حمقاء وهي باخس وقيل أشياءهم لأنهم كانوا يبخسون الناس كل شيء
في مبايعاتهم أو كانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا مكسوه كما يفعل أمراء الحرمين وروي أنهم كانوا إذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه
الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطعا ثم أخذوها بنقصان ظاهر أو أعطوه بدلها زيوفا بعد إصلاحها بعد الإصلاح فيها أي لا تفسدوا
فيها بعدما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء وأتباعهم العاملين بشرائعهم وإضافته كإضافة قوله بل مكر الليل والنهار بمعنى بل
مكركم في الليل والنهار أو بعد إصلاح أهلها على حذف المضاف ذلكم إشارة إلى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس
والإفساد في الأرض أو إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى خير لكم يعني في الإنسانية وحسن الأحدوثة وما تطلبونه
من التكسب والتربح لأن الناس أرغب في متاجرتكم إذا عرفوا منكم الأمانة والتسوية إن كنتم مؤمنين مصدقين لي في قولي ذلكم
خير لكم ولا تقعدوا بكل صراط ولا تقتدوا بالشيطان في قوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط أي بكل منهاج من
مناهج الدين والدليل على أن المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله وتوعدون وما عطف عليه النصب
على الحال أي ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله باغيها عوجا **فإن قلت** صراط الحق واحد وأن هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط **قلت** صراط الحق واحد ولكنه
يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام كثيرة مختلفة فكانوا إذا رأوا أحدا يشرع في شيء منها أوعدوه وصدوه **فإن**
قلت إلام يرجع الضمير في آمن به **قلت** إلى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع
الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح أمرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون
على الطرق والمراصد فيقولون لمن مر بهم إن شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا
يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا أي تصفونها للناس بأنها
سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها أو يكون تهكما بهم وأنهم يطلبون لها ما هو محال لأن
طريق الحق لا يعوج واذكروا إذ كنتم قليلا إذ مفعول به غير ظرف أي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا
عددكم فكثركم الله ووفر عددكم قيل إن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا

وفشوا ويجوز إذ كنتم مقلين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين أو كنتم أقلة أذلة فأعزكم بكثرة العدد والعدد عاقبة المفسدين آخر
أمر من أفسد قبلكم في الأمم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد بما أصاب المؤتفكة فاصبروا فتربصوا وانتظروا حتى
يحكم الله بيننا أي بين الفريقين بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله
فتربصوا إنا معكم متربصون أو هي موعظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من أذى المشركين إلى أن يحكم
الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز أن يكون خطابا للفريقين أي ليصبر المؤمنون على أذى الكافرين وليصبر الكفار على ما يسوءهم من إيمان
من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين لأن حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف أي ليكونن
أحد الأمرين إما إخراجكم وإما عودكم في الكفر **فإن قلت** كيف خاطبوا شعيبا بالعود في الكفر في قولهم أو لتعودن
في ملتنا وكيف أجابهم بقوله إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها والأنبياء عليهم السلام لا يجوز
عليهم من الصغائر إلا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر **قلت** لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين
آمنوا معك عطفوا على ضميره الذين دخلوا في الإيمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد
فجعلوهم عائدين جميعا إجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال إن عدنا في ملتكم بعد إذ
نجانا الله منها وهو يريد عود قومه إلا أنه نظم نفسه في جملتهم وإن كان بريئا من ذلك إجراء لكلامه على حكم التغليب
فإن قلت فما معنى قوله وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله والله تعالى متعال أن يشاء ردة المؤمنين
وعودهم في الكفر **قلت** معناه إلا أن يشاء الله خذلاننا ومنعنا الألطاف لعلمه أنها لا تنفع فينا وتكون عبثا
والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شيء علما أي هو عالم بكل شيء مما كان وما يكون فهو يعلم أحوال
عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع إلى الكفر بعد الإيمان على
الله توكلنا في أن يثبتنا على الإيمان ويوفقنا لازدياد الإيقان ويجوز أن يكون قوله إلا أن يشاء الله حسما
لطمعهم في العود لأن مشيئة الله لعودهم في الكفر محال خارج من الحكمة أولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو
للحال تقديره أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح ربنا افتح بيننا
بيننا والفتاحة الحكومة أو أظهر أمرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف بأن تنزل عليهم عذابا يتبين معه أنهم
على الباطل وأنت خير الفاتحين كقوله وهو خير الحاكمين **فإن قلت** كيف أسلوب قوله قد افترينا على الله
كذبا إن عدنا في ملتكم **قلت** هو إخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان أحدهما أن يكون كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب
كأنهم قالوا ما أكذبنا على الله إن عدنا في الكفر بعد الإسلام لأن المرتد أبلغ في الافتراء من الكافر لأن الكافر مفتر
على الله الكذب حيث يزعم أن لله ندا ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزائد عليه حيث يزعم أنه قد تبين له ما خفي عليه
من التمييز بين الحق والباطل والثاني أن يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله كذبا

وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون

الملأ الذين كفروا من قومه أي قالوا لأشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن الإيمان لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله أولئك الذين اشتروا الضلالة فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لأنه ينهاكم عنهما ويحملكم على الإيفاء والتسوية **فإن قلت** ما جواب القسم الذي وطأته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط **قلت** قوله إنكم إذا لخاسرون ساد مسد الجوابين الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بأن أهلكوا واستؤصلوا كأن لم يقيموا في دارهم لأن الذين اتبعوا شعيبا قد أنجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران دون أتباعه فإنهم الرابحون وفي هذا الاستئناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة الملأ لأشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم الأسى شدة الحزن قال العجاج وانحلبت عيناه من فرط الأسى اشتد حزنه على قومه ثم أنكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزني على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز أن يريد لقد أعذرت إليكم في الإبلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف آسى عليكم يعني أنه لا يأسى عليهم لأنهم ليسوا أحقاء بالأسى وقرأ يحيى بن وثاب فكيف إيسى بكسر الهمزة إلا أخذنا أهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أردية الكبر والعزة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر إذا كثرت ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى وقال الحطيئة بمستأسد القريان عاف نباته وقال ولكنا نعض السيف منها بأسوق عافيات الشحم كوم وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء يعني أبطرتهم النعمة وأشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات إلا أن نأخذهم بالعذاب فأخذناهم أشد الأخذ وأفظعه وهو أخذهم فجأة من غير شعور منهم اللام في القرى إشارة إلى القرى التي دل عليها قوله وما أرسلنا في قرية من نبي كأنه قال ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا آمنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل أراد المطر والنبات ولكن كذبوا فأخذناهم بسوء كسبهم ويجوز أن تكون اللام في القرى للجنس **فإن قلت** ما معنى فتح البركات عليهم **قلت** تيسيرها عليهم كما يتيسر أمر الأبواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ إذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين بياتا يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بيتا وبياتا وبيتوتة ومنه قوله أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ويكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز أن يراد أن يأتيهم بأسنا بائتين أو وقت بيات أو مبيتا أو مبيتين ويكون بمعنى تبييتا كأنه قيل أن نبيتهم بأسنا بياتا وضحى نصب على الظرف يقال أتانا ضحى وضحيا وضحاء والضحى في الأصل اسم لضوء الشمس إذا أشرقت وارتفعت والفاء والواو في أفأمن وأوأمن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الإنكار **فإن قلت** ما المعطوف عليه ولم عطفت الأولى بالفاء والثانية بالواو **قلت** المعطوف عليه قوله فأخذناهم بغتة وقوله ولو أن أهل القرى إلى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وإنما عطف بالفاء لأن المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد

أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين

ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى وقرئ أو أمن على العطف بأو وهم يلعبون يشتغلون بما لا يجدي عليهم كأنهم يلعبون **فإن قلت** فلم رجع فعطف بالفاء قوله أفأمنوا مكر الله **قلت** هو تكرير لقوله أفأمن أهل القرى ومكر الله استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل أن يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم أن ابنته قالت له ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال يا بنتاه إن أباك يخاف البيات أراد قوله أن يأتيهم بأسنا بياتا قرئ أولم يهد بالياء والنون وأن لو نشاء مرفوع بأنه فاعله بمعنى أولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم أرضهم هذا الشأن وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين كما أهلكنا الموروثين وإذا قرئ بالنون فهو منصوب كأنه قيل أولم نهد للوارثين هذا الشأن بمعنى أولم نبين لهم أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وإنما عدي فعل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين **فإن قلت** بم تعلق قوله ونطبع على قلوبهم **قلت** فيه أوجه أن يكون معطوفا على ما دل عليه معنى أولم يهد كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم أو على يرثون الأرض أو يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم **فإن قلت** هل يجوز أن يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على أصبناهم **قلت** لا يساعد عليه المعنى لأن القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والإصابة بها وهذا التفسير يؤدي إلى خلوهم عن هذه الصفة وأن الله لو شاء لاتصفوا بها تلك القرى نقص عليك من أنبائها كقوله هذا بعلي شيخا في أنه مبتدأ وخبر وحال ويجوز أن يكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وأن يكون القرى خبرا ونقص خبرا بعد خبر **فإن قلت** ما معنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا **قلت** هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم **فإن قلت** ما معنى الإخبار عن القرى بنقص عليك من أنبائها **قلت** معناه أن تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوه من آيات الله من قبل مجيء الرسل أو فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل أي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات ومعنى اللام تأكيد النفي وأن الإيمان كان منافيا لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم الضمير للناس على الإطلاق أي وما وجدنا لأكثر الناس من عهد يعني أن أكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الإيمان والتقوى وإن وجدنا وإن الشأن والحديث وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز أن يرجع الضمير إلى الأمم المذكورين وأنهم كانوا إذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن أنجيتنا لنكونن من الشاكرين ثم أنجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك إلى قوله إذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول إن المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك إلا في المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما من بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للأمم فظلموا بها فكفروا بآياتنا أجرى الظلم مجرى الكفر لأنهما من واد واحد إن الشرك لظلم عظيم أو فظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم

وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب العالمين حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معى بنى اسرائيل قال ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من الصادقين

وصدوهم عنها واذوا من امن بها ولانه اذا وجب الايمان بها فالكفر وابدال الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا اى كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق فيه اربع قراءات المشهورة وحقيق على ان لا اقول وهى قراءة نافع وحقيق ان لا اقول وهى قراءة عبد الله وحقيق بان لا اقول وهى قراءة ابى وفى المشهورة اشكال ولا تخلو من وجوه احدها ان يكون مما يقلب من الكلام لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق على ان لا اقول وهى قراءة نافع والثانى ان ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق اى لازما له والثالث ان يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجنى معنى ذكرنى فى بيت الكتاب والرابع وهو الاوجه الادخل فى نكت القرآن ان يغرق موسى عم فى وصف نفسه بالصدق فى ذلك المقام لا سيما وقد روى ان عدو الله فرعون قال له لما قال انى رسول من رب العالمين كذبت فيقول انا حقيق على قول الحق اى واجب على قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلى ناطقا به فارسل معى بنى اسرائيل فخلهم حتى يذهبوا معى راجعين الى الارض المقدسة التى هى وطنهم ومولد ابائهم وذلك ان يوسف عم لما توفى وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فانقذهم الله بموسى وكان بين اليوم الذى دخل يوسف مصر واليوم الذى دخله موسى اربعمائة عام **فان قلت** كيف قال له فات بها بعد قوله ان كنت جئت باية **قلت** معناه ان كنت جئت من عند من ارسلك باية فاتنى بها واحضرها عندى لتصح دعواك ويثبت صدقك ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك فى انه ثعبان وروى انه كان ثعبانا ذكرا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل فى الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون لياخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك وحمل الناس فانهزموا وصاحوا فمات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بنى اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصا ثم يتعلق للناظرين **قلت** يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا هى بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمع النظارة للعجائب وذلك ما يروى انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هى بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عم آدم شديد الادمة ان هذا لساحر عليم اى عالم بالسحر ماهر فيه قد اخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصا حية والادم ابيض **فان قلت** قد عزى هذا الكلام الى فرعون فى سورة الشعراء وانه قاله للملأ وعزى ههنا اليهم **قلت** قد قاله هو وقالوه هم فحكى قوله ثمة وقولهم ههنا او قاله ابتداء فتلقنه منه الملأ فقالوه لاعقابهم او قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأى فيكلم به من يليه من الخاصة ثم تبلغه الخاصة العامة والدليل عليه انهم اجابوه فى قولهم ارجه واخاه وارسل فى المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم وقرئ سحار اى ياتوك بكل ساحر مثله فى العلم والمهارة او بخير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقولهم فماذا تامرون من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم كانه قيل فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه ومعنى ارجه واخاه اى اخرهما واصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر امرهما وقيل احبسهما وقرئ ارجئه بالهمز وارجه من ارجاه وارجاه [illegible] وجاء السحرة فرعون [illegible] على

فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين

قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه وارسل فى المدائن حاشرين ياتوك بكل سحار عليم

قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هى تلقف ما يافكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين والقى السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين

[illegible] ما قالوا اذ جاءه فاجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا اى جعلا على الغلبة وقرئ ان لنا لاجرا على الاخبار واثبات الاجر العظيم وايجابه كانهم قالوا لابد لنا من اجر والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة **فان قلت** وانكم لمن المقربين ما الذى عطف عليه **قلت** هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه قال ايجابا لقولهم ان لنا لاجرا نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اراد انى لا اقتصر بكم على الثواب وحده وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لان المثاب انما يتهنأ بما يصل اليه ويغتبط به اذا نال معه الكرامة والرفعة وروى انه قال لهم تكونون اول من يدخل واخر من يخرج وروى انه دعا برؤسا السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم فقالوا قد علمنا سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وروى انهم كانوا ثمانين الفا وقيل سبعين الفا وقيل بضعة وثلثين الفا واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى الا بما هو منه يعنى السحر تخييرهم اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل اهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين قبل ان يتخاوضوا فى الجدال والمتصارعين قبل ان يتاخذوا للصراع وقولهم واما ان نكون نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم فى ان يلقوا قبله من تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر او تعريف الخبر واقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراء لشانهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التاييد السماوى وان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا سحروا اعين الناس اروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه كقوله يخيل اليه من سحرهم انها تسعى روى انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هى امثال الحيات قد ملأت الارض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم بسحر عظيم فى باب السحر روى انهم لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزيبق ما يافكون ما موصولة او مصدرية بمعنى ما يافكونه اى يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه او افكهم تسمية للمافوك بالافك روى انها لما تلقفت ملأ الوادى من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله تعالى بقدرته تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم اى فاثر فيها من قولهم قاس وقع وانقلبوا صاغرين وصاروا اذلاء مبهوتين والقى السحرة ساجدين وخروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم [illegible] شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد فى الاسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشاوا فى الكفر بذلوا انفسهم لله تعالى امنتم به على الاخبار اى فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرئ أامنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها انتم وموسى فى مصر قبل ان تخرجوا منها الى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا بنى اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة فى الايمان وروى ان موسى قال للساحر الاكبر اتؤمن بى ان غلبتك فقال لآتين بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتنى لاؤمنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال فسوف تعلمون وعيد اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن وقرئ لاقطعن بالتخفيف وكذلك ثم لاصلبنكم من خلاف من كل شق طرفا وقيل ان اول من قطع من خلاف وصلب لفرعون انا الى ربنا منقلبون فيه اوجه ان يريدوا انا لا نبالى بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب او انا جميعا نحن وانت ننقلب الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون

وقيل انهم كانوا اول النهار كفارا سحرة وفى اخره شهداء بررة

وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض
ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم
وإنا فوقهم قاهرون قال موسى لقومه استعينوا بالله
واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من
عباده والعاقبة للمتقين

منقلبون إلى الله فما تقدر أن تفعل بنا إلا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا إلا أن آمنا وما تعيب منا إلا الإيمان بآيات الله أرادوا وما تعيب منا
إلا ما هو أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب أفرغ علينا صبرا أي اصبب
لنا صبرا واسعا وأكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء إفراغا وعن بعض السلف إن أحدكم ليفرغ على أخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك
أي يغمره بالحياء والخجل أو صب علينا ما يطهرنا من أوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لأنهم علموا أنهم إذا استقاموا وصبروا
كان ذلك مطهرة لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الإسلام ويذرك عطف على ليفسدوا لأنه إذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا إلى ما دعوه فسادا
وإلى تركه وترك آلهته فكأنه تركهم لذلك أو هو جواب الاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة ألم أك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والإخاء
والنصب بإضمار أن تقديره أيكون منك ترك موسى ويكون تركه إياك وآلهتك وقرئ ويذرك وآلهتك بالرفع عطفا على أتذر بمعنى أتذره وأيذرك
أتطلق له ذلك أو يكون مستأنفا أو حالا على معنى أتذره وهو يذرك وآلهتك وقرئ بالجزم كأنه قيل يفسدوا ويذرك وآلهتك وآلهتك ألا ترى من
السلحين كأنه قيل أصدق وقرأ أنس نعم ونذرك بالنون والنصب أي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك وإلاهتك أي عبادتك
وروي أنهم قالوا له ذلك لأنه وافق السحرة على الإيمان ستمائة ألف نفس فأرادوا بالفساد في الأرض ذلك وخافوا أن يغلبوا على الملك وقيل
صنع فرعون لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تقربا إليه كما يعبد عبدة الأصنام الأصنام ويقولون ليقربونا إلى الله زلفى ولذلك قال أنا ربكم
الأعلى سنقتل أبناءهم يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الأبناء ليعلموا أنا على ما كنا عليه من القهر والغلبة وأنهم مقهورون تحت أيدينا
كما كانوا وأن غلبة موسى لا أثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة أنه هو المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا
على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم إلى اتباعه وأنه منتظر بعد قال موسى لقومه استعينوا بالله قال لهم ذلك حين قال
فرعون سنقتل أبناءهم وجزعوا منه وتضجروا يسكنهم ويسليهم ويعدهم النصر عليهم ويذكر لهم ما وعد الله بني إسرائيل من إهلاك
القبط وتوريثهم أرضهم وديارهم **فإن قلت** لم أخليت هذه الجملة عن الواو وأدخلت على التي قبلها **قلت**
هي جملة مبتدأة مستأنفة وأما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون وقوله إن الأرض لله يجوز أن
تكون اللام للعهد ويراد أرض مصر خاصة كقوله وأورثنا الأرض وأن تكون للجنس فيتناول أرض مصر لأنها من جنس الأرض كما قال
ضمرة إنما المرء بأصغريه فأراد بالمرء الجنس وغرضه أن يتناوله تناولا أوليا والعاقبة للمتقين بشارة بأن الخاتمة المحمودة للمتقين
منهم ومن القبط وأن المشيئة متناولة لهم وقرأ والعاقبة للمتقين بالنصب أبي وابن مسعود عطفا على الأرض أوذينا من قبل أن تأتينا
ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل أبنائهم قبل مولد موسى إلى أن استنبئ وإعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون ويمتهنون فيه من أنواع
الخدم والمهن ويمسون به من العذاب عسى ربكم أن يهلك عدوكم تصريح بما رمز إليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو إهلاك فرعون
واستخلافهم بعده في أرض مصر فينظر كيف تعملون فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب
ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله أنه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو
هذه الآية ثم دخل عليه بعدما استخلف فذكر ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون بالسنين بسني القحط والسنة من الأسماء الغالبة كالدابة
والنجم

والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا أسنت القوم بمعنى أقحطوا وقال ابن عباس رضه أما السنون فكانت لباديتهم وأهل
مواشيهم وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا تمرة لعلهم يذكرون فيتنبهوا
على أن ذلك لإصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله تعالى ولأن الناس في حال الشدة أضرع خدودا وألين أعطافا وأرق أفئدة وقيل
عاش فرعون أربعمائة سنة ولم ير مكروها في ثلاثمائة وعشرين سنة ولو أصابه في تلك المدة وجع أو جوع أو حمى لما ادعى الربوبية
فإذا جاءتهم الحسنة من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه أي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام
مثلها في قولك الجل للفرس وإن تصبهم سيئة من ضيقة وجدب يطيروا بموسى ومن معه يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه
بشؤمهم ولولا مكانهم لما أصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلعم هذه من عندك **فإن قلت** كيف قيل فإذا جاءتهم الحسنة
بإذا وتعريف الحسنة وإن تصبهم سيئة بإن وتنكير السيئة **قلت** لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه وأما
السيئة فلا تقع إلا في الندرة ولا يقع إلا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت أيام البلاء فهلا عددت أيام الرخاء طائرهم عند الله أي سبب خيرهم وشرهم عند
الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شؤم أحد ولا يمنه بسبب فيه كقوله قل كل من عند الله ويجوز
أن يكون معناه ألا إنما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوؤهم لأجله ويعاقبون له بعد موتهم بما
وعدهم الله في قوله النار يعرضون عليها الآية ولا طائر أشأم من هذا وقرأ الحسن إنما طيرهم عند الله وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره
التجر والركب وعند أبي الحسن هو تكسير مهما هي ما المضمنة معنى الجزاء ضمت إليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك متما تخرج أخرج
أينما تكونوا يدرككم الموت فإما نذهبن بك إلا أن الألف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري ومن الناس
من زعم أن مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء كأنه قيل كف ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين **فإن قلت**
ما محل مهما **قلت** الرفع بمعنى أيما شيء تأتنا به أو النصب بمعنى أيما شيء تحضرنا تأتنا به ومن آية تبيين لمهما والضميران في به
وبها راجعان إلى مهما إلا أن أحدهما ذكر على اللفظ والثاني أنث على المعنى لأنه في معنى الآية ونحوه قول زهير ومهما تكن عند امرئ
من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها غير
موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني أعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب فيفسر مهما
تأتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر وهذا وأمثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر
في كتاب سيبويه **فإن قلت** كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها **قلت** ما سموها آية لاعتقادهم أنها آية وإنما سموها
اعتبارا لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهي الطوفان ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل وقيل طغى الماء فوق حروثهم
وذلك أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر أحد أن يخرج من داره وقيل أرسل الله تعالى عليهم السماء
حتى كادوا يهلكون وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم فمن جلس
غرق ولم يدخل بيوت بني إسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه أرضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة أيام وعن

إلى ثلاثة الطوفان الجدري وهو أول عذاب وقع فيهم فبقي في الأرض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك
يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله فأقاموا شهرا فبعث
الله تعالى عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم أكلت كل شيء حتى الأبواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت
بني إسرائيل منها شيء ففزعوا إلى موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة أيام خرج موسى عليه السلام إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو
المشرق والمغرب فرجع الجراد إلى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فأقاموا شهرا فسلط الله تعالى عليهم القمل وهو الحمنان
في قول أبي عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس
فأكل ما أبقاه الجراد ولحس الأرض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمصه وكان يأكل أحدهم طعاما فيمتلئ قملا وكان
يخرج أحدهم عشرة أجربة إلى الرحى فلا يرد منها إلا يسيرا وعن سعيد بن جبير كان إلى جنبهم كثيب أعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا
فأخذت في أبشارهم وأشعارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا إلى موسى فرفع عنهم
فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك أبدا فأرسل الله تعالى عليهم الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلأت
منها آنيتهم وأطعمتهم فلا يكشف أحد شيئا من ثوب ولا طعام ولا شراب إلا وجد فيه الضفادع وكان الرجل إذا أراد أن يتكلم وثبت
الضفدع إلى فيه وكان تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بأنفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي
تفور فشكوا إلى موسى وقالوا ارحمنا هذه فما بقي إلا أن نتوب التوبة النصوح ولا نعود فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم
ثم نقضوا العهد فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا إلى فرعون فقال إنه سحركم فكان يجمع بين القبطي والإسرائيلي على
إناء واحد فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللإسرائيلي الماء حتى إن المرأة
القبطية تقول لجارتها الإسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون حتى أشفى على الهلاك
فكان يمص الأشجار الرطبة فإذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا أجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما وقيل سلط
الله عليهم الرعاف وروي أن موسى مكث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات وروي أنه لما
أراهم اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات قال يا رب إن عبدك هذا قد علا في الأرض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي
عظة ولمن بعدي آية فحينئذ بعث الله تعالى عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم وقرأ الحسن والقمل بفتح القاف وسكون
الميم يريد القمل المعروف آيات مفصلات نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل أنها من آيات الله التي
لا يقدر عليها غيره وأنها عبرة لهم ونقمة على كفرهم أو فصل بين بعضها وبعض بزمان لتمتحن فيه أحوالهم وينظر أيستقيمون على ما
وعدوا من أنفسهم أم ينكثون إلزاما للحجة عليهم بما عهد عندك بما عهد عندك والمعنى بحقه عندك وهو النبوة والباء إما أن تتعلق
بقوله ادع لنا ربك على وجهين أحدهما أسعفنا إلى ما نطلب إليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة أو
ادع الله لنا متوسلا إليه بعهده عندك وإما أن يكون قسما مجابا بلنؤمنن أي أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن

فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين
وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها
التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا
ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون

إلى أجل هم بالغوه إلى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الإمهال وكشف العذاب إلى حلوله
إذا هم ينكثون جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث وبادروه ولم يؤخروه ولكن لما كشف عنهم نكثوا فانتقمنا منهم فأردنا
الانتقام منهم فأغرقناهم في اليم أي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لأن المستنفعين
به يقصدونه بأنهم كذبوا بآياتنا أي كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها القوم الذين كانوا يستضعفون
هم بنو إسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه والأرض أرض مصر والشام ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف
شاؤوا في أطرافها ونواحيها الشرقية والغربية باركنا فيها بالخصب وسعة الأرزاق كلمة ربك الحسنى قوله ونريد أن نمن على الذين
استضعفوا في الأرض إلى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تأنيث الأحسن صفة للكلمة وتمت على بني إسرائيل مضت عليهم واستمرت
من قولك تم على الأمر إذا مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على أن من قابل البلاء بالجزع وكله
الله إليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا الآية
ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة أولي الصبر وقرأ عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من آيات
ربه الكبرى ما كان يصنع فرعون وقومه ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء القصور وما كانوا يعرشون من الجنات
وهو الذي أنشأ جنات معروشات أو ما كانوا يرفعون من الأبنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون بالضم
والكسر ذكر اليزيدي أن الكسر أفصح وبلغني أنه قرأ بعض الناس يغرسون من غرس الأشجار وما أحسبه إلا تصحيفا منه وهذا
آخر ما اقتص الله من نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم أتبعه اقتصاص نبأ بني إسرائيل وما أحدثوا
بعد إنقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله تعالى
جهرة وغير ذلك من أنواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الإنسان وأنه كما وصفه ظلوم كفار جهول كنود إلا من عصمه الله وقليل
من عبادي الشكور وليسلي رسول الله صلعم مما رأى من بني إسرائيل بالمدينة وروي أنه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعدما أهلك
الله تعالى فرعون وقومه فصاموه شكرا لله تعالى فأتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على أصنام لهم يواظبون على عبادتها ويلازمونها
قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم وقرئ
وجوزنا بمعنى أجزنا يقال أجاز المكان وجوزه وجاوزه بمعنى جازه كقولك أعلاه وعلاه وعالاه وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها اجعل
لنا إلها صنما نعكف عليه كما لهم آلهة أصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي رضي الله عنه أن يهوديا قال
له اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا إلها ولم تجف أقدامكم إنكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على إثر ما رأوا
من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده لأنه لا جهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع إن هؤلاء متبر ما هم
فيه مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم إناء متبر إذا كان فضاضا ويقال لكسار الذهب التبر أي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه
على يدي ويحطم أصنامهم هذه ويتركها رضاضا وباطل ما كانوا يعملون أي ما عملوا شيئا من عبادتها فيما سلف إلا وهو باطل مضمحل

قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وواعدنا موسى ثلثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين

لا ينتفعون به وإن كان في زعمهم تقربا إلى الله تعالى كما قال وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي إيقاع هؤلاء اسما وتقديم خبر المبتدإ من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الأصنام بأنهم معرضون للتبار وأنه لا يعدوهم البتة وأنه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض إليهم ما أحبوا أغير الله أبغيكم إلها أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا وهو فعل بكم ما فعل من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها أحدا غيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الإنكار والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله يسومونكم سوء العذاب يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة إذا طلبها فإن قلت ما محل يسومونكم قلت هو استيناف لا محل له ويجوز أن يكون حالا من المخاطبين أو من آل فرعون وذلكم إشارة إلى الإنجاء أو إلى العذاب والبلاء النعمة أو المحنة وقرئ يقتلون بالتخفيف وواعدنا روي أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهو بمصر إن أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما أهلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلثين يوما وهو شهر ذي القعدة فلما أتم الثلثين أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك وقيل أوحى الله إليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك وقيل أمره الله بأن يصوم ثلثين يوما وأن يعمل فيها بما يقربه من الله تعالى ثم أنزلت عليه التورية في العشر وكلم فيها ولقد أجمل ذكر الأربعين في سورة البقرة وفصلها هاهنا وميقات ربه ما وقت له من الوقت وضربه له وأربعين ليلة نصب على الحال أي تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بيان لأخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم وأصلح وكن مصلحا أو وأصلح ما يجب أن يصلح من أمور بني إسرائيل ومن دعاك منهم إلى الإفساد فلا تتبعه ولا تطعه لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا ومعنى اللام الاختصاص فكأنه قيل واختص مجيئه بميقاتنا كما تقول أتيته لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه أن يخلق الكلام منطوقا به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح وروي أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كلمه أربعين يوما وأربعين ليلة وكتب له الألواح وقيل إنما كلمه في أول الأربعين أرني أنظر إليك ثاني مفعولي أرني محذوف أي أرني نفسك أنظر إليك فإن قلت الرؤية عين النظر فكيف قيل أرني أنظر إليك قلت معنى أرني نفسك اجعلني متمكنا من رؤيتك بأن تتجلى لي فأنظر إليك وأراك فإن قلت فكيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر إلي لقوله أنظر إليك قلت لما قال أرني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الإدراك علم أن الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر إلي فإن قلت كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من أعلم الناس بالله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز عليه وبتعاليه عن الرؤية التي هي إدراك ببعض الحواس وذلك إنما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال أن يكون في جهة ومنع المجبرة إحالته في العقول غير لازم لأنه ليس بأول مكابرتهم وارتكابهم فكيف يكون طالبه وقد قال حين أخذت الرجفة الذين قالوا أرنا الله جهرة أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إلى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأراد أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب أرني أنظر إليك فإن قلت فهلا قال أرهم ينظروا إليك قلت لأن الله سبحانه إنما كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة أرادوا أن يري موسى ذاته فيبصروه معه كما أسمعه كلامه فسمعوه معه إرادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى أرني أنظر إليك ولأنه إذا زجر عما طلب وأنكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله تعالى وقيل له لن يكون ذلك كان غيره أولى بالإنكار ولأن الرسول إمام أمته فكان ما يخاطب به أو ما يخاطب راجعا إليهم وقوله أنظر إليك وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على أنه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل أن يجعل الله منظورا إليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو أعرق في معرفة الله تعالى من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وأبي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين فإن قلت ما معنى لن قلت تأكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك أن لا تنفي المستقبل تقول لا أفعل غدا فإذا أكدت نفيها قلت لن أفعل غدا والمعنى أن فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الأبصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تأكيد وبيان لأن المنفي مناف لصفاته فإن قلت كيف اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر إلى الجبل بما قبله قلت اتصل به على معنى أن النظر إلي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو أن تنظر إلى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لأجلهم كيف أفعل به وكيف أجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره كأنه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد إليه في قوله وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا فإن استقر مكانه كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته فسوف تراني تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالأرض وهذا كلام مدمج بعضه في بعض وارد على أسلوب عجيب ونمط بديع ألا ترى كيف تخلص من النظر إلى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بني الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية أعني قوله فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له أمره وإرادته جعله دكا أي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الأمير والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة من الأرض كالدكة أو أرضا دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء أي مدها مستوية وقرأ يحيى بن وثاب دكا أي قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا من هول ما رأى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق وأصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه إذا ضربه على رأسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروي أن الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة فلما أفاق من صعقته قال سبحانك أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت إليك من طلب الرؤية وأنا أول المؤمنين بأنك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس فإن قلت فإن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب قلت من إجرائه تلك المقالة العظيمة وإن كان لغرض صحيح على لسانه من غير إذن فيه من الله تعالى فانظر إلى إعظام الله أمر الرؤية في هذه الآية وكيف أرجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف أصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك

ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين

مبالغة في اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجئا اليه وتاب من اجل تلك الكلمة على لسانه وقال انا اول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين
بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم
والقول ما قال بعض العدلية فيهم لجماعة سموا هواهم سنة * وجماعة حمر لعمري موكفه قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى
فتستروا بالبلكفة وتفسير آخر وهو ان يريد بقوله ارني انظر اليك عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا كانها اراءة في جلائها باية مثل
آيات القيامة التي تضطر الخلق الى معرفتك انظر اليك اعرفك معرفة اضطرار كاني انظر اليك كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون
القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كابصاركم القمر اذا امتلأ واستوى قال لن تراني اي لن تطيق معرفتي على هذه
الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة ولكن انظر الى الجبل فاني اورد عليه واظهر له آية من تلك الآيات فان ثبت لتجليها
واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تراني تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا
وخر موسى صعقا لعظم ما رأى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك مما اقترحت وتجاسرت وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك وان شيئا
لا يقوم لبطشك وبأسك * اصطفيتك على الناس اخترتك على اهل زمانك وآثرتك عليهم برسالاتي وهي اسفار التوراة وبكلامي وبتكليمي
اياك فخذ ما آتيتك ما اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي من اجل النعم وقيل خر موسى صعقا
يوم عرفة واعطي التوراة يوم النحر فان قلت كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هرون مصطفى مثله ونبيا قلت
اجل ولكنه كان تابعا له وردءا ووزيرا والكليم هو موسى والاصيل في حمل الرسالة * ذكر ان عدد الالواح في حجرهما وطولها
انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبريل وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء
وقيل امر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها
التوراة وان طولها كان عشرة اذرع وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان
بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة
لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا
تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز ان يكون
بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والضمير في فخذها للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالات او للتوراة ومعنى بقوة بجد وعزيمة
فعل اولي العزم من الرسل يأخذوا باحسنها اي فيها ما هو حسن واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يحملوا على انفسهم
في الاخذ بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم وقيل يأخذوا بما هو واجب او ندب لانه احسن من
المباح ويجوز ان يراد يأخذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف احر من الشتاء ساريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون
وقومه وهي مصر كيف اقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون
الذين اهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها في اسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرأ الحسن سأوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال اورني

قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين

كذا واورثته وتوجيهه ان يكون من اورثت الزند كان المعنى بينه لي وانره لاستبينه وقرئ سأورثكم وهي قراءة حسنة يصححها
قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون * ساصرف عن آياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا
يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلعم اذا عظمت امتي الدنيا
نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا
كما اجتهد فرعون ان يبطل آية موسى بان جمع لها السحرة فأبى الله الا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز سأصرفهم عنها وعن الطعن
فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا باهلاكهم ومنه انذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا
يكونوا امثالهم فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه وجهان ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده وان يكون
صلة لفعل التكبر اي يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده وان يكون صلة لفعل التكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه
من دينهم وان يروا كل آية من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وقرأ مالك بن دينار وان يروا بضم الياء وقرئ سبيل الرشد والرشد
والرشاد كقولهم السقم والسقم والسقام وما اسفه من ركب المفازة فان رأى طريقا مستقيما اعرض عنه وتركه وان رأى معتسفا مرديا
اخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك في دينه اسفه ذلك في محل الرفع او النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم او صرفهم الله ذلك
الصرف بسببه * ولقاء الآخرة يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول به اي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم احوالها ومن اضافة
المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الآخرة * من بعده من بعد فراقه اياهم الى الطور فان قلت لم قيل واتخذ قوم موسى
عجلا والمتخذ هو السامري قلت فيه وجهان احدهما ان ينسب الفعل اليهم لان رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم
قالوا كذا وفعلوا والقائل والفاعل واحد ولانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكانهم اجمعوا عليه والثاني ان يراد واتخذوه الها
وعبدوه وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد جمع حلي كثدي وثدي ومن حليهم بالكسر للاتباع كدلي ومن حليهم على التوحيد والحلي
اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة فان قلت لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم وانما كانت عواري في ايديهم قلت
الاضافة تكون بادنى ملابسة على انهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من املاكهم الا ترى الى قوله عز من قائل فاخرجناهم من جنات
وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل جسدا بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد والخوار صوت البقر قال الحسن ان السامري
قبض قبضة من تراب من اثر فرس جبريل يوم قطع البحر فقذفه في في العجل فكان عجلا له خوار وقرئ على رفع جؤار بالجيم والهمز من
جأر اذا صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه
على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبل الحق ومناهجه بما ركز في العقول
من الادلة وبما انزل في كتبه ثم ابتدأ فقال اتخذوه اي اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر وكانوا ظالمين واضعين كل شيء
في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم * ولما سقط في ايديهم ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان
من شان من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند الى في ايديهم وهو من باب

ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين

والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين

الكناية وقرا ابو السميفع سقط في ايديهم على تسمية الفاعل اي وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في
قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وان كان محالا ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد
ويرى بالعين ورأوا انهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم تبينا كانهم ابصروه بعيونهم وقرئ لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالتاء وربنا
بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال ادم وحوا عليهما السلام وان لم تغفر لنا وترحمنا ⁘ الاسف الشديد الغضب فلما اسفونا انتقمنا
منهم وقيل هو الحزين خلفتموني قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل من السامري واشياعه
او لوجوه بني اسرائيل وهم هرون عليه السلام والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل
مكان عبادة الله او حيث لم تكفوا من عبد غير الله فان قلت اين ما تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل
مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم فان قلت اي معنى لقوله
من بعدي بعد قوله خلفتموني قلت معناه من بعد ما رايتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من بعد
ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة ومن حق
الخلفاء ان يسيروا سيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم خلف اي من بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة
يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى
اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ اخره ولم ارجع اليكم فحدثتم
انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وروي ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم واله موسى ان موسى
لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا والقى الالواح وطرحها لما
لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان
هرون الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وروي ان التوراة كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت
فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة واخذ براس اخيه اي بشعر راسه
يجره اليه بذوابته وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا باخيه انه فرط في الكف ابن ام قرئ
بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الاضافة وابن امي بالياء وابن ام بكسر الهمزة والميم وقيل كان اخاه لابيه وامه فان صح
فانما اضافه الى الام اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة فاعتد
بنسبها ولانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها ان القوم استضعفوني يعني انه لم يال جهدا في كفهم بالوعظ والانذار
وبما بلغته طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق الا ان يقتلوه فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما هو
امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي وقرئ فلا تشمت بي الاعداء على نهي الاعداء عن الشماتة والمراد ان لا يحل به ما يشمتون به
لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا او ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي

منهم

منهم ومن ظلمهم ⁘ لما اعتذر اليه اخوه وذكر له شماتة الاعداء قال رب اغفر لي ولاخي ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه
عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه الى اخيه ولاخيه ان عسى فرط في حين الخلافة وطلب ان لا يتفرقا
عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والاخرة ⁘ غضب من ربهم وذلة الغضب ما امروا به من قتل انفسهم والذلة خروجهم
من ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال ابناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلة
بضرب الجزية المفترين المكذبين على الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى ونحوه لن يتعلق في الحيوة الدنيا
بالذلة وغضب سينالهم غضب في الاخرة وذلة في الحيوة الدنيا كقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من
الله ⁘ والذين عملوا السيات من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا ثم رجعوا من بعدها الى الله واعتذروا اليه وامنوا واخلصوا الايمان ان
ربك من بعدها من بعد تلك العظائم لغفور لستور عليهم محاء لما كان منهم رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذوا
العجل ومن عداهم عظم جنايتهم اولا ثم اردفها بعظم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اعظم واجل
ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والانابة وما وراءه طمع فارغ واشعبية باردة لا يلتفت اليها ⁘ ولما سكت عن
موسى الغضب هذا مثل كان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح وجر براس اخيك اليك فترك النطق
بذلك وقطع الاغراء ولم تستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة
والا فما لقراءة معوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ ولما
سكت واسكت اي اسكته الله تعالى او اخوه باعتذاره اليه وتنصله والمعنى ولما طفئ غضبه اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما
نسخ منها اي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة لربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول لان تاخر الفعل عن مفعوله
يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت ⁘ واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقوله
ومنا الذي اختير الرجال سماحة قيل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تتاموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم
رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله تعالى اليه ان
يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبا
فامرهم موسى ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سينا لميقات ربه وكان امره ربه ان ياتيه في سبعين من
بني اسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه فقال للقوم ادنوا فدنوا حتى
اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل فلما انكشف الغمام اقبلوا اليه فطلبوا الرؤية
فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب ارني انظر اليك يريد ان يسمعوا الرد والانكار
من جهته فاجيب بلن تراني ورجف بهم الجبل فصعقوا ولما كانت الرجفة قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وهذا تمن
منه للاهلاك قبل ان يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم على الامر اذا راى سوء المغبة لو شاء الله لاهلكني قبل هذا اتهلكنا

واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة انا هدنا اليك قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون

بما فعل السفهاء منا بمعنى اتهلكنا جميعا بمعنى نفسه واياهم لانه انما طلب الروية زجرا للسفهاء وهم طلبوها سفها وجهلا ان هي الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الروية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك اضلالا وهدى من الله لان محنته لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام انت ولينا مولانا القائم بامورنا واكتب لنا واثبت لنا واقسم في هذه الدنيا حسنة عافية وحيوة طيبة وتوفيقا في الطاعة وفي الاخرة الجنة هدنا اليك تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب واليهود جمع هايد وهو التايب ولبعضهم يا راكب الذنب هد هد واسجد كانك هدهد يروى نحو الشعدي هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه واماله ويحتمل امرين ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى حركنا اليك انفسنا وامِلنا بها وحركنا اليك وامِلنا على تقدير فعلنا لقولك عذت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة ويجوز عدت بالاشمام وعدت باخلاص الضمة فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة ان يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده عذابي من حاله وصفته اي اصيب به من اشاء اي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة واما رحمتي فمن حالها وصفتها انها واسعة تبلغ كل شي ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمتي وقرأ الحسن من اساء من الاساءة فساكتب هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني اسرايل للذين يكونون في اخر الزمان من امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم بجميع كتبنا واياتنا يؤمنون لا يكفرون بشي منها الذين يتبعون الرسول الذي نوحي اليه كتابا مختصا به وهو القران النبي صاحب المعجزات الذي يجدونه يجد نعته اولئك الذين يتبعونه من بني اسرايل مكتوبا عندهم في التورية والانجيل ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها او ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبايح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به او ما خبث في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الانفس في صحة توبتهم وكذلك الاغلال مثل لما كان في شرايعهم من الاشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان او خطا من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطية وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنايم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو اسرايل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم على الجمع وعزروه ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح الا ترى الى تسميته الحد والحد هو المنع والنور القران فان قلت ما معنى قوله انزل معه وانما انزل مع جبريل قلت معناه انزل مع نبوته لان استنباءه كان مصحوبا بالقران مشفوعا به ويجوز ان يعلق باتبعوا اي واتبعوا القران المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او واتبعوا القران كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه فان قلت كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه قلت لما دعا لنفسه ولبني اسرايل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرايل

الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون

217

قوله يا راكب الذنب هد هد الطاير المشهور وقيل ان سليمان عليه السلام سفره وكان يعد الهدهد في المفازة التي لا يكون فيها ماء كان يضع الهدهد منقاره على الارض فان وضع مرة فاذا احتفر ذراع واحد يظهر الماء وان وضع مرتين فاذا احتفر ذراعين وان وضعه مرارا يظهر اذا احتفر بقدره اذرع فكان الزجاجة وضع منقاره مرتين يظهر الماء اذا احتفر ذراعين ... قوله لا بصير باتعه عن ادراك ما وراءها كذلك لا بصير الارض بالنقد للهدهد عن ادراك ما وراءها قوله من حاله وصفته قوله كتبة خاصة منكم يا بني اسرايل ساكتبت رحمتي لا تحجب خاصة اذا كانوا من بني اسرايل بمعنى ان الرحمة لا يكون الا لامة محمد صلعم اولى بذلك او نقول المعنى نخصها منكم يا بني اسرايل الذين يكونون ومن نبي اتبع لمحمد صلعم دون من لم يؤمن به وقوله انه مجرور يكونون وقوله منكم حال عن الذين يكونون ومن في منكم للتبعيض قوله لا يكفرون بشي منها قال الاستاد ... فايدة حصلت من عدم الجار في قوله تعم

على استجازتهم الرؤية على الله تعالى وعلى كفرهم بآيات الله العظام التي أجراها على يد موسى وعرّض بذلك قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون
وأريد أن يكون استماع أوصاف أعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلعم وما جابه لعبد الله بن سلام وغيره من أهل الكتابين لطفا بهم
وترغيبا في إخلاص الإيمان والعمل الصالح وفي أن يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين أعقابهم عن رحمة الله التي وسعت كل شيء
إني رسول الله إليكم قيل بعث كل رسول إلى قومه خاصة وبعث محمد صلعم إلى كافة الإنس والجن جميعا نصب على الحال من إليكم
فإن قلت الذي له ملك السموات والأرض ما محله قلت الأحسن أن يكون منتصبا بإضمار أعني وهو الذي يسمى النصب
على المدح ويجوز أن يكون جرا على الوصف وإن حيل بين الصفة والموصوف بقوله إليكم جميعا وقوله لا إله إلا هو بدل من الصلة التي
هي له ملك السموات والأرض وكذلك يحيي ويميت وفي بيان لاختصاصه بالإلهية لأنه لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره وكلماته وما
أنزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الإفراد وهي القرآن أو أراد جنس ما كلم به وعن مجاهد
أراد عيسى بن مريم وقيل هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وإنما قيل إن عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم
لأنه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى لعلكم تهتدون إرادة أن تهتدوا فإن قلت هلا قيل فآمنوا بالله
وبي بعد قوله إني رسول الله إليكم قلت عدل عن المضمر إلى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه
ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم أن الذي وجب الإيمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي
الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيري إظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه ومن قوم موسى
أمة هم المؤمنون التائبون من بني إسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى أقدموا على العظيمتين عبادة العجل
واستجازة رؤية الله تعالى ذكر أن منهم أمة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم
وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون أو أراد الذين وصفهم ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به من أعقابهم وقيل إن
بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله تعالى أن يفرق بينهم وبين
إخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الأرض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون
قبلتنا وذكر عن النبي عليه السلام أن جبريل ذهب به ليلة الإسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال
هذا محمد النبي الأمي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله إن موسى أوصانا من أدرك منكم أحمد فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد على موسى
عليهما السلام السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزلت فريضة غير الصلوة والزكوة وأمرهم أن يقيموا مكانهم
وكانوا يسبتون فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت وعن مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل إني منهم فقال عبد الله يعني لمن
كان في مجلسه من المؤمنين وهل يزيد صالحكم عليهم شيئا من يهدي بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين
بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير وإلا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم إلى كل
أفق وتغلغل في كل نفق فلم يبق الله أهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الأرض ومغاربها إلا وقد ألقاه إليهم

وملاءٌ به مسامعهم والزمهم به الحجة وهو سايلهم عنه يوم القيامة • وقطعناهم وصيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من بعض
لقلة الالفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف اثنتي عشرة اسباطا كقولك اثنتي عشرة قبيلة والاسباط اولاد الولد جمع سبط وكانوا
اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام فان قلت مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا
قيل اثني عشر سبطا قلت لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع
اسباطا موضع قبيلة ونظيره قوله بين رماحي مالك ونهشل • وامما بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة
عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين فانبجست فانفجرت
والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج وكيف غربي دالج تبجسا فان قلت فهلا قيل فضرب فانبجست قلت
لعدم الالباس وليجعل الانبجاس مسببا عن الايحاء بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك
عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به وقوله كل اناس نظير قوله اثنتي عشرة اسباطا يريد كل امة من تلك الامم الاثنتي عشرة اسباطا
والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء وتوام واخوات لها ويجوز ان يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما
ابدلت في نحو سكارى وغيارى من الفتحة وظللنا عليهم الغمام وجعلناه ظليلا عليهم في التيه وكلوا على ارادة القول وما ظلمونا
وما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا يضرون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم • واذ قيل لهم واذكر اذ قيل لهم والقرية
بيت المقدس فان قلت كيف اختلفت العبارة ههنا وفي سورة البقرة قلت لا بأس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض
ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية فكلوا منها وبين قوله وكلوا لانهم اذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للاكل منها فقد جمعوا في
الوجود بين سكناها والاكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض
اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب على
تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وارسلنا وانزلنا ويظلمون ويفسقون
من واد واحد وقرئ نغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطيئاتكم وخطيئتكم على البناء للمفعول • وسئلهم وسل اليهود وقررهم
واسئلهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم حدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم
الا بكتاب او وحي فاذا اعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم انه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك
اعدوتم في السبت والقرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن ابي عمرو بن العلاء ما رأيت قرويين
افصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من اهل المدن حاضرة البحر قريبة منه راكبة لشاطئه اذ يعدون في السبت اذ يتجاوزون
حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدون بمعنى يعتدون ادغمت التاء في الدال ونقلت حركتها
الى العين ويعدون من الاعداد وكانوا يعدون الات الصيد يوم السبت وهم مأمورون بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت
مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله يوم سبتهم

معناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله تعالى ويوم لا يسبتون وقراءة عمر بن عبد العزيز يوم اسباتهم وقرئ لا يسبتون بضم
الياء وقراءة علي بن ابي طالب رضه يوم لا يسبتون بضم الياء من اسبتوا وعن الحسن لا يسبتون على البناء للمفعول اي لا يدار عليهم السبت
ولا يؤمرون بان يسبتوا فان قلت اذ يعدون واذ تأتيهم ما محلهما من الاعراب قلت اما الاول فمجرور بدل من القرية
والمراد بالقرية اهلها كأنه قيل وسئلهم عن اهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا بكانت
او بحاضرة واما الثاني فمنصوب بيعدون ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك واكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة
شرعا ظاهرة على وجه الماء وعن الحسن تشرع على ابوابهم كأنها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف علينا
وشرعت على فلان في بيته فرأيته يفعل كذا كذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم • واذ قالت معطوف على
اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب امة منهم جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم
حتى ايسوا من قبولهم لاخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم ومطهر الارض منهم او معذبهم
عذابا شديدا لتماديهم في الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا ابلاء عذر الى الله
ولئلا ننسب في النهي عن المنكر الى بعض التفريط ولعلهم يتقون ولطمعنا في ان يتقوا بعض الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب اي
وعظناهم معذرة الى ربكم او اعتذرنا معذرة • فلما نسوا يعني اهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه
انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الظالمين الراكبين للمنكر فان قلت الامة الذين قالوا لم تعظون من اي الفريقين
هم أمن فريق الناجين ام المعذبين قلت من فريق الناجين لانهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا الا سائلين عن
علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي حال المنهي وان النهي لا يؤثر فيه
سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين
المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتلهي بك واما الاخرون فانما لم يعرضوا عنهم
اما لان يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس الاولين ولم يخبروهم كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم في امرهم كما وصف الله رسوله
في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون ان الله مهلكهم
او معذبهم وعن ابن عباس رضهما انه قال ليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك
الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا وعن الحسن
رحمه الله نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا الحيتان وروي ان اليهود لعنهم الله امروا باليوم الذي امرنا به وهو
يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا
بيضا سمانا كأنها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم
انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتأخذونها يوم

الأحد وأخذ رجل منهم حوتاً وربط في ذنبه خيطاً إلى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الأحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع
في تنوره فقال له إني أرى الله سيعذبك فلما لم يره عذب أخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا أن العذاب لا يعاجلهم صادوا وأكلوا
وملحوا وباعوا وكانوا نحواً من سبعين ألفاً فصار أهل القرية أثلاثاً ثلث نهوا وكانوا نحواً من اثني عشر ألفاً وثلث قالوا لم تعظون
قوماً وثلث هم أصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون إنا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم
داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا إن للناس شأناً فعلوا الجدار فنظروا فإذا هم قردة
ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود أنسباءها من الإنس والإنس لا يعرفون أنسباءهم من القرود فجعل القرد يأتي
نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول ألم ننهكم فيقول برأسه بلى وقيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن أكلوا والله أوخم أكلة
أكلها أهلها أثقلها خزياً في الدنيا وأطولها عذاباً في الآخرة هاه وأيم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن
الله جعل موعداً والساعة أدهى وأمر بعذاب بئيس شديد يقال بؤس يبؤس بأساً إذا اشتد فهو بئيس وقرئ بئس بوزن حذر وبئس على
تخفيف العين ونقل حركتها إلى الفاء كما يقال كبد في كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيئس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها
وبيّس على وزن ريّس على قلب همزة بيئس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيّس كهين في هيّن وبائس على فاعل فلما عتوا
عما نهوا عنه فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن أمر ربهم قلنا لهم كونوا قردة عبارة عن مسخهم قردة كقوله إنما أمره
إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون والمعنى أن الله تعالى عذبهم أولاً بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله
فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ وإذ تأذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الإيذان وهو الإعلام لأن العازم على الأمر يحدث به نفسه
ويؤذن بها بفعله وأجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن والمعنى وإذ حتم
ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية إلى المجوس إلى أن بعث
الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله
بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد وقطعناهم في الأرض أمماً وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون
الذين آمنوا منهم بالمدينة أو الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة
فإن قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه
وما منا إلا له مقام معلوم بمعنى وما منا أحد إلا له مقام وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فينيبون فخلف
من بعدهم من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلعم ورثوا الكتاب التوراة بقيت في أيديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما
فيها من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها يأخذون عرض هذا الأدنى أي حطام هذا الشيء الأدنى يريد الدنيا وما يتمتع
به منها وفي قوله هذا الأدنى تخسيس وتحقير والأدنى إما من الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل قريب وإما من دنو الحال وسقوطها وقلتها
والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشى في الأحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما أخذنا والفاعل سيغفر

الجار والمجرور وهو لنا ويجوز أن يكون الأخذ الذي هو مصدر يأخذون وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه الواو للحال أي يرجون المغفرة
وهم مصرون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح إلا بالتوبة والمصر لا غفران له ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني
قوله في التوراة من ارتكب ذنباً عظيماً فإنه لا يغفر له إلا بالتوبة ودرسوا ما فيه في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه
المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار رحمه الله يأتي على الناس زمان إن قصروا عما أمروا به قالوا سيغفر
لنا لأنا لم نشرك بالله شيئاً كل أمرهم إلى الطمع خيارهم فيه المداهنة فهؤلاء من هذه الأمة أشباه الذين ذكرهم الله تعالى وتلا الآية
والدار الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى ومحارم الله وقرئ ورثوا الكتاب ولا تقولوا بالتاء وادّارسوا
بمعنى تدارسوا وأفلا يعقلون بالتاء والياء فإن قلت ما موقع قوله أن لا يقولوا على الله إلا الحق قلت هو عطف
بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وفيه أن إثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق
الكتاب وافتراء على الله تعالى وتقول عليه بما ليس بحق وإن فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان أن لا يقولوا مفعولاً له ومعناه
لئلا يقولوا ويجوز أن تكون أن مفسرة ولا تقولوا نهياً كأنه قيل ألم يقل لهم لا تقولوا على الله إلا الحق فإن قلت علام عطف
قوله ودرسوا ما فيه قلت على ألم يؤخذ عليهم لأنه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه والذين يمسكون
بالكتاب فيه وجهان أحدهما أن يكون مرفوعاً بالابتداء وخبره إنا لا نضيع أجر المصلحين والمعنى إنا لا نضيع أجرهم لأن المصلحين
في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً والثاني أن يكون مجروراً عطفاً
على للذين يتقون ويكون قوله إنا لا نضيع اعتراضاً وقرئ يمسّكون بالتشديد وتنصره قراءة أبي والذين مسّكوا بالكتاب فإن
قلت التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها إقامة الصلاة فكيف أفردت قلت إظهاراً لمزية الصلاة
لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والإيمان وقرأ ابن مسعود والذين استمسكوا بالكتاب وإذ نتقنا الجبل فوقهم قلعناه
ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء إذا نفضه ليقتلع الزبدة منه والظلة كل ما أظلك من سقيفة أو
سحاب وقرئ بالطاء من أطل عليه إذا أشرف وظنوا أنه واقع بهم وعلموا أنه ساقط عليهم وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام
التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله تعالى الطور على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخاً في فرسخ وقيل لهم إن قبلتموها بما فيها
وإلا ليقعن عليكم فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل منهم ساجداً على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقاً من
سقوطه فلذلك لا ترى يهودياً يسجد إلا على حاجبه الأيسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى
الألواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز فلذلك لا ترى يهودياً تقرأ عليه التوراة إلا اهتز وأنغض لها
رأسه خذوا ما آتيناكم على إرادة القول أي وقلنا خذوا ما آتيناكم أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال
مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الأوامر والنواهي ولا تنسوه أو واذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه ويجوز
أن يراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة إن كنتم تطيقونه كقوله إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا

قوله لان نصب لهم الادلة علة لانه من العلل اي فعلنا ذلك كراهة ان يعتذروا بالغفلة والتقليد لان نصب لهم الادلة الاخرة ويجوز ان يكون تعليلا
للثاني كانه قيل فعلنا نصب الادلة كراهة ان تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل لانه قايم معهم لا يبقى لهم عذر لهم

واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة والانذار لعلكم تتقون ما انتم عليه وقرئ ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذكروا بمعنى وتذكروا . من ظهورهم بدل من بني ادم بدل البعض من الكل ومعنى اخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من اصلابهم نسلا بعد نسل واشهادهم على انفسهم وقوله الست بربكم قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكأنه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال لهم الست بربكم وكأنهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله عز وجل انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقوله فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله اذ قالت الانساع للبطن الحق . قالت له ريح الصبا قرقار ومعلوم انه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى ان تقولوا مفعول له اي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه او كراهة ان تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالاباء كما لا عذر لابائهم في الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم فان قلت بنو ادم وذرياتهم من هم قلت عنى ببني ادم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلعم من اخلافهم المقتدين بابائهم والدليل على انها في المشركين واولادهم قوله او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل والدليل على انها في اليهود الايات التي عطفت عليها هي والتي عطفت عليها هي على نمطها واسلوبها وذلك قوله وسئلهم عن القرية واذ قالت امة منهم واذ تاذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا . افتهلكنا بما فعل المبطلون اي كانوا السبب في شركنا لتاسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الايات لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا عن شركهم نفصلها وقرئ ذرياتهم على التوحيد وان تقولوا بالياء . واتل عليهم على اليهود نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها هو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الايات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره فاتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وادركه وصار قرينا له او فاتبعه خطواته وقرئ فاتبعه بمعنى فتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين الكافرين روي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى ومن معه فابى وقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل . ولو شئنا لرفعناه بها لعظمناه ورفعناه الى منازل الابرار من العلماء بتلك الايات ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا ورغب فيها وقيل مال الى السفالة فان قلت كيف علق رفعه بمشية الله ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى ولو لزم العمل بالايات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشية الله رفعه تابعة للزومه الايات فذكرت المشية والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشية باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ . فمثله كمثل الكلب

واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين

او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون

قوله وباب التمثيل واسع اعلم انه اورد اربعة امثلة في التمثيل الاول والثاني لا قول ولا فعل الا مجرد تعلق الارادة وفي المثال الثالث وهو قوله اذ قالت الانساع للبطن الحق لعدم قول لكن لما كان النسع سببا لانضمام البطن صار النسع كانها تقول للبطن الحق عند انضمامه وفي المثال الرابع وهو قوله قالت له ريح الصبا قرقار لعدم قول لكن لما كانت الريح سببا للسحاب لانها تثيره صار كانها قالت له قرقر بالرعد اي صوت

ولو شئنا لرفعناه

قال القاضي انما علق رفعه بمشية الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشية وان ما نشاهده من الاسباب وسايط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشية تعلقت به وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرضنا عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ان ما حمله عليه هو هواه وان حب الدنيا رأس كل خطيئة هذا تمام كلام القاضي والمختصر لقوله ولو شئنا لرفعناه بها مجرى على ظاهره وقوله ولكنه اخلد الى الارض محمول على التاويل عكس ما فعل المصنف ثم الراجح علينا ان نبين وجه الوقف من غير تعصب فنقول وبالله التوفيق مراده من كلامه انه تعالى لما قال الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها يعني نحن فعلنا ايتاء الايات فعقبها هو بفعل الانسلاخ فيريد انه مستقل في ايجاد الفعل فقال دفعا لذلك التوهم لو شئنا ان نرفعه بالايات الى المراتب العلية لما يحصل منه الانسلاخ اذن لكن تعلقت مشيتنا بمحافظة انه الى الارض فحصل منه الانسلاخ فوضع موضعه

لسانه ابدا من غير حاجة والامر كذلك في طبيعة الخسيسة والعائد الى الكلب اللاهث لا تزال ابدا فكذلك الانسان الحريص لا تزال حريصا ابدا ٥ كبير

اي صفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في اخس احواله واذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه اي شد عليه وهيج فطرد او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا وكان حق الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في اخس احواله واذلها في معنى ذلك عن ابن عباس رضي الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته فسعى لهث وان تركته على حاله لهث فان قلت ما محل الجملة الشرطية قلت النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا من اليهود بعدما قرأوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية وذكر القران المعجز ما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون انك علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم ساء مثلا القوم اي مثل القوم او ساء اصحاب مثل القوم وقرى الجحدري ساء مثل القوم وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بايات الله تعالى وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها فهو المهتدي حمل على اللفظ واولئك هم الخاسرون حمل على المعنى ∴ كثيرا من الجن والانس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف لهم وجعلهم في انهم لا يلقون اذهانهم الى معرفة الحق ولا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله تعالى نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من ايات الله سماع تدبر كانهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واسماع الاذان وجعلهم لاغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه وانه لا ياتي منهم الا افعال اهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الى خالد بن الوليد بلغني ان اهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر وانى لاظنكم ال المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الامور ما خلق فلان الا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما اقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلعم مع علمهم انه النبي الموعود وانهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الايمان يتاتى منهم كانهم خلقوا للنار اولئك كالانعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر بل هم اضل من الانعام عن الفقه والاعتبار والتدبر اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة وقيل الانعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار ∴ ولله الاسماء الحسنى التي هي احسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي او ان يابوا تسميته ببعض اسمائه

قوله ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها يدل على أن الإنسان لا يدعو ربه إلا بتلك الأسماء وصف الدعوة لا يأتي إلا إذا عرف
معاني تلك الأسماء وعرف بالدليل أن لإلهه وربه إلها موصوفا بتلك الصفات الشريفة المقدسة فإذا عرف
بالدليل فيحسن منه أن يدعوه بتلك الأسماء والصفات وأحسن ما في الأذكار أن يكون مستحضرا لأمرين أحدهما عزة
الربوبية والثانية ذلة العبودية فإذا لم يكن كذلك كان الدعاء قليل الفائدة وأنا أذكر لهذا المعنى مثالا
فإن من أراد أن يقول في تحرم صلاته الله أكبر فإنه يجب أن يستحضر في قلبه جميع ما أمكنه من معرفة آثار حكمة الله في خلق نفسه
وبدنه وقواه العقلية والحسية ثم ينتقل إلى خلق جميع المخلوقات على تفاوت درجاتها ومراتبها فإذا ... فيقول
الله أكبر ويشير بقوله الله أكبر إلى الموجود الذي خلق هذه الأشياء ... بقوله أكبر إلى أنه لا نسبة له إلى هذه الأشياء

الحسنى نحو أن يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمان وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ويجوز
أن يراد ولله الأوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير والإحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في أوصافه
فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل إلحادهم في أسمائه تسميتهم الأصنام
آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ... ولقد ذرأنا لجهنم فالمخبر أن لكثير من الثقلين عاملون بأعمال أهل النار
لا بعد ... وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا قرأها هذه لكم وقد أعطي القوم بين
أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وعنه عليه السلام إن من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من
أهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة إلى الدين ∴ الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة
قال الأعشى فلو كنت في جب ثمانين قامة ورقيت أسباب السماء بسلم ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم أني عنكم غير مفحم ومنه
درج الصبي إذا قارب بين خطاه وأدرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم مات بعضهم في إثر بعض ومعنى سنستدرجهم
سنستدنيهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم
في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين أن مواترة النعم
أثرة من الله وتقريب وإنما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله نعوذ بالله منه وأملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل
في حكم السين إن كيدي متين سماه كيدا لأنه شبيه بالكيد من حيث إنه في الظاهر إحسان وفي الحقيقة خذلان ∴ ما بصاحبهم محمد صلعم
من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة أن النبي عليه السلام علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال
قائلهم إن صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت إلى الصباح أولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والأرض فيما تدلان عليه من
عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط
بها الوصف وأن عسى أن مخففة من الثقيلة والأصل وأنه عسى على أن الضمير ضمير الشأن والمعنى أولم ينظروا في أن الشأن والحديث
عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا إلى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الأجل وحلول
العقاب ويجوز أن يراد باقتراب الأجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشأن فإن قلت بم يتعلق قوله فبأي حديث
بعده يؤمنون قلت بقوله عسى أن يكون قد اقترب أجلهم كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن قبل الفوت
وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا قرئ ويذرهم بالياء والنون والرفع على الاستئناف ويذرهم
بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله لا يهده أحد ويذرهم ∴ يسألونك قيل إن قوما من اليهود قالوا يا محمد
أخبرنا متى الساعة إن كنت نبيا فإنا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم أن الله تعالى قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش
والساعة من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو على العكس لطولها أو لأنها
عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق أيان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من أي فعلان منه لأن معناه أي وقت وأي فعل من أويت

إليه لأن البعض آوٍ إلى الكل متساند إليه قاله ابن جني وأبى أن يكون من أين لأنه زمان وأين مكان وقرئ السلمي إيان بكسر
الهمزة مرساها إرساؤها أو وقت إرسائها أي إثباتها وإقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل
وأرسى السفينة والمرسى الأنجر الذي ترسى به ولا أثقل من الساعة بدليل قوله تعالى ثقلت في السموات والأرض والمعنى متى
يرسيها الله تعالى إنما علمها أي علم وقت إرسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به أحدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل ليكاد يخفيها
من نفسه ليكون ذلك أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الأجل الخاص وهو وقت الموت لذلك لا يجليها لوقتها
إلا هو أي الأمر أنها خفية لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء علمها إلا هو وحده إذا جاء بها في وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها
أحد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره إلى وقت وقوعها ثقلت في السموات والأرض كل من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه
شأن الساعة ويتمنى أن يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه أو ثقلت فيها لأن أهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها
وأهوالها أو لأن كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها إلا بغتة إلا فجأة على غفلة منكم وعن النبي عليه السلام إن الساعة
تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يرفع ميزانه ويخفضه
كأنك حفي عنها كأنك عالم بها وحقيقته كأنك بليغ في السؤال عنها لأن من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير عنه استحكم
علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه إحفاء الشارب واحتفاء البقل استيصاله وأحفى في المسألة إذا ألحف
وحفي فلان بفلان وتحفى به بالغ في البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقرأ ابن مسعود كأنك حفي بها أي عالم
بها بليغ في العلم بها وقيل عنها متعلق بيسألونك أي يسألونك عنها كأنك حفي أي عالم بها وقيل إن قريشا قالوا له إن بيننا وبينك
قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسألونك عنها كأنك حفي بهم فتتحفهم بتعليم وقتها لأجل القرابة وتزوي علمها عن
غيرهم ولو أخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله تعالى في إخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما أوحي إليك
وقيل كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعني أنك تكره السؤال عنها لأنه من علم الغيب الذي استأثر الله تعالى به ولم
يؤته أحدا من خلقه فإن قلت لم كرر يسألونك وإنما علمها عند الله قلت للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله كأنك حفي
عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة منهم محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ولكن أكثر الناس لا
يعلمون أنه العالم بها وأنه المختص بالعلم بها ∴ قل لا أملك هو إظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب
أي أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضر كالمماليك والعبيد إلا ما شاء ربي ومالكي من النفع لي والدفع عني
ولو كنت أعلم الغيب لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى
لا يمسني شيء منها ولم أكن غالبا مرة ومغلوبا أخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير إن أنا إلا عبد
أرسلت نذيرا وبشيرا وما من شأني أن أعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز أن يتعلق بالنذير والبشير جميعا لأن النذارة والبشارة إنما تنفعان
فيهم أو يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا أي إلا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون ∴ من نفس واحدة وهي نفس آدم

وجعل منها زوجها وهي حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من اضلاعه او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ليسكن اليها ليطمئن
اليها ويميل ولا ينفر فان الجنس الى الجنس اميل وبه آنس واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه
محبة نفسه لكونه بضعة منه وذكر ليسكن بعد ما انث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا الى المعنى النفس ليبين ان المراد بها آدم
ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويتغشاها فكان التذكير احسن طباقا للمعنى والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان
حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد نسخ بعضهن تقول
او محمولا خفيفا على الكرى حين حملته فمرت به فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق وقيل حملت حملا خفيفا
يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرأ ابن عباس رضه فاستمرت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرئ فمارت به
من المرية لقوله افتمرونه وافتمارونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت به فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها لقرب ولادتها
وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها الحمل دعوا الله ربهما دعا آدم وحواء ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ
اليه فقالا لئن آتيتنا لئن وهبت لنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه وبرئ وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة والضمير
في آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما · فلما آتاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء اي جعل اولادهما له
شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك فيما آتاهما اي آتى اولادهما وقد دل على ذلك بقوله تعالى فتعالى الله عما يشركون
حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس
وما اشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلعم
وهم آل قصي الا ترى الى قوله في قصة ام معبد · فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فخار لا يبارى وسودد ويراد هو الذي خلقكم من نفس
قصي وجعل من زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا اولادهما
الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير
حسن لا اشكال فيه وقرئ شركا اي ذوي شرك وهم الشركاء او احدثا لله اشراكا في الولد اجريت الاصنام مجرى اولي العلم في قوله وهم يخلقون
بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم يخلقون لان الله تعالى خالقهم او لا
يقدر على اختلاق شيء لانها اجماد وهم يخلقون لان عبدتهم يخلقونهم فهم اعجز من عبدتهم ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا انفسهم
ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم · وان تدعوهم وان تدعوا
هذه الاصنام الى الهدى الى ما هو هدى ورشاد او الى ان يهدوكم والمعنى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم
الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله تعالى ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين سواء عليكم ادعوتموهم ام
انتم صامتون عن دعائهم في انه لا فلاح معهم فان قلت لم قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية قلت لانهم
كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون اصنامهم لقوله واذا مس الناس ضر فكانت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل ان

دعوتموهم لم يفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم · ان الذين تدعون من دون الله
اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله عباد امثالكم وقوله عباد امثالكم استهزاء بهم اي قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان
ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم فقال الهم ارجل يمشون بها وقيل عباد امثالكم مملوكون
امثالكم وقرأ سعيد بن جبير ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا امثالكم والمعنى ما الذين تدعون
من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية · قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون جميعا
انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلون فاني لا ابالي بكم ولا يعول على الاولى لعصمته له وكانوا يخوفونه آلهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود ان
ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون · ان وليي الله اي ناصري
عليكم الله الذي نزل الكتاب الذي نزل القرآن على كتابه واعزني برسالته وهو يتولى الصالحين ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده
وانبيائه ولا يخذلهم · وتراهم ينظرون اليك يشبهون الناظر اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم
لا يبصرون وهم لا يدركون المرئي · خذ العفو اي خذ ما عفا لك من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم
ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا قال · خذي العفو مني تستديمي مودتي
ولا تنطقي في سورتي حين اغضب · وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكاة فلما نزلت امر ان ياخذهم
بها طوعا او كرها · وامر بالعرف المعروف والجميل من الافعال واعرض عن الجاهلين ولا تمار السفهاء ولا تكافئهم بمثل افعالهم واحلم
عنهم واغض على ما يسوؤك منهم وقيل لما نزلت الآية سأل جبريل فقال لا ادري حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل
من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية اجمع
لمكارم الاخلاق منها · واما ينزغنك من الشيطان نزغ واما ينخسنك منه نخس بان يحملك بوسوسته على خلاف ما امرت به فاستعذ
بالله ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كانه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده
وروي انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل واما ينزغنك ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء
الغضب كقول ابي بكر رضه ان لي شيطانا يعتريني · طائف من الشيطان لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا قال
ابى الله بل الخيال يطيف · او هو تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف كلين او من طاف يطوف كهين وقرئ طائف وهو يحتمل
الامرين ايضا وهذا تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله تعالى عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا
اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته تذكروا ما امر الله تعالى به ونهى عنه فاذا هم مبصرون السداد ودفعوا ما وسوس به
اليهم ولم يتبعوه انفسهم واما اخوان الشياطين الذين لم يتقوا فان الشياطين يمدونهم في الغي اي يكونون مددا لهم فيه
ويعضدونهم وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا
ولا يرجعوا وقوله واخوانهم يمدونهم كقوله · قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها · فان الخبر جار على غير ما هو له ويجوز ان يراد

بالاخوان الشياطين ويرجح الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على من هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا فان قلت لم جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد قلت المراد به الجنس كقوله اولياؤهم الطاغوت اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعه او جبى اليه فاجتباه اي اخذه كقولك جليت اليه العروس فاجتلاها والمعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى او هلا اخذتها منزلة عليك مقترحة قل انما اتبع ما يوحى الي ولست بمفتعل للآيات او لست بمقترح لها هذا بصائر هذا القرآن بصائر من ربكم اي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى او هو بمنزلة بصائر القلوب واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في صلوة وغير صلوة وقيل كانوا يتكلمون في الصلوة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلوة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل معناه اذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب الى حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل هذين الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو بأوقات الغدو وهي الغدوات وقرئ والايصال من آصل اذا دخل في الاصيل كأقصر واعتم وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين يغفلون عن ذكر الله تعالى ويلهون عنه ان الذين عند ربك هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عنده دنو الزلفة والقرب من رحمة الله وفضله لتوفرهم على طاعة الله تعالى وابتغاء مرضاته ولهم يخضعون ويختصونه بالعبادة ولا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله تعالى يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الانفال النفل الغنيمة لانها من فضل الله وعطائه قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل النفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال لسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد منه وعند الشافعي في احد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها اللمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله صلعم وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم ان ينفله فتسارع شبابهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله صلعم المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت وعن سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله تعالى من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله تعالى من ايدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وقرأ ابن محيصن يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام وقرأ ابن مسعود يسألونك الانفال اي يسألك الشبان ما شرطت لهم من الانفال فان قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله قل الانفال لله والرسول قلت معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى رأي احد والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله وامر به رسوله ان يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين في الله تعالى واصلحوا ذات بينكم وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض فان قلت ما حقيقة قوله ذات بينكم قلت احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال التي تكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا اناءك يريدون ما في الاناء من الشراب وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين ان كنتم كاملي الايمان واللام في قوله انما المؤمنون اشارة اليهم اي انما الكاملو الايمان الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن ام الدرداء الوجل في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فان الدعاء يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله فرقت زادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن ابي هريرة الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وعلى ربهم يتوكلون ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة والصدقة حقا صفة للمصدر المحذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا سأله أمؤمن انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله

إنما المؤمنون فوالله لا أدري أمنهم أنا أم لا وعن الثوري من زعم أنه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف
الآية وهذا إلزام منه يعني كما أنه لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بأنه مؤمن حقا وبهذا يتعلق من يستثني في الإيمان وكان
أبو حنيفة ممن لا يستثني فيه وحكي عنه أنه قال لقتادة لم تستثني في إيمانك قال اتباعا لإبراهيم عليه السلام في قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي
يوم الدين فقال له هلا اقتديت به في قوله أولم تؤمن قال بلى درجات شرف وكرامة وعلو منزلة ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق
كريم نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب كما أخرجك ربك فيه وجهان أحدهما أن يرتفع محل
الكاف على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال إخراجك يعني أن حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني أن ينتصب
على أنه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الأنفال لله والرسول أي الأنفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات
إخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون ومن بيتك يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها لأنها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به
كاختصاص البيت بساكنه بالحق أي إخراجا متلبسا بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه وإن فريقا من المؤمنين لكارهون في موضع
الحال أي أخرجك في حال كراهتهم وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو
سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فأخبر جبريل رسول الله صلعم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم
فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم إن أصابها
محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت أخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لأخيها إني رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء
فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال أبو جهل
ما يرضى رجالهم أن يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير
فقيل له إن العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس إلى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك أبدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور
ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وأن محمدا لم يصب العير وأنا قد أعضضناه فمضى بهم إلى بدر وبدر ماء
كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبريل فقال يا محمد إن الله تعالى وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريشا
فاستشار النبي عليه السلام أصحابه وقال ما تقولون إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب إليكم أم النفير قالوا
بل العير أحب إلينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلعم ثم رد عليهم فقال إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل
فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي عليه السلام أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر
أمرك فامض فوالله لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما أمرك الله تعالى
فإنا معك حيث ما أحببت لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك
فقاتلا إنا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا علي أيها الناس وهو يريد الأنصار
لأنهم قالوا له حين بايعوه على العقبة إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا

ونساءنا فكان النبي عليه السلام يتخوف أن لا يكون الأنصار لا ترى عليهم نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال
لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على
السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا
رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على
بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله تعالى وعدني إحدى الطائفتين
والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم وروي أنه قيل لرسول الله صلعم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس
وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي عليه السلام لم قال لأن الله تعالى وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من
بعضهم لقوله وإن فريقا من المؤمنين يجادلونك في الحق الذي جادلوا به رسول الله صلعم تلقي النفير لإيثارهم عليه تلقي العير بعدما تبين بعد إعلام
رسول الله صلعم بأنهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا إلا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال ثم شبه
حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة بحال من يعتل إلى القتل ويساق على الصغار إلى الموت المتيقن
وهو مشاهد لأسبابه ناظر إليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وأنهم كانوا رجالة وروي أنه ما كان فيهم إلا فارسان
إذ منصوب بإضمار اذكر وأنها لكم بدل من إحدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات الشوكة العير لأنه لم يكن
فيها إلا أربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا
لشباها ومنها قولهم شائك السلاح أي تتمنون أن تكون لكم العير لأنها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الأخرى
أن يحق الحق أن يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من أسرهم
وقتلهم وطرحهم في قليب بدر دابر الآخر فاعل من دبر إذا أدبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعني أنكم
تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الأمور وأن لا تلقوا ما يرزأكم في أبدانكم وأحوالكم والله عز وجل يريد معالي الأمور وما يرجع إلى
عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم
بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم وأعزكم وأذلهم وحصل لكم ما لا تعارض أدناه العير وما فيها وقرئ بكلمته على التوحيد فإن قلت
بم تعلق قوله ليحق الحق قلت بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله إلا لهما وهو إثبات الإسلام وإظهاره وإبطال
الكفر ومحقه فإن قلت أليس هذا تكريرا قلت لا لأن المعنيين متباينان وذلك أن الأول تمييز بين الإرادتين وهذا
بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وأنه ما نصرهم ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض الذي هو
سيد الأغراض ويجب أن يقدر المحذوف متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع فإن
قلت بم يتعلق إذ تستغيثون قلت هو بدل من إذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم أنهم لما
علموا أنه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله تعالى يقولون أي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا وعن عمر رضي الله عنه

ان رسول الله صلعم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم
ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر رضه فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي
الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك اني ممدكم اصله باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن
ابي عمرو انه قرأ اني ممدكم بالكسر على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول فان قلت هل
قاتلت الملائكة يوم بدر قلت اختلف فيه فقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر رضه وميكائيل في خمسمائة
على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب رضه في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم وقاتلت وقيل
قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى
شخصا قال هو من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت
ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلعم فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن
ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم تقاتل وانما كانوا
يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد يكفي في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل اهلك بريشة من جناحه مدائن قوم
لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض
الذي تستعجلون بمعنى ردفكم واردفته اياه اذا اتبعته ويقال اردفته كقولك اتبعته اذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من ان يكون
بمعنى متبعين او متبعين فان كان بمعنى متبعين فلا يخلو من ان يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا او متبعين بعضهم لبعض او بمعنى
متبعين اياهم المؤمنين اي يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم او متبعين لهم يشيعونهم ويتقدمونهم بين ايديهم وهم على ما فيهم ليكونوا على
اعينهم وحفظهم او بمعنى متبعين انفسهم ملائكة اخرين او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران
بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ومن قرأ مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين او متبعين وقرئ مردفين
بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصله مرتدفين اي مترادفين او متبعين من ارتدفه فادغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان
فحركت الراء بالكسر على الاصل او على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة
آل عمران فان قلت فبم تعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملائكة ملائكة اخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم
قلت بان المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه منهم الذين من سواهم اتباع لهم فان قلت الام يرجع الضمير
في وما جعله قلت الى قوله اني ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم فان قلت ففيمن قرأ بالكسر قلت
الى قوله اني ممدكم لانه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي يدل عليه ممدكم ❊ الا بشرى الا
بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا
منكم وربطا على قلوبكم وما النصر الا من عند الله يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله تعالى لكم وللملائكة او وما النصر

بالملائكة وبغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله ❊ اذ يغشاكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او
بما في من عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز
وجل وامنة مفعول له فان قلت اما وجب ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا قلت بلى ولكن لما كان معنى
يغشاكم النعاس تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون امنة بمعنى امنا اي لامنكم ومنه صفة لها اي
امنة حاصلة لكم من الله تعالى فان قلت فعلى غير هذه القراءة قلت يجوز ان تكون الامنة بمعنى الايمان اي ينعسكم ايمانا
منه او على يغشيكم النعاس فتنعسون امنا فان قلت هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اي يغشاكم
النعاس لامنه على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على انه انامكم في وقت كان من
حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة له من الله تعالى لولاها لم يغشكم على
طريقة التمثيل والتخييل قلت لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد الم به من قال يهاب النوم
ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود ❊ وقرئ امنة بسكون الميم ونظير امن امنة حيي حياة ونحو امن امنة رحم رحمة
والمعنى ان ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وامنهم رقدوا وعن ابن عباس رضه النعاس
في القتال امنة من الله وفي الصلوة وسوسة من الشيطان وينزل قرئ بالتخفيف والتثقيل وقرأ الشعبي ما ليطهركم به قال ابن
جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكانه قال ما للطهور ورجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش
وقيل الجنابة لانها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك ان ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون
في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون
على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع
العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله تعالى المطر فمطروا
ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلعم واصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل
الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز ان يكون للربط
لان القلب اذا تمكن فيه الصبر والجرأة ثبتت القدم في مواطن القتال ❊ واذ يوحي يجوز ان يكون بدلا ثالثا من اذ يعدكم وان ينتصب
بيثبت اني معكم مفعول يوحي وقرئ اني بالكسر على ارادة القول او على اجراء يوحي مجرى يقول كقوله اني ممدكم والمعنى اني معينكم
على التثبيت فثبتوهم وقوله سالقي فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب
الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى
به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وان يظهروا ما يتيقنون به انهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل
الذي يعرفون وجهه فيأتي فيقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا

فان الله تعالى ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه وقرئ الرعب بالتثقيل فوق الاعناق اراد اعالي الاعناق التي هي
المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها جزا وتطيرا للرؤس وقيل اراد الرؤس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام
قال واضرب هامة البطل المشيح غشيته وهو بحلق وابسلة عضبا اصاب سواء الراس فانفلقا والبنان الاصابع يريد
الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا
ويجوز ان يكون سالقي الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قال قولوا لهم قولي سالقي
في قلوب الذين كفروا الرعب او كانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سالقي فالضاربون على هذا هم المؤمنون ◦ ذلك اشارة
الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء وبانهم خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب
مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا المتعادين في شق خلاف شق صاحبه كالمشاقة من اشتقاق المعاداة فقلت
لان هذا يعدوه وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لان هذا يختصم اي في جانب وذاك يختصم وهذا في شق وذاك في شق
والكاف في ذلك لخطاب الرسول عليه السلام او لخطاب كل احد وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب
او العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز ان يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه وان للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه
او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرئ الحسن
وإن للكافرين بالكسر ◦ زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا من زحف
الصبي اذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا
فضلا ان تدانوهم في العدد او تساووهم او حال من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم او حال من المؤمنين كانهم اشعروا
بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ وفي قوله
ومن يولهم يومئذ امارة عليه ◦ الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع
الحرب ومكايدها او متحيزا او منحازا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر رض خرجت سرية وانا
فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم
وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رض فقال يا امير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر رض انا فئتك وعن ابن
عباس رض ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر فان قلت بم انتصب الا متحرفا قلت على الحال والا لغو وعلى
الاستثناء من المولين اي ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل
لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت
واسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلعم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني
فاتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال رسول الله صلعم لما التقى الجمعان لعلي رض اعطني قبضة من حصباء

يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير

فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين

الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم
فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة
والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى يعني
ان الرمية التي رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ اثرها الا ما يبلغه اثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله تعالى
حيث اثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله صلعم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا يطيقه البشر
فعل الله عز وجل فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول عليه السلام اصلا وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله
رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي المؤمنين وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو
والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله الا لذلك ان الله سميع لدعائهم عليم ◦ ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله
الرفع اي الغرض ذلكم وان الله موهن معطوف على ذلكم يعني ان الغرض ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد
وقرئ على الاضافة وعلى الاصل الذي هو التنوين والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين
ارادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف واوصلنا للرحم وافكنا للعاني ان كان محمد على حق فانصره
وان كنا على حق فانصرنا وروي انهم قالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وروي ان ابا جهل قال
يوم بدر اللهم اينا كان افجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين وان تنتهوا خطاب للكافرين
يعني وان تنتهوا عن عداوة رسول الله فهو خير لكم واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم وان الله قرئ بالفتح على ولان
الله معين المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذا اوجه وتعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين وقرئ ولن يغني عنكم بالياء
للفصل ◦ ولا تولوا قرئ بطرح احدى التاءين وادغامها والضمير في عنه لرسول الله صلعم لان المعنى واطيعوا رسول الله
كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع
الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اي ولا تولوا عن
هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعونه او ولا تولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وانتم تسمعون اي تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم البكم
المكذبين من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا اي ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى
انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق
واشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال ان شر الدواب اي ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق
لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ◦ ولو علم الله في هؤلاء الصم البكم خيرا اي انتفاعا باللطف لاسمعهم
للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه
او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان

مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب اذا دعاكم وحّد الضمير ايضا كما وحّده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلعم كاستجابته وانما يذكر احدهما مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى ابو هريرة رضه ان النبي صلعم مرّ على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجّل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وفيه قولان احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله صلعم والثاني ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التأخير واذا وقع مثله للمصلي فله ان يقطع صلوته لما يحييكم من علوم الديانات والشرايع لان العلم حيوة كما ان الجهل موت ولبعضهم لا تعجبنّ الجهول حلّته فذاك ميت وثوبه كفن وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حيوة وقيل للشهادة لقوله بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يعني انه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله واعلموا انكم اليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة وقيل معناه ان الله تعالى قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزايمه ويغيّر نياته ومقاصده ويبدله بالخوف امنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا والمجبرة على انه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا آمن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه انه يطلع على كل ما يخطر المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمايره فكانه يحول بينه وبين قلبه وقرئ بين المرّ بتشديد الراء ووجهه انه قد حذف الهمزة والقى حركتها على الراء كالخب بغير همز ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمرّ فتنة ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين اظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو من ان يكون جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة لفتنة فاذا كان جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمّكم وهذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمّهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله حتى اذا جنّ الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط اي بمذق مقول فيه هذا القول لانه سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذئب وتعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير رضوان الله عليهم وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير رضه نزلت فينا وقرأناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي ان الزبير كان يساير النبي صلعم يوما اذ اقبل علي رضه فضحك اليه الزبير رضه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا فقال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله فان قلت كيف جاز ان تدخل النون

يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب

المؤكدة في جواب الامر قلت لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنّك ولا تصيبنّ ولا يحطمنّكم فان قلت فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم قلت التبعيض على الوجه الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم منكم اقبح منكم من ساير الناس اذ انتم نصبه على انه مفعول به مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة مستضعفين في الارض ارض مكة قبل الهجرة يستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس لان الناس كانوا جميعا لهم اعداء منافين مضادين فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملايكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنايم لعلكم تشكرون ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يؤكلون ولا يأكلون فمكّن الله تعالى لهم في البلاد ووسّع لهم في الرزق والغنايم وجعلهم ملوكا ومعنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخوّنه اذا تنقّصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكانه لم يف له ومنه قوله وتخونوا اماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرايضه ورسوله بان لا تستنوا به واماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان بن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشدّ نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خرّ مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحلّ نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلعم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال رسول الله صلعم يجزيك الثلث ان تتصدق به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان رضه وقيل اماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرايضه وحدوده فان قلت وتخونوا جزم او نصب قلت يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وقرأ مجاهد وتخونوا امانتكم على التوحيد جعل الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم او العذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تنوطوا بطلبه وبما يؤدي اليه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلهما كقوله المال والبنون زينة الحيوة الدنيا وقيل هي من جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان او بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم وآثاركم في اقطار الارض

يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم

يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم

من قولهم بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان أي طلع الفجر أو مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور أو تفرقة بينكم وبين غيركم
من أهل الأديان وفضلا ومزية في الدنيا والآخرة ** لما فتح الله تعالى عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته
من مكرهم واستيلائه عليهم وما أتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى واذكر إذ يمكرون بك وذلك أن قريشا لما أسلمت الأنصار وبايعوه
فرقوا أن يتفاقم أمره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره فدخل إبليس في صورة شيخ وقال أنا شيخ من نجد ما أنا من تهامة
دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو البختري رأيي أن تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه
وتسدوا بابه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال إبليس بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه
ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيي أن تحملوه على جمل فتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس الرأي يفسد
قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق
دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فإذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو أجودكم
رأيا فتفرقوا على رأي أبي جهل مجمعين على قتله فأخبر جبريل عم رسول الله صلعم وأمره أن لا يبيت في مضجعه وأذن له الله في الهجرة
فأمر عليا رضه فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فإنه لن يخلص إليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما أصبحوا ثاروا إلى مضجعه فأبصروا
عليا رضه فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا أثره فأبطل مكرهم ليثبتوك ليحبسوك أو يوثقوك أو يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم
ضربوه حتى أثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرأ النخعي ليبيتوك من البيات وعن ابن
عباس ليقيدوك وهو دليل لمن فسر بالإيثاق ويمكرون ويخفون المكايد له ويمكر الله ويخفي الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة والله خير الماكرين
أي مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرا أو لأنه لا ينزل إلا ما هو حق وعدل ولا يصيب إلا بما هو مستوجب ** لو نشاء لقلنا مثل
هذا نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فإنهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة وإلا فما منعهم إن كانوا مستطيعين
أن يشاءوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه مع فرط أنفتهم واستنكافهم أن يغلبوا في باب البيان
خاصة وأن يماتنهم واحد فيتعللوا بامتناع المشيئة ومع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على أن يقهروا رسول الله صلعم
وتهالكهم على أن يغمزوه وقيل قائله النضر بن الحارث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله أحاديث القرون لو شئت لقلت
مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم وإسفنديار فزعم أن هذا مثل ذلك وأنه من جملة تلك الأساطير وهو
القائل إن كان هذا هو الحق وهذا أسلوب من الجحود بليغ يعني إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسجيل كما فعلته
بأصحاب الفيل أو بعذاب آخر ومراده نفي كونه حقا وإذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه
حقا مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك إن كان الباطل حقا فأمطر علينا حجارة وقوله هذا هو الحق تهكم بمن يقول
على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق وقرأ الأعمش هو الحق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وهو في القراءة الأولى
فصل ويقال أمطرت السماء كقولك أسجمت وأسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الإمطار في معنى العذاب فإن

قلت ما فائدة قوله من السماء والأمطار لا يكون إلا منها قلت كأنه أريد أن يقال فأمطر علينا السجيل وهي
الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا بعذاب
أليم أي بنوع آخر من جنس العذاب الأليم يعني أن أمطار السجيل بعض العذاب الأليم فعذبنا به أو بنوع آخر من أنواعه
وعن معاوية أنه قال لرجل من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله صلعم حين
دعاهم إلى الحق إن كان هذا هو الحق فأمطر علينا حجارة ولم يقولوا إن كان هذا هو الحق فاهدنا له ** اللام لتأكيد النفي والدلالة
على أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم في الحكمة لأن عادة الله تعالى وقضية حكمته أن لا يعذب قوما عذاب استئصال
ما دام نبيهم بين أظهرهم وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم والدليل على هذا الإشعار قوله وما لهم ألا يعذبهم
وإنما يتجه هذا بعد إثبات التعذيب كأنه قال وما كان ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم وما لهم أن لا يعذبهم وهم
يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان
ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم
من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلعم من المستضعفين ** وما لهم ألا يعذبهم الله وأي شيء
لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام
كما صدوا رسول الله صلعم عام الحديبية وإخراجهم رسول الله صلعم والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد
من نشاء وندخل من نشاء وما كانوا أولياءه وما استحقوا مع إشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمره وأربابه إن أولياؤه إلا
المتقون من المسلمين ليس كل مسلم أيضا ممن يصلح لأن يلي أمره إنما يستأهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة
الأصنام ولكن أكثرهم لا يعلمون كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة أو أراد بالأكثر الجميع كما يراد بالقلة
العدم ** المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو إذا صفر ومنه المكاء كأنه سمي بذلك لكثرة مكائه وأصله الصفة
نحو الوضاء والقراء وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكاء والبكا والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى أو من صد يصد بمعنى
إذا قومك منه يصدون وقرأ الأعمش وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه فإن قلت ما وجه هذا
الكلام قلت هو نحو من قوله وما كنت أخشى أن يكون عطاؤه أداهم سودا أو محدرجة سمرا والمعنى أنه وضع القيود
والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء
وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله صلعم في صلاته يخلطون عليه
فذوقوا عذاب القتل والأسر يوم بدر بسبب كفركم وأفعالكم التي لا يقدم عليها إلا الكفرة قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان
يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر وقيل قالوا لكل من كانت له تجارة في العير أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك
منه ثأرنا بما أصيب منا ببدر وقيل نزلت في أبي سفيان وقد استأجر ليوم أحد ألفين من الأحابيش سوى من استجاش من العرب

وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا ﴿ليصدوا عن سبيل الله﴾ اى كان غرضهم فى الانفاق الصد عن اتباع محمد صلعم وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك ﴿ثم تكون عليهم حسرة﴾ اى تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكأن ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ﴿ثم يغلبون﴾ آخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك ثم يرجعون طلقاء كتب الله لاغلبن انا ورسلي ﴿والذين كفروا﴾ والكافرون منهم ﴿الى جهنم يحشرون﴾ لان منهم من اسلم وحسن اسلامه ﴿ليميز الله الخبيث﴾ الفريق الخبيث من الكفار ﴿من الطيب﴾ الفريق الطيب من المؤمنين ﴿ويجعل الخبيث﴾ الفريق الخبيث ﴿بعضه على بعض فيركمه جميعا﴾ عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا لقوله كادوا يكونون عليه لبدا يعنى لفرط ازدحامهم ﴿اولئك﴾ اشارة الى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذى انفق المشركون فى عداوة رسول الله من المال الطيب الذى انفقه المسلمون كابى بكر الصديق وعمر رضهما وعثمان ذى النورين فى نصرته فيركمه فيجعله فى جهنم فى جملة ما يعذبون به فتكوى بها جباههم وجنوبهم الاية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا وقرئ ليميز على التخفيف ﴿قل للذين كفروا﴾ ابى سفيان واصحابه اى قل لاجلهم هذا القول وهو ﴿ان ينتهوا﴾ ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهى فى قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه اى ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله صلعم وقتاله بالدخول فى الاسلام ﴿يغفر لهم ما قد سلف﴾ لهم من العداوة ﴿وان يعودوا﴾ لقتاله ﴿فقد مضت سنة الاولين﴾ منهم الذين حزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما سلف لهم من الكفر والمعاصى وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربى اذا اسلم لم تبق عليه تبعة قط واما الذمى فلا يلزمه قضاء حقوق الله تعالى وتبقى عليه حقوق الآدميين وبه احتج ابو حنيفة رضه فى ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة فى حال الردة وقبلها وقيل وان يعودوا بالارتداد ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ الى ان لا يوجد فيهم شرك قط ﴿ويكون الدين كله لله﴾ ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده ﴿فان انتهوا﴾ عن الكفر واسلموا ﴿فان الله بما يعملون بصير﴾ يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد فى سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء ﴿وان تولوا﴾ ولم ينتهوا ﴿فاعلموا ان الله مولاكم﴾ اى ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته ﴿واعلموا انما غنمتم﴾ ما موصولة ﴿من شيء﴾ بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط ﴿فان لله خمسه﴾ مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق او فواجب ان لله خمسه والمشهور آكد وروى الجعفى عن ابى عمرو فان لله بالكسر وتقويه قراءة النخعى فلله خمسه والمشهورة آكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما اشبه ذلك كان اقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون فان قلت كيف قسمة الخمس قلت عند ابى حنيفة رضه انها كانت فى عهد رسول الله صلعم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلعم وسهم لذوى قرباه من بنى هاشم وبنى المطلب دون بنى عبد شمس وبنى نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روى عن عثمان وجبير بن مطعم رضهما انهما قالا لرسول الله صلعم

هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله منهم ارأيت اخواننا بنى المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله صلعم انهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله صلعم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوى القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل واما عند الامام الشافعى رضى الله عنه فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلعم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوى القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقى للفرق الثلث وعند مالك بن انس رضهما الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى اعطاه بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم اولى واهم فغيرهم فان قلت ما معنى ذكر الله وعطف الرسول وغيره عليه قلت يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب وان يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وجبريل وميكال فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامين وعلى الثانى ما قال ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم لله تعالى يصرف الى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله صلعم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقى على خمسة وقيل ان سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن انس وعن ابن عباس رضه انه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر رضه الخمس على ثلثة وكذلك روى عن عمر رضه ومن بعده من الخلفاء وروى ان ابا بكر رضه منع بنى هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغنى منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غنى لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن على رضه كذلك قال ليس لنا ان نبنى منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن على رضه انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن فى سهم رسول الله صلعم انه لولى الامر من بعده وعن الكلبى الاية نزلت ببدر وقال الواقدى كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة فان قلت بم تعلق قوله ان كنتم آمنتم بالله قلت بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم العلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله تعالى لان العلم المجرد يستوى فيه المؤمن والكافر ﴿وما انزلنا﴾ معطوف على بالله اى ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل ﴿على عبدنا﴾ وقرئ عبدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين ﴿يوم الفرقان﴾ يوم بدر ﴿يوم التقى الجمعان﴾ الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ ﴿والله على كل شيء قدير﴾ يقدر على ان ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم ﴿اذ انتم﴾ بدل من يوم الفرقان ﴿بالعدوة﴾ شط الوادى بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما فى القنية والدنيا

والقصوى تأنيث الأدنى والأقصى فإن قلت كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت إحداهما بالياء والثانية بالواو قلت
القياس قلب الواو كالعليا وأما القصوى فكالقود في مجيئه على الأصل وقد جاء القصيا إلا أن استعمال القصوى أكثر كما كثر استعمال استصوب
مع مجيء استصاب وأغيلت مع أغالت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة والركب أسفل منكم يعني الركب الأربعين
الذين كانوا يقودون العير أسفل منكم بالساحل وأسفل نصب على الظرف معناه مكانا أسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لأنه خبر
للمبتدأ فإن قلت ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وأن العير كانت أسفل منهم قلت الفائدة فيه الإخبار
عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد أسباب الغلبة له وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم وأن غلبتهم
في مثل هذه الحال ليست إلا صنعا من الله تعالى ودليلا على أن ذلك أمر لم يتيسر إلا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك أن العدوة القصوى
التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى فيها إلا
بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم
ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب بظعنهم وأموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال
وأن لا يتركوا وراءهم ما يحدثون أنفسهم بالانحياز إليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على أن لا يبرحوا مواطنهم
ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر الله سبحانه وتعالى من أمر وقعة بدر ليقضي الله
أمرا كان مفعولا من إعزاز دينه وإعلاء كلمته حين وعد المسلمين إحدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير
راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله صلعم لأموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الأسباب
حتى أناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان ولو
تواعدتم أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد
وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله صلعم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله تعالى وسبب له ليقضي متعلق بمحذوف
أي ليقضي أمرا كان واجبا أن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك بدل منه واستعير الهلاك
والحياة للكفر والإسلام أي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا تبقى على الله تعالى حجة ويصدر إسلام من أسلم
أيضا عن يقين وعلم بأنه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك أن ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة التي من
كفر بعدها كان مكابرا لنفسه ومغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام ومن حيي بإظهار التضعيف لسميع عليم يعلم كيف يدبر أموركم
ويسوي مصالحكم أو لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبإيمان من آمن وثوابه إذ يريكهم الله نصب بإضمار اذكر أو هو
بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بقوله لسميع عليم أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك في منامك في رؤياك وذلك أن الله تعالى
أراهم إياه في رؤياه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لأنها مكان النوم
كما قيل للقطيفة المنامة لأنه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب

وفصاحته لفشلتم لجبنتم وهبتم الإقدام ولتنازعتم في الرأي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الفرار والثبات ولكن
الله سلم أي عصم وأنعم بالسلامة عن الفشل والتنازع والاختلاف إنه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن
والصبر والجزع وإذ يريكموهم الضميران مفعولان يعني وإذ يبصركم إياهم وقليلا نصب على الحال وإنما قللهم في أعينهم تصديقا
لرؤيا رسول الله صلعم وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل
إلى جنبي أتراهم سبعين قال أراهم مائة فأسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال ألفا ويقللكم في أعينهم حتى قال قائل منهم إنما هم أكلة
جزور فإن قلت الغرض في تقليل الكفار في أعين المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في أعينهم قلت قد
قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين
يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم رأي العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم في استيضاح
الآية البينة من قلتهم أولا وكثرتهم آخرا فإن قلت بأي طريق يبصرون الكثير قليلا قلت بأن يستر الله تعالى عنهم بعضه
بساتر أو يحدث في أعينهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم إن الأحول يرى
الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا أرى هذين الديكين أربعة إذا لقيتم فئة إذا حاربتم جماعة من الكفار وترك أن
يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء اسم القتال غالب فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب
مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون لعلكم تظفرون بمرادكم من
النصرة والمثوبة وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا وأكثر ما يكون هما وأن تكون نفسه مجتمعة
لذلك وإن كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب أمير المؤمنين في أيام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة
والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على أنهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وإن تفاقم الأمر ولا
تنازعوا قرئ بتشديد التاء فتفشلوا منصوب بإضمار أن أو مجزوم لدخوله في حكم النهي ويدل على التقديرين قراءة من قرأ وتذهب
ريحكم بالتاء والنصب وقراءة من قرأ ويذهب ريحكم بالياء والجزم والريح الدولة شبهت في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل
هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره ومنه قوله أتنظران قليلا ريث غفلتهم أم تعدوان فإن الريح للعادي وقيل
لم يكن قط نصر إلا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور حذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الرأي
نحو ما وقع لهم بأحد بمخالفتهم رسول الله صلعم من فشلهم وذهاب ريحهم كالذين خرجوا من ديارهم هم أهل مكة حين نفروا
لحماية العير فأتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور
وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس بإطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان
الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين بأعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى والكآبة
والحزن من خشية الله تعالى مخلصين أعمالهم لله تعالى واذكر إذ زين لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلعم

ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان
وتبرأ منهم اى بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت
قريش على المسير ذكرت التي بينها وبين بني كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم
الشاعر الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل
نكص وقيل كانت يده في يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث الى اين أتخذلنا في هذه الحال فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في
صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني
هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي الحديث ما روي ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من تنزل
الرحمة الا ما روي يوم بدر فان قلت ـــ هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا قلت ـــ لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى
لا غالبا اياكم لكان الامر كما قلت ولكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم ∴ اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز ان يكون
من صفة المنافقين وان يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام وعن الحسن هم المشركون غر هؤلاء دينهم يعنون
ان المسلمين اغتروا بدينهم وانهم يتقوون به وينصرون من اجله فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ثم قال
جوابا لهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي ∴ ولو ترى ولو عاينت وشاهدت
لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال واذ نصب على الظرف وقرئ يتوفى بالياء والتاء والملائكة
رفعها بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز ان يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر وعن مجاهد
وادبارهم استاههم ولكن الله كريم يكني وانما خصوهما بالضرب لان الخزي والنكال في ضربهما اشد وبلغني عن اهل الصين ان عقوبة
الزاني عندهم ان يصبر ثم يعطى الرجل القوي البطش شيئا عمل من حديد كهيئة الطبق فيه زوائد وله مقبض فيضربه على
دبره ضربة واحدة بقوته فيجمد في مكانه وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا معطوف على يضربون على ارادة القول
اي ويقولون ذوقوا عذاب الحريق اي مقدمة عذاب النار او ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع
من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار او ويقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف اي لرأيت امرا فظيعا منكرا ∴ ذلك
بما قدمت ايديكم يحتمل ان يكون من كلام الله تعالى ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه اي
ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المؤمنين وقيل
ظلام للتكثير لاجل العبيد ولان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه ∴ الكاف
في محل الرفع اي داب هؤلاء مثل داب آل فرعون وداْبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه اي داوموا عليه وواظبوا وكفروا تفسير
لداب آل فرعون وذلك اشارة الى ما حل بهم يعني ذلك العذاب او الانتقام بسبب ان الله لم ينبغ له ولم يصح في حكمته ان يغير نعمته
عند قوم حتى يغيروا ما بهم من الحال فان قلت ـــ فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم يكن لهم

حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة قلت ـــ كما تغير الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها
واولئك كانوا قبل بعثة الرسول صلعم اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه
ساعين في اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوأ مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب وان الله
سميع لما يقول مكذبوا الرسل عليم بما يفعلون ∴ كداب آل فرعون تكرير للتأكيد وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم
وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب وكل كانوا ظالمين وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم
بالكفر والمعاصي الذين كفروا فهم لا يؤمنون اي اصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا واخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا
معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ∴ الذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا اي الذين عاهدتهم
من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود وهم لا يتقون
لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من العار والنار ∴ فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم
من خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم
احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا
شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ ابو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لانه
اذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد من ورائهم لانه اذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء واوقعه فيه لان
الوراء جهة المشردين فاذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين لعلهم يذكرون
لعل المشردين من ورائهم يتعظون ∴ واما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم
العهد على سواء على طريق مستو قصد وذلك ان تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم
ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك ان الله لا يحب الخائنين فلا يكن منك اخفاء نكث العهد
والخداع وقيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال كأنه قيل فانبذ
اليهم ثابتا على طريق قصد سوي او حاصلين على استواء في العلم او العداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا ∴ ولا تحسبن الذين كفروا
سبقوا فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم
بالفتح بمعنى لانهم كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل الا ان المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ
يعجزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزون بكسر النون وقرأ الاعمش ولا يحسب الذين كفروا بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة
وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على ان الفعل للذين كفروا وقيل فيه اصله ان سبقوا فحذفت ان كقوله تعالى ومن آياته يريكم البرق واستدل
عليه بقراءة ابن مسعود انهم سبقوا وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين

وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا الخوف الضيق لو بهم هوما وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وعن الاثال
كانا مبتحلة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنبوة وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت من قتل المشركين ﴿من قوة﴾ من كل ما
يتقوى به في الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر رضه سمعت رسول الله صلعم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلثا وما عقبة
من سبعين قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون والرباط اسم الخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز ان يسمى بالرباط الذي هو بمعنى
المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرأ الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز ان يكون قوله
ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله عز وجل وجبريل وميكائيل وعن ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث ماله في الحصون
فقال يشترى به الخيل فترابط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر ان الحصون الخيل لا
مدر القرى ﴿ترهبون به﴾ قرئ بالتخفيف والتشديد وقرأ ابن عباس ومجاهد تخزون به والضمير في به راجع الى ما استطعتم عدو الله
وعدوكم هم اهل مكة ﴿وآخرين من دونهم﴾ هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدي هم اهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث ان
الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن ﴿جنح﴾ له واليه اذا مال والسلم تؤنث تانيث
نقيضها وهي الحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس رضهما
ان الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح ان الامر موقوف
على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب او سلم وليس بحتم ان تقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وقرأ الاشهب العقيلي
فاجنح بضم النون ﴿وتوكل على الله﴾ ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد
يريد قريظة ﴿فان حسبك الله﴾ فان محسبك الله قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا ﴿والف
بين قلوبهم﴾ التاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلعم من الآيات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء
على الضغينة في ادنى شيء والقائه بين اعينهم الى ان ينتقموا لا يكاد يأتلف فيهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله
صلى الله عليه وسلم واتحدوا وانشأوا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع من كلمتهم واحدث بينهم من
التحاب والتواد واماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب
فهو يقلبها كما شاء ويصنع فيها ما اراد وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما اهلك ساداتهم ورؤساءهم ودق
جماجمهم ولم يكن لبغضائهم امد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين
كانتا بهذه المثابة ان تتجنب هذه ما آثرته اختها وتكرهه وتنفر عنه فانساهم الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا
انصارا وعادوا اعوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته ﴿ومن اتبعك﴾ الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك
وزيدا درهم ولا تجر لان عطف الظاهر المجرور على المكني ممتنع قال فحسبك والضحاك سيف مهند والمعنى كفاك وكفى تباعك
من المؤمنين الله ناصرا او يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس رضه

نزلت في اسلام عمر رضه وعن سعيد بن جبير انه اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضه فنزلت
﴿التحريض﴾ المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت او ان يسميه حرضا ويقول
له ما اراك الا حرضا في هذا الامر وممرضا فيه ليهيجه ويتحرك منه وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص ويقال
حركه وحرضه وحرشه وحربه بمعنى ﴿وعده﴾ عدة من الله تعالى وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من
الكفار بعون الله تعالى وتأييده ثم قال بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم
فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله تعالى نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار
من الله تعالى وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة في ثلثين راكبا فلقي
ابا جهل في ثلثمائة راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل
كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا نزل التخفيف وقرئ ضعفا بالضم والفتح كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفاء جمع ضعيف
وقرئ الفعل المسند الى المائة بالتاء والياء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في
الدين وكانوا متفاوتين في ذلك فان قلت لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده
قلت للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف
وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين ﴿ما كان لنبي﴾ قرئ للنبي على التعريف واسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل
والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى تثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة
يعني حتى يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان
ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي
بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر رضه فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم
وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك فقال عمر رضه كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله تعالى اغناك
عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب
رجال حتى تكون الين من اللبن وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر
مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروي
انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى
عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وستة دنانير وروي
انهم لما اخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر رضه على رسول الله صلعم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء
بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي

انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقولهما كان الاثخان في القتل احب الي من عرض الدنيا خطاما يتمنى ...
لانه حذف قليل الليث يريد الفداء والله يريد الآخرة يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل وقرئ يريدون
بالياء وقرأ بعضهم والله يريد الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على حاله كقوله ونار توقد بالليل نارا معناه
والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعني ثوابها والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه ويمكنهم منهم قتلا واسرا ويطلق لهم الفداء
ولكنه حليم يؤخر ذلك الى ان يكثروا ويعتزوا وهم يجهلون ٥ لولا كتاب من الله سبق لولا حكم منه سبق اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب
احدا بخطاء وكان هذا خطاء في الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاءهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به الجهاد في سبيل الله
وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم واقل لشوكتهم وقيل كتابه انه سيحل لهم الفدية التي اخذوها وقيل ان اهل بدر
مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك ٥ فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الغنائم
ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء لانه من جملة الغنائم واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه فان قلت
ما معنى الفاء قلت التسبيب والسبب محذوف معناه قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم وحلالا نصب على الحال من المغنوم
او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وقوله ان الله غفور رحيم معناه انكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ان
يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم ٥ في ايديكم في ملكتكم كأن ايديكم قابضة عليهم وقرئ من الاسرى في قلوبكم خيرا خلوص
ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الآخرة وفي قراءة الاعمش يثبكم خيرا
وعن العباس انه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلعم ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا
وكان احد الذين ضمنوا اطعام اهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروي ان رسول الله صلعم قال للعباس افد ابني اخيك عقيل بن ابي طالب
ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة
وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك
قال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته
اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون
عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي وروي انه قدم
على رسول الله صلعم مال البحرين ثمانون الفا فتوضأ لصلوة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان يأخذ منه فاخذ ما قدر على حمله
وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو المغفرة وقرأ الحسن ويثبكم مما اخذ منكم على البناء للفاعل ٥ وان يريدوا خيانتك نكث ما
بايعوك عليه من الاسلام والردة واستحباب دين آبائهم فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه
فامكن منهم كما رأيتم يوم بدر فيمكن منهم ان اعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء ٥ الذين هاجروا اي
فارقوا اوطانهم وقومهم حبا لله ولرسوله هم المهاجرون والذين آووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم هم الانصار بعضهم

اولياء بعض اي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ
ذلك بقوله تعالى واولو الارحام بعضهم اولى ببعض وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر اي من توليهم في الميراث ووجه الكسر ان تولي
بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كأنه بتوليه صاحبه يزاول امرا ويباشر عملا فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على
المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا يجوز لكم نقض عهدهم لانهم لا يبتدئون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك ٥ والذين
كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين اولئك بعضهم اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن
موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال الا
تفعلوه اي ان لا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة
القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين
ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا وقرئ كثير بالثاء ٥ اولئك هم المؤمنون حقا لانهم صدقوا
ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه
الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والاولى للامر بالتواصل ٥ والذين آمنوا من بعد يريد اللاحقين بعد
السابقين الى الهجرة كقوله تعالى والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم
بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا واولوا الارحام اولوا القرابات اولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة في
كتاب الله في حكمه وقسمته وقيل في اللوح وقيل في القرآن وهو آية المواريث وقد استدل به اصحاب ابي حنيفة رحمه الله على
توريث ذوي الارحام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه بريء من النفاق
واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته في الدنيا

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين

لها عدة اسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب
لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق اي تبرئ وتبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها
وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله
ما تركت احدا الا نالت منه فان قلت هلا صدرت بآية التسمية كسائر السور قلت سأل عن ذلك ابن عباس عثمان
رضي الله عنهما فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه السورة او الآية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي
رسول الله صلعم ولم يبين لنا اين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن ابي بن كعب
رضي الله عنه انما توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود وسئل ابن عيينة فقال اسم الله تعالى سلام وامان فلا يكتب

في النبذ والمحاربة قال الله سبحانه وتعالى ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمنا قيل فان النبي عليه السلام قد كتب الى اهل الحرب
بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله فاجاب
ومن دعي الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراءة واللعنة واهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف
ومترس ولا باس هذا امان كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطول وهي
سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا مائتان وست فهما بمنزلة احدى الطول وقيل اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال بعضهم الانفال والبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول
من قال هما سورة واحدة براءة خبر مبتدأ محذوف اي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من
الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان تكون براءة مبتداء لتخصصها
بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة وقرأ اهل نجران من الله
بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم
فان قلت لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت قد اذن الله في معاهدة المشركين اولا فاتفق المسلمون
مع رسول الله صلعم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله تعالى النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله
ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين فسيحوا روي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا
ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر امنين اين شاؤوا لا يتعرض
لهم وهي الاشهر الحرم في قوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع
من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله صلعم ابا بكر رضه على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا
رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له عليه السلام لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما
دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور وروي ان ابا بكر رضي الله عنه لما كان ببعض
الطريق هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا رضي الله عنه فرجع ابو بكر الى رسول الله صلعم فقال يا رسول الله
أشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي
رضي الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية وعن
مجاهد ثلث عشرة ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس
مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد
الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما ابى ان لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتها في نقض عهودها ان يتولى ذلك على القبيلة
رجل منها فلو تولاه ابو بكر رضي الله عنه لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود فازيحت علتهم بتولية ذلك عليا رضي الله عنه

فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين

فان قلت ما الاشهر الاربعة قلت عن الزهري ان براءة نزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة
والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم
وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك
الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة فان قلت ما وجه اقوال اكثر العلماء على جواز مقاتلة
المشركين في الاشهر الحرم وقد صانها الله عن ذلك قلت قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وابيح قتال المشركين فيها غير معجزي
الله لا تفوتونه وان امهلكم وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب واذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين
ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد
والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء فان قلت اي فرق بين معنى الجملة الاولى
والثانية قلت تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت فان قلت لم علقت البراءة بالذين
عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس قلت لان البراءة مختصة بالمعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقيل
يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي وعن علي رضه ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر
قال يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر رضه ان رسول الله صلعم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف
الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان اريد
به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر وعن الحسن سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته
لاعياد اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله
بالكسر لان الاذان في معنى القول ورسوله عطف على المنوي في بريء او على محل ان المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او
لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال ان كان الله
بريئا من رسوله فانا منه بريء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر رضي الله عنه بتعلم العربية فان تبتم من الكفر
والغدر فهو خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي والاعراض عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير سابقين الله ولا فائتين
اخذه وعقابه فان قلت مم استثنى قوله الا الذين عاهدتم قلت وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا
في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم
منهم ثم لم ينقصوا فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا
اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوى بين الفريقين
فاتقوا الله في ذلك ولم ينقصوكم شيئا لم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر على
خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فانسلخ الاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل او حرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس رضي حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم فخلوا سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله خل السبيل لمن يبني المناره وعن ابن عباس رضي دعوهم واتيان المسجد الحرام ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف لهم من الكفر والغدر احد مرتفع بفعل الشرط مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا تدخل على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستامنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن ويتبين ما بعثت له فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه بعد ذلك داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن هي محكمة الى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى علي رضي فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او ياتيه لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك الاية وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك اي ذلك الامر يعني الامر بالاجارة في قوله تعالى فاجره بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون للمشركين عهد عند رسول الله صلعم وهم اضداد وغرة صدورهم يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله تعالى الا الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين يعني ان التربص بهم من اعمال المتقين كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب يريد فكيف مات اي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم بعدما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا الا لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وانشد لحسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل الا الها وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبريل وجبرال من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه ان اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه من الال وهو الجوار وله اليل اي انين يرتفع به صوته ودعت الالها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابة لان القرابة عقدت

بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم كلام مبتدا في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وابا القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل واكثرهم فاسقون متمردون خلعاء لا مروة تزعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر احدوثة السوء اشتروا استبدلوا بايات الله بالقران والاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة فان تابوا عن الكفر ونقض العهد فاخوانكم فهم اخوانكم على حذف المبتدا كقوله تعالى فان لم تعلموا اباءهم فاخوانكم ونفصل الايات ونبينها وهذا اعتراض كانه قيل وان من تامل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تامل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم امنوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله تعالى ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم ائمة الكفر وذووا الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة انهم لا ايمان لهم جمع يمين وقرئ لا ايمان لهم اي لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه فان قلت كيف اثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم قلت اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعي رضي الله عنه يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله تعالى فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم ان تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد فان قلت كيف لفظ ائمة قلت همزة بعدها همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن بمقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان تكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف الا تقاتلون دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدءوكم اول مرة اي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله صلعم جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادئون بالقتال والبادي اظلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بان لا تترك مصادمته

وان يوبخ من فرط منها المخشيهم تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها فالله أحق أن تخشوه فقاتلوا أعداءه إن كنتم مؤمنين يعني أن
قضية الإيمان الصحيح أن لا يخشى المؤمن إلا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله تعالى ولا يخشون أحدا إلا الله ∴ لما وبخهم الله تعالى على
ترك القتال جرد لهم الأمر به تعالى فقاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم أنه يعذبهم بأيديهم قتلا ويخزيهم أسرا ويوليهم
النصر والغلبة عليهم ويشفي صدور طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس رضه هم بطون من اليمن وسبأ قدموا
مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلعم يشكون اليه فقال أبشروا فان الفرج قريب ∴ ويذهب غيظ
قلوبهم لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصّل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة
نبوته ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام وإخبار بأن بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقد أسلم ناس منهم وحسن
إسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب بإضمار أن ودخول التوبة في جملة ما أجيب به الأمر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون
كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل إلا ما اقتضته الحكمة ∴ أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى أنكم لا
تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله تعالى ولم يتخذوا وليجة أي بطانة من الذين
يضادون رسول الله صلعم والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على أن تبين ذلك وإيضاحه متوقع كائن وأن الذين لم
يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله تعالى ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم
الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم
نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك مني ∴ ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام أن يعمروا
مسجد الله يعني المسجد الحرام لقوله تعالى وعمارة المسجد الحرام وأما القراءة بالجمع ففيها وجهان أحدهما أن يراد المسجد الحرام
وإنما قيل مساجد لأنه قبلة المساجد كلها وإمامها فعامره كعامر جميع المساجد ولأن كل بقعة منه مسجد والثاني أن يراد جنس
المساجد وإذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لأن
طريقه طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك شاهدين حال من الواو في يعمروا
والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة متعبدات الله تعالى مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على أنفسهم
بالكفر ظهور كفرهم وأنهم نصبوا أصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد أصبنا فيها المعاصي
وكلما طافوا شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل قد أقبل المهاجرون والأنصار
على أسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن أبي طالب رضه يوبخ العباس بقتال رسول الله صلعم وقطيعة الرحم وأغلظ له القول
فقال العباس رضه تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا أو لكم محاسن قالوا نعم ونحن أفضل منكم أجرا إنا لنعمر المسجد ونحجب
الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت حبطت أعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة وإذا هدم الكفر أو الكبيرة
الأعمال الثابتة الصحيحة إذا تعقبها فما ظنك بالمقارن وإلى ذلك أشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على أنهم قارنوا

بين العمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم ∴ إنما يعمر مساجد الله وقرئ بالتوحيد أي إنما
يستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها
للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو أجله وأعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا فضلا عن فضول
الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب
الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال
صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي
فحق على المزور أن يكرم زائره وعنه من ألف المسجد ألفه الله وقال عليه السلام إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان
وعن أنس رضه من أسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه فإن قلت هلا ذكر الإيمان
برسول الله قلت لما علم وشهر أن الإيمان بالله قرينته الإيمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والأذان والإقامة وغيرها عليهما مقترنين
مزدوجين كأنهما شيء واحد غير منفك أحدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الإيمان بالله الإيمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر إقامة الصلوة
وإيتاء الزكوة فإن قلت كيف قيل ولم يخش إلا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها قلت هي الخشية
والتقوى في أبواب الدين وأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف وإذا اعترض أمران أحدهما حق الله والآخر حق نفسه
أن يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى أولئك أن يكونوا من
المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لأطماعهم في الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها وأملوا عاقبتها بأن الذين آمنوا
وضموا إلى إيمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون أنهم
مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله تعالى
∴ السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره أجعلتم أهل سقاية وعمارة المسجد
الحرام كمن آمن بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وأبي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى
إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي
أن المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت لهم اليهود أنتم أفضل وقيل
إن عليا رضه قال للعباس يا عم ألا تهاجرون ألا تلحقون برسول الله فقال ألست في أفضل من الهجرة أسقي حاج بيت الله وأعمر
المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما أراني إلا تارك سقايتنا فقال صلى الله عليه وسلم أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها خيرا ∴ أعظم
درجة عند الله من أهل السقاية والعمارة عندكم وأولئك هم الفائزون لا أنتم والمختصون بالفوز دونكم ∴ قرئ يبشرهم بالتخفيف
والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي في المهاجرين خاصة ∴ كان
قبل فتح مكة من آمن لم يتم إيمانه إلا بأن يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله إن نحن اعتزلنا من

فالقنا في الذين تقطعنا آباؤنا وأبناؤنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت

فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أخوه أو أبوه أو بعض أقربائه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك

وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم وعن النبي عليه السلام لا يطعم أحدكم طعم الإيمان حتى يحب

في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله أبعد الناس ويبغض في الله أقرب الناس إليه وقرئ عشيراتكم وعشائركم وقرأ الحسن عشيرتكم

وعشائركم فتربصوا حتى يأتي الله بأمره وعيد وعن ابن عباس رضه هو فتح مكة وعن الحسن عقوبة عاجلة أو آجلة

وهذه آية شديدة لا ترى أشد منها كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف أورع

الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله تعالى والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء

والإخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله أم يزوي الله عنه أحقر شيء منها لمصلحته فلا يدري

أي طرفيه أطول ويغويه الشيطان عن أجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كأنما وقع على أنفه ذباب فطيره ● مواطن الحرب

مقاماتها ومواقفها قال ● وكم موطن لولاي طحت كما هوى ● بأجرامه من قلة النيق منهوي ● وامتناعه من الصرف لأنه جمع على صيغة

لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة فإن قلت كيف عطف الزمان

على المكان وهو يوم حنين على المواطن قلت معناه وموطن يوم حنين أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز أن يراد

بالموطن الوقت كمقتل الحسين على أن الواجب أن يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك أن قوله إذ أعجبتكم

بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها

فبقي أن يكون ناصبه فعلا خاصا به إلا إذا نصبت إذ بإضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين

وهم اثنا عشر ألفا الذين حضروا فتح مكة منضما إليهم ألفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فيمن ضامهم

من إمداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقيل قائلها رسول الله صلعم وقيل أبو بكر رضي الله عنه وذلك قوله إذ أعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالا شديدا وأدركت المسلمين كلمة الإعجاب

بالكثرة وزل عنهم أن الله تعالى هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله وحده وهو ثابت في مركزه

لا يتحلحل ليس معه إلا عمه العباس رضه آخذا بلجام دابته وأبو سفيان بن الحرث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق

على تناهي شجاعته ورباطة جأشه وما هي إلا من آيات النبوة وقال يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح

بالناس فنادى الأنصار فخذا فخذا ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت

الملائكة عليهم الثياب البياض على خيول بلق فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم أخذ كفا

من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس رضه لكأني أنظر إلى رسول الله يركض خلفهم على بغلته

بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع أي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه

قوله وكم موطن لولاي البيت طحت أي هلكت هوى سقط الأجرام جمع جرم وهو الجسم والنيق أرفع موضع في الجبل والجمع نياق وقوله منهوي قال هوى أي كما هوى المنهوي

قوله منضما إليهم ألفان من الطلقاء والطلقاء هم الذين أطلقهم النبي عليه السلام يوم فتح مكة ثم أطلقهم ● قوله ائتني بما وعدتني في ابتداء الإسلام كانوا يؤذون النبي عليه السلام

ويريدون إطفاء نور الله فوعد الله نبيه بأن يعطي الغلبة التي لا يزاحمها شيء

قوله صيتا أي جهير الصوت ● قوله فخذا فخذا أي ينادي كل فخذ واحدا بعد واحد ● قوله حمي الوطيس أي اشتد الحرب

جاء ثلّ القوم أي منهزمهم يستوي فيه الواحد والجمع يقال رجل ثلّ وقوم ثلّ من الصحاح

بثياب السفر أي ملتبسا بهالم أجلها نعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب
فكانما ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم ﴿ سكينته ﴾ رحمته التي سكنوا بها وامنوا ﴿ وعلى المؤمنين ﴾ الذين انهزموا وقيل
هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب ﴿ وانزل جنودا ﴾ يعني الملائكة وكانوا ثمانية الاف وقيل خمسة الاف
وقيل ستة عشر الفا ﴿ وعذب الذين كفروا ﴾ بالقتل والاسر والسبي للنساء والذراري ﴿ ثم يتوب الله ﴾ اي يسلم بعد ذلك ناس منهم
وروي ان ناسا منهم جاؤا فبايعوا رسول الله صلعم على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا
واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون وان خير القول
اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل شيئا بالاحساب فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤا
مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده شيء وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن
لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى
فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء ان قد رضوا ﴿ نجس ﴾ مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا
ومعناه ذو نجس لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة
لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس رض اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن
رحمه الله عليه من صافح مشركا توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم
على تقدير حذف الموصوف كانه قيل انما المشركون جنس نجس واكثر ما جاء تابعا للرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد
﴿ فلا يقربوا المسجد الحرام ﴾ فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية ﴿ بعد عامهم هذا ﴾ بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع
من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين
نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند
الشافعي رض يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك رحمة الله عليه يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء
ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين
عن تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك ﴿ وان خفتم عيلة ﴾ اي فقرا بسبب
منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب ﴿ فسوف يغنيكم الله من فضله ﴾ من عطائه او من
تفضله بوجه آخر فارسل السماء عليهم مدرارا فاغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام
وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس رض القى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من
اين تاكلون فامرهم الله تعالى بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم وقرئ عائلة بمعنى المصدر
كالعافية او حالا عائلة ومعنى قوله ان شاء ان اوجبت الحكمة اغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم ﴿ ان الله عليم ﴾ باحوالكم ﴿ حكيم ﴾ لا يعطي

ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم

يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم

لا يمنع الا عن جلية وصواب ٭ بين الذين اوتوا الكتاب بيان للذين مع ما في حيزه نفى عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية
والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الآخر لانهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم
في الكتاب والسنة وعن ابي روق لا يعملون بما في التورية والانجيل وان يدينوا دين الحق وان يعتقدوا دين الاسلام الذي هو
الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده ٭ حتى يعطوا الجزية لانها طائفة مما على اهل الذمة
ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد اما ان يراد يد المعطي او الآخذ فمعناه على اللغة
يد المعطي حتى يعطوها عن يد اي عن يد مواتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى
بيده اذا انقاد واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا
غير نسيئة لا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الآخذ واما على ارادة يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية
او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم وهم صاغرون اي تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو
ان ياتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان
يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام عند ابي حنيفة ولا تسقط به خراج الارض واختلف فيمن تضرب عليه فعند ابي
حنيفة تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابئ وحربي الا على مشركي العرب وحدهم روى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وادت اليكم
الجزية العجم وعند الشافعي لا تؤخذ من مشركي العجم والمأخوذ عند ابي حنيفة في اول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر
درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية واربعون ولا تؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي يؤخذ
في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان او غنيا كان له كسب او لم يكن ٭ عزير ابن الله مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن
الله وعزير اسم اعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا واما قول
من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل
عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس رضي الله عنهما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول ان اليهود
قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله تعالى عنهم التورية ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل
عليه السلام فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التورية فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله تعالى
التورية في صدره وهو غلام الا لانه ابنه والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على
التكذيب فان قلت كل قول يقال بالفم فما معنى قوله تعالى ذلك قولهم بافواههم قلت فيه وجهان احدهما ان يراد انه قول
لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على معان وذلك ان

وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون

القول انما يدل على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد بالقول المذهب
كقولهم قول ابي حنيفة رحمة الله عليه يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه
ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وذلك انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد يضاهئون لا بد فيه من حذف
مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي قول المشركين
الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقرئ يضاهيون
بالهمز من قولهم امرأة ضهيأ على فعيل وهي التي ضاهأت الرجال في انها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما في غرقئ قاتلهم الله اي هم احقاء
بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعا قاتلهم الله ما اعجب فعلهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق ٭
اتخاذهم اربابا انهم اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما يطاع الارباب في اوامرهم ونحوه تسمية
اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن يا ابت لا تعبد الشيطان وعن عدي بن حاتم انتهيت الى رسول الله
صلعم وفي عنقي صليب من ذهب فقال اليسوا يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتحلونه قلت بلى قال فتلك
عبادتهم وعن الفضيل ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله تعالى
فقد اهلوه للعبادة الا ترى الى قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا امرتهم
بذلك ادلة العقل والنصوص في الانجيل والمسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة سبحانه تنزيه له عن الاشراك
به واستبعاد له ويجوز ان يكون الضمير في وما امروا للمتخذين اربابا اي وما امر هؤلاء الذين هم عندهم ارباب الا ليعبدوا الله و
يوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم ٭ مثل حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق والاضاءة
ليطفئه بنفخه ويطمسه ليظهره ليظهر الرسول على الدين كله على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين فان قلت
كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا قلت قد اجرى ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون
ان يطفئوا نور الله بقوله تعالى ويابى الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره ٭ معنى اكل الاموال على وجهين
اما ان يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله واما على ان الاموال يؤكل بها فهي سبب للاكل ومنه قوله
يأكل كل ليلة اكافا اي يريد علفا يشترى بثمن اكاف ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا يأخذون الرشى في الاحكام والتخفيف والمسامحة
في الشرائع والذين يكنزون يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم
اخذ البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير وان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم

وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على ان من يأخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله سواء في استحقاق
البشارة بالعذاب الاليم وقيل نسخت الزكوة اية الكنز وقيل هي ثابتة وانما عني بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكوة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ما ادي زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رضي ان رجلا سأله عن ارض له باعها
فقال احرز مالك الذي اخذت احفر له تحت فراش امرأتك قال اليس بكنز قال ما ادي زكوته فليس بكنز وعن ابن عمر رضي كل ما
اديت زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما لم تؤد زكوته فهو الذي ذكره الله تعالى وان كان على ظهر الارض فان قلت فما
تصنع بما روي سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلثا فقالوا له اي مال نتخذ قال
لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وبقوله عليه السلم من ترك صفراء او بيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره
دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفي اخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان قلت كان هذا قبل ان تفرض الزكوة فاما بعد
فرض الزكوة فالله تعالى اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له ويؤدي عنه ما اوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير
من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض
اختيار للافضل والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء له حد وما روي عن علي رضي اربعة
الاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام في الافضل فان قلت لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان قلت ذهابا بالضمير الى
المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله عز وجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل
ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب وقيار كذلك فان
قلت لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال قلت لانهما قانون التمول واثمان الاشياء ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته
ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر اجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما يوم يحمى فان قلت ما معنى قوله
يحمى عليها وهلا قيل تحمى من قولك حمي الميسم واحميته ولا تقول احميت على الحديد قلت معناه ان النار تحمى عليها اي
توقد ذات حمي وحر شديد من قوله تعالى نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى فان قلت فاذا كان الاحماء للنار
فلم ذكر الفعل قلت لانه مسند الى الجار والمجرور واصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال
الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير وعن ابن عامر انه قرأ
تحمى بالتاء وقرأ ابو حيوة فيكوى بالياء فان قلت لم خصت هذه الاعضاء قلت لانهم لم يطلبوا باموالهم حيث
لم ينفقوها في سبيل الله الا الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وان يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل
ويحيون بالاكرام ويبجلون ويحتشمون ومن اكل الطيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها
على ظهورهم كما ترى اغنياء زمانك هذه اغراضهم وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور

بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم
وقيل معناه يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم هذا ما كنزتم على ارادة القول وقوله لانفسكم اي كنزتموه
لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الاغراض التي حامت حولها وما علمتم انكم كنزتموه لتستضر به انفسكم وتتعذب وهو توبيخ
لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرئ تكنزون بضم النون اي وبال المال الذي كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين في كتاب الله فيما
اثبته واوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في اللوح اربعة حرم ثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب
ومنه قوله عليه السلم في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها
اربعة حرم ثلثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما
كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر قبلها
في ذي القعدة الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين ابرهيم واسمعيل صلوات الله عليهما وكانت العرب
قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا
رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثت النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن في الحرم انفسكم اي لا تجعلوا حرامها حلالا وعن عطاء بالله
ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراساني احلت القتال في الاشهر الحرم
براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم اشهر الحج بقوله تعالى فمن فرض فيهن الحج فلا رفث
ولا فسوق وان كان ذلك محرما في سائر الشهور كافة حال من الفاعل او المفعول مع المتقين ناصر لهم حثهم على التقوى بضمان النصر
لاهلها النسيء تأخير حرمة الشهر الى شهر اخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم
ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا اخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من بين شهور العام
اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص
الذي هو احد الواجبين وربما زادوا في عدة الشهور فيجعلونها ثلثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال الله تعالى
ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء اي اذا احلوا شهرا من
الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل يروى انه حدث ذلك في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان
جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم
المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه جعل النسيء زيادة في الكفر لان الكافر كلما
احدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن اذا احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون
وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على ان الفعل لله تعالى وقرأ الزهري ليوطئوا بالتشديد والنسي

مصدر نسأه إذا أخره يقال نسأه نسأ ونساء ونسيا كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ النسي بوزن الندي
والنسي بوزن النهي وهما تخفيف النسيء والنساء فان قلت ما معنى قوله ليحلوا ما حرم الله قلت معناه ليحلوا بمواطاة
العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص الاشهر بعينها زين لهم سوء أعمالهم خذلهم الله فحسبوا
أعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي أي لا يلطف بهم بل يخذلهم وقرئ زين لهم سوء أعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل
اثاقلتم تثاقلتم وبه قرأ الأعمش أي تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والإخلاد فعدي بإلى والمعنى ملتم إلى الدنيا وشهواتها
وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه أخلد إلى الأرض واتبع هواه وقيل ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم وقرئ أثاقلتم على
الاستفهام الذي معناه الإنكار والتوبيخ فإن قلت فما العامل في إذا وحرف الاستفهام مانع أن يعمل فيه قلت ما دل
عليه أو ما في مالكم من معنى الفعل كأنه قيل ما تصنعون إذا قيل لكم كما تعمله في الحال إذا قلت ما لك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة
عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج
رسول الله صلعم في غزوة إلا ورى عنها بغيرها إلا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة من الآخرة بدل الآخرة كقوله تعالى
لجعلنا منكم ملائكة في الآخرة في جنب الآخرة إلا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول
عذاب الدارين وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم وأطوع وأنه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا
وقيل الضمير للرسول أي ولا تضروه لأن الله تعالى وعده أن يعصمه من الناس وأن ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد
بقوله قوما غيركم أهل اليمن وقيل أبناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص فإن قلت كيف يكون قوله فقد نصره الله
جوابا للشرط قلت فيه وجهان أحدهما إلا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد ولا أقل من الواحد فدل
بقوله تعالى فقد نصره الله أي أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني أنه أوجب له النصرة وجعله منصورا في
ذلك الوقت فلن يخذل من بعده وأسند الإخراج إلى الكفار كما أسند إليهم في قوله تعالى من قريتك التي أخرجتك لأنهم حين
هموا بإخراجه أذن الله له في الخروج فكأنهم أخرجوه ثاني اثنين أحد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبو بكر رضي الله عنه يروى أن جبريل عليه السلام لما أمره بالخروج قال من يخرج معي قال أبو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين
بالسكون وإذ هما بدل من إذ أخرجه والغار ثقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا إذ يقول بدل ثان
قيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر رضه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن تصب اليوم ذهب دين الله تعالى فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت
عليه وقال صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ الله تعالى بأبصارهم عنه وقالوا
من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لإنكاره كلام الله تعالى وليس ذلك لسائر الصحابة سكينته ما ألقي في قلبه من الأمنة التي سكن عندها

وعلم أنهم لا يصلون إليه والجنود الملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا دعوتهم إلى الكفر وكلمة الله دعوته
إلى الإسلام وقرئ وكلمة الله بالنصب والرفع أوجه وهي فصل أو مبتدأ وفيها تأكيد فضل كلمة الله في العلو وأنها المختصة به
دون سائر الكلم انفروا خفافا وثقالا خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وأذيالكم
وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبانا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا وعن ابن
أم مكتوم رضه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي أن أنفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الأعمى حرج وعن ابن عباس رضي الله عنهما
نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه
من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد أعذر الله إليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا
ألا إنه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له إنك عليل صاحب ضر فقال
استنفر الله تعالى الخفيف والثقيل فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم إيجاب للجهاد بهما إن
أمكن أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر
أي لو كان ما دعوا إليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا وسطا مقاربا والشقة المسافة الشاطة الشاقة وقرأ عيسى بن عمر بعدت
عليهم الشقة بكسر العين والشين ومنه قوله يقولون لا تبعد وهم يدفنونه ولا بعد إلا ما توارى الصفائح بالله متعلق
بسيحلفون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين أي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين
يقولون لو استطعنا وقوله تعالى لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا والإخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم
وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الأبدان كأنهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو
تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت يهلكون أنفسهم إما أن يكون بدلا من سيحلفون أو حالا بمعنى مهلكين والمعنى أنهم
يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل أن يكون حالا من قوله تعالى لخرجنا أي لخرجنا معكم
وإن أهلكنا أنفسنا وألقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لأنه مخبر عنهم ألا ترى
أنه لو قيل سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولأفعلن فالغيبة على حكم الإخبار والتكلم
على الحكاية عفا الله عنك كناية عن الجناية لأن العفو رادف لها ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت ولم أذنت لهم بيان لما
كني عنه بالعفو ومعناه ما لك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالإذن حتى يتبين
لك من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما إذنه للمنافقين وأخذه من الأسارى
فعاتبه الله تعالى لا يستأذنك ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والأنصار يقولون لا
نستأذن النبي عليه السلام أبدا ولنجاهدن معه بأموالنا وأنفسنا ومعنى أن يجاهدوا في أن يجاهدوا أو كراهة أن يجاهدوا والله عليم
بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم بأجزل الثواب إنما يستأذنك يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين

وعلا يترددون عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات والاستقرار ديدن المستبصر وقرئ عُدّه بمعنى عدته فعل
بالعدة ما فعل بالعدة من قال واخلفوك عد الامر الذي وعدوا ومن حذف تاء التانيث وعوض المضاف اليه منها وقرئ عِدّه
بكسر العين بغير اضافة وعده باضافة فان قلت ـــــ كيف موقع حرف الاستدراك قلت ـــــ لما كان قوله ولو ارادوا الخروج
معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم
كما تقول ما احسن الي زيد ولكن اساء الي فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث وقيل اقعدوا جعل القاء الله
في قلوبهم كراهة الخروج امرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قولهم لانفسهم وقيل هو اذن رسول الله صلعم
لهم في القعود فان قلت ـــــ كيف جاز ان يوقع الله تعالى في نفوسهم كراهة الخروج الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح
قلت ـــــ خروجهم كان مفسدة لقوله تعالى لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة
فان قلت ـــــ فلم خطا رسول الله صلعم في الاذن لهم فيما هو مصلحة قلت ـــــ لان اذن رسول الله صلعم لهم لم يكن للنظر في هذه
المصلحة ولا علمها الا بعد القفول باعلام الله تعالى ولكن لانهم استاذنوه واعتذروا اليه فكان عليه ان يتفحص عن كنه معاذيرهم
ولا يتجوز في قبولها فمن ثم اتاه العتاب ويجوز ان يكون في تركه رسول الله صلعم الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة اخرى فبإذنه
لهم فقدت تلك المصلحة وذلك انهم اذا ثبطهم الله تعالى فلم ينبعثوا وكان تعوقهم بغير اذن رسول الله صلعم قامت عليهم الحجة ولم تبق لهم
معذرة ولقد تدارك الله تعالى ذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الاخر فان
قلت ـــــ ما معنى قوله مع القاعدين قلت ـــــ هو ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود
والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله رضوا بان يكونوا مع الخوالف ﴿الا خبالا﴾ ليس من الاستثناء
المنقطع في شيء كما يقولون لان الاستثناء المنقطع هو ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا
والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من اعم العام الذي هو الشيء فكان استثناء متصلا لان الخبال بعض
اعم العام كانه قيل ما زادوكم شيئا الا خبالا والخبال الفساد والشر ﴿ولاوضعوا خلالكم﴾ ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات
البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا والمعنى ولاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب
اسرع من الماشي وقرا ابن الزبير ولارفضوا من رفضت الناقة رفضا اذا اسرعت وارفضتها انا قال ـــــ والرافضات الى منى فالقبقب
وقرئ ولاوفضوا فان قلت ـــــ كيف خط في المصحف ولااوضعوا بزيادة الالف قلت ـــــ كانت الفتحة تكتب الفا قبل الخط
العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا
اخرى ونحوه قوله عز وجل او لااذبحنه ﴿يبغونكم الفتنة﴾ يحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم
﴿وفيكم سماعون لهم﴾ اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم او فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم ﴿لقد ابتغوا الفتنة﴾
اي العنت ونصب الغوائل والسعي في تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف بمن معه وعن

ابن جريج وقفوا لرسول الله صلعم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل من قبل غزوة تبوك ﴿وقلبوا لك
الامور﴾ ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف ﴿حتى جاء الحق﴾ وهو تاييدك ونصرك
﴿وظهر امر الله﴾ وغلب دينه وعلا شرعه ﴿ائذن لي﴾ في القعود ﴿ولا تفتني﴾ ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تاذن لي
فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد
علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمال فاتركني وقرئ ولا تفتني
من افتنه ﴿الا في الفتنة سقطوا﴾ اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف ابي سقط لان من موحد
اللفظ مجموع المعنى ﴿لمحيطة بالكافرين﴾ يعني انها تحيط بهم يوم القيامة او هي محيطة بهم الآن لان اسباب الاحاطة معهم فكانهم
في وسطها ﴿ان تصبك﴾ في بعض الغزوات ﴿حسنة﴾ ظفر وغنيمة ﴿تسؤهم وان تصبك مصيبة﴾ نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى
يوم احد ﴿يفرحوا﴾ ابخالهم في الانحراف عنك و﴿يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل﴾ اي امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ
والعمل بالحزم من قبل من قبل ما وقع ﴿ويتولوا﴾ عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى اهاليهم ﴿وهم فرحون﴾ مسرورون
وقيل تولوا اعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿قل لن يصيبنا﴾ وقرا ابن مسعود قل هل يصيبنا وقرا طلحة هل يصيبنا بتشديد الياء
ووجهه ان يكون يفيعل لا يفعل لانه من بنات الواو كقولهم الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب في جمع مصيبة
فحق يفعل منه يصوب الا ترى الى قولهم صوب رايه الا ان يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومن قوله
انه يرمي الصائبات والصيب واللام في قوله ﴿الا ما كتب الله لنا﴾ مفيد معنى الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا الا ما
اختصنا الله تعالى باثباته وايجابه من النصرة عليكم او الشهادة الا ترى الى قوله ﴿هو مولانا﴾ اي الذي يتولانا ونتولاه ذلك
بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير
الله سبحانه فليفعلوا ما هو حقهم ﴿الا احدى الحسنيين﴾ الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب
وهما النصرة والشهادة ﴿ونحن نتربص بكم﴾ احدى السوأيين من العواقب اما ﴿ان يصيبكم الله بعذاب من عنده﴾ وهو قارعة من
السماء كما نزلت على عاد وثمود ﴿او﴾ بعذاب ﴿بايدينا﴾ وهو القتل على الكفر ﴿فتربصوا﴾ بنا ما ذكرنا من عواقبنا ﴿انا معكم متربصون﴾ ما
هو عاقبتكم فلا بد ان يلقى كلنا ما يتربصه ولا يتجاوزه ﴿انفقوا﴾ يعني في سبيل الله ووجوه البر ﴿طوعا او كرها﴾ نصب على الحال
اي طائعين او مكرهين فان قلت ـــــ كيف امرهم بالانفاق ثم قال لن يتقبل منكم قلت ـــــ هو امر في معنى الخبر كقوله تعالى
قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم او لا
تستغفر لهم وقوله ـــــ اسيئي بنا او احسني لا ملومة اي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم
ولا نلومك اساءت الينا او احسنت فان قلت ـــــ متى يجوز نحو هذا قلت ـــــ اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك
رحم الله زيدا وغفر له فان قلت ـــــ لم فعل ذلك قلت ـــــ لنكتة فيه وهي ان كثيرا كانه يقول لعزة امتثلي لطف محلك عندي

وتوقّه محبتي إلك وعاملني بالإساءة والإحسان وانظر هل تتفاوت حالي متقلبة كنت أو محبة وفي معناه قول القائل
أخوك الذي إن قمت بالسيف عامداً لتضربه لم يستغشك في الود . وكذلك المعنى انفقوا انظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم أو
لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافاً بين حال الاستغفار وتركه فإن قلت ما الغرض في نفي التقبل أهو كون رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقبله منهم ورده عليهم ما يبذلون منه أم هو كونه غير مقبول عند الله ذاهباً هباء لا ثواب له قلت يحتمل الأمرين جميعاً وقوله
طوعاً أو كرهاً معناه طائعين من غير إلزام من الله ورسوله أو ملزمين وسمي الإلزام إكراهاً لأنهم منافقون فكان إلزامهم الإنفاق شاقاً
عليهم كالإكراه أو طائعين من غير إكراه من رؤسائكم لأن رؤساء أهل النفاق كانوا يحملون على الإنفاق لما يرون من المصلحة فيه أو مكرهين
من جهتهم وروي أنها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلعم هذا مالي أعينك به فاتركني إنكم تعليل
لرد إنفاقهم والمراد بالفسق التمرد والعتو أنهم فاعل منع وهم وأن تقبل مفعولاه وقرئ أن تقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول
ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد وقرأ السلمي أن يقبل منهم نفقاتهم على أن الفعل لله تعالى كسالى بالضم والفتح جمع كسلان
نحو سكارى وغيارى في سكران وغيران وكسالهم لأنهم لا يرجون بصلاتهم ثواباً ولا يخشون بتركها عقاباً فهي ثقيلة عليهم كقوله تعالى
وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين وقرأت في بعض الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن أن يقول كسلت كأنه ذهب إلى هذه
الآية وأن الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي أن يسنده المؤمن إلى نفسه فإن قلت الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم
الله تعالى طائعين في قوله طوعاً ثم وصفهم بأنهم لا ينفقون إلا وهم كارهون قلت المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غير إلزام من رسول الله صلعم
ومن رؤسائهم وما طوعهم ذاك إلا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار فلا تعجبك الإعجاب بالشيء أن تسر به سرور راض به متعجب
من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما أوتوا من زينة الدنيا كقوله تعالى ولا تمدن عينيك فإن الله تعالى إنما أعطاهم ما أعطاهم
للعذاب بأن عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الإنفاق منه في أبواب الخير وهم كارهون له على رغم
أنوفهم وأذاقهم أنواع الكلف والمحاين في جمعه واكتسابه وفي تربيته أولادهم فإن قلت إن صح تعليق التعذيب بإرادة الله تعالى
فما بال زهوق أنفسهم وهم كافرون قلت المراد الاستدراج بالنعم كقوله تعالى إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً كأنه قيل ويريد
أن يديم عليهم نعمته إلى أن يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة لمنكم لمن جملة المسلمين يفرقون يخافون
القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالإسلام تقية ملجأ مكاناً يلجؤن إليه متحصنين به من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة
أو مغارات أو غيراناً وقرئ بضم الميم من أغار الرجل وغار إذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشيء وأغرته أنا يعني أمكنة يغيرون
فيها أشخاصهم ويجوز أن يكون من أغار الثعلب إذا أسرع بمعنى مهارب ومغاور أو مدخلاً أو نفقاً يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من
الدخول وقرئ مدخلاً من دخل ومدخلاً من أدخل مكاناً يدخلون فيه أنفسهم وقرأ أبي بن كعب رضه متدخلاً وقرئ لوألوا إليه
لالتجأوا إليه وهم يجمحون يسرعون إسراعاً لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي إذا حمل لم يرده اللجام وقرأ أنس يجمزون فسئل فقال
يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك وقيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي

الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك إن لم أعدل فمن يعدل وقيل
هو أبو الجواظ من المنافقين قال ألا ترون إلى صاحبكم إنما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم أنه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا أبا لك أما كان موسى راعياً أما كان داود راعياً فلما ذهب قال عليه السلام احذروا هذا وأصحابه فإنهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم
ويلمّزك ويلامزك بالتثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة في اللمز ثم وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لأنفسهم لا للدين وما فيه صلاح أهله
لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه وإذا للمفاجأة أي وإن
لم يعطوا منها فاجؤا السخط وجواب لو محذوف تقديره ولو أنهم رضوا لكان خيراً لهم والمعنى ولو أنهم رضوا
ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وإن قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله تعالى وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا
غنيمة أخرى فيؤتينا رسول الله أكثر مما آتانا اليوم إنا إلى الله في أن يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون . إنما الصدقات للفقراء
قصر لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة وأنها مختصة بها لا تتجاوزها إلى غيرها كأنه قيل إنما هي لهم لا لغيرهم ونحوه
قولك إنما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها وأن تصرف إلى بعضها وعليه
مذهب أبي حنيفة رحمة الله عليه وعن ابن عباس رضه وغيره من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين أنهم قالوا في أي
صنف منها وضعتها أجزأك وعن سعيد بن جبير رضه لو نظرت إلى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحب
إلي وعند الشافعي رضي الله عنه لا بد من صرفها إلى الأصناف وعن عكرمة أنها تفرق في الأصناف الثمانية وعن الزهري أنه كتب
لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الأصناف الثمانية والعاملين عليها السعاة الذين يقبضونها والمؤلفة قلوبهم
أشراف من العرب كان رسول الله صلعم يستألفهم على أن يسلموا فيرضخ لهم شيئاً منها حين كان في المسلمين قلة وفي الرقاب المكاتبون
يعانون منها وقيل الأسارى وقيل تبتاع الرقاب فتعتق والغارمين الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل
الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل المسافر المنقطع
عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله فريضة في معنى المصدر المؤكد لأن قوله إنما الصدقات للفقراء معناه فرض الله تعالى
الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة فإن قلت لم عدل عن اللام إلى في في الأربعة الأخيرة قلت
للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لأن في للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات
ويجعلوا مظنة لها ومصباً وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والإنقاذ
ولجمع الغازي الفقير أو المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال وتكرير
في في قوله تعالى وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين فإن قلت كيف وقعت هذه الآية في
تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم قلت دل بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم
حسماً لأطماعهم وإشعاراً باستيجابهم الحرمان وأنهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها

الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته أذن سامعة ونظيره
قولهم للربيئة عين وايذاؤهم له هو قولهم فيه أذن اذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو اذن
ولكن نعم الاذن ويجوز ان يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ودل عليه قراءة حمزة ورحمة
بالجر عطفا عليه اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه اذن خير بانه يصدق بالله تعالى لما قام عنده من الادلة ويقبل
من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن آمن منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر
ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما رأى الله تعالى من المصلحة في الابقاء عليكم فهو اذن كما قلتم الا انه
اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسر بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته
وشهامته وانه من اهل سلامة القلوب والغرة وقيل ان جماعة منهم ذموه وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هو اذن
سامعة قد سمع كلام المبلغ فاذى وحين نأتيه نعتذر اليه يسمع عذرنا ايضا فيرضى فقيل هو اذن خير لكم وروي اذن خير لكم على ان
اذن خبر مبتدأ محذوف وخير كذلك اي هو اذن هو خير لكم يعني ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء
دخلتكم وقرأ نافع بتخفيف الذال فان قلت لم عدي فعل الايمان بالباء الى الله والى المؤمنين باللام قلت لانه قصد التصديق
بالله الذي هو نقيض الكفر به فعدي بالباء وقصد السماع من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدي
باللام الا ترى الى قوله تعالى وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما اباه عن الباء ونحوه قوله تعالى فما آمن لموسى الا ذرية من قومه انؤمن
لك واتبعك الارذلون آمنتم له قبل ان آذن لكم فان قلت ما وجه قراءة ابن ابي عبلة ورحمة بالنصب قلت هي علة معللها
محذوف تقديره ورحمة لكم يأذن لكم فحذف لان قوله اذن خير لكم يدل عليه ليرضوكم الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون
بالمطاعن او يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم ان كنتم
مؤمنين كما تزعمون فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله
فكانا في حكم مرضي واحد كقولك احسان زيد واجماله نعشني وجبر مني او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك المحادة
مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق فان له على حذف الخبر اي فحق ان له نار جهنم وقيل معناه فله وان تكرير لان في قوله توكيدا
ويجوز ان يكون فان له معطوفا على انه على ان جواب من محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم
وقرئ الم تعلموا بالتاء كانوا يستهزئون بالاسلام واهله وكانوا يحذرون ان يفضحهم الله تعالى بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله
لا ارانا الا شر خلق الله تعالى لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة وان لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين
وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يقول اليه ويجوز ان يكون الضمائر للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم
ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كأنها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت يعني انها تذيع اسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنها تخبرهم
بها وقيل معنى يحذر الامر بالحذر اي ليحذر المنافقون فان قلت الحذر واقع على انزال السورة في قوله تعالى يحذر المنافقون

ان تنزل عليهم سورة فما مقتضى قوله مخرج ما تحذرون قلت معناه محصل مبرز ما تحذرونه من انزال السورة او ان الله مظهر ما كنتم تحذرون
اي تحذرون اظهاره من نفاقكم بينا رسول الله صلعم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا
الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع الله تعالى نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال
قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا
على بعض السفر ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لم يعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كانهم معترفون
باستهزائهم وبانه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير وذلك انما يستقيم
بعد وقوع الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم
باستهزائكم بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان تعف عن طائفة منكم باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب طائفة
بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه او ان تعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ولم يستهزئوا فلا نعذبهم في العاجل
نعذب في العاجل طائفة بانهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله مستهزئين وقرئ ان يعف عن طائفة على البناء للمفعول
مع التانيث والوجه التذكير لان المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة فانث
لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة ان يعف عن طائفة منكم بالتذكير وتعذب طائفة بالتانيث وقرئ ان يعف عن طائفة منكم يعذب
طائفة على البناء للفاعل وهو الله عز وجل بعضهم من بعض اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله
انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف
عن الايمان والطاعات ويقبضون ايديهم شحا بالمبار والخيرات والصدقات والانفاق في سبيل الله نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم
فتركهم من رحمته وفضله هم الفاسقون هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا ان
يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله تعالى به المنافقين حين بالغ في ذمهم واذا كره رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلم
ان يقول كسلت لان المنافقين وصفوا بالكسل في قوله تعالى كسالى فما ظنك بالفسق خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم دلالة
على عظم عذابها وانه لا شيء ابلغ منه وانه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه ولعنهم الله واهانهم مع التعذيب
وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم اهل الجنة والحقهم بالملائكة المكرمين ولهم عذاب مقيم ولهم نوع من
العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز ان يريد ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه
من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على
اسرارهم كالذين محلها رفع على انتم مثل الذين من قبلكم او نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم وخضتم
كما استمتعوا وخاضوا ونحوه قول النمر كاليوم مطلوبا ولا طلبا باضمار لم ار وقوله كانوا اشد منكم تشبيه لهم بهم
وتمثيل فعلهم بفعلهم والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان اي قدر من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب اي اثبت

والخوض الدخول في الباطل واللهو كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه فان قلت اي فايدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغني عنه كما اغنى قوله كالذي خاضوا عن ان يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا قلت فايدته ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الاخرة وان يخسس امر الاستمتاع ويهجن امر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد ان تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وانت تفعل مثل فعله واما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة نقيض قوله واتيناه في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب والموتفكات مداين قوم لوط وقيل قريات قوم لوط وهود وصالح وايتفاكهن انقلاب احوالهن عن الخير الى الشر فما كان الله ليظلمهم فما صح منه ان يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وان يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا انفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض سيرحمهم الله السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سانتقم منك يوما يعني انك لا تفوتني وان تباطا ذلك ونحوه قوله تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك فترضى سوف يؤتيهم اجورهم عزيز غالب على كل شي قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع كل امر موضعه على حسب الاستحقاق ومساكن طيبة عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد وعدن علم بدليل قوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن ويدل عليه ما روى ابو الدرداء عن النبي عليه السلام عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل نهر جناته على حافاته ورضوان من الله اكبر وشي من رضوان الله اكبر من ذلك كله لان رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة اكبر اصناف الثواب ولان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر في نفسه مما وراءه من النعم وانما تتهنا له برضاه كما اذا علم بسخطته تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت وسمعت بعض اولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي الى شي مما وعد الله تعالى في دار الكرامة كما تطمح وتنازع الى رضاه عني وان احشر في زمرة المهديين المرضيين عنده ذلك اشارة الى ما وعد الله تعالى او الى الرضوان اي هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا وروي ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شي افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما امكن منها عن ابن مسعود رضه ان لم يستطع بيده فبلسانه وان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء

والتبرء منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها اقام رسول الله صلعم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القران ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا لصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلعم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل يحلفون بالله ما قالوا فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وكفروا بعد اسلامهم واظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله صلعم وذلك عند مرجعه من تبوك توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله وما نقموا وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم الله وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلعم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلعم بديته اثني عشر الفا فاستغنى فان يتوبوا هي الاية التي تاب عندها الجلاس في الدنيا والاخرة بالقتل والنار روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه فقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلعم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقراه كتاب الله تعالى رسول الله صلعم الذي فيه الفرايض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رايي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلعم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله تعالى منعني ان اقبل منك فجعل التراب على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض النبي عليه السلام فجاء بها الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان رضه وقرئ لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما من الصالحين قال ابن عباس رضه يريد الحج فاعقبهم نفاقا عن الحسن وقتادة ان الضمير للبخل يعني فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وداعيا اليه والظاهر ان الضمير لله تعالى والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق وقرئ يكذبون ولم تعلموا بالتاء عن علي رضه سرهم ونجويهم ما اسروه من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها الذين يلمزون محله النصب او الرفع على الذم ويجوز ان يكون في محل

الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين المتبرعين روي ان رسول الله صلعم
حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف رضه باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة الاف درهم وقال كان لي
ثمانية الاف درهم فاقرضت ربي اربعة وامسكت اربعة لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما
امسكت فبارك له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بماية وسق من التمر وجاء
ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلعم
ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع
ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت الا جهدهم الا طاقتهم قرئ بالفتح والضم سخر الله منهم
كقوله تعالى الله يستهزئ بهم في انه خبر غير دعاء الا ترى الى قوله ولهم عذاب اليم سأل عبد الله بن عبد الله بن ابي رسول الله عليه السلم
وكان رجلا صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال عليه السلم ان الله تعالى قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت
سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وقد ذكرنا ان هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم
ام لم تستغفر لهم وان فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الامر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لاصبحن العاص وابن العاص سبعين الفا عاقدي النواصي فان قلت كيف خفي على رسول الله صلعم
وهو افصح العرب واخبرهم باساليب الكلام وتمثيلاته والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله تعالى ذلك بانهم
كفروا الاية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسازيد على السبعين قلت لم يخف عليه ذلك ولكنه
خيل بما قال اظهارا لغاية رحمته ورأفته على من بعث اليه كقول ابرهيم ومن عصاني فانك غفور رحيم وفي اظهار النبي
الرحمة والرأفة لطف لامته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض المخلفون الذين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان بمقعدهم بقعودهم عن
الغزو خلاف رسول الله خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة ابي حيوة خلف
رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث قعدوا ونهضوا وانتصابه على انه مفعول له او حال اي قعدوا لمخالفته
او مخالفين له ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله تعالى وبما فعلوا من بذل
اموالهم وارواحهم في سبيل الله وايثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من
باعث الايمان وداعي الايقان قل نار جهنم استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون
في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل ولبعضهم مسرة احقاب تلقيت بعدها مساءة يوم اريها شبه الصاب فكيف
بان تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها مساءة احقاب معناه فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا جزاء الا انه اخرج على لفظ
الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون يروى ان اهل النفاق يكونون في النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم

روي ان اهل النفاق يكونون في النار وانما قال الى طائفة منهم لان منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف او اعتذر بعذر
صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد بالطائفة المنافقين منهم فاستاذنوك للخروج يعني الى غزوة بعد غزوة تبوك
اول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله انه لم يدعهم اليه الا النفاق
بخلاف غيرهم من المتخلفين مع الخالفين قد مر تفسيره وقرا مالك بن دينار رحمه الله مع الخلفين على قصر الخالفين فان قلت
مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على واحدة من المرات قلت اكثر
اللغتين هند اكبر النساء وهي اكبرهن ثم ان قولك هي كبرى امراة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي اكبر امراة واول مرة واخر مرة وعن
قتادة ذكر لنا انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين
ويدعو لهم فلما مرض راس النفاق عبد الله بن ابي بعث اليه ليأتيه فلما دخل عليه قال اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت
اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وساله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حباب الى جنازته
فساله عن اسمه فقال انت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلوة عليه قال له عمر رضه اتصلي على عدو الله
فنزلت وقيل اراد ان يصلي عليه فجذبه جبريل عليه السلم فان قلت كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه
قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس عم رسول الله صلعم لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا
وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا ناذن لمحمد ولكنا ناذن لك فقال لا ان لي في رسول
الله اسوة حسنة فشكر رسول الله صلعم له ذلك واجابته له الى مسالته اياه فقد كان عليه السلم لا يرد سائلا وكان يتوفر على
دواعي المروءة ويعمل بعادات الكرام واكراما لابنه الرجل الصالح فقد روي انه قال له اسالك ان تكفنه في بعض قمصانك
وان تقوم على قبره لا يشمت به الاعداء وعلما بان تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان
وليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد روي انه قيل له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله
شيئا واني اؤمل من الله تعالى ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فيروى انه اسلم الف من الخزرج لما راوه طلب الاستشفاء
بثوب رسول الله عليه السلم وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء الى التراحم والتعاطف لانهم اذا راوه يترحم على من يظهر الايمان
وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم الى ان يتعطف على من واطأ قلبه لسانه وراه حتما عليه فان قلت فكيف جازت
الصلوة عليه قلت لم يتقدم نهي عن الصلوة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة
وعن ابن عباس رضه ما ادري ما هذه الصلوة الا اني اعلم ان رسول الله صلعم لا يخادع مات صفة لاحد وانما قيل مات
وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة انهم كفروا تعليل للنهي
وقد اعيد قوله ولا تعجبك لان تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل له وتاكيده وارادة ان يكون على بال من المخاطب
لا ينساه ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل به مهم يفتقر الى فضل عناية به لا سيما اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه الشيء الذي اهتم

صاحبه فهو يرجع اليه فى اثنا حديثه ويتخلص اليه واما اعيد هذا المعنى لتقوية فيما يجب ان يحذر منه ❊ يجوز ان يراد السورة بتمامها وان يراد بعضها فى قوله واذا انزلت سورة كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هى براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد ان امنوا اى بان امنوا اولوا الطول ذوو الفضل والسعة من طال عليه طولا مع القاعدين مع الذين لهم علة وعذر فى التخلف ❊ فهم لا يفقهون ما فى الجهاد من الفوز والسعادة وما فى التخلف من الشقاء والهلاك ❊ لكن الرسول اى ان تخلف هؤلاء فقد نهد الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا كقوله تعالى فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فان استكبروا فالذين عند ربك ❊ الخيرات تتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله تعالى فيهن خيرات ❊ المعذرون من عذر فى الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء فى الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز فى العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم تثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذى يجتهد فى العذر ويحتشد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فائذن لنا فى التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طى على اهالينا ومواشينا فقال عليه السلام سيغنينى الله تعالى عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعّذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لان التاء لا تدغم فى العين ادغامها فى الطاء والزاء والصاد فى المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراءة ابن عباس الذين لم يفرطوا فى العذر ❊ وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله فى ادعائهم الايمان وقرئ كذّبوا بالتشديد ❊ سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب الدنيا بالقتل وفى الاخرة بالنار ❊ الضعفاء الهرمى والزمنى والذين لا يجدون الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة ❊ والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما فى السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالى الناصح بصاحبه على المحسنين على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم ❊ قلت حال من الكاف فى اتوك وقد قبله مضمرة كما قيل فى قوله او جاؤكم حصرت صدورهم اى اذا ما اتوك قائلا لا اجد تولوا ولقد حصر الله المعذورين فى التخلف الذين ليس لهم فى ابدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون ابو موسى الاشعرى واصحابه وقيل البكاؤن وهم ستة نفر من الانصار ❊ تفيض من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك افديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب والنصب على التمييز ❊ الا يجدوا لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذى هو حزنا فان قلت ـــ رضوا ما موقعه قلت ـــ هو استيناف كانه قيل ما بالهم استأذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام فى جملة الخوالف ❊ وطبع الله على قلوبهم يعنى ان السبب فى استيذانهم

ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم

ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون

انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون

رضاهم بالدناءة وخذلان الله اياهم فان قلت ـــ فهل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد استينافا مثله كانه قيل اذا ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت نعم ويحسن ❊ لن نؤمن لكم علة للنهى عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاخلال به وقوله تعالى قد نبأنا الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لان الله عز وجل اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم واحوالهم وما فى ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم فى معاذيرهم ❊ وسيرى الله عملكم اتنيبون ام تثبتون على كفركم ثم تردون اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك ❊ لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل لترك معاتبتهم يعنى ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم ومأويهم جهنم يعنى وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم ❊ لترضوا عنهم اى غرضهم فى الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك فى دنياهم فان ترضوا عنهم فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضا المؤمنين يقتضى رضى الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبى عليه السلام حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابى يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا ❊ الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم فى بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة ❊ واجدر ان لا يعلموا واحق بجهل حدود الدين وما انزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان الجفاء والقسوة فى الفدادين ❊ والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه ❊ مغرما غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله تعالى وابتغاء المثوبة عنده ❊ ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة ❊ عليهم دائرة السوء دعاء معترض دعى عليهم بنحو ما دعوا به كقوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة كقولك رجل صدق لان من دارت عليه ذام لها ❊ والله سميع لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة عليم بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم ❊ قربات مفعول ثان ليتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات الرسول لان الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله عليه السلام اللهم صل على آل ابى اوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات ❊ الا انها شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستيناف مع حرفى التنبيه والتحقيق المؤذنة بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم وما فى السين من تحقيق الوعد وما ادل هذا

وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم

والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم

الكلام على رضي الله تعالى عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء
وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه ٥ السابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل الذين شهدوا
بدرا وعن الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة
نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن
وقرأ عمر رضي الله عنه والانصار بالرفع عطفا على السابقون وعن عمر كان يرى ان قوله والذين اتبعوهم باحسان بغير واو صفة
للانصار حتى قال له زيد انه بالواو فقال ائتوني بابي فقال تصديق ذلك في اول الجمعة وآخرين منهم واوسط الحشر والذين جاؤا
من بعدهم وآخر الانفال والذين امنوا من بعد وروي انه سمع رجلا يقرأ بالواو فقال من اقرأك فقال ابي فدعاه فقال اقرأنيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم
ومن ثم قال عمر رضي الله عنه لقد كنت ارانا رفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا وما رفع السابقون بالابتداء وخبره رضي الله عنهم ومعناه
رضي عنهم لاعمالهم ورضوا عنه لما افاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية وفي مصاحف اهل مكة تجري من
تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير من ٥ وممن حولكم يعني حول بلدتكم وهي المدينة منافقون
وهم جهينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على خبر المبتدا الذي هو ممن حولكم ويجوز ان يكون
جملة معطوفة على المبتدا والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق على ان مردوا صفة موصوف محذوف كقوله
انا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يخلو من ان يكون كلاما مبتدأ او صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره مردوا
على النفاق تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مهارتهم عليه
وتمهرهم فيه بقوله تعالى لا تعلمهم اي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشكك
في امرهم ثم قال نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ابطانا
ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم
فيه اليد الطولى سنعذبهم مرتين قيل هما القتل وعذاب القبر ٥ وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم اختلفوا في هاتين المرتين
فقال قام رسول الله صلعم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج وفضحهم
فهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر وعن الحسن رحمة الله عليه اخذ الزكوة من اموالهم ونهك ابدانهم ٥ الى عذاب
عظيم الى عذاب النار ٥ اعترفوا بذنوبهم انهم لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئس
ما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلثة ابو لبابة مروان بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة
فسبعة منهم اوثقوا انفسهم بلغهم ما نزل في المتخلفين فايقنوا بالهلاك فاوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلعم
فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم

وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم

الشاة شاة يعني خلطوا عملا صالحا بآخر سيئ قلبت الباء واوا وانصا رخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ...

حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول
الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم عملا صالحا
خروجا الى الجهاد واخر سيئا تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والاثم فان قلت قد جعل كل واحد مخلوطا
فما المخلوط به قلت كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط كل واحد منهما بالاخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد
خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته
بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون من قولهم بعت
الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم فان قلت كيف قيل عسى الله ان يتوب عليهم وما ذكرت توبتهم قلت اذا ذكر اعترافهم
بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم تطهرهم صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم
بالجزم جوابا للامر ولم يقرأ وتزكيهم الا باثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب او لغيبة المؤنث والتزكية مبالغة في التطهير
وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب
الصدقة اذا اخذها وعن الشافعي احب ان يقول الوالي عند اخذ الصدقة اجرك الله فيما اعطيت وجعله طهورا وبارك
لك فيما ابقيت وقرئ ان صلواتك على التوحيد سكن لهم يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله تعالى قد تاب عليهم والله سميع
يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم وقرئ الم تعلموا بالتاء وفيه
وجهان احدهما ان يراد المتوب عليهم يعني الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ان الله هو يقبل التوبة اذا
صحت ويقبل الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد وان الله من شأنه قبول توبة التائبين وقيل
معنى التخصيص في هو ان ذلك ليس الى رسول الله انما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه
وقل لهؤلاء التائبين اعملوا فان عملكم لا يخفى خيرا كان او شرا على الله تعالى وعباده كما رأيتم وتبين لكم والثاني ان يراد غير
التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انه لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون
ولا يجالسون فما لهم نزلت فان قلت فما معنى قوله ويأخذ الصدقات قلت هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود
ان الصدقة تقع في يد الله تعالى قبل ان تقع في يد السائل والمعنى انه يقبلها ويضاعف عليها وقوله تعالى فسيرى وعيد لهم وتحذير
من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة قرئ مرجؤن ومرجون من ارجيته وارجأته اذا اخرته ومنه المرجئة يعني واخرون
من المتخلفين موقوف امرهم اما يعذبهم ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلثة كعب بن مالك وهلال
بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلعم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه
من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله تعالى واخلصوا نياتهم
ونصحت توبتهم فرحمهم الله والله عليم حكيم وفي قراءة عبد الله غفور رحيم واما للعباد اي خافوا عليهم العذاب وارجوا

واخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم

لهم الرحمة ﴿…﴾ في مصاحف أهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لأنها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو على عطف
قصة مسجد الضرار الذي أحدثه المنافقون على سائر قصصهم روي أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم إخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله
يصلي فيه ويصلي فيه أبو عامر الراهب اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على إخوتهم وهو الذي سماه رسول الله صلعم
الفاسق وقال لرسول الله يوم أحد لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج
هاربا الى الشام فأرسل الى المنافقين أن استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب الى قيصر وآت بجنود فمخرج محمدا وأصحابه
من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي عليه السلام بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن
نحب أن تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة
تبوك سألوه إتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال انطلقوا
الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعل وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام
بقنسرين ﴿ضرارا﴾ مضارة لإخوانهم أصحاب مسجد قباء ومعازة ﴿وكفرا﴾ وتقوية للنفاق ﴿وتفريقا بين المؤمنين﴾ لأنهم كانوا يصلون
في مسجد قباء فيغتص بهم فأرادوا أن يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم ﴿وإرصادا﴾ وإعدادا لأجل من حارب الله ورسوله وهو
الراهب أعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بني مباهاة أو رياء وسمعة أو لغرض سوى
ابتغاء وجه الله تعالى أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق رحمه الله أنه لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر فقيل
له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا أحب أن أصلي فيه فإنه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار أو رياء أو سمعة فإن أصله
ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارا وعن عطاء لما فتح الله الأمصار على يد عمر بن الخطاب رضه أمر المسلمين أن يبنوا
المساجد وأن لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار أحدهما صاحبه فإن قلت ﴿والذين اتخذوا﴾ ما محله من الإعراب
قلت محله النصب على الاختصاص كقوله تعالى والمقيمين الصلاة وقيل هو مبتدأ خبره محذوف معناه وفيمن
وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة فإن قلت بم يتصل قوله تعالى ﴿من قبل﴾ قلت باتخذوا أي
اتخذوا مسجدا من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف إن أردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى أو الإرادة الحسنى وهي الصلاة وذكر
الله والتوسعة على المصلين ﴿لمسجد أسس على التقوى﴾ قيل هو مسجد قباء أسسه رسول الله صلعم وصلى فيه أيام مقامه
بقباء وهي يوم الاثنين والثلثاء والأربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو أولى لأن الموازنة بين مسجدي قباء أوقع وقيل
هو مسجد رسول الله بالمدينة وعن أبي سعيد الخدري رضه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي أسس على التقوى
فأخذ حصباء فضرب بها الأرض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة ﴿من أول يوم﴾ من أول يوم من أيام وجوده ﴿فيه رجال يحبون
أن يتطهروا﴾ وقيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فإذا الأنصار جلوس فقال

أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر رضه يا نبي الله إنهم لمؤمنون وأنا معهم فقال عليه السلام أترضون بالقضاء قالوا نعم
قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون أنتم ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الأنصار
إن الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الأحجار الثلاثة
ثم نتبع الأحجار الماء فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال يحبون أن يتطهروا وقرئ أن يطهروا بالإدغام وقيل هو عام
في التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء أثر البول وعن الحسن رحمه الله هو
التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون أن يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم فإن قلت ما معنى المحبتين
قلت محبتهم للتطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء المشتهى له على إيثاره ومحبة الله إياهم أنه
يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه ﴿أفمن أسس﴾ قرئ أسس بنيانه وأسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول
وأسس بنيانه بالفتح وبالكسر جمع أس وأساس بنيانه على أفعال جمع أس أيضا وأس بنيانه والمعنى أفمن أسس بنيان دينه
على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير أم من أسس على قاعدة هي أضعف القواعد وأرخاها
وأقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى
لأنه جعل مجازا عما ينافي التقوى فإن قلت فما معنى قوله فانهار به في نار جهنم قلت لما جعل الجرف الهائر
مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم إلا أنه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار
الذي هو للجرف وليصور أن المبطل كأنه أسس بنيانا على شفا جرف من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها
والشفا الحرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو
المتصدع الذي أشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات في شائك وصائت
وألفه ليست بألف فاعل إنما هي عينه وأصله هور وشوك وصوت ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل
وكنه أمره وقرئ جرف بسكون الراء فإن قلت فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين
قلت قد جعل الألف للإلحاق لا للتأنيث كتترى فيمن نونه ألحقها بجعفر وفي مصحف أبي فانهارت به قواعده
وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فرئي الدخان يخرج منه وروي أن مجمع بن جارية كان إمامهم في مسجد الضرار
فكلم بنو عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته أن يأذن لمجمع أن يؤمهم في مسجدهم فقال
لا ولا نعمة عين أليس بإمام مسجد الضرار فقال يا أمير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم أني لا أعلم
ما أضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤون من القرآن شيئا فعذره
وصدقه وأمره بالصلاة ﴿ريبة﴾ شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وإنما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم
كما قال تعالى ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا

للإسلام فمعنى قوله تعالى لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم
لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل أثره إلا أن تقطع قلوبهم قطعا وتفرق أجزاء فحينئذ يسلون عنه وأما ما دامت
سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز أن يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد
حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو في القبور أو في النار وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء
بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على أن الخطاب للرسول عليه السلام أي إلا أن تقطع أنت قلوبهم بقتلهم وقرأ الحسن إلى أن وفي قراءة
عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول أو كل مخاطب وقيل معناه إلا أن يتوبوا
توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم ∴ مثّل الله تعالى إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله
بالشروى وروي تاجرهم فأغلى لهم الثمن وعن عمر رضي الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن أنفسا هو خلقها وأموالا هو
رزقها وروي أن الأنصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة رضي اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال أشترط لربي
أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم قال فإذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا
نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله عليه السلام أعرابي وهو يقرؤها فقال كلام من قال كلام الله تعالى قال بيع والله مربح لا نقيله
ولا نستقيله فخرج إلى الغزو فاستشهد ∴ يقاتلون فيه معنى الأمر كقوله عز وجل تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وقرئ فيقتلون
ويقتلون على بناء الأول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس ∴ وعدا عليه حقا مصدر مؤكد وأخبر بأن هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين
في سبيله وعد ثابت قد أثبته في التوراة والإنجيل كما أثبته في القرآن ثم قال ومن أوفى بعهده من الله لأن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم
عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم إليه فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد أحسن منه
وأبلغ ∴ التائبون رفع على المدح أي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وأبي رضي الله عنهما التائبين بالياء
إلى قوله والحافظين نصبا على المدح ويجوز أن يكون جرا صفة للمؤمنين وجوز الزجاج أن يكون مبتدأ خبره محذوف أي التائبون
العابدون من أهل الجنة أيضا وإن لم يجاهدوا لقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز
أن يكون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر أي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم
الذين تابوا من الشرك وتبرؤوا من النفاق والعابدون الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة وحرصوا عليها والسائحون
الصائمون شبهوا بذوي السياحة في الأرض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الأرض يطلبونه في مظانه
∴ قيل قال لعمه أبي طالب أنت أعظم الناس علي حقا وأحسنهم عندي يدا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي فأبى فقال لا أزال
أستغفر لك ما لم أنه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سأل أي أبويه أحدث به عهدا فقيل أمك آمنة فزار قبرها بالأبواء
ثم قام مستعبرا فقال استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي فاستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي ونزلت وهذا أصح لأن
موت أبي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر لأبيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا

٢٠٨

قوله تعالى الراكعون الساجدون كناية عن الصلاة لأن سائر أركان الصلاة موافق للعادة والذي يخرج به عن العادة هو الركوع والسجود ولأن القيام أول التواضع وشطرها والركوع وسطه والسجود نهايته فخص الركوع والسجود بالذكر لدلالتهما على غاية التواضع

وذوي قرابتنا وقد استغفر إبراهيم لأبيه وهذا محمد يستغفر لعمه ∴ ما كان للنبي ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته من بعد
ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم لأنهم ماتوا على الشرك ∴ وما كان استغفار إبراهيم في الجملة وما استغفر إبراهيم لأبيه وعنه
وما يستغفر إبراهيم على حكاية الحال الماضية ∴ إلا عن موعدة وعدها إياه أي وعدها إبراهيم أباه وهو قوله تعالى لأستغفرن لك
ويدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية وعدها أباه فإن قلت كيف خفي على إبراهيم أن الاستغفار للكافر غير جائز حتى
وعده قلت يجوز أن يظن أنه ما دام يرجى منه الإيمان جاز الاستغفار له على أن امتناع جواز الاستغفار للكافر إنما علم
بالوحي لأن العقل يجوز أن يغفر الله للكافر ألا ترى إلى قوله عليه السلام لأستغفرن لك ما لم أنه عنه وعن الحسن قيل لرسول الله صلى الله عليه
إن فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن علي رضي الله عنه رأيت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان
فقلت له فقال أليس قد استغفر إبراهيم فإن قلت فما معنى قوله فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه قلت معناه
فلما تبين له من جهة الوحي أنه لن يؤمن وأنه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله تعالى من بعد ما تبين لهم
أنهم أصحاب الجحيم ∴ أواه فعال من أوه كلآل من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التأوه ومعناه أنه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان
يتعطف على أبيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لأرجمنك ∴ يعني ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين
وغيره مما نهى عنه وبين أنه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للإسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم إلا إذا أقدموا
عليه بعد بيان حظره وعلمهم بأنه واجب الاتقاء والاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر
ولا بيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي هذه
الآية شديدة ما ينبغي أن يغفل عنها وهي أن المهدي للإسلام إذا أقدم على بعض محظورات الله داخل في حكم الإضلال والمراد
بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فأما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف ∴ تاب الله على
النبي كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على صفة التوابين الأوابين
على التوبة وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والأنصار وإبانة لفضل التوبة ومقدارها
عند الله وأن صفة التوابين الأوابين صفة الأنبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من إذنه
للمنافقين في التخلف عنه كقوله تعالى عفا الله عنك ∴ في ساعة العسرة في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت
الغداة والعشية واليوم غداة طفت علماء بكر بن وائل ∴ عشية قارعنا جذام وحميرا إذا جاء يوما وارثي يبتغي الغنى والعسرة
حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يتعقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير
المسوس والإهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة أن اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى
نحروا الإبل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة ∴ كاد يزيغ قلوب فريق
منهم عن الثبات على الإيمان أو عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشأن وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق

الله تعالى مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كأبي لبابة
وأمثاله ثم تاب عليهم تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم الثلاثة كعب بن مالك ومرارة بن الربيع
وهلال بن أمية ﴿ ومعنى خلفوا خلفوا عن الغزو وقيل عن أبي لبابة وأصحابه حيث تيب عليهم دونهم خلفوا أي خلفوا الغازين
بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرأ جعفر الصادق رضي الله عنه خالفوا وقرأ الأعمش وعلى الثلاثة المخلفين بما رحبت
برحبها اي مع سعتها وهو مثل للحيرة في أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه وضاقت عليهم أنفسهم
اي قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور لانها حرجت من فرط الوحشة والغم وظنوا أن لا ملجأ من سخط الله تعالى الا الى استغفاره ثم تاب
عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا او ليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم
خطيئة علما منهم ان الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك
وانتظار ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا أهله فقال يا أهلاه ما بطأني ولا خلفني الا الضن بك لا جرم والله لأكابدن
المفاوز حتى ألحق برسول الله فركب ولحق به ولم يكن لآخر الا نفسه لا أهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحياة لك والله
لأكابدن الشدائد حتى ألحق برسول الله فتأبط زاده ولحق به قال الحسن رحمه الله عليه كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر
عليها وعن أبي ذر الغفاري رضه ان بعيره أبطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال رسول الله
لما رأى سواده كن أبا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن أبي خيثمة انه
بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل
ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح
فمد رسول الله صلعم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن أبا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله صلعم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني
وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما
ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن
فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض
بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون
فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول الي حتى صافحني فقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله عليه السلام وهو يستنير استنارة
القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الآية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق
على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه ﴿ مع الصادقين وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا

في دين الله تعالى نية وقولا وعملا او الذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على الطاعة من قوله تعالى رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل هم الثلاثة اي كونوا مثلهم في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس رضه الخطاب لمن آمن
من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار ووافقوهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف
من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضه لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجز
اقرؤوا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة ﴿ ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه امروا بان يصحبوه على البأساء
والضراء وان يكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بانها
أعز نفس عند الله تعالى واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الانفس
ان تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم واهونه فضلا ان
يربأوا بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ
لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفة وحمية ﴿ ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب متابعته
كأنه قيل ذلك الوجوب بسبب انهم لا يصيبهم شيء من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من
امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا
ينالون من عدو نيلا ولا يرزأونهم شيئا بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك الا كتب لهم به عمل صالح وفازوا واستوجبوا
الثواب ونيل الزلفى عند الله تعالى وذلك مما يوجب المتابعة ويجوز ان يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام والحوافر
لقوله عليه السلام آخر وطأة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم
وطؤه والنيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا وان يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم
وينكيهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك
الشر وبهذه الآية استشهد اصحاب ابي حنيفة رحمه الله عليه ان المدد اللاحق بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة
لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد اسهم النبي عليه السلام لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر الصديق رضي الله عنه
المهاجر بن ابي امية وزياد بن ابي لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعدما فتحوا فاسهم لهم وعند الشافعي رضه لا يشارك
المدد الغانمين وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماءة وظماء ﴿ ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة ولو علاقة سوط
ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضه في جيش العسرة ﴿ ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج بين
جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودي اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون
لا تصل في وادي غيرك ﴿ الا كتب لهم الا كتب ذلك من الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير منه الى عمل صالح وقوله تعالى
ليجزيهم متعلق بكتب اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء ﴿ اللام لتأكيد النفي ومعناه ان نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم

غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم يؤد الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم
فريضة على كل مسلم ومسلمة فلولا نفر فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة طائفة اي من كل جماعة
كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها
ولينذروا قومهم وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء
من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم
ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح ببصره مدرسة لاخر او شرذمة جثوا
بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله عز وجل لا يريدون علوا في الارض ولا
فسادا لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا الله فيعملوا اعمالا صالحة ووجه اخر وهو ان رسول الله صلعم كان اذا بعث بعثا بعد
غزوة تبوك وبعد ما انزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن اخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع
الوحي والتفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه
الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجلاد بالسيف وقوله تعالى ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوائف
النافرة من بينهم ولينذروا قومهم الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى
الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه يلونكم يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم
ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره وانذر عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من
عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام اقرب الى المدينة
من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر رض
انه سئل عن قتال الديلم فقال عليكم بالروم وقرئ غلظة بالحركات الثلث فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة
ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجراءة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ومنه قوله تعالى ولا
تاخذكم بهما رافة في دين الله مع المتقين ينصر من اتقاه فلم يترأف على عدوه فمنهم من يقول فمن المنافقين من يقول بعضهم
لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم
مرفوع بالابتداء وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته تقديره ايكم زادت زادته هذه ايمانا فزادتهم ايمانا
لانها زيد لليقين والثبات او اثلج للصدر او فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل
فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف
عقابهم اولا يرون بالياء والتاء يفتنون يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله تعالى ثم لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم
ولا يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم او يبتلون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعاينون امره وما ينزل الله تعالى عليه

من نصرته وتاييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون نظر
بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه
ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد وقيل
معناه واذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان
من الانشراح بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا من انفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربي مثلكم
ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله تعالى عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم
المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق
الذي جاء به بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم وافضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفاطمة وعائشة رضهما وقيل لم يجمع الله تعالى اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلعم الا في قوله تعالى رؤف رحيم فان تولوا
فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن بالله وفوض اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم وقرئ العظيم
بالرفع وعن ابن عباس رضهما آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل علي القرآن الا آية آية
وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

بسم الله الرحمن الرحيم
الر تلك آيات الكتاب الحكيم

الر تعديد للحروف على طريق التحدي وتلك آيات الكتاب اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة والحكيم ذو
الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها او وصف بصفة محدثه او المتكلم به ... وغريبة تأبى الملوك بحكمة قد قلتها ليقال من
ذا قالها اكان للناس عجبا الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه وان اوحينا اسم كان وعجبا خبره وقرأ ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو
نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله يكون مزاجها عسل وماء والاجود ان يكون كان تامة وان اوحينا بدلا عن عجب فان
قلت فما معنى اللام في قوله اكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك اكان عند الناس عجبا قلت معناه انهم
جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي
تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله تعالى
لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور
ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله سبحانه وتعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين
لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير او اليتيم ليس بعجب ايضا لان الله تعالى انما يختار من يستحق الاختيار لجمعه

إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون إليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون

هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون

أسباب الاستقلال بما الخبر لهم من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الأسباب في شيء وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا إنما العجب العجب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء أن أنذر الناس أن هي المفسرة لأن الإيحاء فيه معنى القول ويجوز أن تكون المخففة من الثقيلة فأصله أنه أنذر الناس على معنى أن الشأن قولنا أنذر الناس وأن لهم أي بأن لهم قدم صدق عند ربهم أي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة فإن قلت لم سميت السابقة قدما قلت لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد وباعا لأن صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير وإضافته إلى صدق دالة على زيادة فضل وأنه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق إن هذا إن هذا الكتاب وما جاء به محمد عليه السلام لسحر مبين فهذا إشارة إلى رسول الله صلعم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وإن كانوا كاذبين في تسميته سحرا وفي قراءة أي ما هذا إلا سحر. يدبر يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في أدبار الأمور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخرا والأمر أمر الخلق كله وأمر ملكوت السموات والأرض والعرش فإن قلت ما موقع هذه الجملة قلت قد دل بالجملة قبلها على عظمة شأنه وملكه بخلق السموات والأرض مع بسطتها واتساعها وتبييره بالاستواء على العرش وأتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وأنه لا يخرج أمر من الأمور من قضائه وتقديره وكذلك قوله تعالى ما من شفيع إلا من بعد إذنه دليل على العزة والكبرياء كقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن ذلكم إشارة إلى المعلوم بتلك العظمة أي ذلكم العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو إنسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع أفلا تذكرون فإن أدنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ فيما أنتم عليه. إليه مرجعكم جميعا أي لا ترجعون في العاقبة إلا إليه فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لقوله إليه مرجعكم جميعا وحقا مصدر مؤكد لقوله وعد الله إنه يبدأ الخلق ثم يعيده استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع إليه وهو أن الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم وقرئ أنه يبدأ الخلق بمعنى لأنه أو هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله أي وعد الله بدء الخلق ثم إعادته والمعنى إعادة الخلق بعد بدئه وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من أبدأ ويجوز أن يكون مرفوعا بما نصب حقا أي حق حقا بدء الخلق كقوله أحقا عباد الله أن لست جائيا ولا ذاهبا إلا علي رقيب وقرئ حق أنه يبدأ الخلق كقولك حق أن زيدا منطلق بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم أو بقسطهم وبما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا صالحا لأن الشرك ظلم قال الله تعالى إن الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام لأنفسهم وهذا أوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون. ضياء الياء في ضياء منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في حاق عقا والضياء أقوى من النور وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره منازل أو قدره ذا منازل كقوله تعالى والقمر قدرناه منازل والحساب وحساب الأوقات من الأشهر والأيام

والقيل وهما اشارة الى المذكور اى ماخلقه الا ملتبسا بالحق الذى هو الحكمة البالغة ولم تخلقه عبثا وقرى يفصل بالياء لقوم
يتقون خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر لا يرجون لقانا لا يتوقعونه اصلا ولا
يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقايق او لا يأملون حسن لقانا
كما يأمله السعداء او لا يخافون سوء لقانا الذى يجب ان يخاف ورضوا بالحيوة الدنيا من الاخرة واثروا القليل الفاني على الكثير
الباقي لقوله تعالى ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة واطمانوا بها اى وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا
يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدى الى الثواب ولذلك جعل تجرى من
تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز ان يريد يهديهم فى الاخرة بنور ايمانهم الى
طريق الجنة لقوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج
من قبره صور له عمله فى صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور
له عمله فى صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار فان قلت فلقد دلت هذه الاية على ان الايمان
الذى يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان
الذى لم يكن مقرونا بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت الامر كذلك الا ترى كيف اوقع الصلة مجموعا
فيها بين الايمان والعمل كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم اى بايمانهم هذا المضموم اليه
العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه دعواهم دعاؤهم لان اللهم نداء لله تعالى ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت
فى دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلى ونسجد ويجوز ان يراد بالدعاء العبادة واعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى
ان لا تكليف فى الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا
بلا كلفة لقوله تعالى وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية واخر دعواهم وخاتمة دعائهم الذى هو التسبيح ان يقولوا
الحمد لله رب العالمين ومعنى وتحيتهم فيها سلام ان بعضا يحيى بعضا بالسلام وقيل هى تحية الملائكة اياهم اضافة للمصدر الى
المفعول وقيل تحية الله لهم وان هى المخففة من الثقيلة واصله وانه الحمد لله على ان الضمير للشان كقوله ان هالك كل من يحفى
وينتعل وقرى ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير
موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد اهل مكة
وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء يعنى ولو عجلنا لهم الشر الذى دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه لقضى اليهم اجلهم
لاميتوا واهلكوا وقرى لقضى اليهم اجلهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وينصره قراءة عبد الله لقضينا اليهم اجلهم فان
قلت فكيف اتصل به قوله تعالى فنذر الذين لا يرجون لقانا فى طغيانهم وما معناه قلت قوله ولو يعجل الله متضمن
معنى نفى التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضى اليهم اجلهم فنذرهم فى طغيانهم يعمهون اى فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة

مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما فان
قلت فما فائدة ذكر هذه الاحوال قلت معناه ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر
فهو يدعونا في حالاته كلها كان منبطحا عاجز النهض متخاذل النوء او كان قاعدا لا يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المشي
والمضطرب الى ان يخفف الله عنه ويرزقه الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز ان يراد ان من المضرورين من هو اشد حالا
وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع
البلاء لان الانسان للجنس مر اي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن موقف الابتهال والتضرع لا
يرجع اليه كأنه لا عهد له به كأن لم يدعنا خفف وحذف ضمير الشأن قال كأن ثدياه حقان كذلك مثل ذلك التزيين زين
للمسرفين زين الشيطان بوسوسته او الله عز وجل بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات
لما ظلموا ظرف لاهلكنا والواو في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله
وما كانوا ليؤمنوا يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا واللام لتأكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقا تأكيدا لنفي
ايمانهم وان الله قد علم منهم انهم يصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل
وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي كل مجرم وهو وعيد
لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلعم وقرئ يجزي بالياء ثم جعلناكم الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم
اي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكناها لننظر أتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف في محل النصب
بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يحجب ان يتقدم عليه عامله فان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى
وفيه معنى المقابلة قلت هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان
المعاين في تحققه غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا
من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فأمر بان يجيب عن
التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما انزل وان يسقط ذكر الآلهة واما الاتيان بقرآن
آخر فغير مقدور عليه للانسان ما يكون لي ما ينبغي لي وما يحل لي كقوله تعالى ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان ابدله من تلقاء
نفسي من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء من غير ان يأمرني بذلك ربي ان اتبع الا ما يوحى الي لا آتي ولا اذر شيئا من نحو ذلك الا متبعا
لوحي الله واوامره ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس الي تبديل ولا نسخ اني اخاف
ان عصيت ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم فان قلت اما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل
القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا قلت بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون
افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمون انه قادر عليه وعلى مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا

عنه كان الواحد منهم اعجز فان قلت لعلهم ارادوا ائت بقرآن غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقرآن من
جهته واراد بقوله ما يكون لي ما يتسهل لي وما يمكنني ان ابدله قلت يرده قوله تعالى اني اخاف ان عصيت ربي
فان قلت فما كان غرضهم وهم ادهى الناس وانكرهم في هذا الاقتراح قلت الكيد والمكر اما اقتراح ابدال
قرآن بقرآن ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فأبدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار
الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا
لافترائه على الله تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله تعالى واحداثه امرا عجيبا خارجا
عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليكم
كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبار مما كان وما يكون ناطقا
بالغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شيء من اسراره وما سمعتم
منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من اقرب الناس منه والصقهم به ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني وقرأ الحسن ولا ادرأتكم
به على لغة من يقول اعطاته وارضاته في معنى اعطيته وارضيته وتعضده قراءة ابن عباس رض ولا انذرتكم به ورواه الفراء
ولا ادرأتكم بالهمز وفيه وجهان احدهما ان تقلب الالف همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وذلك ان الالف والهمزة
من واد واحد الا ترى ان الالف اذا مستها الحركة انقلبت همزة والثاني ان يكون من درأته اذا دفعته وادرأته اذا جعلته
دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير ولأدراكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء
ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني
لها اهلا دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمرا وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا
شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه افلا تعقلون فتعلموا انه ليس الا من
الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
يحتمل ان يريد افتراء المشركين على الله تعالى في قولهم انه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء ويعبدون من دون الله
ما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان التي هي جمادات لا تقدر على ضر ولا نفع وقيل ان عبدوها لم تنفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم
ومن حق المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة العزى
ومناة وهبل واسافا ونائلة وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيامة شفعت لي
اللات والعزى أتنبئون الله بما لا يعلم أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله تعالى واذا لم يكن معلوما
له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لان الشيء ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه فان قلت
كيف انبأوا الله بذلك قلت هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الاصنام واعلام بان الذي انبأوا به

باطل غير متعلق بحب البيعة كأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل بما لا يعلمه وقرئ أتنبئون بالتخفيف وقوله
في السموات ولا في الأرض تأكيد لنفيه لأن ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم يشركون قرئ بالياء والتاء وما موصولة أو مصدرية
أي عن الشركاء الذين يشركونهم به أو عن إشراكهم وما كان الناس إلا أمة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن
يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل هابيل قابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله تعالى من الكافرين ديارا ولولا
كلمة سبقت من ربك وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة لقضي بينهم عاجلا فيما اختلفوا فيه ولميز المحق من المبطل وسبق
كلمته بالتأخير لحكمة أوجبت أن تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه أرادوا
آية من الآيات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على أحد من الأنبياء
مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها
كلا نزول وكأنه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا أنزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم
في الغي فقل إنما الغيب لله أي هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا لأحد به يعني أن الصارف عن إنزال الآيات
المقترحة أمر مغيب لا يعلمه إلا هو فانتظروا نزول ما اقترحتموه إني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم
الآيات سلط الله تعالى القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله
ويعادون رسول الله ويكيدونه وإذا الأولى للشرط والأخرى جوابها وهي للمفاجأة والمكر إخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة
المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم فإن قلت ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله
أسرع مكرا قلت بلى دل على ذلك كلمة المفاجأة كأنه قال وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤوا وقوع المكر منهم وسارعوا
إليه قبل أن يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى أن الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل أن
تدبروا كيف تعملون في إطفاء نور الإسلام إن رسلنا يكتبون إعلام بأن ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله تعالى وهو منتقم
منكم وقرئ يمكرون بالتاء والياء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن أبي هريرة رضي الله عنه إن الله تعالى ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم
بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا وقرأ زيد بن ثابت ينشركم ومثله قوله تعالى فانتشروا في الأرض
ثم إذا أنتم بشر تنتشرون فإن قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر إنما هو بالكون
في الفلك قلت لم يجعل الكون غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كأنه قيل يسيركم
حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن للهلاك والدعاء بالإنجاء
فإن قلت ما جواب إذا قلت جاءتها فإن قلت فدعوا قلت بدل من ظنوا لأن دعاءهم من
لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به فإن قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة قلت المبالغة كأنه
يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح فإن قلت ما وجه قراءة أم الدرداء رضي الله عنها في الفلكي بزيادة

ياء النسب قلت قيل هما زائدتان كما في الخارجي والأحمري ويجوز أن يراد به اللج والماء الغمر الذي لا تجري الفلك إلا فيه
والضمير في جرين للفلك لأنه جمع فلك كالأسد في فعل أخي فعل وفي قراءة أم الدرداء للفلك أيضا لأن الفلكي يدل عليه جاءتها
جاءت الريح الطيبة أي تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان من جميع أمكنة الموج أحيط بهم جعل إحاطة العدو بالحي مثلا
في الهلاك مخلصين له الدين من غير إشراك به لأنهم لا يدعون حينئذ غيره معه لئن أنجيتنا على إرادة القول أو لأن دعوا من جملة
القول يبغون في الأرض يفسدون فيها ويعبثون مترامين في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح إذا ترامى إلى الفساد
فإن قلت فما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم
وإحراق زروعهم وقطع أشجارهم كما فعل رسول الله صلعم ببني قريظة قرئ متاع الحيوة الدنيا بالنصب فإن قلت ما الفرق
بين القراءتين قلت إذا رفعت كان المتاع خبر المبتدأ الذي هو بغيكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه إنما بغيكم
على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها وإذا نصبت فعلى أنفسكم خبر
غير صلة معناه إنما بغيكم وبال على أنفسكم ومتاع الحيوة الدنيا في موضع المصدر المؤكد كأنه قيل تتمتعون متاع الحيوة
الدنيا ويجوز أن يكون الرفع على هو متاع الحيوة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي عليه السلام لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا
تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه السلام أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغي واليمين
الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنه لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان
المأمون يتمثل بهذين البيتين في أخيه يا صاحب البغي إن البغي مصرعة فاربع فخير فعال المرء أعدله فلو بغى جبل يوما
على جبل لاندك منه أعاليه وأسفله وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى إنما بغيكم
على أنفسكم هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض في
جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الأرض بخضرته ورفيفه فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه
بعضا أخذت الأرض زخرفها وازينت كلام فصيح جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب
الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين وأصل ازينت تزينت فأدغم وبالأصل قرأ عبد الله وقرئ
وأزينت على أفعلت من غير إعلال الفعل كأغيلت أي صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت قادرون عليها متمكنون
من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها أتاها أمرنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد
سلم فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله كأن لم تغن كأن لم يغن زرعها أي لم يلبث
على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه وإلا لم يستقم المعنى وقرأ الحسن رحمه الله عليه كأن لم يغن بالياء على أن الضمير
للمضاف المحذوف الذي هو الزرع وعن مروان أنه قرأ على المنبر كأن لم تتغن بالأمس من قول الأعشى طويل الثواء طويل التغني
والأمس مثل في الوقت القريب كأنه قيل كأن لم تغن آنفا دار السلام الجنة أضافها إلى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة

لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الا قيلا سلاما سلاما ويهدي ويوفق من يشاء وهم الذين علم ان اللطف يجدي عليهم لان مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون * الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله تعالى ويزيدهم من فضله وعن علي بن ابي طالب رضه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس رضهما الحسنى الحسنة والزيادة عشر امثالها وعن الحسن عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه الله تعالى وجاءت بحديث مرقوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو احب اليهم منه ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان ولا كسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار اذكارا بما ينقذهم منه برحمته الا ترى الى قوله تعالى ترهقها قترة وترهقهم ذلة والذين فان قلت ما وجه قوله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلاءم قلت لا يخلو اما ان يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين احسنوا كانه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها واما ان يقدر وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم ان تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا اوجه من الاول لان في الاول عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه وفي هذا دليل على ان المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثم باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم ذلة بالياء ما لهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من سخط الله تعالى وعذابه او ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين مظلما حال من الليل ومن قرأ قطعا بالسكون جعل قوله من الليل صفة له ويعضده قراءة ابي بن كعب كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم فان قلت اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه قلت لا يخلو اما ان يكون اغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا وكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة واما ان يكون معنى الفعل في من الليل * مكانكم الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وانتم اكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ وشركاءكم على ان الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا او باعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقوله صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم تعبدون الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم * ان كنا هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله تعالى من اولي العقل وقيل الاصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها اطماعهم * هنالك في ذلك المقام وفي ذلك الموقف

او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار امقبول ام مردود كما يختبر الرجل الشيء ويتعرفه ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل اي نختبرها باختبار ما اسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان سيئا فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر وقرئ تتلو اي تتبع ما اسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير او شر مولاهم الحق ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة او الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم احدا وقرئ الحق بالنصب على تأكيد قوله ردوا الى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الالهة * من السماء والارض اي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته من يملك السمع والابصار من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او من يحميهما ويحصنهما من الآفات مع كثرتهما في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شيء بكلاءته وحفظه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص افلا تتقون افلا تقون انفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال * فذلكم اشارة الى من هذه قدرته وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر فماذا بعد الحق الا الضلال يعني ان الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء * كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا اي تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه * وانهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اي حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك وحق عليهم كلمة الله انهم من اهل الخذلان وان ايمانهم غير كائن او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون * فان قلت كيف قيل لهم هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالاعادة قلت قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم في انكارهم لها منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فامره بان ينوب عنهم في الجواب يعني انه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم * يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله تعالى امن لا يهدي وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها وقرئ الا ان يهدى من

مزجاة ونعداه للمبالغة ومنه قولهم تهدّى ومعناه ان الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركّب في المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم اندادا لله احد يهدي الى الحق مثل هداية الله تعالى ثم قال ــــ أفمن يهدي الى الحق هذه الهداية احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اي ام الذي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يُهدى الا ان يُنقل او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون انهم انداد لله ∴ وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله الا ظنا لانه قول غير مستند الى برهان عندهم ان الظن في معرفة الله لا يغني من الحق وهو العلم شيئا وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة وانها شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر الجميع ان الله عليم وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء وقرئ تفعلون بالتاء ∴ وما كان هذا القرآن افتراء من دون الله ولكن كان تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد لصحتها كقوله تعالى هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما كان ان يفترى وما صح وما استقام وكان محالا ان يكون مثله في علو امره واعجازه مفترى وتفصيل الكتاب وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله تعالى كتاب الله عليكم فان قلت ــــ بم اتصل قوله تعالى لا ريب فيه من رب العالمين قلت ــــ هو داخل في حيز الاستدراك كأنه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب فيه فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم ∴ ام يقولون افتراه بل ايقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان قل ان كان الامر كما تزعمون فأتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله فانتم مثلي في العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله اي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله يعني ان الله وحده هو القادر على ان يأتي بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوا به وحده ثم استعينوا بكل من دونه ان كنتم صادقين انه افتراه ∴ بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجأوه في بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية اذا احس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه وألفه وان كانت اضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة انكرها في اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحس ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحة او فساد لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب فان قلت ــــ ما معنى التوقع في قوله ولما يأتهم تأويله قلت ــــ معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا

وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدي وبارزوا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك اي مثل ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الانبياء وقبل تدبرها من غير انصاف من انفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا ويجوز ان يكون معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين لهم أكذب هو ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه ∴ ومنهم من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من يشك فيه لا يصدق به او يكون للاستقبال اي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين ∴ وان كذبوك وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت كقوله تعالى فان عصوك فقل اني بريء وقيل هي منسوخة بآية السيف ∴ ومنهم من يستمعون اليك معناه ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال ــــ أتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الامر وكذلك أتحسب انك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى العمي وهو فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن واما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعني انهم في اليأس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر وقوله أفأنت أفأنت دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله عز وجل بالقسر والالجاء كما لا يقدر على رد الاصم والاعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر راجحي العقل الا هو وحده ∴ ان الله لا يظلم الناس شيئا اي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز ان يكون وعيدا للمكذبين يعني ان ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف ما كان سببا فيه ∴ الا ساعة من النهار يستقربون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم فان قلت ــــ كأن لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما قلت ــــ اما الاولى فحال منهم اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة واما الثانية فاما ان يتعلق بالظرف واما ان يكون مبينة لقوله تعالى كأن لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا قد خسر على ارادة القول اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك او هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما اخسرهم ∴ فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كأنه قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في الآخرة فان قلت ــــ الله شهيد على ما يفعلون

في الدارين فاسمعه ثم قلت ____ ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كأنه قال ثم الله معاقب على
على ما يفعلون وقرأ ابن أبي عبلة ثَمّ بالفتح أي هنالك ويجوز أن يراد أن الله مؤدٍّ شهادته على أفعالهم يوم القيامة حين ينطق
جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم ∴ ولكل أمة رسول يبعث إليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم إلى دين
الحق فإذا جاءهم رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم أي بين النبي ومكذبيه بالقسط بالعدل فأنجي الرسول
وعذب المكذبون كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا أو ولكل أمة من الأمم يوم القيمة رسول تنسب إليه وتدعى به
فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان كقوله تعالى وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ∴ متى هذا الوعد استعجال
لما وعدوا من العذاب استبعادا له لا أملك لنفسي ضرا من مرض أو فقر ولا نفعا من صحة أو غنى إلا ما شاء الله استثناء منقطع أي
ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب لكل أمة أجل يعني أن عذابكم له أجل مضروب عند الله
وحدّ محدود من الزمان إذا جاء ذلك الوقت أنجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين فإذا جاء آجالهم ∴ بياتا
نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فإن قلت ____ هلا قيل ليلا أو نهارا قلت ____ لأنه أريد إن أتاكم عذابه وقت
بيات فبيتكم وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله
نهارا معناه في وقت أنتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون الضمير في منه للعذاب
والمعنى أن العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فأي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز أن يكون
معناه التعجب كأنه قيل أي شيء هول شديد يستعجلون منه ويجب أن يكون من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى
فإن قلت ____ بم تعلق الاستفهام وأين جواب الشرط قلت ____ تعلق بأرأيتم لأن المعنى أخبروني ماذا يستعجل منه
المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه فإن قلت ____ فهلا قيل ماذا تستعجلون منه
قلت ____ أريد الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الإجرام لأن من حق المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه ويهلك
فزعا من مجيئه وإن أبطأ فضلا أن يستعجله ويجوز أن يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك إن أتيتك ماذا
تطعمني ثم تتعلق الجملة بأرأيتم وأن يكون أثم إذا ما وقع آمنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى
إن أتاكم عذابه ____ آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان ودخل حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله
أفأمن أهل القرى أوأمن أهل القرى آلآن على إرادة القول أي قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وقد كنتم به تستعجلون
يعني وقد كنتم به تكذبون لأن استعجالهم كان على جهة التكذيب والإنكار وقرئ آلان بحذف الهمزة التي بعد اللام وإلقاء حركتها
على اللام ∴ ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المضمر قبل آلآن ∴ ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون أحق هو وهو استفهام
على جهة الإنكار والاستهزاء وقرأ الأعمش آلحق هو وهو أدخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بأنه باطل وذلك أن اللام للجنس
فكأنه قيل أهو الحق لا الباطل أو أهو الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود وإي بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل

يعني قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون في التصديق إيوَ فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده وما انتم بمعجزين
بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ولو أن لكل نفس ظلمت صفة لنفس على ولو أن لكل نفس ظالمة ما في الارض أي ما في الدنيا اليوم
من خزائنها وأموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه
وأسروا الندامة لما رأوا العذاب لأنهم بهتوا برؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الأمر وتفاقمه ما سلبهم
قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى إسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب
يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل أسروا الندامة من سفلتهم الذين
أضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل أسروها أخلصوها إما لأن إخفاءها إخلاصها وإما من قولهم سر الشيء لخالصه
ففيه تهكم بهم وبإخلاصهم وقت انتفاء الندامة وقيل أسروا الندامة أظهروها من قولهم أسر الشيء وأشره إذا أظهره وليس هنالك
تجلد وقضي بينهم أي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم أتبع ذلك الإعلام بأن له الملك كله وأنه المثيب المعاقب
وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الإحياء والإماتة لا يقدر عليهما غيره وإلى حسابه وجزائه المرجع ليعلم الأمر
أن الأمر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون ۞ قد جاءتكم موعظة أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه
على التوحيد وهو شفاء أي دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء إلى الحق ورحمة لمن آمن منكم ۞ أصل الكلام بفضل
الله وبرحمته فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا
فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فإنه لا مفروح
به أحق منهما ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الأصل والقياس وهي
قراءة رسول الله صلعم فيما روي وعنه لتأخذوا مصافكم قالها في بعض الغزوات وفي قراءة أبي فافرحوا هو خير مما
يجمعون من حطام الدنيا فإنها إلى الزوال قريب وهو ضمير ذلك وقرئ تجمعون بالتاء والياء وعن أبي بن كعب رضي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله تعالى
والإسلام وقيل فضله الإسلام ورحمته ما وعد عليه ۞ أرأيتم أخبروني وما أنزل الله ما في موضع النصب بأنزل أو بأرأيتم
في معنى أخبروني فجعلتم منه حراما وحلالا أي فتبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه أنعام وحرث حجر ما في
بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا آلله أذن لكم متعلق بأرأيتم وقل تكرير للتأكيد فالمعنى أخبروني آلله
أذن لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه أم تكذبون على الله في نسبة ذلك إليه ويجوز أن تكون الهمزة للإنكار وأم منقطعة
بمعنى بل أتفترون على الله تقرير للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسأل عنه من الأحكام وباعثة على
وجوب الاحتياط فيه وأن لا يقول أحد في شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان وإتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت وإلا فهو
مفتر على الله تعالى ۞ يوم القيمة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني أي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه
وهو يوم الجزاء بالإحسان والإساءة وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره وقرأ عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه وأي

ظنّهم يوم القيمة وجيء به على لفظ الماضي لأنه كائن فكأن قد كان إن الله لذو فضل على الناس حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن أكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا إليه وما تكون في شأن وما أنت فيه والخطاب لرسول الله صلعم والشأن الأمر وأصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه إذا قصدت قصده والضمير في منه للشأن لأن تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله صلعم بل هو معظم شأنه أو للتنزيل كأنه قيل وما تتلو من التنزيل من قرآن لأن كل جزء منه قرآن والإضمار قبل الذكر تفخيم له أو لله تعالى ولا تعملون أنتم جميعا من عمل إلا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء مطلعين عليه إذ تفيضون فيه تخوضون فيه من أفاض في الأمر إذا اندفع فيه وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب ومنه الروض العازب ولا أصغر من ذلك ولا أكبر قراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة أو على لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف إشكال لأن قولك لا يعزب عنه شيء إلا في كتاب مشكل فإن قلت لم قدمت الأرض على السماء بخلاف قوله في سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض قلت حق السماء أن تقدم على الأرض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤون أهل الأرض وأحوالهم وأعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك أن قدم الأرض على السماء على أن العطف بالواو حكمه حكم التثنية ألا إن أولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون فهو توليهم إياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة فهو توليه إياهم وعن سعيد بن جبير رضه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من أولياء الله تعالى فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس رضه الإخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر رضه سمعت النبي عليه السلام يقول إن من عباد الله عبادا ما هم بأنبياء ولا شهداء تغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله تعالى قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ الآية الذين آمنوا نصب أو رفع على المدح أو على وصف الأولياء أو على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي عليه السلام هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن أبي ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلعم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت بأنهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة وأما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم وإعطاء الصحائف بأيمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده كقوله تعالى ما يبدل القول لدي وذلك إشارة إلى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يحزنك وقرئ ولا يُحزنك من أحزنه قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وإبطال أمرك وسائر ما يتكلمون به في شأنك إن العزة استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل ما لي لا أحزن فقيل

إن العزة لله جميعا يعني أن الغلبة والقهر في ملكة الله جميعا لا يملك أحد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إنا لننصر رسلنا وقرأ أبو حيوة أن العزة بالفتح بمعنى لأن العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم أنكره فالمنكر هو تخريجه لا ما أنكر من القراءة به هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وإنما خصهم ليؤذن أن هؤلاء إذا كانوا لله وفي مملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولا أن يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل أحق أن لا يكون له ندا وشريكا وليدل على أن من اتخذ غيره ربا من ملك أو إنسي فضلا عن صنم أو غير ذلك فهو مبطل تابع لما أدى إليه التقليد وترك النظر ومعنى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء أي وما يتبعون حقيقة الشركاء وإن كانوا يسمونها شركاء لأن شركة الله في الربوبية محال إن يتبعون إلا الظن ظنهم أنها شركاء وإن هم إلا يخرصون يحزرون ويقدرون أن تكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز أن يكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني وأي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الأول بيتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على أحدهما للدلالة ويجوز أن يكون ما موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاؤهم وقرأ علي بن أبي طالب رضه تدعون بالتاء ووجهه أن يحمل وما يتبع على الاستفهام أي وأي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني أنهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة فقال إن يتبع هؤلاء المشركون إلا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي تستحق بها أن يوحدوه بالعبادة بأنه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يعانون في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مضيئا يبصرون فيه مطالب أرزاقهم ومكاسبهم لقوم يسمعون سماع معتبر مدكر سبحانه تنزيه له من اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لأن ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا له ما في السموات وما في الأرض فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ أحد منهم ولدا إن عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها أن تتعلق بقوله تعالى إن عندكم على أن يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بأرضكم موز كأنه قيل إن عندكم فيما تقولون سلطان أتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على أن كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم يفترون على الله الكذب بإضافة الولد إليه متاع في الدنيا أي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبتهم النبي عليه السلام بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ويقال تعاظمه الأمر مقامي مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه أو قيامي ومكثي بين أظهركم مددا طوالا ألف سنة إلا خمسين عاما أو مقامي

وتذكيري لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى
عليه السلام انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود فاجمعوا امركم وشركاءكم من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال
هل اغدون يوما وامري مجمع والواو بمعنى مع يعني فاجمعوا امركم مع شركائكم وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير
المتصل وجاز من غير تأكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من
الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول او لان الواو بمعنى مع وفي قراءة ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم فان قلت
كيف جاز اسناد الاجماع الى الشركاء قلت على وجه التهكم كقوله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فان قلت ما
معنى الامرين امرهم الذي يجمعونه وامرهم الذي لا يكون عليهم غمة قلت اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني
فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما
وعده ربه من كلائته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما الثاني ففيه وجهان احدهما ان يراد مصاحبتهم له وما كانوا
فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة اي غما
وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنها قوله عليه السلام
ولا غمة في فرائض الله اي ولا تستر ولكن يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني
به ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه وتصحيحه كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي
ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلون وقرئ ثم افضوا الي بالفاء بمعنى ثم انتهوا
الي بشركم وقيل هو من افضى الرجل اذا خرج الى الفضاء اي اصحروا الي به وابرزوه لي فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري
ونصيحتي فما سألتكم من اجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجري
الا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة اي ما نصحتكم الا لوجه الله تعالى لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون
من المسلمين الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مامور به
والمراد ان يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق الامر معهم على الطريق الذي
يجب ان يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير فكذبوه فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة
كتكذيبهم في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالغرق كيف كان عاقبة
المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله عن مثله وتسلية له من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم
يعني هودا وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان ايمانهم
الا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين
بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على

قلوب المعتدين والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف اسند اليهم الاعتداء
ووصفهم به من بعدهم من بعد الرسل بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة
ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤوا على ردها
فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله لا من قبل موسى وهرون قالوا لحبهم الشهوات ان هذا
لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا فان قلت هم قطعوا بقولهم
ان هذا لسحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم أتقولون أسحر هذا قلت فيه اوجه ان يكون معنى قوله أتقولون للحق
أتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم
لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم ثم قال أسحر هذا فانكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه
وان يحذف مفعول أتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين ثم قيل أسحر هذا وان يكون جملة قوله أسحر هذا
ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كأنهم قالوا أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة ما جئتم
به السحر ان الله سيبطله لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه
آباءنا يعنون عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف
بالصيد والشوس ولذلك وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله ملكه ملك رأفة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء ينفي ما عليه
الملوك من ذلك ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى عليه السلام ان تريد الا ان
تكون جبارا في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اي بمصدقين لكما فيما جئتما به وقرئ يكون بالياء ما جئتم
به ما موصولة واقعة مبتدأ والسحر خبر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله وقرئ
آلسحر على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية اي اي شيء جئتم به أهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ ابي
ما اتيتم به سحر والمعنى لا ما اتيت به ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة لا يصلح عمل
المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته
بامره ومشيئته فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية من قومه الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كأنه قيل الا اولاد من
اولاد قومه وذلك انه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه
لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته فان قلت الام يرجع الضمير
في قوله وملائهم قلت الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب يأتمرون له ويجوز ان يرجع
الى الذرية اي على خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى
انفسهم ويدل عليه قوله تعالى ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون لعال في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين

في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية. إن كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا فإليه أسندوا أمركم في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الإسلام وهو أن يسلموا نفوسهم لله تعالى أي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لأن التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام إن ضربك زيد فاضربه إن كانت بك قوة. فقالوا على الله توكلنا إنما قالوا ذلك لأن القوم كانوا مخلصين لا جرم أن الله سبحانه قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في أرضه فمن أراد أن يصلح للتوكل على ربه والتفويض إليه فعليه برفض التخليط إلى الإخلاص. لا تجعلنا فتنة موضع فتنة لهم أي عذاب يعذبوننا ويفتنوننا عن ديننا أو فتنة لهم يفتنون بنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا. تبوآ المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه إذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون إليه للعبادة والصلاة فيه واجعلوا بيوتكم تلك قبلة أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة وكانوا في أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في أول الإسلام بمكة. فإن قلت كيف نوع الخطاب فثنى أولا ثم جمع ثم وحد آخرا قلت خوطب موسى وهرون عليهما السلام أن يتبوآ لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض إلى الأنبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لأن ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها. الزينة ما يتزين به من لباس أو حلي أو فرش أو أثاث أو غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت. فإن قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك قلت هو دعاء بلفظ الأمر كقوله تعالى ربنا اطمس واشدد وذلك أنه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وأنذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات إلا كفرا وعلى الإنذار إلا استكبارا وعن النصيحة إلا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجيء منهم إلا الغي والضلال وأن إيمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة أو علم ذلك بوحي من الله تعالى اشتد غضبه عليهم وأفرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم أنه لا يكون غيره كما تقول لعن الله إبليس وأخزى الله الكفرة مع علمك أنه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بأنه لم يبق له فيهم حيلة وأنهم لا يستأهلون إلا أن يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كأنه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي منهم هم أحق بذلك وأحق كما يقول الأب المشفق لولده الشاطر إذا لم يقبل منه حرصا على ما فاته من قبول نصيحته وحنقا عليه لا أن يريد خلاعته واتباعه هواه. ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الإيمان. فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد أو دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل على أنهم جعلوا نعمة الله تعالى سببا في الضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا وقوله تعالى فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على

[illegible] ونجنا برحمتك من القوم الكافرين وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلوة وبشر المؤمنين

وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم

من دلائل الربوبية وبينا لهم [illegible] فالمقصود من ذكر هذه القصص حصول الاعتبار كما قال لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب
كبير

قوله ارتقب فيه إشارة إلى أن قوله إنما الغيب لله فانتظروا جواب على الأسلوب الحكيم فإنهم حين طلبوا إنزال آية واحدة من تلك الآيات المذكورة دل على أن سؤالهم للتعنت والعناد فأجيبوا بما أجيبوا بأن سؤالهم متى تكون وأنتم تحققون بقدرة الله وحلول عقابه ببعض أنزلها بك إذ يستأصل شأفتكم لكن أنا لا أعلم الغيب وإذا كان كذلك فانتظروا ما يوجبه اقتراحكم أي حكم من المستطرين إياه وهذا التقرير أنسب من تقريره لأن قوله إن الصارف عن إنزال الآيات المقترحة أمر مغيب لا وجه له لأن الصارف معين وهو عنادهم قال تعالى وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ه ط قوله سلط الله [illegible] هذا جواب آخر عن قولهم لولا أنزل عليه آية وتقريره أنه تعالى بين في هذه الآية أن عادة هؤلاء الأقوام المكر واللجاج وعدم الإنصاف وبتقدير أن يعطوا ما سألوا من إبداء معجزات أخرى فإنهم لا يؤمنون بل يستمرون على كفرهم ولجاجهم فلم يكن ح

فلا يؤمنوا الخ واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرأ الفضل الرقاشي أإنك آتيت على الاستفهام
واطمس بضم الميم ❊ قد أجيبت دعوتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن ويجوز أن يكونا جميعا يدعوان والمعنى أن دعاءكما
مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزيادة في إلزام الحجة فقد لبث نوح في
قومه ألف عام إلا قليلا ولا تستعجلا قال ابن جريج فمكث موسى عليه السلام بعد الدعاء أربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين
لا يعلمون أي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله في تعليق الأمور بالمصالح ولا تعجلا فإن العجلة ليست بمصلحة وهذا كما
قال عز وجل لنوح عليه السلام إني أعظك أن تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها
بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع ❊ قرأ الحسن وجوزنا من أجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوز الذي
في بيت الأعشى وإذا تجوزها حبال قبيلة لأنه لو كان منه لكان حقه أن يقال وجوزنا بني إسرائيل في البحر كما قال كما جوز السكي
في الباب فيتق فأتبعهم فلحقهم يقال تبعته حتى أتبعته وقرأ الحسن وعدوا وقرئ أنه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة
الإيمان وإنه بالكسر على الاستئناف بدلا من آمنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على
القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار
وعند بقاء التكليف ❊ آلآن أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك
حين ألجمه الغرق يعني حين أوشك أن يغرق وقيل قاله بعد أن غرق في نفسه والذي يحكى أنه حين قال آمنت أخذ جبريل
من حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله تعالى على الكافر في وقت قد علم أن إيمانه لا ينفعه وأما ما يضم إليه من قولهم
خشية أن تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان إحداهما أن الإيمان يصح بالقلب كإيمان
الأخرس فحال البحر لا يمنعه والأخرى أن من كره إيمان الكافر وأحب بقاءه على الكفر فهو كافر لأن الرضا بالكفر كفر من
المفسدين من الضالين المضلين عن الإيمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا
يفسدون وروي أن جبريل عليه السلام أتاه بفتيا ما قول الأمير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى
السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول أبو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه أن يغرق
في البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه ❊ ننجيك بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر
وقيل نلقيك بنجوة من الأرض وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك أنه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه
الماء إلى الساحل كأنه ثور ببدنك في موضع الحال أي في الحال التي لا روح فيك وإنما أنت بدن أو ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه
شيء ولم يتغير أو عريانا لست إلا بدنا من غير لباس أو بدرعك قال عمرو بن معديكرب أعاذل شكتي بدني وسيفي ❊ وكل
مقلص سلس القياد وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ أبو حنيفة رحمه الله عليه بأبدانك وهو على وجهين إما أن يكون مثل
قولهم هوى بأجرامه يعني ببدنك كله وافيا بأجزائه أو يريد بدروعك كأنه كان مظاهرا بينها لمن خلفك آية لمن وراءك من الناس

علامة وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق وروي انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا
وقيل اخبرهم موسى عليه السلام بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله تعالى على الساحل حتى عاينوه وكان مطرحه كان على ممر من بني اسرائيل
حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن ياتي بعدك من القرون ومعنى كونه اية ان يظهر للناس عبوديته ومهانته وان ما
كان يدعيه من الربوبية محال باطل وانه مع ما كان فيه من عظم الشان وكبرياء الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما
الظن بغيره او لتكون عبرة تعتبر بها الامم بعدك فلا يجترءوا على نحو ما اجترات عليه اذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله تعالى
وقرئ ولمن خلفك بالقاف اي ولتكون لخالقك اية كسائر اياته ويجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين
المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان مثله لا يغرق ولا يموت اية من ايات الله التي لا يقدر
عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة في امرك ∴ مبوا صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام فما
اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا الا من بعد ما قرءوا التوراة وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتفاق الكلمة وعلموا
ان الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل هو العلم بمحمد عليه السلام واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانه هو ام
ليس به بعد ما جاءهم العلم والبيان انه هو لم يتنابزوا فيه كما قال الله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ∴ فان
قلت كيف قال لرسوله عليه السلام فان كنت في شك مما انزلنا اليك مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب قلت فرق
عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك لهم على سبيل التاكيد والتحقيق وبين قوله تعالى فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل
كانه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا فسئل الذين يقرءون الكتاب والمعنى ان الله تعالى قدم ذكر
بني اسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما
يعرفون ابناءهم فاراد ان يؤكد علمهم بصحة القران وصحة نبوة محمد عليه السلام ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا
وسبيل من خالجته شبهة في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمقادحة
العلماء المنبهين على الحق فسل علماء اهل الكتاب يعني انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك وثباتهم علما بحيث يصلحون
لمراجعة مثلك ومسالتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله لا وصف
رسول الله بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالايات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق
الذي لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله اي فاثبت ودم على ما انت عليه من
انتفاء المرية عنك والتكذيب بايات الله ويجوز ان يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله تعالى فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك
عن ايات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا اشك ولا اسال بل اشهد انه الحق وعن
ابن عباس رضي الله عنه لا والله ما شك طرفة عين ولا سال احدا منهم وقيل خوطب رسول الله صلعم والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم
في شك مما انزلنا اليكم كقوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز

اخوك فهن وقيل ان للنفي اي فما كنت في شك فسل يعني لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابرهيم عليه السلام
بمعاينة احياء الموتى وقرئ فاسال وقرئ يقرءون الكتب ∴ حقت عليهم كلمة ربك ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في
اللوح واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك
∴ فلولا كانت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة وقت
بقاء التكليف ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذ بمخنقه فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار
وقرا ابي وعبد الله فهلا كانت الا قوم يونس استثناء من القرى لان المراد اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم
يونس لما امنوا ويجوز ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي كانه قيل ما امنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه
على اصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل وذكر عن الجرمي والكسائي روي ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل
فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس عليه السلام
ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك امنا بك فلما مضت خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن
دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم
ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا
الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم الله تعالى وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان
ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم
فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم
وعن الفضيل بن عياض رحمه الله عليه قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله
ولا تفعل بنا ما نحن اهله ∴ ولو شاء ربك مشيئة القسر والالجاء لامن من في الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين
على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله تعالى افانت تكره الناس يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى
الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان في المكره من هو وما هو
الا هو وحده لا يشارك فيه لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر
∴ وما كان لنفس يعني من النفوس التي علم انها تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله وهو منح الالطاف ويجعل الرجس على
الذين لا يعقلون قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله تعالى
فزادتهم رجسا الى رجسهم وسمي الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاء وقرئ ونجعل بالنون ∴ ماذا في
السموات والارض من الايات والعبر وما تغني الايات والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع
ايمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما يغني بالياء وما نافية او استفهامية ∴ ايام الذين خلوا من قبلهم وقائع الله فيهم

كما يقال ايام العرب لوقائعها ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله تعالى الا مثل ايام الذين خلوا من
قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين آمنوا ومن آمن معهم كذلك ننجي المؤمنين مثل
ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ ننجي بالتشديد يا ايها
الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاستمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين
الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك وهو اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذي
يتوفاكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء وامرت ان اكون من المؤمنين
يعني ان الله تعالى امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحي الي في كتابه وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني ومما انا
عليه أأثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد
الذين تعبدون من دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله تعالى قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وامرت ان اكون
اصله بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان وان وان يكون
من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر فان قلت عطف قوله تعالى وان اقم على ان اكون فيه
اشكال لان ان لا تخلو من ان تكون التي للعبارة او التي تكون مع الفعل في تأويل المصدر فلا يصح ان تكون للعبارة وان كان الامر
مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يأبى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو
اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت قد سوغ سيبويه ان توصل ان بالامر والنهي وشبه
ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة
غيرهما من الافعال اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا وحنيفا حال من الدين او من الوجه فان فعلت
معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذا جزاء للشرط وجواب
لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم
اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله عز وجل هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر
لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان ارادك بخير لم يرد احد ما يريده بك
من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذن بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله تعالى ان ارادني الله بضر
هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته فان قلت لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني
قلت كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا
مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك
على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله تعالى يصيب به من يشاء من عباده والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة قد جاءكم

ص ولا تراخي حينئذ بل تفاوت بين الاخبارين وذلك كقولهم اعجبني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس اعجب فانه لا تراخي في الوقت
بين الاخبارين وعليه حمل قوله تعالى ثم آتينا موسى الكتاب لانه عطف على ذلكم وصاكم به وتوصية محمد متاخرة عن ايتاء موسى
وظاهر انه لا تراخي بين هذين الاخبارين اذ الاخبار بالايتاء عقيب الاخبار بالتوصية بلا فصل اذا عرفت هذا عرفت
حمل قول المصنف على التراخي في الاخبار كما في الحاشية لا وجه له ولما لم يكن بين الاحكام والتفصيل تراخ في الوجود
لان الآيات نزلت محكمة مفصلة لم يكن ثم هنا للترتيب في الوجود بل في الاخبار مجازا اه ق

الحق فلم يبق لكم عذر ولا على الله تعالى حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه واللام وعلى دلا
على معنى النفع والضر وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع
ذلك • وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير • واصبر على دعوتهم
واحتمال اذاهم واعراضهم حتى يحكم الله لك بالنصرة عليهم والغلبة وروي انها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه الاية بالصبر على ما سامتني الكفرة
فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامرا الجورة قال انس رضي الله عنه فلم نصبر وروي ان ابا قتادة تخلف عن تلقي معوية حين
قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا قال لم تكن عندنا دواب قال فاين النواضح قال قطعناها
في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدي اثرة قال معوية
فماذا قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر قال اذن نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان • الا ابلغ معوية بن حرب • امير الظالمين
نثا كلامي • بانا صابرون فمنظروكم • الى يوم التغابن والخصام • عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي من
الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون •

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب احكمت اياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير

احكمت اياته نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة
من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة كقوله تعالى ايات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم
احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير • ابني حنيفة احكموا سفهاءكم • اني اخاف
عليكم ان اغضبا • وعن قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام
والمواعظ والقصص او جعلت فصولا سورة سورة واية اية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها
ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص وقرئ احكمت اياته ثم فصلت اي احكمتها انا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك
ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل فان قلت ما معنى ثم قلت ليس معناها التراخي في الوقت ولكن
في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدا
محذوف واحكمت صفة له وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون صلة لاحكمت وفصلت
اي من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور

قوله ليس معناه التراخي في الوقت الى • يحتمل امرين ان يراد التراخي في الرتبة وان يراد التراخي في الاخبار واختلاف المعنيين بحسب اختلاف
اللفظين اعني احكمت وفصلت وروى المصنف عن قتادة احكمت اياته من الباطل وهو من قوله تعالى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
وقال الامام احكامها عن منع الفساد اي لم ينسخ بكتاب كما نسخت الكتب المتقدمة وانها محكمة في اصولها ورعاية معانيها التوحيد
والعدل والنبوة والمعاد وهي في غاية من الاحكام وثانيها ان اياتها غير متناقضة والتناقض ضد الاحكام وثالثها ان الفاظها بلغت
في الغاية من الفصاحة والبلاغة بحيث لم تقبل المعارضة وهي مشعرة بالاحكام واما اللفظ الثاني اعني فصلت ففيه الوجوه
المذكورة في الكتاب فاذا اريد ما قاله العلامة احكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام
كان من باب التراخي في الرتبة لان التفصيل اقوى من الاحكام وان اريد بالاحكام ما ذكره الامام من الوجوه وبالتفصيل تفصيل
السور والايات او التفريق في التنزيل كان من باب الاخبار كما ذكره ابو البقاء رحمه الله • اعلم ان اصل ثم للجمع مع الترتيب في الوجود
مع التراخي في الوقت ثم يستعمل مجازا في التراخي في الرتبة وحينئذ لا يكون للترتيب وقد يستعمل للترتيب في الاخبار دون

أن لا تعبدوا مفعول له على معنى لئلا تعبدوا ويجوز أن تكون أن مفسرة لأن في تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل لا تعبدوا إلا الله أو أمركم أن لا تعبدوا إلا الله وأن استغفروا أي أمركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان النبي عليه السلام إغراء منه على اختصاص الله تعالى بالعبادة ويدل عليه قوله إنني لكم منه نذير وبشير كأنه قال ترك عبادة غير الله إنني لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب والضمير في منه لله تعالى أي إنني لكم نذير وبشير من جهته كقوله تعالى رسول من الله أو هي صلة لنذير أي أنذركم منه ومن عذابه إن كفرتم وأبشركم بثوابه إن آمنتم. فإن قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا قلت معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة أو استغفروا والاستغفار توبة ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله تعالى ثم استقاموا. يمتعكم يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة إلى أجل مسمى إلى أن يتوفاكم كقوله تعالى فلنحيينه حيوة طيبة. ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه أو فضله في الثواب والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات. وإن تولوا وإن تتولوا عذاب يوم كبير هو يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل وبين عذاب اليوم الكبير بأن مرجعهم إلى من هو قادر على كل شيء فكان قادرا على أشد ما أراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ فإن تولوا من ولى.

يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه. ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير إضمار يريدون لعود المعنى إلى إضماره الإضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى ألا حين يستغشون ثيابهم يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم أيضا كراهة لاستماع كلام الله تعالى كقول نوح عليه السلام جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون يعني أنه لا تفاوت في علمه بين إسرارهم وإعلانهم فلا وجه لتوصلهم إلى ما يريدون من الاستخفاء والله تعالى مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده. روي أنها نزلت في الأخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث فكان يعجب رسول الله صلعم مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين. وقرئ تثنوني صدورهم واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة قرئ بالتاء والياء وعن ابن عباس رضه لتثنوني وقرئ تثنون وأصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلأ يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات أو أراد ضعف إيمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنأن افعال منه ثم همز كما قيل ابيأضت وادهأمت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي. فإن قلت كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب وإنما هو تفضل قلت هو تفضل إلا أنه لما ضمن أن يتفضل عليهم رجح التفضل واجبا كنذور العباد. والمستقر مكانه من الأرض ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة كل كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين. وكان عرشه على الماء أي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والأرض وارتفاعه فوقها إلا الماء وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والأرض وقيل وكان الماء على متن الريح والله أعلم بذلك كيف ما كان فانه تمسك في ذلك بقدرته وكلما ازدادت الأجرام كانت أحوج إليه وإلى إمساكه. ليبلوكم متعلق بخلق أي خلقهن لحكمة بالغة وهو أن جعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لأحوالكم كيف تعملون. فإن قلت كيف جاز تعليق فعل البلوى قلت لما في الاختبار من معنى العلم لأنه طريق إليه فهو ملابس له كما تقول انظر أيهم أحسن وجها واسمع أيهم أحسن صوتا لأن النظر والاستماع من طرق العلم. فإن قلت كيف قيل أيكم أحسن عملا وأعمال المؤمنين هي التي تتفاوت إلى حسن وأحسن فأما أعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها إلى حسن وقبيح قلت الذين هم أحسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا إلى تحصيل ما هو غرض الله تعالى من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا في حيازة فضلهم. وعن النبي عليه السلام ليبلوكم أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله. وقرئ ولئن قلت أنكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه أن يكون من قولهم ائت السوق أنك تشتري لحما وأنك تشتري بمعنى علك أي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه لا تبتوا القول بإنكاره لقالوا إن هذا إلا سحر مبين بأتّ القول ببطلانه ويجوز أن يضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم إن هذا إلا سحر أن السحر أمر باطل وأن بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به أو أشاروا بهذا إلى القرآن لأن القرآن هو الناطق بالبعث فإذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره. وقرئ إن هذا إلا ساحر يريدون الرسول عليه السلام والساحر كاذب مبطل. العذاب عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رضه قتل جبريل المستهزئين. إلى أمة إلى جماعة من الأوقات ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء. ويوم يأتيهم منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك أنه إذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها إذ المعمول تابع للعامل فلا يقع إلا حيث يقع العامل. وحاق بهم وأحاط بهم ما كانوا به يستهزئون العذاب الذي كانوا به يستعجلون وإنما وضع يستهزئون موضع يستعجلون لأن استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم إلا أنه جاء على عادة الله تعالى في إخباره. الإنسان للجنس. رحمة نعمة من صحة وأمن وجدة. ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة. إنه ليئوس شديد اليأس من أن تعود إليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع. كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله تعالى نساء له. ذهب السيئات عني أي المصائب التي ساءتني. إنه لفرح أشر

بطر لحقوه على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر ﴿الا الذين آمنوا فان عادتهم
ان نالتهم رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا ﴿كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لانهم
لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك
وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه
ويضحكون منه فحرّكه الله منه وهيّجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض
ما يوحى اليك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم
ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم انزل عليه ما
لا نريده ولا نقترحه ثم قال ﴿انما انت نذير﴾ اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك
ردوا او تهاونوا او اقترحوا ﴿والله على كل شيء وكيل﴾ يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل
امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم فان
قلت لم عدل عن ضيق الى ضائق قلت ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله كان افسح الناس
صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه
كانوا قوما عابثين في بعض الغوائل بقول السمهري العكلي ﴿بمنزلة اما اللئيم فسامن بها وكرام الناس باد شحوبها﴾ ام
منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى اليك تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط لصاحبه اكتب
عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى امثاله ذهابا الى
مماثلة كل واحدة منها له ﴿مفتريات﴾ صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله قال
فاودهم على دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان الامر كما قلتم فاتوا انتم ايضا
بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام فان قلت كيف
يكون ما يأتون به مثله وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت معناه مثله في حسن النظم والبيان
وان كان مفترى ﴿فان قلت ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل قلت معناه
فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع آخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم
ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلعم كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين
والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز
عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه ﴿فاعلموا انما انزل بعلم الله﴾ اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار
بغيوب لا سبيل لهم اليه واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم ﴿فهل انتم مسلمون﴾

مبايعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على
العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم
مخلصون ﴿نوف اليهم﴾ نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة
والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت
حتى يقال فلان جرئ فقد قيل وعن انس بن مالك رضي الله عنه هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما
عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه
لهم في الغنائم وقرئ يوف بالياء على ان الفعل لله عز وجل وتوف اليهم اعمالهم على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي
بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله يقول لا غائب مالي ولا حرم ﴿وحبط ما صنعوا فيها﴾ وحبط
في الآخرة ما صنعوه او صنيعهم يعني لم يكن له ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا
﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾ اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على
الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان تكون ما ابهامية وينتصب بيعملون ومعناه وباطلا اي باطل كانوا
يعملون وان يكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون ﴿افمن كان على بينة﴾ معناه امن كان يريد الحياة الدنيا
فمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من
آمن من اليهود كعبد الله بن سلام رضه وغيره ﴿كان على بينة من ربه﴾ اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل
العقل ﴿ويتلوه﴾ ويتبع ذلك البرهان ﴿شاهد منه﴾ اي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله او شاهد من القرآن فقد تقدم
ذكره آنفا ﴿ومن قبله﴾ ومن قبل القرآن ﴿كتاب موسى﴾ وهو التوراة اي ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ
كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد ممن
كان على بينة كقوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله
كتاب موسى ويتلو من قبل القرآن التوراة ﴿اماما﴾ كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ﴿ورحمة﴾ ونعمة عظيمة على المنزل
اليهم ﴿اولئك﴾ يعني من كان على بينة ﴿يؤمنون به﴾ يؤمنون بالقرآن ﴿ومن يكفر به من الاحزاب﴾ يعني اهل مكة ومن ضامّهم من
المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فالنار موعده﴾ فلا تك في مرية وقرئ مرية بالضم ﴿منه﴾ من القرآن او من الموعد
﴿يعرضون على ربهم﴾ يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم ويشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون
على الله تعالى بانه اتخذ ولدا وشريكا ويقال الا لعنة الله على الظالمين فوا خزياه وا فضيحتاه والاشهاد جمع شاهد او شهيد
كاصحاب او اشراف جمع شريف ﴿ويبغونها عوجا﴾ يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم
الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به ﴿اولئك لم يكونوا معجزين في الارض﴾ اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم

ولست الفاره وتنبيه ما الاخسران اعظم منه بتولد وهو انهم خسروا انفسهم عباده عن قوله اشتروا عبادة الآلهة
بعبادة الله لان الخسران من زرد او من ما لا ينبغى ان يشترى براس المال
لانهم ما خلقوا الا لعبادة الله وعيف
معبدا غير الله فقد ضيعوا ما لاجله خلقت نعم قوله انهم خسروا انفسهم

لو اراد عقابهم وما كان لهم من دون الله من اولياء ينصرونهم منه ويمنعونهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم
وهو من كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعف ما كانوا يستطيعون السمع اراد انهم لفرط تصامّهم عن استماع
الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوغوغ به على اهل العدل كانه لم يسمع
الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعي ويحتمل ان يريد بقوله وما كان لهم من اولياء انهم
جعلوا آلهتهم اولياء من دون الله وولايتها ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله
ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد. خسروا
انفسهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم
وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها لا جرم فيه ثلاثة اوجه ... لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون
لا ترى احدا ابين خسرانا منهم. واخبتوا الى ربهم واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت
وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم للشيء الدني الخبيث قال ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيث وقيل
التاء فيه بدل من الفاء. شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق
وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبهه بالذي جمع بين
العمى والصمم او الذي جمع بين البصر والسمع على ان تكون الواو في والاصم وفي والسميع لعطف الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب
هل يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها. اني لكم نذير اي ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله
اني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كأن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد وقرئ بالكسر على
ارادة القول. ان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله او تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير
وصف اليوم بالاليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه فان قلت فاذا وصف به العذاب قلت مجازي مثله
لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده. الملأ الاشراف من قولهم فلان مليء بكذا
اذا كان مطيقا له وقد ملؤ بالامر لانهم ملؤوا بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها او لانهم يتمالئون اي يتظاهرون
ويتساندون او لانهم يملؤون القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة. ما نراك الا بشرا
مثلنا تعريض بانهم احق منه بالنبوة وان الله تعالى لو اراد ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من
الملأ وموازيهم في المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل او ارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا
لا بشرا والاراذل جمع الارذل كقوله تعالى اكابر مجرميها احاسنكم اخلاقا بادي الرأي بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك اول
الرأي او ظاهر الرأي وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث اول رأيهم او وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك واقيم
المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك انما هو شيء عن لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتاخرهم

اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم

فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين

سؤال: جيب لان الله تعالى خلقهم اشقيا وختم على قلوبهم حتى لا يدخل فيها الحق وختم على سمعهم لئلا يستطيعوا استماع الحق وجعل على ابصارهم الغشاوة لئلا يبصروا الدلائل الدالة على التوحيد فاذا كان نظام النظم هذا وهذا عقيدة بتفسير مجبر الامة فلا يقال فيه ما قال اللهم اغفر ه
ط
قوله وهو من اللف والطباق اللف الجمع والطباق مقابلة الضد بالضد لانه لف بقوله الفريقين ونشر بقوله كالاعمى الخ
كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي ه

لا فضل لاحد الفريقين على الآخر فينبغي ان يكونوا من جنس واحد فخلا من البشر ليختصوا بادعاء ولیس ذلك الا الملكية فنبه اعلال
قوله وما نرى لكم علينا من فضل لا في العقل ولا في رعاية المصالح العاجلة ولا في قوة الجدل ه كبير
قوله خفي والمقام يدفعه ه ط
فان قلت اذا وصف به العذاب فاذا يعني هذا حكم الاليم اذا وصف به اليوم وصف به العذاب فاحكمه

في الأسباب الدنيوية لأنهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون إلا ظاهرا من الحيوة فكان الأشرف عندهم من له جاه ومال
كما ترى أكثر المتسمين بالإسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه إكرامهم وإهانتهم ولقد زلّ عنهم أن التقدم في الدنيا لا يقرّب
أحدا من الله تعالى وإنما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا أن يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتأهيل لها على أن الأنبياء
عليهم السلام بُعثوا مرغّبين في طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهّدين فيها مصغّرين لشأنها وشأن من أخلد إليها فما أبعد حالهم
من الاتصاف بما يبعد من الله تعالى والتشرف بما هو ضعة عند الله تعالى من فضل من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة بل
نظنكم كاذبين فيما تدعونه ۝ أرأيتم أخبروني إن كنت على بيّنة على برهان من ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواي
وآتاني رحمة من عنده بإيتاء البينة على أن البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز أن يراد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة فإن
قلت فقوله فعُمّيت ظاهر على الوجه الأول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه أن يقال فعميتا قلت الوجه
أن يقدّر فعميت بعد البينة وأن يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عُمّيت خفيت وقرئ فعَميت بمعنى أُخفيت
وفي قراءة أبيّ فعمّاها عليكم فإن قلت فما حقيقته قلت حقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت
عمياء لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير
هاد فإن قلت فما معنى قراءة أبيّ قلت المعنى أنهم صمّموا على الإعراض عنها فخلاهم الله تعالى وتصميمهم
فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله أنلزمكموها وأنتم لها كارهون يعني أنكرهكم على قبولها ونقسركم
على الاهتداء بها وأنتم تكرهونها ولا تختارونها ولا إكراه في الدين وقد جيء بضميري المفعولين متصلين جميعا ويجوز أن يكون
الثاني منفصلا كقولك أنلزمكم إياها ونحوه فسيكفيكهم الله ويجوز فسيكفيك إياهم وحكي عن أبي عمرو إسكان الميم ووجهه
أن الحركة لم تكن إلا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والإسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين
لأن الحركة الإعرابية لا يسوغ طرحها إلا في ضرورة الشعر ۝ والضمير في قوله لا أسألكم عليه راجع إلى قوله إني لكم
نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله وقرئ وما أنا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الأصل فإن قلت ما معنى قوله إنهم
ملاقوا ربهم قلت معناه أنهم يلاقون الله تعالى فيعاقب من طردهم أو يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من
إيمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما أعرف غيره منهم أو على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء إيمانهم على بادي الرأي
من غير نظر وتفكر وما علي أن أشق عن قلوبهم وأتعرف سر ذلك منهم حتى أطردهم إن كان الأمر كما تزعمون ونحوه ولا
تطرد الذين يدعون ربهم الآية أو هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون أنهم ملاقوه لا محالة تجهلون تتسافهون
على المؤمنين وتدعونهم أراذل من قوله ألا لا يجهلن أحد علينا أو تجهلون أنهم خير منكم ۝ من ينصرني من الله من
يمنعني من انتقامه إن طردتهم وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا به أنفة من أن يكونوا معهم على سواء ۝ أعلم الغيب
عندي معطوف على خزائن الله أي لا أقول عندي خزائن الله ولا أقول أنا أعلم الغيب ومعناه لا أقول لكم عندي خزائن الله فادعي

نفضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا أدعي علم الغيب حتى تنسبوني إلى
الكذب والافتراء أو حتى أطلع على ما في نفوس أتباعي وضمائر قلوبهم ولا أقول إني ملك حتى تقولوا لي ما أنت إلا بشر مثلنا
ولا أحكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم أن الله لن يؤتيهم خيرا في الدنيا والآخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة
لكم ونزولا على هواكم إني إذا لمن الظالمين إن قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه إذا عابه وأزرى به قصر به
يقال أزرت به عينه واقتحمته عينه ❊ جادلتنا فأكثرت جدالنا معناه أردت جدالنا وشرعت فيه فأكثرته كقولك جاد
فلان فأكثر وأطاب فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل إنما يأتيكم به الله أي ليس الإتيان بالعذاب إلي إنما هو إلى من كفرتم به
وعصيتموه إن شاء يعني إن اقتضت حكمته أن يعجله لكم وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما فأكثرت جدلنا ❊ فإن قلت ما وجه
ترادف هذين الشرطين قلت قوله إن كان الله يريد أن يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في
حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك إن أحسنت إلي أحسنت إليك إن أمكنني فإن قلت
ما معنى قوله إن كان الله يريد أن يغويكم قلت إذا عرف الله تعالى من الكافر الإصرار فخلاه وشأنه ولم يلجئه سمي ذلك
إغواء وإضلالا كما أنه إذا عرف منه أنه يتوب ويرعوي فلطف به سمي إرشادا وهداية وقيل أن يغويكم يهلككم من غوى الفصيل
غوى إذا بشم فهلك ومعناه أنكم إذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا ينفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر ألطافه كيف
ينفعكم نصحي ❊ فعلي إجرامي وأجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله عز وجل والله يعلم إسرارهم وأسرارهم وجرم وأجرام
مثل قفل وأقفال وينصر الجمع أن فسر الأولون بآثامي والمعنى إن صح وثبت أني افتريته فعلي عقوبة إجرامي أي افترائي
وكان حقي حينئذ أن تعرضوا عني وتتألبوا علي وأنا بريء يعني ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه ومعنى مما تجرمون من إجرامكم
في إسناد الافتراء إلي فلا وجه لإعراضكم ومعاداتكم ❊ لن يؤمن إقناط من إيمانهم وأنه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع
إلا من قد آمن إلا من وجد منه ما كان يتوقع من إيمانه وقد للتوقع وقد أصابت محزها ❊ فلا تبتئس فلا تحزن حزن بائس
مستكين قال ما يقسم الله أقبل غير مبتئس منه وأقعد كريما ناعم البال والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك
ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم ❊ بأعيننا في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا بأعيننا
كأن لله تعالى معه أعينا تكلأه أن يزيغ في صنعته عن الصواب وأن لا يحول بينه وبين عمله أحد من أعدائه ووحينا وأنا
نوحي إليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله تعالى إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ
الطائر ❊ ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك ❊ إنهم مغرقون إنهم محكوم
عليهم بالإغراق قد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل إلى كفه لقوله تعالى يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد
جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود ❊ ويصنع الفلك حكاية حال ماضية سخروا منه ومن عمله السفينة وكان
يعملها في برية بهماء في أبعد موضع من الماء وفي وقت عز الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا

بعد ما كنت نبيا فإنا نسخر منكم يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة أي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق
في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل إن تستجهلونا فيما نصنع فإنا نستجهلكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه
فأنتم أولى بالاستجهال منا أو إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم في استجهالكم لأنكم لا تستجهلون إلا عن جهل بحقيقة الأمر وبناء على ظاهر
الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروي أن نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها
خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الأسفل الوحوش
والسباع والهوام وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام وركب هو ومن معه في البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد
وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله معترضا بين الرجال والنساء وعن الحسن كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة
وقيل إن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب
فأخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال
قم بإذن الله تعالى فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام أهكذا هلكت قال لا مت وأنا شاب
ولكنني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة
ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للإنس وطبقة للطير ثم قال له عد بإذن الله كما كنت فعاد ترابا
❊ من يأتيه في محل النصب بتعلمون أي فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه ويعني به إياكم ويريد بالعذاب عذاب
الدنيا وهو الغرق ويحل عليه حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الآخرة ❊ حتى
هي التي يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء فإن قلت وقعت غاية لماذا قلت لقوله
ويصنع الفلك أي وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد فإن قلت فإذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام
قلت هو حال من يصنع كأنه قال يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فإن قلت فما جواب
كلما قلت سخروا منه وقال إن تسخروا منا استئنافا على تقدير سؤال سائل أو تجعل سخروا بدلا من مر
أو صفة لملأ وقال جوابا وأهلك عطف على اثنين وكذلك ومن آمن يعني واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من
أهله من سبق عليه القول أنه من أهل النار وما سبق عليه القول بذلك إلا للعلم بأنه يختار الكفر لا لتقديره عليه وإرادته
به تعالى الله عن ذلك قال الضحاك أراد ابنه وامرأته إلا قليل روي عن النبي عليه السلام أنه قال كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه
الثلاثة ونساؤهم وعن محمد بن إسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة وأولاد
نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء ❊ يجوز أن يكون كلاما واحدا
وكلامين فالكلام الواحد أن يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت
إجرائها ووقت إرسائها إما لأن المجرى والمرسى للوقت وإما لأنهما مصدران كالإجراء والإرساء حذف منهما الوقت المضاف

كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يكونا بمعنى الاجراء والارساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من
ارادة القول والكلام اما ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة من مبتدا وخبر مقتضبة اي بسم الله اجراؤها وارساؤها يروى
انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها
اي بقدرته وامره وقرئ مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسا اما مصدرين او وقتين او مكانين وقرا مجاهد مجريها
ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل صفتين لله تعالى فان قلت ما معنى قولك جملة مقتضبة قلت معناه
ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله تعالى او بامره وقدرته ويحتمل ان تكون غير مقتضبة
بان تكون في موضع الحال كقوله وجاؤوا بهم بسكر علينا فلا تكون كلاما برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول و
انتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة بسم الله بمعنى التقدير كقوله ادخلوها خالدين ان ربي
لغفور رحيم لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم فان قلت بم اتصل قوله وهي تجري بهم قلت
بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم اي تجري وهم فيها في موج كالجبال يريد
موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها فان قلت الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه
وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها
في الموج قلت كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه ساوي الى جبل يعصمني من
الماء وقيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرا علي رضي الله عنه ابنها والضمير لامراته وقرا محمد بن علي وعروة بن الزبير رضي الله عنهما ابنه
بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة رضي الله عنه سالته فقال والله ما كان ابنه فقلت
ان الله تعالى حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن ياخذ
دينه من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني ولنسبته الى امه وجهان احدهما ان يكون ربيبا له كعمر بن ابي سلمة
لرسول الله صلعم وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم السلام وقرا السدي ونادى نوح ابناه على
الندبة والترثي اي قال يا ابناه والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه عن
ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن دين ابيه يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح
اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء
بعدهما ساكنة ∴ الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان
من رحم الله من المؤمنين وكان لهم غفورا رحيما في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء
قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة
وقيل العاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقولهم ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثناء منقطع كانه

قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم لقوله تعالى ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وقرئ إلا من رحم على البناء للمفعول
نداء الأرض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات
وهو قوله تعالى يا أرض ويا سماء ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك وأقلعي من الدلالة على الاقتدار
العظيم وأن السماوات والأرض وهذه الأجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كأنها عقلاء مميزون
قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم
يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم أمره كان
المأمور به مفعولا لا حبس ولا إبطاء والبلع عبارة عن النشف والإقلاع الإمساك يقال أقلع المطر وأقلعت
الحمى وغيض الماء من غاضه إذا نقصه وقضي الأمر وأنجز ما وعد الله تعالى نوحا من إهلاك قومه واستوت
واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل وقيل بعدا وبعدا إذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك
والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء إخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء
وأن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وأن فاعلها فاعل واحد لا يشارك في أفعاله
فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي ولا أن يقضي ذلك الأمر الهائل غيره ولا أن تستوي
السفينة على متن الجودي وتستقر عليه إلا بتسويته وإقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية
ورقصوا لها رؤوسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي وأقلعي وذلك وإن كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت
إليه بإزاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت
في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروي أنها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد
أعتقه الله تعالى من الغرق وروي أن نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط وأمر من معه فصاموا شكرا لله تعالى ونادى نوح ربه
دعاؤه له رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية أهله فإن قلت فإذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف
فقال رب على نادى بالفاء قلت أريد بالنداء إرادة النداء ولو أريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله إذ نادى ربه
نداء خفيا قال رب بغير فاء إن ابني من أهلي أي بعض أهلي لأنه كان ابنه من صلبه أو ربيبا له فهو بعض أهله وإن
وعدك الحق وإن كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في إنجازه والوفاء به وقد وعدتني أن تنجي أهلي فما بال
ولدي وأنت أحكم الحاكمين أي أعلم الحكام وأعدلهم لأنه لا فضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل
والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب أقضى القضاة ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز أن يكون
من الحكمة على أن يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل رحمة الله عليه
إنه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من أهله وفيه إيذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وأن نسيبك في دينك

قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين

ومعتمد كل من الاب والابن في المنصب وان كان حبشيا ولكنت قرشيا لعصيتك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس
اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير
لنداء نوح عليه السلام اي ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد قلت
لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي وآذن بذلك انه انما انجى من انجى من اهله لصلاحهم
لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه ابوتك كقوله تعالى كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين
فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح وقرئ فلا تسألن بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء
وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا او التماسا لا تعلم أصواب هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسألة دليل على ان
النداء كان قبل ان يغرق حين خاف عليه فان قلت لم سمي نداؤه سؤالا ولا سؤال فيه قلت قد تضمن
دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة اهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز وجعل سؤال
ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين فان قلت قد وعده
الله ان ينجي اهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف
الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمي
سؤاله جهلا قلت ان الله عز وعلا قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد
ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق
في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه ان اسألك من ان اطلب منك
في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بأدبك واتعاظا بموعظتك والا تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني بالتوبة
علي أكن من الخاسرين اعمالا وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك مكرما
وبركات عليك ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة عليك على التوحيد وعلى امم ممن معك يحتمل
ان يكون من للبيان فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم
وان يكون لابتداء الغاية اي على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه وقوله تعالى وامم رفع بالابتداء
وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان
السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشؤن ممن معك وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار
وكان نوح عليه السلام ابا الانبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك
السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله تعالى عنهم
راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام

تلك اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها اخبار اي تلك القصة بعض انباء
الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل ايحائي اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته
بالوحي او من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو
ما قيض لنوح ولقومه ان العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين وقوله ولا قومك معناه ان قومك الذين انت
منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شأنهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله
ولا اهل بلده اخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا وهودا عطف بيان وغيره بالرفع صفة
على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ ان انتم الا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان
له شركاء ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شأنهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها ولا يمحصها الا حسم
المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع افلا تعقلون اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله تعالى
وهو ثواب الآخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا اليه من عبادة غيره لان
التوبة لا تصح الا بعد الايمان والمدرار الكثير الدرور كالمغزار وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر
وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شيء الى الماء وكانوا
مدلين بما اوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية وقيل اراد القوة
في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت ارحام نسائهم وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما
انه وفد على معوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني
ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة
بنين فبلغ ذلك معوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود ويزدكم
قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه وارغبكم فيه مجرمين
مصرين على اجرامكم وآثامكم ما جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلعم لولا انزل عليه
آية من ربه مع فوت آياته الحصر عن قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا كانه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن
قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما يدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة الا
اعتراك مفعول نقول والا لغو والمعنى ما نقول الا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء اي خبلك ومسك بجنون
لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافأة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي
بهذيان المبرسمين وليس بعجب من اولئك ان يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم عاد اعلام الكفر واوتاد
الشرك وانما العجب من قوم من المتطالين المتسمين بالاسلام سمعناهم يسمون التائب من ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا

ثمار
قطوفها جمع قطف
وهو ما يجتنى
بسرعة

يبصرونهم
اى يبصر الاحماء
الاحماء فلا يخفون
عليهم ولا يمنعهم
من التسائل
الا اشتغالهم بحال
انفسهم

يرسل السماء عليكم مدرارا
مدرارا ~~[illegible]~~
كثيرة الدرور

نوعدا أن من قوله ممن معك اذا جعل بيانية فالمراد بالامم الذين كانوا معه في السفينة وصح تسميتهم بالامم لانهم كانوا جماعة وكل طائفة
منها امة او انما سموا امما باعتبار مصير حالهم ومآل امرهم واذا جعلت ابتدائية فالمراد بالامم الذين يتفرعون منهم الى اخر الدهر وهذا
اوجه لما يلزم من الاول تسمية الجماعة القليلة بالامم وايضا لا يحسن التقابل بين قوله وامم سنمتعهم وبين قوله امم ممن معك في الاول
كما يحسن في الوجه الاخير فان الناس من الذين في صحبته في السفينة فرقتان فرقة مومنون داخلون تحت سلام الله وبركاته وفرقة
اخرى يتمتعون بالدنيا منقلبون الى النار وفي قطع الجملة الثانية بالابتداء سنن الجملة الاولى الدلالة على ان التمتع الجسماني والاشتغال به
يخرج الانسان عن حكم الصالحين من عباده وان التبتل الى الله يدخله في زمرة الانبياء والصالحين ه ط

ولم يخدعهم معه على غش مما كانوا عليه في ايام جاهليتهم من المودة وماذاك الا بعزوبهم عن الالحاد اي الا ان يتيقن
وضبت من الزندقة اراد ان يطلع بأسه وقد دلت اجوبتهم المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون
بالبهت ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا
في حجارة انها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين اجازوا العقاب كانوا يحسبون الثواب من اعظم الايات ان يواجه
بهذا الكلام رجل واحد امة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وانه يعصمه منهم فلا تنشب
فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا الي ولا تنظرون اكد براءته من الهتهم وشركهم ووثقها بما جرت
به عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على اني لا افعل كذا ويقول لقومه
كونوا شهداء علي اني لا افعله فان قلت هلا قيل اني اشهد الله واشهدكم قلت لان اشهاد الله على البراءة
من الشرك اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على
قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن
يبس الثرى بينه وبينه اشهد علي اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه من اشراككم الهة من دونه
او مما تشركونه من الهة من دونه اي انتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء له ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني
جميعا انتم والهتكم اعجلوا ما تفعلون من غير انظار فاني لا ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي وانتم
الاقوياء الشداد فكيف تضرني الهتكم وما هي الا جماد لا يضر ولا ينفع وكيف تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها
بان تخبلني وتذهب بعقلي ؞ ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل
عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بناصيتها
تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم يريد انه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم
به ؞ فان تولوا فان تتولوا فان قلت الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط قلت معناه
فان تتولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة
وعداوة الرسول ويستخلف كلام مستانف يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم ولا تضرونه
بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون انفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم
وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذبني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا الا انفسكم على
كل شيء حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مواخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء كلها
حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم ؞ والذين آمنوا معه قيل كانوا اربعة آلاف
فان قلت ما معنى تكرير التنجية قلت ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ
على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب

غليظ وذلك أن الله تعالى بعث عليهم السموم فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم عضواً عضواً وقيل
أراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه وأشد وقوله برحمة منا يريد بسبب الإيمان الذي
أنعمنا عليهم بالتوفيق له وتلك عاد إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا ثم
استأنف وصف أحوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لأنهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق
بين أحد من رسله قيل لم يرسل عليهم إلا هود وحده كل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم إلى تكذيب الرسل
ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على
وجوههم في عذاب الله تعالى وألا وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار
بهم والحذر من مثل حالهم فإن قلت بعداً دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم قلت معناه
الدلالة على أنهم كانوا مستأهلين له ألا ترى إلى قوله إخوتي لا تبعدوا أبداً وبلى والله قد بعدوا قوم هود عطف بيان
لعاد فإن قلت ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه أن يوسموا بهذه الدعوة
وسماً ويجعل فيهم أمر محققاً لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولأن عاداً عادان الأولى القديمة التي هي قوم هود والقصة
فيهم والأخرى إرم هو أنشأكم من الأرض لم ينشئكم منها إلا هو ولم يستعمركم فيها غيره وإنشاؤهم منها خلق آدم
من التراب واستعمركم وأمركم بالعمارة والعمارة متنوعة إلى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد
أكثروا من حفر الأنهار وغرس الأشجار وعمّروا الأعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسأل نبي من أنبياء
زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فأوحى الله تعالى إليه أنهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاوية بن أبي سفيان
أنه أخذ في إحياء أرض في آخر أمره فقيل له فقال ما حملني عليه إلا قول القائل ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا يكون
له في الأرض آثار وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان أحدهما أن
يكون استعمر في معنى أعمر كقولك استهلكه في معنى أهلكه ومعناه أعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء
أعماركم والثاني أن يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لأن الرجل إذا ورث داره من بعده فكأنما أعمره إياها لأنه
يسكنها عمره ثم يتركها لغيره قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وسأله فينا مرجواً
كانت تلوح فيك مخايل الخير وأمارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاوراً في الأمور ومسترشداً في التدابير
فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا أن لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلاً خيراً نقدمك على جميعنا
وقيل كنا نرجو أن تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه تعبد ما يعبد آباؤنا حكاية حال ماضية مريب من أرابه
إذا أوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين أو من أراب الرجل إذا كان ذا ريبة على
الإسناد المجازي قيل إن كنت على بينة من ربي بحرف الشك وكان على يقين أنه على بينة لأن خطابه للجاحدين

فكأنه قال قدروا أني على بينة من ربي ~~وكان على يقين انه على بينة~~ وأني نبي على الحقيقة وانظروا إن تابعتكم وعصيت ربي في أوامره فمن يمنعني من عذاب الله فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير أن أخسركم أي أنسبكم إلى الخسران وأقول لكم إنكم خاسرون ❊ آية نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل فإن قلت ـــــ بم يتعلق لكم قلت ـــــ بآية حالا منها متقدمة لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال عذاب قريب عاجل لا يستأخر عن مسكم لها بسوء إلا يسيرا وذلك ثلاثة أيام ثم يقع عليكم تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى البلاد الديار لأنه يدار فيها أي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الأربعاء وهلكوا يوم السبت غير مكذوب غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف وإجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه أو على المجاز كأنه قيل للوعد نفي بك فإذا وفي به فقد صدق ولم يكذب أو وعد غير كذب على أن المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول والمحلوف بمعنى الصدق ومن خزي يومئذ قرئ مفتوح الميم لأنه مضاف إلى إذ وهو غير متمكن كقوله على حين عاتبت المشيب فإن قلت ـــــ علام عطف قلت ـــــ على نجينا لأن تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ على وكانت التنجية من خزي يومئذ أي من ذله ومهانته وفضيحته ~~أي من أجل~~ والخزي الأعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز أن يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة ❊ وقرئ ألا إن ثمودا وثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب إلى الحي أو الأب الأكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة ❊ رسلنا يريد الملائكة وعن ابن عباس جاءه جبريل عليه السلام وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدي أحد عشر بالبشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد ❊ سلاما سلمنا عليك سلاما سلام أمركم سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وأنشد مررنا فقلنا إيه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح ❊ فما لبث أن جاء فما لبث في المجيء به بل عجل فيه أو فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والخبش بلغة أهل السراة وكان مال إبراهيم البقر حنيذ مشوي بالرضف في أخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس إذا ألقيت عليها الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين ❊ نكرهم نكره وأنكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك أنا أنكرك ولكن منكر ومستنكر وأنكرك قال الأعشى وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا قيل كان ينزل في طرف من الأرض فخاف أن يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم أنه إذا مس من يطرقهم طعامهم أمنوه وإلا خافوه والظاهر أنه أحس بأنهم ملائكة ونكرهم لأنه تخوف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله تعالى عليه أو لتعذيب قومه ألا ترى إلى قولهم لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وإنما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم أرسلوا فأوجس فأضمر وإنما قالوا لا تخف لأنهم رأوا أثر الخوف والتغير في وجهه أو عرفوه بتعريف الله أو علموا أن علمه بأنهم ملائكة موجب للخوف لأنهم كانوا لا ينزلون إلا بعذاب ❊ وامرأته قائمة قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤوسهم تخدمهم وفي مصحف عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد ❊ فضحكت سرورا بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الخبائث أو كان ضحكها ضحك إنكار لغفلتهم وقد أظلهم العذاب وقيل كانت تقول لإبراهيم عليه السلام اضمم لوطا ابن أخيك إليك فإني أعلم أنه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما أتى الأمر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرأ محمد بن زياد الأعرابي فضحكت بفتح الحاء يعقوب رفع بالابتداء كأنه قيل ومن وراء إسحاق يعقوب مولود أو موجود أي من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي أنه قيل له أهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب كأنه قيل ووهبنا لها إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب على طريقة قوله ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب ❊ الألف في يا ويلتا مبدلة من ياء الإضافة وكذلك في يا لهفا ويا عجبا وقرأ الحسن يا ويلتي بالياء على الأصل وشيخا نصب بما دل عليه اسم الإشارة وقرئ شيخ على أنه خبر مبتدإ محذوف أي هذا بعلي هو شيخ أو بعلي بدل من المبتدإ أو شيخ خبر أو يكونان معا خبرين قيل بنت تسع وتسعين سنة ولإبراهيم عليه السلام مائة وعشرون سنة إن هذا الشيء عجيب أن يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التي أجراها الله تعالى ❊ وإنما أنكرت عليها الملائكة تعجبها فقالوا أتعجبين من أمر الله لأنها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوة وأن تسبح الله تعالى وتمجده مكان التعجب وإلى ذلك أشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجب وأمر الله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته عليكم كلام مستأنف علل به إنكار التعجب كأنه قيل إياك والتعجب فإن أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله تعالى عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الأسباط من بني إسرائيل لأن الأنبياء منهم وكلهم من ولد إبراهيم عليه السلام حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده مجيد كريم كثير الإحسان إليهم وأهل البيت نصب على النداء أو على الاختصاص لأن أهل البيت مدح لهم إذ المراد أهل بيت خليل الرحمن ❊ الروع ما أوجس من الخيفة حين نكر أضيافه والمعنى أنه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة فإن قلت ـــــ أين جواب لما قلت ـــــ هو محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وأجمعوا وقوله يجادلنا كلام مستأنف دال على الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا أو فطن لمجادلتنا أو قال كيت وكيت ثم ابتدأ فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل فيه يجادلنا هو جواب لما وإنما جيء به مضارعا لحكاية الحال وقيل إن لما ترد المضارع إلى معنى الماضي كما ترد إن الماضي إلى معنى الاستقبال وقيل معناه أخذ يجادلنا أو أقبل يجادلنا والمعنى

يجادل رسلنا ومجادلته إياهم أنهم قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية فقال أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين أتهلكونها قالوا لا قال فأربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله في قوم لوط في معناهم وعن ابن عباس رضي الله عنه قالوا له إن كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيها أربعة آلاف ألف انسان إن إبراهيم لحليم غير عجول على كل من أساء إليه أواه كثير التأوه من الذنوب منيب تائب راجع إلى الله تعالى بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبين أن ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والإنابة كما حمله على الاستغفار لأبيه يا إبراهيم على إرادة القول أي قالت له الملائكة أعرض عن هذا الجدال وإن كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه إنه قد جاء أمر ربك وهو قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر إلا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لأنه حسب أنهم إنس فخاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي أن الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما أتى عليهم معهم منطلقا بهم إلى منزله قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله إنها لشر قرية في الأرض عملا يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها يقال يوم عصيب وعصوصب إذا كان شديدا من قولك عصبه إذا شده يهرعون يسرعون كأنما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك هؤلاء بناتي أراد أن يقي أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وأراد هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلعم ابنتيه من عتبة ابن أبي لهب وأبي العاص بن وائل قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه وعن ابن مروان هن أطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان في لحنه وعن أبي عمرو بن العلاء من قرأ هن أطهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك أن انتصابه على أن يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلي شيخا أو ينصب هؤلاء بفعل مضمر كأنه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لأن الفصل مختص بالوقوع بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك أن يكون هؤلاء مبتدأ وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدأ كقولك هذا أخي هو ويكون أطهر حالا فاتقوا الله بإيثارهن عليهم ولا تخزون ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي أو لا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق ضيوفي فإنه إذا خزي ضيف الرجل أو جاره فقد خزي الرجل وذلك من

عراقة الكرم وأصالة المروءة أليس منكم رجل رشيد رجل واحد يهتدي إلى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء ولا تخزون بطرح الباء ويجوز أن يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم وإظهارا لشدة امتعاضه مما أوردوا عليه طمعا في أن يستحيوا منه ويرقوا له إذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الأمر واستقرار العلم عنده وعندهم أن لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت مستشهدين بعلمه ما لنا في بناتك من حق لأنك لا ترى مناكحتنا وما هو إلا عرض سابري وقيل لما اتخذوا إتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم أنه هو الحق وأن نكاح الإناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لأن نكاح الإناث أمر خارج عن مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز أن يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة لتعلم ما نريد عنوا إتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة جواب لو محذوف كقوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال يعني لو أن لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لكم بها وما لي به يدان لأنه في معنى لا أضطلع به ولا أستقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي أو أويت إلى قوي أستند إليه وأتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه إن ركنك لشديد وقال النبي عليه السلام رحم الله أخي لوطا كان يأوي إلى ركن شديد وقرئ أو آوي بالنصب بإضمار أن كأنه قيل لو أن لي بكم قوة أو أويا كقولها للبس عباءة وتقر عيني وقرئ إلى ركن بضمتين وروي أنه أغلق بابه حين جاؤوا وجعل يرادهم ما حكى الله تعالى عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط إن ركنك لشديد إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال الله عز وجل فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فإن في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا إليك جملة موضحة للتي قبلها لأنهم إذا كانوا رسل الله لم يصلوا إليه ولم يقدروا على ضرره فأسر بالقطع والوصل إلا امرأتك بالرفع والنصب وروي أنه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا أليس الصبح بقريب وقرئ الصبح بضمتين فإن قلت ما وجه قراءة من قرأ إلا امرأتك بالنصب قلت استثناها من قوله تعالى فأسر بأهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك ويجوز أن ينتصب عن لا يلتفت على أصل الاستثناء وإن كان الفصيح هو البدل أعني قراءة من قرأ بالرفع فأبدلها عن أحد وفي إخراجها مع أهله روايتان روي أنه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها وروي أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فإن هواها إليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل عليه السلام جناحه في أسفلها

ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم من
سجيل قيل هي كلمة معربة من سنك وكل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين
ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله تعالى ان يعذب به من السجل وسجل لفلان منضود نضد في
السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في اثر بعض متتابعا ❊ مسومة معلمة للعذاب وعن الحسن كانت معلمة
ببياض وحمرة وقيل عليها سيما يعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به وما هي من
كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم
منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في
مسايرهم ببعيد بشيء بعيد ويجوز ان يراد وما هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا هوت
منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب منه ❊ اني اراكم بخير يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف
او اراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه لقول مؤمن آل
فرعون يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا ❊ يوم محيط مهلك من قوله
واحيط بثمره واصله من احاطة العدو فان قلت ـــ وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف اليوم بها
قلت ـــ بل وصف اليوم لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب
ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه ❊ فان قلت ـــ النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فائدة قوله
اوفوا قلت ـــ نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح
نعيا على المنهي عنه وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه
وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان امرا بما هو
الواجب لان ما جاوز العدل فضل وامر مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان
الايفاء وجه حسنه انه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير
وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم ❊ وروي مكس درهم وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئا كما يفعل السماسرة او كانوا يمكسون
الناس او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع
السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الارض ❊ بقية الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما
هو حرام عليكم خير لكم ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان قلت ـــ بقيته خير للكفرة لانهم يسلمون معها
من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان قلت ـــ لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة
من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شأنه

ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز ان يراد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم
كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك واضافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه
واما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا واذا اريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله بالتاء وهي
تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح ❊ وما انا عليكم بحفيظ وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم
عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت ❊ كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات
وكان قومه اذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلواتك تأمرك السخرية والهزؤ والصلوة وان
جاز ان تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلوة
تأمر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلوة آمرة
على سبيل التهكم بصلاته وارادوا ان هذا الذي تأمر به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك اليه
داعي عقل ولا يأمرك به آمر فطنة فلم يبق الا ان يأمرك به آمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها
في ليلك ونهارك وعندهم انها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال والافعال
ومعنى تأمرك ان نترك تأمرك بتكليف ان نترك ما يعبد آباؤنا فحذف المضاف الذي هو التكليف لان الانسان لا يؤمر
بفعل غيره وقرئ اصلوتك بالتوحيد وقرأ ابن ابي عبلة او ان تفعل في اموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان
يأمرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم
والدنانير وتقطيعها وارادوا بقولهم انك لانت الحليم الرشيد نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما
يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم والرشد
في قومك يعنون ان ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به ❊ ورزقني منه اي من لدنه رزقا حسنا وهو ما رزقه
من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف فان قلت ـــ اين جواب ارأيتم وما له
لم يثبت كما اثبت في قصة نوح ولوط قلت ـــ جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته في القصتين دل على مكانه
ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي
ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده
وانت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول
خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما
انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم
بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه

لا آلوا فيه جهدا او بدل من الاصلاح اى المقدار الذى استطعته منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف على قولك الا الاصلاح
اصلاح ما استطعت او مفعول له كقوله ضعيف النكاية اعداءه اى ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم
وما توفيقى الا بالله وما كونى موفقا لاصابة الحق فيما آتى واذر ووقوعه موافقا لرضى الله تعالى الا بمعونته وتاييده والمعنى
انه استوفق ربه فى امضاء الامر على سننه وطلب منه التاييد والاظهار على عدوه وفى ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم
فيه • جرم مثل كسب فى تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال
جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا • ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقى ان يصيبكم اى لا يكسبنكم شقاقى اصابة العذاب وقرأ ابن
كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اى كاسبا وهو منقول من جرم المتعدى الى مفعول واحد كما نقل اكسبه
المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه والقراءتان مستويتان
فى المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهورة افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه على المنهاج
الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم اوردهم له اكثر استعمالا وقرأ ابو حيوة ورويت عن نافع مثل ما اصاب
بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت • وما قوم لوط منكم ببعيد يعنى انهم اهلكوا
فى عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم او لا يبعدون منكم فى الكفر والمساوى وما يستحق به الهلاك فان قلت
ما لبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه او معناه قلت اما ان يراد وما اهلاكهم ببعيد او
وما هم بشىء بعيد او بزمان او مكان بعيد ويجوز ان يسوى فى بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها
على زنة المصادر التى هى الصهيل والنهيق ونحوها • رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل
البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال • ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه
اذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم
لم يفقهوه او قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادرى ما تقول او جعلوا
كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفهم كثير منه وكيف لا ينفهم كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل كان الثغ • فينا ضعيفا
لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا اعمى
وحمير تسمى المكفوف ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لان فينا يأباه الا ترى انه لو قيل انا لنراك فينا اعمى لم يكن
كلاما لان الاعمى اعمى فيهم وفى غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا والرهط من الثلاثة الى العشرة
وقيل الى السبعة وانما قيل ولولا رهطك احتراما لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم
لرجمناك لقتلناك شر قتلة • وما انت علينا بعزيز اى لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن
الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره حرف

النفى على ان الكلام واقع فى الفاعل لا فى الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال فى جوابهم
أرهطى اعز عليكم من الله ولو قيل ما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فان قلت فالكلام واقع فيه وفى رهطه
وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله ارهطى اعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبى الله تهاون
بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع
الله • واتخذتموه وراءكم ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشىء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهرى منسوب الى الظهر
والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم فى النسبة الى الامس امسى • بما تعملون محيط قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى
عليه شىء منها • على مكانتكم لا تخلو المكانة من ان تكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او تكون
مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التى انتم عليها من الشرك والشنآن لى او اعملوا
متمكنين من عداوتى مطيقين لها انى عامل على حسب ما يؤتينى الله من النصرة والتأييد ويمكننى • من
يأتيه يجوز ان تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب
يخزيه واينا هو كاذب وان تكون موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقى الذى يأتيه عذاب يخزيه والذى
هو كاذب فان قلت اى فرق بين ادخال الفاء ونزعها فى سوف تعلمون قلت ادخال الفاء وصل ظاهر
بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفى تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون
اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن فى البلاغة
كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستئناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه • وارتقبوا
وانتظروا العاقبة وما اقول لكم انى معكم رقيب اى منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم
بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع
فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس
ان يقول من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق
الى النبى المبعوث اليهم قلت القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعنى فى
زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم • فان قلت ما بال ساقتى قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان
الوسطيان بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير
مكذوب فجىء بالفاء الذى هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فلم تقعا
بتلك المثابة وانما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة • والجاثم
اللازم لمكانه لا يريم كاللابد يعنى ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا • كأن لم

يغنوا كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد ألا ترى إلى قوله كما بعدت وقرأ السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض القرب إلا أنهم أرادوا التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد وأوعد وقراءة السلمي جاءت على الأصل اعتبارا لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها ‌«بآياتنا وسلطان مبين» فيه وجهان أن يراد أن هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وأن يراد بالسلطان المبين العصا لأنها أبهرها ‌«برشيد» تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على أمره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل وذلك أنه ادعى الإلهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الإلهية ذاتا وأفعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والأمر الرشيد الذي فيه رشد أي وما في أمره رشد إنما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وإنما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في أمر موسى وعلموا أن معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في أمره رشد قط يقدم قومه أي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه ويجوز أن يريد بقوله وما أمر فرعون برشيد وما أمره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وإيضاحا أي كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش وأقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين فإن قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ الماضي قلت لأن الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة والورد المورد والمورود الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء وشبه أتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار لأن الورد إنما يراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد والنار ضده ‌«وأتبعوا في هذه» الدنيا لعنة أي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة بئس الرفد المرفود رفدهم أي بئس العون المعان وذلك أن اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى ‌«ذلك» مبتدأ من أنباء القرى نقصه عليك خبر بعد خبر أي ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها الضمير للقرى أي بعضها باق وبعضها عافي الأثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد فإن قلت ما محل هذه الجملة قلت هي مستأنفة لا محل لها ‌«وما ظلمناهم» بإهلاكنا إياهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما به أهلكوا ‌«فما أغنت عنهم آلهتهم» فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله يدعون يعبدون وهي حكاية حال ماضية ولما منصوب بما أغنت أمر ربك عذابه ونقمته تتبيب تخسير يقال تب إذا خسر وتببه غيره إذا أوقعه في الخسران ‌«محل»

الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الأخذ أخذ ربك والنصب فيمن قرأ وكذلك أخذ ربك بلفظ الفعل وقرئ إذ أخذ القرى وهي ظالمة حال من القرى أليم شديد وجيع صعب على المأخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل أهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره أو نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من أذنب أن يحذر أخذ ربه الأليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالإمهال ‌«ذلك» إشارة إلى ما قص الله تعالى من قصص الأمم الهالكة بذنوبهم لآية لمن خاف لعبرة له لأنه ينظر إلى ما أحل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو إلا أنموذج مما أعد لهم في الآخرة فإذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله ونحوه إن في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك إشارة إلى يوم القيامة لأن عذاب الآخرة دل عليه والناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله إذا قلت يجمع له الناس فإن قلت لأي فائدة أوثر اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه يوم لا بد من أن يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو أثبت أيضا لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد إنك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وإن شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك والمعنى يجمعون له لما فيه من الحساب والثواب والعقاب يوم مشهود مشهود فيه فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا أي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال في محفل من نواصي الناس مشهود فإن قلت فما منعك أن تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون أن تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قلت الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الأيام فإن جعلته مشهودا في نفسه فسائر الأيام كذلك مشهودات كلها ولكن جعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن أيام الأسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز أن يكون مشهودا في نفسه لأن سائر أيام الأسبوع مثله يشهدها كل من يشهده كذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني فمن كان منكم مقيما حاضرا في الوطن في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الأجل وبلغ الأجل آخره ويقولون حل الأجل إذا جاء آخرها يراد آخر مدة التأجيل والعد إنما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره إلا لأجل معدود إلا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء ‌«يوم يأت» بغير ياء ونحوه قولهم لا أدر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل فإن قلت فاعل يأتي

ماهو قلت — الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله او يأتي ربك وجاء ربك وتعضده قراءة من قرأ
وما يؤخره بالياء وقوله باذنه ويجوز ان يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى ان تأتيهم الساعة فان قلت —
بم انتصب الظرف قلت — اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتهاء المحذوف في قوله الا
لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم يأتي فان قلت — فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا
لاتيان اليوم وحددت الشيء بنفسه قلت — المراد اتيان هوله وشدائده لا تكلم لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن فان قلت — كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله
هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت — ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون
عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على
افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم فمنهم الضمير لاهل الموقف ولم يذكر لان ذلك معلوم ولان قوله لا تكلم
نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس والشقي الذي وجبت له النار لاساءته والسعيد الذي وجبت
له الجنة لاحسانه ∴ قراءة العامة بفتح الشين وعن الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا والزفير اخراج النفس
والشهيق رده قال الشماخ بعيد مدى التطريب اول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج ∴ ما دامت
السموات والارض فيه وجهان احدهما ان تراد سموات الآخرة وارضها وهي دائمة مخلوقة للابد والدليل على ان
لها سموات وارضا قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث
نشاء ولانه لابد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء يخلقها الله او يظلهم العرش وكل ما اظلك فهو سماء والثاني
ان يكون عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات
التأبيد فان قلت — فما معنى الاستثناء في قوله الا ما شاء ربك وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار في الابد من غير استثناء
قلت — هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب
النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله تعالى
عليهم وخسأه لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا منهم وهو رضوان الله
كما قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن
ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء
والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من
العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتأمله فان القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك
قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل

بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله تعالى لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين
على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وقد بلغني ان من الضلال من
اغتر بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله
هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان نغفل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه انهم يخرجون
من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما
علي بن ابي طالب رضوان الله عليه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث ∴ غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير
نهاية كقوله لهم اجر غير ممنون ∴ لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم من
عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء اي فلا تشك بعد ما انزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم
بها لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلعم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم
يريد ان حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزل بهم مثله وهو
استئناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز ان تكون مصدرية وموصولة اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما
يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها ∴ وانا لموفوهم نصيبهم اي حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم انصباءهم فان
قلت — كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى قلت — يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل
الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا ∴ فاختلف فيه آمن به قوم وكفر به قوم كما
اختلف في القرآن ∴ ولولا كلمة يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك وهذه من جملة
التسلية ايضا ∴ وان كلا التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المختلفين فيه ليوفينهم جواب
قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح
وايمان وجحود وقرئ وان كلا بالتخفيف على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل وقرأ ابي وان
كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقراءة عبد الله مفسرة لها وان كل الا ليوفينهم وقرأ الزهري وسليمان
بن ارقم وان كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله اكلا لما والمعنى وان كلا ملمومين بمعنى مجموعين كانه قيل وان كلا
جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون ∴ فاستقم كما امرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها
على جادة الحق غير عادل عنها ∴ ومن تاب معك معطوف على المستتر في استقم وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل
لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك ∴ ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله
انه بما تعملون بصير عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلعم في جميع القرآن آية كانت
اشد ولا اشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتني هود والواقعة واخواتهما وروي ان اصحابه قالوا لقد اسرع فيك الشيب

فقال شيبتني هود وعن بعضهم رأيت رسول الله صلعم في النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله تعالى فاستقم كما امرت وعن جعفر الصادق رضي الله عنه فاستقم كما امرت قال افتقر الى الله بصحة العزم ⁂ قرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن ابي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة الا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن ابي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من اركنه اذا اماله والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا اي الى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله تعالى من عالم يزور عاملا وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت ⁂ وما لكم من دون الله من اولياء حال من قوله فتمسكم النار اي فتمسكم النار وانتم على هذه الحال ومعناه وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره ⁂ ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لانه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم فان قلت فما معنى ثم قلت معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم

زهرة الدنيا بالتمكين غضارتها وحسنها وزينتها ه

الموفق من اولاد العباسيين قايد الجيوش وهو الذي يلزم البرقعي الذي خرج على الخلفاء العباسية ه

اراد هذا الكاتب ان ينبه الزهري على انه اذا جالسهم وخالطهم فلا بد ان يمتنع في اكثر الاوقات من مذاكرة العلوم ومباحثتها ه

[illegible] العامل من يكون عاملا من جهة الملوك على بعض البلاد ه

العذاب واقتضاء حكمته له ⁂ طرفي النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه وصلوة الغدوة الفجر وصلوة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف النهار واوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحوه واطراف النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو بسر في بسر والزلفى بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير ان تعطف على الصلوة اي اقم الصلوة طرفي النهار واقم زلفا من الليل على معنى واقم صلوات تتقرب بها الى الله تعالى في بعض الليل ⁂ ان الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثاني ان الحسنات يذهبن السيئات بان يكن لطفا في تركها لقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امرأة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلعم فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال عليه السلام اصليت العصر فقال نعم فقال اذهب فانها كفارة لما عملت وروي انه اتى ابا بكر فاخبره فقال استر على نفسك وتب الى الله فاتى عمر فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله صلعم فنزلت فقال عمر اهذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين ⁂ ثم كر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليك بما هو اهم مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوة والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات ⁂ فلولا كان من القرون فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا في القرآن فمعناها هلا الا التي في الصافات وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم ⁂ اولو بقية اولو فضل وخير وسمي الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة ان تذنبوا ثم تأتيني بقيتكم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا

ويجوز ان تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذووا ابقاء على انفسهم وصيانة لها من
سخط الله وعقابه وقرئ اولو بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا رقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله والبقية المرة
من مصدره والمعنى فلولا كان منهم اولو مراقبة وخشية من انتقام الله تعالى كانهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم الا
قليلا استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن انجينا
حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله عز وجل انجينا الذين ينهون عن السوء
واخذنا الذين ظلموا فان قلت ــــــ هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه قلت ــــــ ان جعلته متصلا
على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا للقليل من
الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن
وان قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية الا قليلا كان استثناء
متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثناء وان كان الافصح ان يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا ما اترفوا
فيه اراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات اي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش
الهني ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ ابو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين ظلموا يعني واتبعوا جزاء ما
اترفوا فيه ويجوز ان يكون المعنى في القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الانجاء كانه قيل
الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك السائر فان قلت ــــــ علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا قلت ــــــ ان كان معناه
واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم
فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم
فان قلت ــــــ فقوله وكانوا مجرمين قلت ــــــ على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور
بالاثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبعوا اي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما
عليهم بانهم قوم مجرمون ؞ كان بمعنى صح واستقام واللام لتاكيد النفي وبظلم حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة
ان يهلك الله القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين من الظلم وقيل
الظلم الشرك ومعناه انه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم
فسادا اخر ؞ ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة يعني لاضطرهم الى ان يكونوا اهل امة واحدة اي ملة واحدة وهي
ملة الاسلام كقوله ان هذه امتكم امة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين
الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون

مختلفين الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله تعالى ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم ذلك
اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعني ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب
مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره وتمت كلمة ربك وهي قوله للملائكة لاملان جهنم من
الجنة والناس اجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل ؞ وكلا التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبأ
نقص عليك ومن انباء الرسل بيان لكل وما نثبت به فؤادك بدل من كلا ويجوز ان يكون المعنى وكل اقتصاص نقص عليك
على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك يعني على الاساليب المختلفة وما نثبت مفعول نقص ومعنى تثبيت
فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمانينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم وجاءك في هذه الحق اي في هذه
السورة او في هذه الانباء المقتصة فيها ما هو حق وموعظة وذكرى ؞ وقل للذين لا يؤمنون من اهل مكة وغيرهم
اعملوا على حالكم وجهتكم التي انتم عليها انا عاملون وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله
من النقم النازلة باشباهكم ؞ ولله غيب السموات والارض لا يخفى عليه خافية مما يجري فيها فلا يخفى عليه اعمالكم
واليه يرجع الامر كله فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وكافلك
وما ربك بغافل عما يعملون وقرئ تعملون بالتاء اي انت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط
وابرهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله تعالى ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى ايات السورة والكتاب المبين السورة اي تلك الايات التي انزلت اليك في هذه السورة ايات السورة
الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة
التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد ابين فيها ما سالت عنه اليهود من قصة يوسف فقد روي
ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل ال يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف ؞ انا انزلناه
انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه قرآنا عربيا وسمي بعض القرآن قرآنا لان القرآن اسم جنس يقع
على كله وبعضه لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا
فصلت اياته ؞ القصص على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله
يشله شللا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبأ والخبر في معنى المنبأ به والمخبر به
ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد فان اريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص
بما اوحينا اليك هذا القرآن اي بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون

المنصوص محذوفا لان قوله بما اوحينا اليك هذا القران مغن عنه ويجوز ان ينتصب هذا القران بنقص عليك كانه قيل
نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القران بايحائنا اليك والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة
واعجب اسلوب الا ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه في كتاب منها
مقاربا لاقتصاصه في القران وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن ما يقتص من الاحاديث
وانما كان احسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر انه احسن ما يقتص
في بابه كما يقال في الرجل هو اعلم الناس وافضلهم يراد في فنه فان قلت مم اشتقاق القصص قلت من قص
اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القران اذا قرأه لانه يتلو اي
يتبع ما حفظ منه اية بعد اية وان كنت ان مخففة من الثقيلة واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية والضمير في
قبله راجع الى قوله ما اوحينا والمعنى وان الشان والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين عنه اي من الجاهلين
به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه ۞ اذ قال يوسف بدل من احسن القصص وهو من بدل
الاشتمال لان الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص او باضمار اذكر ويوسف اسم
عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب اخر سوى التعريف فان قلت فما
تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين او يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته ان يقال هو عربي لانه على وزن المضارع المبني
للفاعل او المفعول من اسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت لا لان القراءة المشهورة قامت
بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون عربية تارة واعجمية اخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث
ولا يقال هو عربي لانه في لغتين منها بوزن المضارع من انس واونس وعن النبي عليه السلام اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم
بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ۞ يا ابت قرئ بالحركات الثلاث فان قلت ما هذه التاء
قلت تاء تانيث وقعت عوضا من ياء الاضافة والدليل على انها تاء تانيث قلبها هاء في الوقف فان قلت كيف
جاز الحاق تاء التانيث بالمذكر قلت كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة فان قلت
فلم ساغ تعويض تاء التانيث من ياء الاضافة قلت لان التانيث والاضافة يتناسبان في ان كل واحد منهما زيادة مضمومة
الى الاسم في اخره فان قلت فما هذه الكسرة قلت هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك يا ابي قد زحلقت الى
التاء لاقتضاء تاء التانيث ان يكون ما قبلها مفتوحا فان قلت فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء
وتبقى ساكنة قلت امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها في الاعراب وانما جاز تسكين الياء
واصلها ان تحرك تخفيفا لانها حرف لين واما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها فان قلت يشبه
الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها في حكم الياء اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي

فلا يجوز يا ابت قلت الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من احد الشيئين وهو الياء والكسرة غير متعرض
لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين التاء والياء لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا من
الياء كيف جاز الجمع بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة ابعد من ذلك فان قلت
فقد دلت الكسرة في يا غلام على الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها فان دلت على مثل ذلك في يا ابت فالتاء المعوضة
لغو ووجودها كعدمها قلت بل حالها مع التاء كحالها مع الياء اذا قلت يا ابي فان قلت فما وجه من قرأ
بفتح التاء وضمها قلت اما من فتح فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء
في يا غلام ويجوز ان يقال حركها بحركة الياء المعوض منها في قولك يا ابي واما من ضم فقد رأى اسما في اخره تاء تانيث
فاجراه مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء فقال يا ابت كما تقول يا ثبة من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الاضافة وقرئ
اني رايت بتحريك الياء واحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالي المتحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذلك الى تسعة عشر
الا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان ورايت من الرؤيا لا من الرؤية لان ما ذكره معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا
مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت اية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس فان
قلت ما اسماء تلك الكواكب قلت روى جابر رض ان يهوديا جاء الى النبي عليه السلام فقال يا محمد اخبرني
عن النجوم التي راهن يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال النبي عليه السلام
لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جربان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق
والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له
فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب
ان يوسف راى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة واذا عصا
صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي
عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل
كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون فان قلت لم اخر الشمس والقمر قلت
ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل
وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر فان قلت
ما معنى تكرار رايت قلت ليس بتكرار انما هو كلام مستانف على تقدير سؤال وقع جوابا له كان يعقوب عليه السلام
قال له عند قوله اني رايت احد عشر كوكبا كيف رايتها سائلا عن حال رؤيتها فقال رايتهم لي ساجدين فان قلت
فلم اجريت مجرى العقلاء في رايتهم لي ساجدين قلت لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجرى عليها

قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان
للإنسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث
ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبرهيم
وإسحق إن ربك عليم حكيم
لقد كان في يوسف وإخوته
آيات للسائلين

حلمهم كأنها عاقلة وهذا كثير شايع في كلامهم أن يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما من أحكامه إظهارا لأثر الملابسة والمقاربة ∴ عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرؤيا على أن يوسف يبلغه الله تعالى مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الإخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية إلا أنها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التأنيث كما قيل القربة والقربى وقرئ رؤياك بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائي رياك ورياك بالإدغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة لأن الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى إدغامها كما لم يقو الإدغام في قولهم اتزر من الإزار واتجر من الأجر ∴ فيكيدوا منصوب بإضمار أن والمعنى إن قصصتها عليهم كادوك فإن قلت هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني قلت ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع إفادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وأبلغ في التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك ألا ترى إلى تأكيده بالمصدر ∴ عدو مبين ظاهر العداوة كما فعل بآدم وحواء وبقوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن أن يحملهم على مثله ∴ وكذلك ومثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك بمعنى وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شأن كذلك يجتبيك ربك لأمور عظام وقوله ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء إذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض جمعته والأحاديث الرؤى لأن الرؤيا إما حديث نفس أو ملك أو شيطان وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف أعبر الناس للرؤيا وأصحهم عبارة لها ويجوز أن يراد بتأويل الأحاديث معاني كتب الله وسنن الأنبياء وما غمض واشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت أحاديث لأنه يحدث بها عن الله تعالى ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا ألا ترى إلى قوله فبأي حديث بعده يؤمنون الله نزل أحسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع أحدوثة ومعنى إتمام النعمة عليهم أنه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بأن جعلهم أنبياء في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها إلى الدرجات العلى في الجنة وقيل أتمها على إبرهيم بالخلة والإنجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى إسحق بإنجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وبإخراج يعقوب والأسباط من صلبه وقيل علم يعقوب أن يوسف يكون نبيا وإخوته أنبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت الرؤيا إخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي أن يسجد له إخوته حتى يسجد له أبواه وقيل كان يعقوب مؤثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان إخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة إلى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال هذا أمر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل ∴ وآل يعقوب أهله وهم نسله وغيرهم وأصل آل أهل بدليل تصغيره على أهيل إلا أنه لا يستعمل إلا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال

آل الحايك ولا آل الحجام ولكن أهلهما وأراد بالأبوين الجد وأبا الجد لأنهما في حكم الأب في الأصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وإن كان بينه وبين فلان عدة وإبرهيم وإسحق عطف بيان لأبويك ∴ إن ربك عليم يعلم من يحق له الاجتباء حكيم لا يتم نعمته إلا على من يستحقها ∴ في يوسف وإخوته أي في قصتهم وحديثهم آيات علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته في كل شيء للسائلين لمن سأل عن قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم بالصحة من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب وقرئ آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل إنما قص الله تعالى على النبي عليه السلام خبر يوسف وبغي إخوته عليه لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى به وقيل أسماؤهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة ودان ونفتالي وجاد وآشر السبعة الأولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والأربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف ∴ ليوسف اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه وأخوه هو بنيامين وإنما قالوا أخوه وهم جميعا إخوته لأن أمهما كانت واحدة وقيل أحب في الاثنين لأن أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث إذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف وإذا أضيف جاز الأمران والواو في ونحن عصبة واو الحال يعني أنه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما ∴ إن أبانا لفي ضلال مبين أي ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل إلى الأربعين سموا بذلك لأنهم جماعة تعصب بهم الأمور ويستكفون النوائب وروى النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الأنباري هذا كما تقول العرب إنما العامري عمته أي يتعهد عمته ∴ اقتلوا يوسف من جملة ما حكي بعد قوله إذ قالوا كأنهم أطبقوا على ذلك إلا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين ∴ أرضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف ولإبهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة ∴ يخل لكم وجه أبيكم يقبل عليكم إقبالة واحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم إياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه ويجوز أن يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف ∴ من بعده من بعد يوسف أي من بعد كفايته بالقتل أو التغريب أو يرجع الضمير إلى مصدر اقتلوا أو اطرحوا ∴ قوما صالحين تائبين إلى الله تعالى مما جنيتم عليه أو يصلح ما بينكم وبين أبيكم بعذر تمهدونه أو تصلح دنياكم وتنتظم أموركم بعده بخلو وجه أبيكم وتكونوا إما مجزوم عطفا على يخل لكم وإما منصوب بإضمار أن والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق ∴ قال قائل منهم هو يهوذا

وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلا تقتلوه ابرح الارض قال لهم القتل عظيم القوه في غيابة الجب وفي غوره
وما غاب منه عن عين الناظر واظلم من اسفله قال المنخل ان انا يوما غيبتني غيابتي فسيروا بسيري في العشيرة
والاهل اراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرى غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرا الجحدري غيبة والجب
البير لم تطو لان الارض تجب جبا لا غير يلتقطه بالتاء بعض السيارة بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق وقرى
تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه ذهبت بعض اصابعه
ان كنتم فاعلين ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الراي مالك لا تامنا قرى باظهار النونين
وبالادغام باشمام وبغير اشمام وتيمنا بكسر التاء مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونشفق
عليه وما وجد منا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة وارادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رايه
وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على انه احس منهم بما اوجب ان لا يامنهم عليه نرتع نتسع في اكل الفواكه
وغيرها واصل الرتعة الخصب والسعة وقرى نرتع من ارتعى يرتعي وقرى يرتع ويلعب بالياء ويرتع من ارتع
ماشيته وقرا العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء فان قلت كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام
اللعب قلت كان لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله انا
ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته ليحزنني اللام لام الابتداء كقوله ان ربك ليحكم بينهم ودخولها احد
ما ذكره سيبويه من سببي المضارعة اعتذر اليهم بشيئين احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا
يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة الذيب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم تصدق
بحفظه عنايتهم وقيل راى في النوم ان الذيب قد شد على يوسف فكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي امثالهم
البلاء موكل بالمنطق وقرى الذيب بالهمز على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا اتت من كل جهة
القسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذيب واللام موطئة للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب القسم مجزي
عن جزاء الشرط والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا لئن كان ما خافه من خطفة الذيب اخاهم من بينهم وحالهم
انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون اي هالكون ضعفا وخورا وعجزا
او مستحقون ان يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والدمار وان
يقال خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذيب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت
مواشينا اذا وخسرناها فان قلت قد اعتذر اليهم بعذرين فلم اجابوا عن احدهما دون الاخر قلت
هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الامرين فاعاروه اذانا صما ولم يعباوا به ان يجعلوه مفعول اجمعوا من قولك
اجمع الامر وازمعه فاجمعوا امركم وقرى في غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بارض الاردن وقيل بين

مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روى
انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة
والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهوذا اما اعطيتموني موثقا
ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البير فربطوا يديه ونزعوا قميصه
فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به وانما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر
والاحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه في البير فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البير ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة
فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا
ياتيه بالطعام ويروى ان ابرهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه
اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاءه جبريل فاخرجه والبسه
اياه واوحينا اليه قيل اوحي اليه في الصغر كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع
عشرة سنة لتنبئنهم بامرهم هذا وانما اوحي اليه ليؤنس في الظلمة والوحشة ويبشر بما يؤول اليه امره ومعناه
لتتخلصن مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد
حالك عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيات والاشكال وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون
دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان
يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذيب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق
وهم لا يشعرون بقوله واوحينا على انا انسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون انه
مرهق مستوحش لا انيس له وقرى لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون
متعلق باوحينا لا غير وجاءوا اباهم عشاء يبكون وعن الحسن عشيا على تصغير عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا
واصيلالا واصيلانا ورواه ابن جني عشى بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء وروي ان امراة حاكمت الى
شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي فقال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان
يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية وروي انه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم
في غنمكم شيء قالوا لا قال فما بالكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان
كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق في العدو او في الرمي وجاء في التفسير ننتضل
بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت
سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا بدم كذب ذي كذب او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه

كما يقال للكذاب هو الكذب والزور بعينه وبذاته ونحوه . فهن به جود وانتم به بخل . وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاؤا
به كاذبين ويجوز ان يكون مفعولا له . وقرأت عائشة كدب بالدال غير معجمة اي كدر وقيل طري . وقال ابن جني
اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه . روي انهم ذبحوا سخلة
ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه . وروي ان يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه
والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق
عليه قميصه . وقيل كان في قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا
على براءة يوسف حين قد من دبر . فان قلت على قميصه ما محله . قلت محله النصب على الظرف كانه قيل
وجاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله باحمال . فان قلت هل يجوز ان يكون حالا متقدمة . قلت لا لان
حال المجرور لا يتقدم عليه . سولت سهلت من السول وهو الاسترخاء اي سهلت لكم انفسكم امرا عظيما ارتكبتموه من يوسف
وهونته في اعينكم . استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص او اوحى اليه بانهم قصدوه . فصبر جميل
خبر او مبتدأ لكونه موصوفا اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل . وفي قراءة ابي فصبرا جميلا . والصبر الجميل جاء
في الحديث المرفوع انه الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله . وقيل
لا اعايشكم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت . وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل
له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني يا رب خطيئة فاغفرها لي
والله المستعان اي استعينه على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه . وجاءت
سيارة رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطؤا الطريق فنزلوا قريبا
منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فارسلوا رجلا
يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم . يا بشرى نادى البشرى كانه يقول
تعالي فهذا من آونتك وقرئ يا بشراي على اضافتها الى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشريّ بالياء مكان الالف
جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت اهل السروات يقولون في دعائهم يا
سيدي وموليّ . وعن نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا ان يقصد الوقف
وقيل لما ادلى دلوه اي ارسلها في الجب تعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا
غلام وقيل ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به . واسروه الضمير للوارد واصحابه اخفوه من
الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر . وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف

او بالجر على كل الثمرات . وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات . والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان
واصلهما واحد . وقرئ بالضم فالكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة تميم . وقرئ تسقى بالتاء والياء على البناء للفاعل والمفعول
جميعا . في الاكل بضم الكاف وسكونها . وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بان يتعجب
منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة اهون شيء عليه وايسره
فكان انكارهم اعجوبة من الاعاجيب . أئذا كنا الى آخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون
منصوبا بالقول . واذا نصب بما دل عليه قوله تعالى ائنا لفي خلق جديد . اولئك الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون
المتمادون في كفرهم . واولئك الاغلال في اعناقهم وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ونحوه . لهم عن الرشد
اغلال وانقياد او هو من جملة الوعيد . بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك انهم
سألوا رسول الله صلعم ان يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين
فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزؤا . والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة
وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال امثلت الرجل من صاحبه واقصصته منه والمثال القصاص . وقرئ المثلات بضمتين لاتباع
الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين
والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات . لذو مغفرة للناس على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى
ظالمين لانفسهم وفيه اوجه ان يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر
والامهال . وروي انها لما نزلت قال النبي عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه
لاتكل كل احد . لولا انزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا
نحو آيات موسى وعيسى عليهما السلام من انقلاب العصا حية واحياء الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت رجل
ارسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة
ذلك حاصلة باية آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها . والذي عنده كل شيء بمقدار
يعطي كل نبي آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها . ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم
الى الله تعالى بوجه من الهداية وباية خص بها ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا في آيات مخصوصة . ووجه آخر وهو ان
يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان
تثبت الايمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى . ولقد دل بما
اردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الاشياء على قضايا حكمته ان اعطاء كل منذر آيات خلاف آيات غيره امر مدبر
بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى مقترحهم خيرا ومصلحة لاجابهم اليه واما على الوجه الثاني

فقد دل به على ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم باي طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مستانفا وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه الاخير ثم ابتدئ فقيل يعلم ما تحمل كل انثى وما في ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة او مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الارحام اي تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداده اي تاخذه زائدا تقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد وما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيوضة ان تضع لثمانية اشهر او اقل من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض الذي يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام بمقدار بقدر يحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر الكبير العظيم الشان الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها سارب ذاهب في سربه بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى اي طلب الخفاء في مختبا بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد فان قلت كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب قلت فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني انه عطف على مستخف الا ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير في له مردود على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات جماعات من الملائكة يعتقبون في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله تعالى وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به او هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه يحفظونه من امر الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه قيل له معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله اي من اجل ان الله تعالى امرهم بحفظه

والدليل عليه قراءة علي وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه بامر الله او يحفظونه من بأس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسالتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من امر الله اي من قضاياه ونوازله او على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب او معقبة والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي من وال حمى لي امرهم ويدفع عنهم خوفا وطمعا لا يصح ان يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع او على ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منها ويخشى الصواعق وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيا به السحاب اسم الجنس والواحدة سحابة والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امراة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء ويسبح الرعد بحمده ويسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له اي يضجون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي عليه السلام انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس رضه ان اليهود سالت النبي صلعم عن الرعد ما هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم والملائكة من خيفته ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الخفي والظاهر عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال وهم يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله وانكروا آياته يجادلون في الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلونه بعض الاجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد اخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله صلعم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتلته اخبرني عن ربنا امن نحاس هو ام من حديد المحال المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث

ولا تعجله علينا ماحلا مصدقا ما[حلا] الاعشى فرع نبع يهتش في غصن المجد غزير الندى شديد المحال والمعنى انه شديد
المكر والكيد لاعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرأ الاعرج بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا
احتال ومنه احول من ذئب اي اشد حيلة ويجوز ان يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله
اشد وموساه احد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا ترى الى قولهم
فقرته الفواقر وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوامه ٥ دعوة الحق فيها وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق
الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل
من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة
للحق لكونه حقيقا بان توجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني ان
يضاف الى الحق الذي هو الله تعالى على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن رحمه الله الحق هو الله تعالى
وكل دعاء اليه دعوة الحق فان قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله قلت اما على قصة اربد فظاهر
لان اصابته بالصاعقة محال من الله تعالى ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله
اللهم اخسفهما بما شئت فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق واما على الاول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول
محاله بهم واجابة دعوة رسول الله ان دعا عليهم فيهم ٥ والذين يدعون والالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يستجيبون
لهم بشيء من طلباتهم الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة باسط كفيه اي كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب
منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك
ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لالهتهم بمن
اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه وقرئ تدعون
بالتاء كباسط كفيه الا في ضلال الا في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الالهة لم تستطع اجابتهم
٥ وبه يسجد اي ينقادون لاحداث ما اراده فيهم من افعاله شاءوا ام ابوا لا يقدرون ان يمتنعوا عليه وتنقاد له
ظلالهم ايضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال وقرئ والايصال من آصلوا اذا دخلوا
في الاصيل ٥ قل الله حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من
ان يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه هذا
قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا قوله فيحكي اقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول
كيت وكيت ويجوز ان يكون تلقينا اي ان لم يجيبوا لعي عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقنونه ولا يقدرون ان ينكروه افاتخذتم من
دونه اولياء ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء فجعلتم ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد

من علمكم واقراركم سبب الاشراك لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضررا
فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما ابين ضلالكم ٥ ام جعلوا بل اجعلوا ومعنى
الهمزة الانكار وخلقوا صفة لشركاء يعني انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله فتشابه عليهم خلق الله
وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق
بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا على ما يقدر عليه
الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غير الله ولا يستقيم ان يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة وهو الواحد
المتوحد بالربوبية القهار لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور ٥ هذا مثل ضربه الله تعالى للحق واهله والباطل وحزبه
كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق واهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به اودية الناس
فيحيون به وينفعهم انواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والالات المختلفة ولو لم
يكن الا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به وان ذلك ماكث في الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منابعه ويبقى اثاره في
العيون والابار والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى ازمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة
اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا اذيب فان
قلت لم نكرت الاودية قلت لان المطر لا يأتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض
دون بعض فان قلت فما معنى قوله بقدرها قلت بمقدارها الذي عرف الله تعالى انه نافع للممطور عليهم
غير ضار الا ترى الى قوله واما ما ينفع الناس لانه ضرب المطر مثلا للحق فوجب ان يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة
ولا يكون كبعض الامطار والسيول الجواحف فان قلت فما فائدة قوله ابتغاء حلية او متاع قلت الفائدة
فيه كالفائدة في قوله بقدرها لانه جمع الماء والفلز في النفع في قوله واما ما ينفع الناس لان المعنى واما ما ينفعهم من الماء
والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه ويذاب وهو الحلية والمتاع وقوله ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية
او متاع عبارة جامعة لانواع الفلز مع اظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك حتى ما جاء في ذكر الآجر
اوقد لي يا هامان على الطين ومن لابتداء الغاية اي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا منتفخا
مرتفعا على وجه السيل جفاء يجفاه السيل اي يرمي به وجفأت القدر بزبدها واجفأ السيل واجفل وفي قراءة
رؤبة بن العجاج جفالا وعن ابي حاتم لا يقرأ بقراءة رؤبة لانه كان يأكل الفار وقرئ يوقدون بالياء اي يوقد الناس
٥ للذين استجابوا اللام متعلقة بيضرب اي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم
يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدأ
في ذكر ما اعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره

للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما في حيزه وسوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء ٥ دخلت همزة الانكار على الفاء في قوله افمن يعلم لانكار ان تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في ان حال من علم ان ما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز انما يتذكر اولوا الالباب اي الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا ٥ الذين يوفون بعهد الله مبتدأ واولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة ويجوز ان يكون صفة لاولي الالباب والاول اوجه وعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق ولا ينقضون كل ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله تعالى وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص ٥ ما امر الله ان يوصل من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلعم وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين انفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم قالوا من اهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد لو احسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين ويخشون ربهم اي يخشون وعيده كله ويخافون خصوصا سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا ٥ صبروا مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشاق التكليف ابتغاء وجه الله تعالى لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل واوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الاعداء كقوله وتجلدي للشامتين ولا لانه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله ما ان جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاي زندا وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن ان ينوي منها ما به كان حسنا عند الله تعالى والا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل مما رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله تعالى سرا وعلانية يتناول النوافل لانها في السر افضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها عن ابن عباس رضه يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها وجنات عدن بدل من عقبى الدار وقرئ نعم بفتح النون والاصل نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين اليها ومن فتح فترك كسرة العين ولم ينقل وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول وقرأ ابن ابي عبلة صلح بضم اللام والفتح افصح اعلم ان الانساب لا تنفع اذا تجردت من الاعمال الصالحة وآباؤهم جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من ابائهم وامهاتهم سلام عليكم في موضع الحال لان المعنى قائلين

افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب

ولا ينقضون الميثاق

والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب

والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار

جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب

سلام عليكم او مسلمين فان قلت بم تعلق قوله بما صبرتم قلت بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا
الثواب بسبب صبركم او بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد
استرحتم لقوله بما [illegible] فيها او [illegible] وعن النبي عليه السلام انه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول السلام عليكم
بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز ان يتعلق بسلام اي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم ۞ من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه
به من الاعتراف والقبول. سوء الدار يحتمل ان يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار ويجوز ان يراد
بالدار جهنم وبسوئها عذابها ۞ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره
دون غيره وهو الذي بسط رزق اهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح
سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفي عليهم ان نعيم الدنيا في جنب
نعيم الآخرة ليس الا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من تميرات او شربة سويق او نحو ذلك فان قلت كيف طابق
قولهم لولا انزل عليه آية من ربه قوله قل ان الله يضل من يشاء قلت هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك ان
الآيات الباهرة المتكاثرة التي اوتيها رسول الله صلعم لم يؤتها نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فاذا جحدوها ولم
يعتدوا بها وجعلوه كأن آية لم تنزل عليهم قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشد
تصميمكم على كفركم ۞ ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت
كل آية ويهدي اليه من كان على خلاف صفتكم ۞ اناب اقبل الى الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير ۞ الذين آمنوا بدل من
من اناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله او تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته او تطمئن بالقرآن لانه معجزة بينة تسكن القلوب
وتثبت اليقين فيها ۞ الذين آمنوا مبتدأ وطوبى لهم خبره ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف
اي تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا
ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب
تدلك على محليها واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرأ مكوزة
الاعرابي طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة ۞ كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال ارسلناك ارسالا له
شأن وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها امم اي ارسلناك في امة قد تقدمتها امم
كثيرة فهي آخر الامم وانت خاتم الانبياء ۞ لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي اوحينا اليك
وهم يكفرون وحالهم انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا
نعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم ۞ قل هو ربي الواحد المتعالي عن الشركاء

عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو أن قرآنا جوابه محذوف كما تقول لغلامك
لو أني قمت اليك وتترك الجواب والمعنى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها او قطعت
به الارض حتى تتصدع وتتزايل قطعا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في
الانذار والتخويف كما قال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا يعضد ما فسرت به قوله
لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك من ارادة تعظيم ما اوحي الى رسول الله من القرآن وقيل معناه ولو أن قرآنا وقع به تسيير
الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية
وقيل ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله صلعم سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع
كما سخرت لداود ان كنت نبيا كما تزعم فلست باهون على الله من داود او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام ثم نرجع
في يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان او ابعث لنا به رجلين او ثلثة ممن مات من آبائنا منهم قصي
بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير وتجاوزها وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم
يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به شققت
فجعلت انهارا وعيونا بل لله الامر جميعا على معنيين احدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها
الا أن علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله أن يلجئهم الى الايمان وهو قادر على الالجاء لولا انه بنى امر التكليف
على الاختيار ويعضده قوله أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله يعني مشيئة الالجاء والقسر لهدى الناس جميعا
ومعنى أفلم ييأس أفلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليائس
عن الشيء عالم بانه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل
الرياحي اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم ويدل عليه ان عليا وابن عباس وجماعة
من الصحابة والتابعين قرأوا أفلم يتبين وهو تفسير أفلم ييأس وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات
وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى
ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في ايدي اولئك الاعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن
جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء وهذه والله فرية ما فيها مرية
ويجوز أن يتعلق أن لو يشاء بآمنوا على أولم يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله
لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم قارعة داهية تقرعهم بما يحل الله
بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم واولادهم واموالهم او تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون
ويضطربون ويتطاير اليهم شررها ويتعدى اليهم شرورها حتى يأتي وعد الله وهو موتهم او القيامة وقيل ولا يزال

الكفار بمكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لأن رسول الله صلعم كان لا يزال يبعث
السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل
بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله تعالى قد وعده ذلك فأمليت الاملاء الامهال وأن يترك ملاوة من
الزمان في خفض وامن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم
استهزاء به وتسلية له أفمن هو قائم احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني أفالله الذي هو قائم رقيب على كل نفس
صالحة او طالحة بما كسبت يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز أن يقدر ما يقع خبرا للمبتدأ
ويعطف عليه وجعلوا وتمثيله أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له وهو الله تعالى الذي يستحق العبادة
وحده شركاء قل سموهم أي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه باسمائهم ثم قال أم تنبئونه على أم المنقطعة كقولك
للرجل قل لي من زيد أم هو أقل من أن يعرف ومعناه بل أتنبئونه بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض
فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي أن يكون له شركاء ونحوه قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات
ولا في الارض أم بظاهر من القول بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم
ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق
ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه فتبارك الله احسن الخالقين وقرئ أتنبئونه بالتخفيف مكرهم
كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا قرئ بالحركات الثلث وقرأ ابن ابي اسحق وصد بالتنوين ومن يضلل الله ومن يخذله
لعلمه انه لا يهتدي فما له من هاد فما له من احد يقدر على هدايته لهم عذاب في الحياة الدنيا وهو ما ينالهم من
القتل والاسر وسائر المحن ولا يلحقهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا وما لهم من الله من واق وما لهم
من حافظ من عذابه او ما لهم من جهته واق من رحمته مثل الجنة صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه
بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري من تحتها الانهار
كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار على حذف الموصوف
تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد وقرأ علي رضه امثال الجنة على الجمع أي صفاتها أكلها دائم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة
وظلها دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس والذين آتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب
واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلثون بارض الحبشة هؤلاء يفرحون بما انزل
اليك ومن الاحزاب يعني ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه
والسيد والعاقب اسقفي نجران واشياعهما من ينكر بعضه لانهم لا ينكرون الا ما هو بعض الاحكام والمعاني
مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من

الشرايع فان قلت كيف اتصل قوله قل انما امرت ان اعبد الله بما قبله قلت هو جواب للمنكرين معناه قل انما امرت فيما انزل الي بان اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وان لا يشرك به قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيا وقرا نافع في رواية ابي خليد ولا اشرك به بالرفع على الاستيناف كانه قال وانا لا اشرك به ويجوز ان يكون في موضع الحال على معنى امرت ان اعبد الله غير مشرك به اليه ادعو خصوصا لا ادعو الى غيره واليه لا الى غيره مرجعي وانتم تقولون بمثل ذلك فلا معنى لانكاركم ❁ وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مامورا فيه بعبادة الله تعالى وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله صلعم الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله تعالى عنها فقيل لين اتبعتهم على دين ما هو الا اهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله تعالى فلا ينصرك ناصر واهلكك فلا يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يزال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله صلعم من شدة الشكيمة بمكان ❁ كانوا يعيبونه بالزواج والولادة كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الايات وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان ياتوا بايات برايهم ولا ياتون بما يقترح عليهم والشرايع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مامورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التايبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلايق ويثبت بعضا من الاناسي وساير الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال وعنده ام الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كاين مكتوب فيه وقرئ ويثبت ❁ وامانرينك وكيف ما دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال العذاب عليهم او توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاوهم على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم ❁ اولم يروا انا ناتي الارض ارض الكفر ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من ايات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون سنريهم اياتنا في الافاق والمعنى عليك البلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تاخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد ❁ لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب

والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم في الاخرة بعد عذاب الدنيا فان قلت ما محل قوله لا معقب لحكمه قلت هو جملة محلها النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاني زيد لا عمامة على راسه ولا قلنسوة ❁ وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاها فهو المكر كله لانه ياتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرا جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من اعلمه اي سيخبر ❁ كفى بالله شهيدا لما اظهر من الادلة على رسالتي ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القران وما الف عليه من النظم المعجز الفايت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني وبينكم وتعضده قراة من قرا ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول وقرئ وبمن عنده علم الكتاب فان قلت بم ارتفع علم الكتاب قلت في القراة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

سورة ابرهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم ❁ كتاب هو كتاب يعني السورة وقرئ ليخرج الناس والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى ❁ باذن ربهم بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن امن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستيناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله الله عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله ❁ الويل نقيض الوال وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقولك سلام عليك ولما

ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل فان قلت ما وجه اتصال قوله من عذاب
شديد بالويل قلت لان المعنى انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا
هنالك ثبورا ❊ الذين يستحبون مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا
على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون او هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال
من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من الآخر وقرأ الحسن
ويصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده عن كذا واصده قال أناس أصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة فيه
داخلة على صد صدودا لنقله من غير التعدي الى التعدي واما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة
كاوقفه لان الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة ❊ ويبغونها عوجا ويطلبون لسبيل الله زيغا
واعوجاجا وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل يبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل
في ضلال بعيد اي ضلوا عن طريق الحق ووقعوا دونه بمراحل فان قلت فما معنى وصف الضلال بالبعد قلت
هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول جد جده ويجوز
ان يراد في ضلال ذي بعد او فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا ❊ الا بلسان قومه ليبين لهم
اي ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله تعالى ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا اعجميا
لقالوا لولا فصلت آياته فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة
وان لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد
منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد فكان
اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم
ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد
المتباعدة والاقطار المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم
معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات
المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة
الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل امة بلسانها
كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء ❊ ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن
واللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان

كعماد وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه عن الضحاك وان الكتب كلها نزلت بالعربية
ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله تعالى انزل التوراة
من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد ❊ فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن
لان الله تعالى لا يضل الا من يعلم انه لن يؤمن ولا يهدي الا من يعلم انه يؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع
الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف وكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم فلا يخذل
الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف ❊ ان اخرج بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل ارسلناه
وقلنا له اخرج ويجوز ان يكون ان الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما يكون معه في تأويل المصدر
وهو الفعل والامر وغيره سواء في الفعلية والدليل على ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخلوا عليها
حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك ❊ وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد
وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس رضي الله عنه
نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاؤه فاهلاك القرون
لكل صبار شكور يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم او افاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب
عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مؤمن لان الشكر والصبر من سجايا المؤمنين ❊ اذ انجاكم ظرف للنعمة بمعنى
الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت فان قلت هل يجوز ان ينتصب بعليكم قلت لا يخلو من ان يكون صلة
للنعمة بمعنى الانعام او غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه واذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة
الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما
حتى تقول فائضة او نحوها والا كان كلاما ويجوز ان يكون اذ بدلا من نعمة الله اي اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل
الاشتمال فان قلت في سورة البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون وههنا ويذبحون مع الواو فما الفرق قلت
الفرق ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث اثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب
وزاد عليه زيادة ظاهرة كانه جنس آخر فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم قلت تمكينهم
وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء
بالنعمة والمحنة جميعا قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير فابلاهما خير البلاء الذي يبلو ❊ واذ تأذن ربكم
من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله
عليكم واذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن ربكم اذن ربكم ونظير تأذن واذن توعد واوعد وتفضل
وافضل ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذ اذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه

والمعنى وإذ تأذن ربكم فقال لئن شكرتم أو أجرى تأذن مجرى قال لأنه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود وإذ قال ربكم
لئن شكرتم أي لئن شكرتم يا بني إسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها من النعم بالإيمان الخالص والعمل الصالح
لأزيدنكم نعمة إلى نعمة ولأضاعفن لكم ما آتيتكم ولئن كفرتم وغمطتم ما أنعمت به عليكم إن عذابي لشديد لمن كفر
نعمتي ∴ وقال موسى إن تكفروا أنتم يا بني إسرائيل والناس كلهم فإنما ضررتم أنفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه
وأنتم إليه محاويج والله غني عن شكركم حميد مستوجب للحمد بكثرة أنعمه وأياديه وإن لم يحمده الحامدون ∴
والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضا أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم
إلا الله اعتراض والمعنى من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله وعن ابن عباس بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أبا لا
يعرفون وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني أنهم يدعون علم الأنساب وقد نفى الله علمها عن
العباد ∴ فردوا أيديهم في أفواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل لقوله تعالى عضوا عليكم الأنامل من الغيظ
أو ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه أو أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم إنا كفرنا بما
أرسلتم به أي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره إقناطا لهم من التصديق ألا ترى إلى قوله فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا
بما أرسلتم به وهذا قول قوي أو وضعوها على أفواههم يقولون للأنبياء أطبقوا أفواهكم واسكتوا أو ردوها في أفواه الأنبياء
يشيرون لهم إلى السكوت أو وضعوها على أفواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الأيدي جمع يد وهي النعمة
بمعنى الأيادي أي ردوا نعم الأنبياء التي هي أجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحي إليهم من الشرائع والآيات في أفواههم
لأنهم إذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها في أفواههم ورجعوها إلى حيث جاءت منه على طريق المثل ∴ مما تدعوننا إليه
من الإيمان وقرئ تدعونا بإدغام النون مريب موقع في الريبة أو ذي ريبة من أرابه وأراب الرجل وهي قلق النفس
وأن لا تطمئن إلى الأمر ∴ أفي الله شك أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام ليس في الشك إنما هو في المشكوك فيه
وأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وشهادتها عليه يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم أي يدعوكم إلى الإيمان ليغفر لكم أو يدعوكم
لأجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني ودعوته ليأكل معي وقال دعوت لما نابني مسورا فلبى فلبى يدي مسور فإن قلت
ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم قلت ما علمته جاء هكذا إلا في خطاب الكافرين كقوله وأن اتقوه وأطيعون يغفر لكم
من ذنوبكم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة
بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين في الميعاد وقيل أريد أنه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين
العباد من المظالم ونحوها ويؤخركم إلى أجل مسمى إلى وقت قد سماه وبين مقداره يبلغكموه إن آمنتم وإلا عاجلكم بالهلاك
قبل ذلك الوقت إن أنتم إلا بشر مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا ولو أرسل
الله تعالى إلى البشر رسلا لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة بسلطان مبين بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات

والحجج وإنما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا ∴ إن نحن إلا بشر مثلكم تسليم لقولهم وأنهم
بشر مثلهم يعنون أنهم مثلهم في البشرية وحدها فأما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا
منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة لأنه قد علم أنه لا يختصهم بتلك الكرامة
إلا وهم أهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها على أبناء جنسهم ∴ إلا بإذن الله أرادوا أن الإتيان بالآية
التي اقترحتموها ليس إلينا ولا في استطاعتنا وما هو إلا أمر يتعلق بمشيئة الله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون أمر منهم للمؤمنين
كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا وأمروها به كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم
ومعاداتكم وما يجري علينا منكم ألا ترى إلى قوله وما لنا ألا نتوكل على الله ومعناه وأي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه وقد هدانا
وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين فإن قلت
كيف كرر الأمر بالتوكل قلت الأول لاستحداث التوكل وقوله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون على
ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم إلى أنفسهم على ما تقدم ∴ لنخرجنكم أو لتعودن ليكونن أحد الأمرين لا محالة إما إخراجكم
وإما عودكم حالفين على ذلك فإن قلت كأنهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن
العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عدت أراه عاد لا
يكلمني ما عاد لفلان مال أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد لنهلكن الظالمين
حكاية تقتضي إضمار القول أو إجراء الإيحاء مجرى القول لأنه ضرب منه وقرأ أبو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا
لأوحى وأن لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك أقسم زيد ليخرجن ولأخرجن والمراد بالأرض أرض الظالمين وديارهم ونحوه
وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها وأورثكم أرضهم وديارهم وعن النبي عليه السلام من آذى جاره
ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي أنا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك
العظيم وملكني الله تعالى ضيعته فنظرت يوما إلى أبناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويأمرون
وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله تعالى ∴ ذلك إشارة إلى ما قضى الله تعالى
به من إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ديارهم أي ذلك الأمر حق لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف الحساب لأنه موقف
الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة أو على إقحام المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لأعماله والمعنى أن ذلك حق للمتقين
كقوله والعاقبة للمتقين ∴ واستفتحوا واستنصروا الله على أعدائهم إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح أو استحكموا الله
وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على أوحى إليهم ربهم
وقرئ واستفتحوا بلفظ الأمر وعطفه على لنهلكن أي أوحى إليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب
كل جبار عنيد معناه فنصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل

ظنًا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه. من ورائه من بين
يديه قال ... عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب. وهذا وصف حاله في الجحيم وهو في الدنيا لانه
مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها او وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف فان قلت علام
عطف ويسقى قلت على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد لانه اشد عذابها
خصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت فان قلت ما وجه قوله من ماء صديد قلت
صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فابهمه ابهامًا ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود اهل النار
يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد
يراها اي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ويأتيه الموت من كل مكان كان اسباب الموت واصنافه كلها قد تألبت عليه
واحاطت به من جميع الجهات تفظيعًا لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل
من اصل كل شعرة ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابًا اشد مما قبله واغلظ
وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل ان يكون اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر
في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجاء كل جبار
عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستأنف منقطع
عن حديث الرسل واممهم. مثل الذين كفروا هو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم
والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف
مثلهم فقيل اعمالهم كرماد ويجوز ان يكون المعنى مثل اعمال الذين كفروا بربهم او هذه الجملة خبر للمبتدا اي صفة
الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول او يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا
على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر وقرئ الرياح في يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح او الرياح
كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكون لريحها وقرئ في يوم عاصف بالاضافة واعمال الكفرة المكارم التي كانت
لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك من
صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والايمان به وكونها لوجهه برماد
طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من اعمالهم على شيء اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من
الرماد المطير في الريح على شيء ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق او عن
الثواب. بالحق بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة وقرئ خالق السموات والارض
ان يشأ يذهبكم اي هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلاما منه

باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر على الشيء وجنس ضده. وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر بل هو
هين عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شيء وانتفى الصارف
تكون من غير توقف كتحريكك اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآية بيان لابعادهم في الضلال
وعظيم خطائهم في الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وانه هو الحقيق بان
يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء. وبرزوا لله ويبرزون يوم القيامة وانما جيء به بلفظ الماضي لان
ما اخبر به عز وعلا لصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونظائر له ومعنى
بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون
ان ذلك خاف على الله تعالى فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالى عند انفسهم وعلموا ان الله تعالى لا يخفى عليه خافية او
خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله تعالى وحكمه فان قلت لم كتب الضعفؤا بواو قبل الهمزة قلت
كتب على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علمؤا بني اسرائيل والضعفاء الاتباع والعوام
والذين استكبروا سادتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم تبعا
بمعنى جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغايب وغيب او ذوي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا فان
قلت اي فرق بين من في من عذاب الله وبينه في من شيء قلت الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه
قيل هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله فان قلت فما معنى قوله لو هدانا
الله لهديناكم قلت الذي قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل انتم مغنون
عنا من باب التبكيت لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فاجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بان الله تعالى
لو هداهم الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب في ضلالهم واضلالهم على الله تعالى كما حكى الله تعالى عنهم وقالوا لو
شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا ويدل عليه
قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء ويجوز ان يكون المعنى
لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا ربنا فاهتدينا لهديناكم الى الايمان وقيل معناه لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم
اي لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم سبيل الهلكة. سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر
والهمزة وام للتسوية ونحوه اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم وروي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم
فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا فان قلت كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله قلت
اتصاله به من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم
في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والامر من ذلك

أطعم أو لمّا قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لأغنينا عنكم ولهديناكم أتبعوه الإنباط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص أي منجى
ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كأنه قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله ذلك
ليعلم أني لم أخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف يقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد
لما قضي الأمر لما قطع الأمر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول أحدهما الجنة ودخول الآخر
النار روي أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الأشقياء من الجن والإنس فيقول ذلك إن الله وعدكم وعد الحق وهو
البعث والجزاء على الأعمال فوفى لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر
فأقسركم على الكفر والمعاصي وألجئكم إليها إلا أن دعوتكم إلا دعائي إياكم إلى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعاء
من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم إلا الضرب فلا تلوموني ولوموا أنفسكم حيث اغتررتم بي وأطعتموني إذ
دعوتكم ولم تطيعوا ربكم إذ دعاكم وهذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس
من الله إلا التمكين ولا من الشيطان إلا التزيين ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا أنفسكم فإن الله تعالى
قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه فإن قلت قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به قلت لو كان هذا القول
منه باطلا لبين الله تعالى بطلانه وأظهر إنكاره على أنه لا طائل له في النطق بالباطل في هذا المقام ألا ترى إلى قوله إن الله
وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم كيف أتى فيه بالحق والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله
إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيّ لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب
الله تعالى ولا يغيثه والإصراخ الإغاثة وقرئ بمصرخيّ بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول * قال لها
هل لك يا تا فيّ * قالت له ما أنت بالمرضيّ * وكأنه قدّر ياء الإضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه أصل التقاء
الساكنين ولكنه غير صحيح لأن ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة حيث قبلها ألف في نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء فإن
قلت جرت الياء الأولى مجرى الحرف الصحيح لأجل الإدغام فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت
بالكسر على الأصل قلت هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل إليه القياسات
ما في بما أشركتمون مصدرية ومن قبل متعلق بأشركتموني يعني كفرت اليوم بإشراككم إياي من قبل هذا اليوم أي في الدنيا
كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره بإشراكهم إياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله إنا برآء منكم ومما تعبدون
من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل متعلق بكفرت وما موصولة أي كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي
أشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فإذا نقلت بالهمزة قلت أشركنيه فلان أي جعلني له شريكا ونحو ما هذه
ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى إشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الأوثان وغيرها وهذا
آخر قول إبليس وقوله إن الظالمين قول الله تعالى ويحتمل أن يكون من جملة قول إبليس وإنما حكى الله عز وجل ما سيقوله في ذلك

الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول إليه وأن يتصوروا في أنفسهم ذلك المقام
الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم وقرئ فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات
كقوله حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم * وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد رحمة الله ورضوانه عليهما وأدخل الذين آمنوا
على فعل المتكلم بمعنى وأدخل أنا وهذا دليل على أنه من قول الله تعالى لا من قول إبليس بإذن ربهم متعلق بأدخل أي أدخلهم
الملائكة الجنة بإذن الله وأمره فإن قلت فبم يتعلق في القراءة الأخرى وقولك وأدخلهم أنا بإذن ربهم كلام غير
ملتئم قلت الوجه في هذه القراءة أن يتعلق قوله بإذن ربهم بما بعده أي تحيتهم فيها سلام بإذن ربهم يعني أن الملائكة
يحيونهم بإذن ربهم * وقرئ ألم تر ساكنة الراء كما قرئ من يتّق ومنه ضعف * ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه
وكلمة طيبة نصب بمضمر أي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرّف الأمير زيدا كساه
حلة وحمله على فرس ويجوز أن ينتصب مثلا بضرب وكلمة بضرب أي ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا
ثم قال كشجرة طيبة أصلها ثابت يعني في الأرض ضارب بعروقه فيها وفرعها وأعلاها ورأسها في السماء ويجوز أن يريد وفروعها
على الاكتفاء بلفظ الجنس وقرأ أنس بن مالك كشجرة طيبة ثابت أصلها فإن قلت أي فرق بين القراءتين
قلت قراءة الجماعة أقوى معنى لأن في قراءة أنس أجريت الصفة على الشجرة وإذا قلت مررت برجل أبوه قائم
فهو أقوى معنى من مررت برجل قائم أبوه لأن المخبر عنه إنما هو الأب لا رجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل
كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس شهادة أن لا إله إلا الله وأما الشجرة
فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر رض أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ذات يوم إن الله تعالى ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي
أنها النخلة فهبت رسول الله أن أقولها وأنا أصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر واستحييت فقال لي عمر يا بني لو كنت
قلتها لكانت أحب إلي من حمر النعم ثم قال رسول الله صلعم ألا إنها النخلة وعن ابن عباس رض شجرة في الجنة وقوله في السماء
معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويلة الثمار تريد ارتفاعها وسموقها * تؤتي أكلها كل
حين تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لإثمارها بإذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه لعلهم يتذكرون لأن في ضرب الأمثال
زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني * كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة أي صفتها كصفتها وقرئ ومثل كلمة بالنصب
عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة وأما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب
ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقيل اجتثت من فوق الأرض في مقابلة قوله أصلها ثابت ومعنى اجتثت
استؤصلت وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها ما لها من قرار أي استقرار يقال قرّ الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها
القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى إنما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن

قتادة رضي الله عنه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السما مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيامة. يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشا القول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأنت اليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا انهم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم في الآخرة انهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم اهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن البرا بن عازب رضي الله عنه ان رسول الله صلعم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السما ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين لم يتمسكوا بحجة في دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون آباءهم فقالوا انا وجدنا آبانا على امة واضلالهم في الدنيا انهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل اقدامهم اول شي وهم في الآخرة اضل وازل ويفعل الله ما يشا اي ما توجبه الحكمة لان مشية الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتاييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شانهم عند زللهم. الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة الله كفرا لان شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة وهم اهل مكة اسكنهم الله تعالى حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم او اصابهم الله بالنعمة في الرخا والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر وقد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقا في اعناقهم وعن عمر رضي الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه واحلوا قومهم ممن تابعهم على الكفر دار البوار دار الهلاك وعطف جهنم على دار البوار عطف بيان. قرئ ليضلوا بفتح اليا وضمها. فان قلت الضلال او الاضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الانداد فما معنى اللام قلت لما كان الضلال او الاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام في قولك جئتك لتكرمني نتيجة المجي دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب. تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مامورون به قد امرهم آمر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب

النار. المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه وتقديره قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا ويجوز ان يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتدا بحذف اللام لم يجز. فان قلت علام انتصب سرا وعلانية قلت على الحال اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر وانفاق علانية والمعنى اخفا المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب والخلال المخالة. فان قلت كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه لا بيع فيه ولا خلال قلت من قبل ان الناس يخرجون اموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الاصدقا ليستجروا بهداياهم امثالها او خيرا منها واما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغا وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله يوم لا بيع فيه ولا خلال اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالرفع. الله مبتدأ والذي خلق خبره ومن الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول او نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق بامره لت دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم وآتاكم من كل ما سألتموه من للتبعيض اي آتاكم بعض جميع ما سألتموه نظرا في مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال اي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز ان تكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح احوالكم ومعائشكم الا به فكأنكم سألتموه او طلبتموه بلسان الحال. لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله. لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه. هذا البلد يعني البلد الحرام زاده الله امنا وكفاه كل باغ ظالم واجاب فيه دعوة خليله ابرهيم عليه السلام. آمنا ذا امن. فان قلت اي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله هذا البلد آمنا قلت قد سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يأمن اهلها ولا يخافون وفي الثاني ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبني وقرئ واجنبني وفيه ثلث لغات جنبه الشي واجنبه وجنبه فاهل الحجاز يقولون جنبني شره بالتشديد واهل نجد جنبني شره واجنبني والمعنى ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها. وبني اراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام انما كانت انصاب حجارة لكل قوم

قالوا البيت حجر فجعلنا نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب أن يقال دار بالبيت

رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فأعوذ بك أن تعصمني وبني من ذلك وإنما جعلن مضلات لأن الناس ضلوا بسببهن فكأنهن
أضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم أي افتتنوا بها واغتروا بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فإنه مني
أي هو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي ولذلك قوله من غشنا فليس منا أي ليس بعض المؤمنين على أن الغش ليس
من أفعالهم وأوصافهم ومن عصاني فإنك غفور رحيم تقدر أن تغفر له ما سلف منه من عصياني إذا بدا له فيه واستحدث الطاعة
لي وقيل معناه ومن عصاني فيما دون الشرك من ذريتي بعض أولادي وهم إسمعيل ومن ولد منه بواد هو وادي
مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذي عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه إلا
الاستقامة لا غير وقيل للبيت المحرم لأن الله تعالى حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه أو لأنه لم يزل
ممتنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه أن يجتنب أو لأنه حرم على الطوفان أي منع منه كما سمي عتيقا لأنه
أعتق منه فلم يستول عليه ليقيموا الصلاة اللام متعلقة بأسكنت أي ما أسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق
ومرتزق إلا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين
بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين إليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود
حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك أفئدة من الناس أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما
روي عن مجاهد لو قال أفئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليها حتى الروم والترك
والهند ويجوز أن تكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم تريد قلبي فكأنه قيل أفئدة ناس وإنما نكرت المضاف إليه في
هذا التمثيل لتنكير أفئدة لأنها في الآية نكرة لتتناول بعض الأفئدة وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان أحدهما أن يكون
من القلب كقولهم آدر في أدور والثاني أن يكون اسم فاعل من أفدت الرحلة إذا عجلت أي جماعة أو جماعات يرحلون
إليهم ويعجلون نحوهم وقرئ أفدة وفيه وجهان أن تطرح الهمزة للتخفيف وإن كان الوجه أن تخفف بإخراجها بين بين وأن
تكون من أفد تهوي إليهم تسرع إليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله يهوي مخارمها هوي الأجدل وقرئ تهوى إليهم
على البناء للمفعول من هوى إليه وأهواه غيره وتهوى إليهم من هوي يهوى إذا أحب ضمن معنى تنزع فعدي تعديته
وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بأن تجلب إليهم من البلاد لعلهم يشكرون النعمة في أن يرزقوا أنواع
الثمرات حاضرة في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم أن الله عز وجل أجاب دعوته فجعله حرما آمنا تجبى
إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود أصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى أخصب البلاد وأكثرها ثمارا وفي
أي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الأعجوبة التي يريكها الله تعالى بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة
الأزمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه

وأدام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة إبرهيم ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم النداء المكرر دليل التضرع
واللجأ إلى الله تعالى إنك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لأن غيبا من الغيوب لا يحتجب عنك
والمعنى إنك أعلم بأحوالنا وما يصلحنا ويفسدنا منا وأنت أرحم بنا وأنصح لنا منا بأنفسنا ولها فلا حاجة إلى الدعاء والطلب
وإنما ندعوك إظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا إلى ما عندك واستعجالا لنيل أياديك وولها
إلى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في إصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم أنه
رفع حاجته إلى كريم فأبطأ عليه النجح فأراد أن يذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج
السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته أن لا يتكلم فيها وقيل ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن
من البكاء والدعاء وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت إذن لا نخشى
تركتنا إلى كاف وما يخفى على الله من شيء من كلام الله عز وجل تصديقا لإبرهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون أو من كلام
إبرهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان ومن للاستغراق كأنه قيل وما يخفى عليه شيء ما
على في قوله على الكبر بمعنى مع كقوله إني على ما تريني من كبري أعلم من حيث تؤكل الكتف وهو في موضع الحال
معناه وهب لي وأنا كبير وفي حال الكبر روي أن إسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له إسحق وهو ابن
مائة وثنتي عشرة سنة وقد روي أنه ولد له إسمعيل لأربع وستين وإسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لإبرهيم
إلا بعد مائة وسبع عشرة سنة وإنما ذكر حال الكبر لأن المنة بهبة الولد فيها أعظم من حيث إنها حال وقوع اليأس
من الولادة والظفر بالحاجة على عقب اليأس من أجل النعم وأحلاها في نفس الظافر ولأن الولادة في تلك السن العالية
كانت آية لإبرهيم عليه السلام إن ربي لسميع الدعاء كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر الله
ما أكرمه به من إجابته فإن قلت الله تعالى يسمع كل دعاء أجابه أو لم يجبه قلت هو من قولك سمع الملك كلام
فلان إذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفي الحديث ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن فإن قلت
ما هذه الإضافة إضافة السميع إلى الدعاء قلت إضافة الصفة إلى مفعولها وأصله لسميع الدعاء وقد ذكر
سيبويه فعيلا في جملة أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب أخاه ومنحار إبله وحذر
أمورا ورحيم أباه ويجوز أن يكون من إضافة فعيل إلى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الإسناد المجازي والمراد
سماع الله ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وإنما بعض لأنه علم بإعلام الله تعالى أنه يكون
في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين وتقبل دعائي أي عبادتي وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وفي قراءة
أبي ولأبوي وقرأ سعيد بن جبير ولوالدي على الإفراد يعني أباه وقرأ الحسن بن علي ولولدي يعني إسمعيل وإسحق وقرئ
لولدي بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كأسد في جمع أسد وفي بعض المصاحف ولذريتي

فان قلت كيف جاز له ان يستغفر لابويه وكانا كافرين قلت هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد بوالديه آدم وحوا وقيل بشرط الاسلام ويأباه قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابرهيم يوم يقوم الحساب اى يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوؤها كانها قامت على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او يكون مثل واسئل القرية وعن مجاهد قد استجاب الله تعالى لابرهيم دعوته في ولده فلم يعبد احد منهم صنما بعد دعوته وجعل البلد امنا ورزق اهله وجعله اماما وجعل في ذريته من يقيم الصلوة واراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كانت الطايف من ارض فلسطين فلما قال ابرهيم عليه السلام ربنا اني اسكنت الاية رفعها الله تعالى فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم فان قلت يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف تحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اعلم الناس به غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا قلت ان كان خطابا لرسول الله صلعم ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله تعالى غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها اخر كما جاء في الامر يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله والثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شي وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله من علمه وقرى نؤخرهم بالنون والياء تشخص فيه الابصار اى ابصارهم لا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي وقيل الاهطاع ان تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم اى لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم الهوا الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جرأة ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء لان النعام مثل في الجبن والحمق قال حسان فانت مجوف نخب هواء وعن ابن جريج افئدتهم هواء صفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم يوم ياتيهم العذاب مفعول ثان لانذر وهو يوم القيمة ومعنى اخرنا الى اجل قريب ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك او اريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وانهم يسألون يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى

اجل قريب كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق اولم تكونوا اقسمتم على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وان يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وما لكم جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا من زوال والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار اخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم لان السكنى من السكون الذي هو اللبث والاصل تعديه بفي كقولك قر في الدار وغنى فيها واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها واوطنها ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اى قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم من الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الاولون من ايام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة كيف اهلكناهم وانتقمنا منهم وقرى ونبين لكم بالنون وضربنا لكم الامثال اى صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم اى مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وعند الله مكرهم لا يخلو اما ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على معنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه ياتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته اى وان كان مكرهم مسوى لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام موكدة لها كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لايات الله وشرايعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرى لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع عن اماكنها وقرا علي وعمر رضي الله عنهما وان كاد مكرهم مخلف وعده رسله يعني قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي فان قلت هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول قلت قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليوذن انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شانه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرى مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرا قتل اولادهم شركائهم عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض انتصابه على البدل من يوم ياتيهم او على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل الارض والسموات

فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا امت وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي
تلك الارض وانما تغير وانشد وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السماء بانتثار كواكبها
وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وقيل تخلق بدلها ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود رضي الله عنه وانس
يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطأ عليها احد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن
الضحاك ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الارض بالنون فان قلت كيف قال الواحد القهار
قلت هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لاحد
الى غيره ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة والشدة ❊ مقرنين قرن بعضهم مع بعض او مع الشياطين او قرنت
ايديهم الى ارجلهم مغللين وقوله في الاصفاد اما ان يتعلق بمقرنين اي يقرنون في الاصفاد واما ان لا يتعلق به فيكون
المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال وانشد لسلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض
بساعد وبعظم ساق ❊ القطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء
وهو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد يبلغ حرارته
الجوف ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود اهل النار
حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون
الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله تعالى او اوعد به وقرئ من
قطر آن والقطر النحاس والصفر المذاب والآني المتناهي حره وتغشى وجوههم النار كقوله افمن يتقي بوجهه سوء
العذاب يوم يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال
تطلع على الافئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى ❊ اي يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي كل نفس مجرمة بما كسبت
او كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم ❊ هذا بلاغ للناس
كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب ولينذروا معطوف على
محذوف اي لينصحوا ولينذروا به بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا
انما هو اله واحد لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير
كله ❊ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد
من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات
الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان ❊ ربما وربما بالتشديد
وربما بالضم والفتح مع التخفيف فان قلت لم دخلت على المضارع وقد ابوا دخولها الا على الماضي قلت لان
المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ودّ فان قلت متى تكون ودادتهم قلت
عند الموت او يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا راوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا من الودادة
فان قلت فما معنى التقليل قلت هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم
الانسان على ما فعل ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق
عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من
الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة لو
كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن
ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان كانت منهم افاقة في بعض الاوقات
من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل ❊ ذرهم يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة
والنصيحة وخلهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول اعمارهم واستقامة
احوالهم وان لا يلقوا في العاقبة الا خيرا فسوف يعلمون سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان وانهم
لا يجيء منهم الا ما هم فيه وانهم لا يزجرهم ولا يعظهم الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم
قبل ذلك فامر رسول الله بان يخليهم وشانهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يامرهم بما لا يزيدهم الا ندما
في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول
الامل وهو هجيرى اكثر الناس ليس من اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين ولها كتاب جملة
واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما قال تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت
لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب معلوم مكتوب معلوم
وهو اجلها الذي كتب في اللوح وبين الا ترى الى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وانث الامة اولا ثم ذكرها آخرا
حملا على اللفظ والمعنى وقال يستاخرون بحذف عنه لانه معلوم ❊ قرأ الاعمش يا ايها الذي القي اليه الذكر وكان هذا
النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه في كتاب
الله تعالى في مواضع منها فبشرهم بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول
قول المجانين حتى تدعي ان الله نزل عليك الذكر لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض
واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري
والمعنى هلا تاتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا

او هلّا تاتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تاتي الامم المكذبة برسلها وقرئ تنزّل بمعنى تتنزّل
وتُنزَّل على البناء للمفعول من نزّل وننزّل الملائكة بالنون ونصب الملائكة الا بالحق الا تنزّلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة
ولا حكمة في ان تاتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلعم لانكم حينئذ مصدّقون عن اضطرار ومثله قوله تعالى
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي والعذاب واذن جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء
لشرط مقدّر تقديره ولو نزّلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخّرنا عذابهم. انا نحن نزّلنا الذكر ردّ لانكارهم واستهزائهم
بهم في قولهم يا ايها الذي نزّل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكّد عليهم انه هو المنزّل على القطع والثبات وانه هو الذي
بعث به جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه في
كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتولّ حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار
فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه فان قلت حين كان قوله انا نحن نزّلنا الذكر
ردّا لانكارهم فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون قلت قد جعل ذلك دليلا على انه منزّل من عنده آية لانه
لو كان من قول البشر او غير آية لتطرّق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرّق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول
الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك في شيع الاولين في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب
وطريقة ومعنى ارسلناه فيهم نبّأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم وما يأتيهم حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على
مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته
فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى انه يلقيه
في قلوبهم مكذّبا مستهزأ به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك فقلت كذلك انزلها باللئام تعني مثل هذا الانزال
انزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون به النصب على الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه
سنة الاولين طريقتهم التي سنّها الله تعالى في اهلاكهم حين كذّبوا برسلهم وبالذكر المنزّل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم
فظلّوا يعرجون بالفتح والكسر وسكّرت حيّرت او حبست من الابصار من السكر او السكر وقرئ سكرت بالتخفيف اي
حبست كما يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت من السكر اي حارت كما حار السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من
غلوّهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسّر لهم معراج يصعدون فيه اليها وراوا من العيان ما راوا لقالوا
هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون في السماء
عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبتّون القول
بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار. من استرق في محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس رضه انهم كانوا لا يحجبون عن
السموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها شهاب مبين ظاهر للمبصرين. موزون وزن بميزان

الحكمة وقدّر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو
الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها معايش بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوها فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب
الهمز او اخراج الياء بين بين وقرئ معائش بالهمز على التشبيه ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل
لكم كانه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين او جعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين واراد بهم
العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله تعالى هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه
الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم الرازقون ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على
الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور وذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون
على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل
مقدور. لواقح فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تاتي بخير ريح
عقيم والثاني ان اللواقح بمعنى الملاقح كما قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وارسلنا الريح
على تاويل الجنس فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا
خزائنه كانه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين
دلالة على عظيم قدرته واظهار لعجزهم ونحن الوارثون اي الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة
من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله عليه السلام في دعائه واجعله الوارث منا. ولقد علمنا من استقدم ولادة
وموتا ومن تأخر من الاولين والآخرين او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدّم في الاسلام وسبق
الى الطاعة ومن تأخر وقيل المستقدمين في صفوف الجماعة والمستأخرين وروي ان امرأة حسناء كانت في المصلّيات
خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض يستأخر ليبصرها فنزلت. هو يحشرهم
اي هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط علما بكل شيء
الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت في صوته مدّا فهو
صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صلّ اذا انتن والحمأ الطين الاسود المتغيّر والمسنون
المصوّر من سنّة الوجه وقيل المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان كما يفرغ الصور من الجواهر المذوبة في امثلتها
وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا من حمإ صفة لصلصال
اي خلقه من صلصال كائن من حمإ وحق مسنون بمعنى مصوّر ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحمأ فصوّر منها
تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيّره بعد ذلك الى جوهر آخر. والجان للجن كآدم للناس وقيل هو ابليس
وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله والجأن بالهمز. من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم

جزءٍ من سبعين جزءًا من سموم النار التي خلق الله تعالى منها الجانّ ﴿ واذ قال ربك ﴾ واذكر وقت قوله سويته عدلتُ اجزاءه
خلقته واكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها ومعنى ونفخت فيه من روحي فاحييته وليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل
لتحصيل ما يحيا به فيه واستثنى ابليس من الملئكة لانه كان بينهم مامورًا معهم بالسجود فغلب اسم الملئكة ثم استثنى بعد
التغليب كقولك رأيتهم الا هندًا وابى استيناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه
ولكن ابليس في حرف الجر مع ان محذوف تقديره مالك في ان لا تكون مع الساجدين بمعنى اي غرض لك في اباءك السجود واي
داعٍ لك اليه اللام في لاسجد لتاكيد النفي ومعناه لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل ان اسجد لبشر ﴿ رجيم ﴾ شيطان
من الذين يرجمون بالشهب او مطرود من رحمة الله تعالى لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد
من الرحمة والابعاد منها والضمير في منها راجع الى الجنة او الى السماء او الى جملة الملئكة وضرب يوم الدين حد اللعنة اما
لانه ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله ما دامت السموات والارض في التابيد واما ان يراد انك مذموم مدعو
عليك باللعنة في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه ويوم
الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكًا بالكلام طريقة البلاغة وقيل
انما سأل الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت بعد البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى اخر
ايام التكليف ﴿ بما اغويتني ﴾ الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن
لهم ومعنى اغوائه اياه تسبيبه لغيه بان امره بالسجود لآدم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض
للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى بريء من غيه ومن ارادته والرضا
به ونحو قوله بما اغويتني لازينن قوله فبعزتك لاغوينهم في انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفته والثاني اقسام بفعله
وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز ان لا يكون قسمًا ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم
نحو ما فعلت بي من التسبب لاغوائهم بان ازين لهم المعاصي واوسوس اليهم ما يكون سبب هلاكهم في الارض في الدنيا
التي هي دار الغرور لقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الاكل
من الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين لاولاده في الارض اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض
ولاوقعن تزيينهم فيها اي لازيننها في اعينهم ولاحدثنهم بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الاخرة ويطمئنوا
اليها دونها ونحوه يخرج في عراقيبها نصلي استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه اي هذا طريق
حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي وهو من علو الشرف
والفضل ﴿ لموعدهم ﴾ الضمير للغاوين وقيل ابواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث
للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس رضي ان جهنم لمن

٢٥٥

ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية
للموحدين وقرئ جزؤ بالتخفيف والتثقيل وقرأ الزهري جزّ بالتشديد كانه حذف الهمزة والقى حركتها على الزاي
كقولك خبٌ في خبءٍ ثم وقف بالتشديد كقولهم الرجل ثم اجرى الوصل مجرى الوقف المتقين على الاطلاق من يتقي
ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس رضي اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها ادخلوها
على ارادة القول وقرأ الحسن ادخلوها بسلام سالمين او مسلّمًا عليكم تسلم عليكم الملائكة ﴿ الغل ﴾ الحقد الكامن في
القلب من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان لاحدهم في الدنيا غل على اخر نزع الله تعالى ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم
وعن علي رضي ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وعن الحارث الاعور كنت جالسًا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال
له علي رضي الله عنه مرحبًا بابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك ممن قال الله تعالى فيهم ونزعنا ما في صدورهم
من غل فقال له قائل كلا الله تعالى اعدل من ان يجعلك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الاية لا ام لك وقيل
معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التوادّ والتحابّ والتواخي
نصب على الحال وعلى سرر متقابلين كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم متقابلين
﴿ لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه نبئ عبادي تقريرًا لما ذكر وتمكينًا له في النفوس وعن ابن عباس رضي غفور لمن
تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف ونبئهم على نبئ عبادي ليتخذوا ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها بسخط
الله تعالى وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه هو العذاب الاليم ﴿ سلامًا ﴾ اي نسلم عليك سلامًا او سلمت سلامًا
وجلون خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت وقرأ الحسن لا توجل بضم
التاء من اوجله يوجله اذا اخافه وقرئ لا تاجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف
انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اراد انك بمثابة الامن المبشر فلا توجل يعني ابشرتموني مع مس
الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر فبم تبشرون هي ما الاستفهامية دخلها معنى
التعجب كانه قال فباي اعجوبة تبشرونني او اراد انكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة فباي شيء
تبشرون يعني لا تبشرونني في الحقيقة بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء ويجوز ان لا يكون صلة المبشر ويكون
سؤالا عن الوجه والطريقة يعني باي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة وقوله بشرناك
بالحق يحتمل ان يكون الباء فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هي حق وهي قول الله تعالى
ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها
على حذف نون الجمع والاصل تبشرونن وتبشرونّي بادغام نون الجمع في نون العماد وقرئ من القانطين من قنط يقنط وقرئ
ومن يقنط بالحركات الثلث في النون اراد ومن يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون كقوله

قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين فلما جاء آل لوط المرسلون

لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله تعالى فان قلت قوله تعالى الا آل لوط استثناء متصل ام منقطع قلت لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين فان قلت فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثنائين قلت نعم وذلك ان آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر او السهم الى المرمي في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط انجيناهم واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا لمعنى الاهلاك والتعذيب كما في الوجه الاول فان قلت فقوله انا لمنجوهم بم يتعلق على الوجهين قلت اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستانفا كان ابرهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم فان قلت فقوله الا امرأته مم استثني وهل هو استثناء من استثناء قلت استثني من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفي قول المقر لفلان علي عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فاما في الآية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا انها لمن الغابرين والتعليق من خصائص افعال القلوب قلت لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله اعمال العباد بالعلم فان قلت لم اسند الملائكة فعل التقدير وهو لله تعالى وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله قلت لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي ليس لاحد غيرهم كما تقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لا هم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف منكرون اي تنكركم نفسي وتنفر منكم فاخاف ان تطرقوني بشر بدليل قوله بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون في الاخبار بنزوله بهم وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها من اسرى وسرى وروى صاحب الاقليد فسر من السير والقطع في آخر الليل قال

افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم

وقيل هو بعد ما يمضي شيء صالح

من الليل فان قلت ما معنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث الله تعالى الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج لذلك فامر بان يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي اليه اخادعه كما قال

تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الاصغاء ليتا واخدعا

او جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يلتفت لا بد له في ذلك من ادنى وقفة حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدى وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرونه وعدى قضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل واوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع وفي ابهامه وتفسيره تفخيم للامر وتعظيم له وقرا الاعمش ان بالكسر على الاستئناف كان قائلا قال اخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعني يستاصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد اهل المدينة اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة لا تفضحون بفضيحة ضيفي لان من اسيء الى ضيفه او جاره فقد اسيء اليه كما ان من اكرم من يتصل به فقد اكرم ولا تخزون ولا تذلوني باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان او ولا تشوروا بي من الخزاية وهي الحياء عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان يقوم عليه السلام بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف احدا قط هؤلاء بناتي اشارة الى النساء لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم لعمرك على ارادة القول اي قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك انهم لفي سكرتهم اي في غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطا الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلعم وانه اقسم بحياته وما اقسم بحياة احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك ان الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كما حذفوا الفعل في قولك بالله وقرئ في سكرتهم وفي سكراتهم الصيحة صيحة جبريل مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ

التمني من سجيل قيل من طين عليه كتاب من السجيل دليله قوله حجارة من طين مسومة عند ربك اي معلمة بكتاب
للمتوسمين للمتفرسين المتأملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال
توسمت في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها سافلها لقرى قوم لوط وانها وان هذه القرى يعني آثارها
لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين
اصحاب الايكة قوم شعيب وانهما يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا عليه السلام كان مبعوثا
اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر
البناء واللوح الذي يكتب فيه لانهما مما يؤتم به اصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعني
بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن
الزبير واصحابه وعن جابر رض قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا
انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع حتى
خلفها امنين لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تتهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث
الدهر او امنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد
الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال
وان الساعة لآتية وان الله تعالى ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات
والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ بآية
السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم
فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم او ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح
الى ان يكون السيف اصلح وفي مصحف ابي وعثمان ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير
كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب سبعا سبع آيات وهي الفاتحة او سبع سور وهي الطول واختلف في
السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية وقيل سورة يونس وقيل آل حم او سبع
صحائف وهي الاسباع والمثاني من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلوة وغيرها او من الثناء لاشتمالها
على ما هو ثناء على الله تعالى الواحدة مثناة او مثنية صفة للآية واما السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص
والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كانها تثني على الله تعالى بافعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن اما
للبيان او للتبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطول وللبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان تكون كتب الله كلها مثاني
لانها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها فان قلت كيف صح عطف القرآن العظيم

على السبع وهل هو الا عطف الشيء على نفسه قلت اذا عني بالسبع الفاتحة او الطول فما وراءهن ينطلق عليه اسم
القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا عنيت
الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم اي الجامع لهذين النعتين وهو الثناء او التثنية
والعظم اي لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فان قلت
كيف وصل هذا بما قبله قلت يقول لرسوله قد اوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة
ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم
يتغن بالقرآن وحديث ابي بكر رض من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما
وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر
وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وجل
لقد اعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم اي لا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم
لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا
عن ايمان الاغنياء والاقوياء وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم فان قلت
بم تعلق قوله كما انزلنا قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بقوله ولقد آتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على
اهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتوراة
والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة
البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي ويجوز ان يراد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود
اقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر واساطير بان غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم
بالقرآن والثاني ان يتعلق بقوله وقل اني انا النذير اي وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود
وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان ويجوز ان
يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير اي انذر المعضين الذين يجزئون القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل
ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا
الناس عن الايمان برسول الله صلعم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر
فاهلكهم الله تعالى يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم او مثل ما
انزلنا على الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم فان قلت اذا علقت قوله

لما انزلنا بقوله ولقد اتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى اخره بينهما قلت لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلعم
عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتاسف على كفرهم
ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المؤمنين عضين لحرا جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها
اعضاء قال رؤبة وليس دين الله بالمعضى وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلسان
قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة نقصانها على الاول واو وعلى
الثاني هاء لنسألنهم عبارة عن الوعيد وقيل نسألهم سؤال تقريع وعن ابي العالية يسأل العباد عن خلتين
عما كانوا يعبدون وماذا اجابوا المرسلين فاصدع بما تؤمر فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا القول
مدح بها عن التصريح وهو الجهر والصدع في الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر
والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان تكون ما مصدرية اي بامرك مصدر
من المبني للمفعول عن عروة بن الزبير في المستهزئين هم خمسة نفر ذوو اسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن
وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحرث بن الطلاطلة وعن ابن عباس رض ماتوا كلهم قبل بدر
قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلعم امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف
تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت
لدغت فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي واشار الى انف الحارث
بن قيس فامتخط قيحا فمات واشار الى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب
وجهه بالشوك حتى مات بما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن فسبح فافزع فيما نابك الى الله تعالى والفزع
الى الله تعالى هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم ودم على عبادة ربك حتى يأتيك اليقين اي الموت
اي ما دمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبي صلعم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة سورة النحل مكية غير
ثلث آيات في آخرها وتسمى سورة النعم وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم اتى
امر الله اي هو بمنزلة الآتي الواقع وان كان منتظرا لقرب وقوعه فلا تستعجلوه روى انه لما نزلت اقتربت الساعة
قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت
قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا
به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلعم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا وقرئ تستعجلوه بالتاء
والياء سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك وان تكون آلهتهم له شركاء او عن اشراكهم على ان ما موصولة

او مصدرية فان قلت كيف اتصل هذا باستعجالهم قلت لان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك
وقرئ تشركون بالتاء والياء ينزل قرئ بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل الملائكة اي تتنزل بالروح من امره بما يحيي
القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم
بان انذروا وتقديره بانه انذروا اي بان الشان اقول لكم انذروا او تكون ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى
القول ومعنى انذروا انه لا اله الا انا اعلموا بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولي
لا اله الا انا فاتقون ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض
وخلق الانسان وما يصلحه وما لا بد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون
من اصناف خلائقه ومثله متعال عن ان يشرك به غيره وقرئ يشركون بالتاء والياء فاذا هو خصيم مبين فيه معنيان
احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد ما كان نطفة من مني جماد لا حس به ولا حركة
دلالة على قدرته والثاني فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفا للانسان بالافراط
في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة وقيل نزلت في ابي بن خلف الجمحي جاء بالعظم الرميم الى رسول
الله صلعم فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم الانعام الازواج الثمانية واكثر ما تقع على الابل وانتصابها
بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز ان يعطف على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم
اي ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان والدفء اسم ما يدفأ به كما ان الملاء اسم ما يملأ به فهو الدفاء من لباس
معمول من صوف او وبر او شعر وقرئ دفء بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء ومنافع نسلها ودرها وغير ذلك
فان قلت تقديم الظرف في قوله ومنها تاكلون مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الاكل منها
هو الاصل الذي يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري
مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تاكلونها منها وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون
نسلها والبانها وجلودها من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشي بل هو من معاظمها
لان الرعيان اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة تزينت باراحتها وتسريحها الافنية وتجاوب فيها الرغاء والثغاء
آنست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم في عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها
وزينة يواري سوآتكم وريشا فان قلت لم قدمت الاراحة على التسريح قلت لان الجمال في الاراحة
اظهر اذا اقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرأ عكرمة حينا تريحون وحينا
تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزي وتحمل اثقالكم
الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق الامر عليه

شقا بحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع واما الشق فالنصف كأنه يذهب بنصف قوته لما يناله من الجهد فان
قلت ـــ ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كأنهم كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم قلت ـــ
معناه وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة
فان قلت ـــ كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها اليه قلت ـــ
طباقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا
على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة البلد مكة
لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح . والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام اي
وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج على حرمة اكل لحومهن بان علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد
ما ذكره في الانعام فان قلت ـــ لم انتصب وزينة قلت ـــ لانه مفعول له وهو عطف على محل لتركبوها فان
قلت ـــ فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد قلت ـــ لان الركوب فعل المخاطبين
واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو اي وخلقها زينة لتركبوها او تجعل زينة حالا
من هاء اي وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يريد به ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه
وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا بان له من الخلائق
ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة له في طيه وقد حمل على ما خلق
في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها
جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي
يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله
ان علينا للهدى فان قلت ـــ لم غير اسلوب الكلام في قوله ومنها جائر قلت ـــ ليعلم ما يجوز اضافته
اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر
وقرا عبد الله ومنكم جائر يعني ومنكم جائر عن القصد بسوء اختياره والله بريء منه ولو شاء لهداكم اجمعين
قسرا والجاء لا يجوز الميل عن القصد ۞ لكم متعلق بانزل او بشراب خبرا له والشراب ما يشرب شجر يعني
الشجر الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلا تسيمون من سامت
الماشية اذا رعت فهي سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض
وقرئ ينبت بالياء والنون فان قلت ـــ لم قيل ومن كل الثمرات قلت ـــ لان كل الثمرات لا يكون الا في الجنة
وانما انبت في الارض بعض من كلها للتذكرة يتفكرون ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والاية الدلالة

الواحدة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرأ ابي بن كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع وقرئت بالرفع
وقرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات او على ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون
من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكأنه قيل ونفعكم بها في حال كونها
مسخرات لما خلقن له بامره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله
مسخرا كقولك سرحه مسرحا كأنه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على
الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب وقال ان في ذلك لايات لقوم يعقلون فجمع الاية
وذكر العقل لان الاثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة وما ذرا لكم معطوف
على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيئات والمناظر ۞ لحما طريا هو السمك
ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه فان قلت ـــ ما بال الفقهاء
قالوا اذا حلف الرجل لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه لحما كما ترى قلت ـــ مبنى الايمان على العادة وعادة
الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان
حقيقا بالانكار ومثاله ان الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب
دابة فركب كافرا لم يحنث حلية هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن انما
يتزين بها من اجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم المخر شق الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح وابتغوا
الفضل التجارة ۞ ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم وتضطرب والمائد الذي يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله تعالى الارض
فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت
وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا ۞ وعلامات
هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في ايدي
الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرأ الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم
كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا فان قلت ـــ قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج
عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم قلت ـــ
كأنه اراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار
الزم لهم فخصصوا فان قلت ـــ من لا يخلق اريد به الاصنام فلم جيء بمن الذي هو لاولي العلم قلت ـــ فيه
اوجه احدها انهم سموها الهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم الا ترى الى قوله على اثره والذين يدعون من دون الله
لا يخلقون شيئا وهم يخلقون والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث ان يكون المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق

من اولي العلم فكيف عالا علم عنده لقوله تعالى ألهم ارجل يمشون بها يعني ان الالهة حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل وايد واذان وقلوب لان هولاء احياء وهم اموات فكيف تصح لهم العبادة لا انها لو صحت لهم هذه الاعضاء لصح ان يعبدوا

فان قلت هو الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها الهة تشبيها بالله تعالى فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام ان يقال لهم أفمن لا يخلق كمن يخلق قلت حين جعلوا الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله تعالى من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق لا تحصوها لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان وراءها ما لا ينحصر ولا يعد ان الله لغفور رحيم حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من اعمالكم وهو وعيد والذين يدعون والالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على البناء للمفعول نفى عنهم خصائص الالهية بنفي كونهم خالقين واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون وانهم اموات وانهم جاهلون بالبعث ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا الهة على الحقيقة لكانوا احياء غير اموات اي غير جائز عليها الموت كالحي الذي لا يموت وامرهم على العكس من ذلك والضمير في يبعثون للداعين اي لا يشعرون متى يبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان الهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف ووجه اخر وهو ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على ذلك فهم اعجز من عبدتهم اموات جمادات لا حياة فيها غير احياء يعني ان من الاموات ما يعقب موته حيوة كالنطف التي ينشئها الله تعالى حيوانا واجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الحجارة فاموات لا يعقب موتها حيوة وذلك اعرق في موتها وما يشعرون ايان يبعثون اي وما يعلم هولاء الالهة متى تبعث الاحياء تهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حي الا الحي القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو ان يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وانهم اموات لا بد لهم من الموت غير احياء باقية حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ ايان بكسر الهمزة الهكم اله واحد يعني انه قد ثبت بما تقدم من ابطال ان تكون الالهية لغيره وانها له وحده لا شريك له فيها فكان من نتيجة اثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وان قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الاقرار بها لا جرم حقا ان الله تعالى يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد انه لا يحب المستكبرين يجوز ان يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز ان يعم كل مستكبر ويدخل هولاء تحت عمومه ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شيء انزل ربكم او مرفوع بالابتداء بمعنى اي شيء انزله ربكم فاذا نصبت فمعنى اساطير الاولين ما يدعون نزوله اساطير الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع فان قلت هو كلام

متناقض لانه لا يكون منزل ربهم واساطير قلت هو على السخرية كقوله ان رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض او قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله صلعم قالوا احاديث الاولين واباطيلهم ليحملوا اوزارهم اي قالوا ذلك اضلالا للناس وصدا عن رسول الله صلعم فحملوا اوزار ضلالهم كاملة وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير ان يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل القواعد اساطين البناء التي تعمده وقيل الاساس وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات ليمكروا بها الله ورسله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا وقيل من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمروذ بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة الاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله تعالى الريح فخر عليهم وهلكوا ومعنى اتيان الله تعالى اتيان امره من القواعد من جهة القواعد من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرئ فاتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين يخزيهم يذلهم بعذاب الخزي ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في الاخرة شركائي على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم تشاقون فيهم تعادون وتخاصمون المؤمنين في شانهم ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقونني لان مشاقة المؤمنين كانها مشاقة الله قال الذين اوتوا العلم هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة تتوفاهم قرئ بالتاء والياء وقرئ الذين توفاهم بادغام التاء في التاء فالقوا السلم فسالموا واخبتوا وجاؤا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم اولوا العلم ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم خيرا انزل خيرا فان قلت لم نصب هذا ورفع الاول قلت فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان هولاء لما سئلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال خيرا اولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شيء وروي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلعم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث

نعم الذين قالوا خيرا وقوله للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا اي قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ عدة للقائلين ويجعل قولهم من جملة احسانهم ويحمدوا عليه حسنة مكافاة في الدنيا باحسانهم ولهم في الاخرة ما هو خير منها كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذف المخصوص بالمدح طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم يقولون سلام عليكم قيل اذا اشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة يأتيهم الملائكة قرئ بالتاء والياء يعني ان يأتيهم لقبض الارواح او يأتي امر ربك العذاب المستاصل او القيمة كذلك اي مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم او هو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها هذا من جملة ما عدد من اصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله تعالى وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزاء به وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعني انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله تعالى وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم اي اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله تعالى لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله عز وجل باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد امد ابطال قدر البغي ومشية الشر بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذي هو الايمان وعبادة الله تعالى وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله اي لطف به لانه عرفه من اهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة اي ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا ياتي منه خير فسيروا فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في اني لا اقدر الشر ولا اشاءه حيث افعل ما افعل بالاشرار ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليهم الضلالة وانه لا يهدي من يضل اي لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله تعالى متعال عن العبث لانه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه وقرئ لا يهدي اي لا يقدر ان يهديه انت ولا احد على هدايته وقد خذله الله تعالى وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذي هو نقيض النصرة ويجوز ان يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى وفي قراءة ابي فان الله لا هادي لمن يضل ولمن اضل وهي معاضدة لمن قرأ لا يهدي على البناء المفعول وفي قراءة عبد الله يهدي بادغام تاء يهتدي وهي معاضدة للاولى وقرئ يضل بالفتح وقرأ النخعي ان تحرص بفتح الراء وهي لغية واقسموا بالله معطوف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا

وتدونا توبيك ذنوبهم على مشية الله تعالى وانكارهم البعث مقسمين عليه بلى اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله تعالى وبين ان الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله تعالى لانهم يقولون لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة ليبين لهم متعلق بما دل عليه بلى اي يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب قولنا مبتدأ وان نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود اي اذا اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك وهذا مثل لان مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود المامور به عند امر الامر المطاع اذا ورد على المامور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله عز وجل بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول والذين هاجروا هم رسول الله واصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله تعالى منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر رض قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر رض نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لاطاعه فكيف وقد خلقها في الله في حقه ولوجهه حسنة صفة للمصدر اي لنبوئنهم تبوئة حسنة وفي قراءة علي رض لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وعن عمر رض انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاءه قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك في الدنيا وما ذخر لك في الاخرة اكثر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي المدينة حيث آواهم اهلها ونصروهم لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المستضعفين في ايديهم الدنيا والاخرة لرغبوا في دينهم ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على هم الذين صبروا او اعني الذين صبروا وكلاهما مدح اي صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله تعالى المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم على السنة الملائكة فاسألوا اهل الذكر وهم اهل الكتاب ليعلموكم ان الله تعالى لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا فان قلت بم يتعلق قوله بالبينات قلت له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما ارسلنا

وإنما ألحقت حكم الاستثناء مع رجالا أي وما أرسلنا إلا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت إلا زيدا بالسوط لأن أصله
ضربت زيدا بالسوط وإما برجالا صفة لها أي رجالا ملتبسين بالبينات وإما بأرسلنا مضمرا كأنما قيل بم أرسلوا فقلت
بالبينات فهو على كلامين والأول على كلام واحد وإما بنوحي أو بنوحي إليهم بالبينات وإما بلا تعلمون على أن الشرط
في معنى التبكيت والالزام كقول الأجير إن كنت عملت لك فأعطني حقي وقوله فاسألوا أهل الذكر اعتراض على
الوجوه المتقدمة وأهل الذكر أهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لأنه موعظة وتنبيه للغافلين ما نزل إليهم يعني ما نزل
الله إليهم في الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا وأوعدوا ولعلهم يتفكرون وإرادة أن يصغوا إلى تنبيهاته فيتنبهوا
ويتأملوا مكروا السيئات أي المكرات السيئات وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله في تقلبهم متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم
وأسباب دنياهم على تخوف متخوفين وهو أن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو
خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته إذا تنقصته قال زهير تخوف الرحل منها
تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن أي يأخذهم على أن يتنقصهم شيئا بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا وعن
عمر رض أنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف
العرب ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا وأنشد البيت فقال عمر أيها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا
قال شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم فإن ربكم لرؤوف رحيم حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم قرئ
أولم تروا وتتفيأ بالتاء والياء وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيأ ظلاله واليمين بمعنى الأيمان
سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير في ظلاله لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل
وجمع بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء أو لأن في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى أولم يروا إلى ما خلق الله
من الأجرام التي لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها أي عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الإنسان
وشماله لجانبي الشيء أي ترجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والأجرام
في أنفسها داخرة أيضا صاغرة منقادة لأفعال الله تعالى فيها لا تمتنع من دابة يجوز أن يكون بيانا لما في السماوات وما في الأرض
جميعا على أن في السماوات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الأناسي في الأرض وأن يكون بيانا لما في الأرض وحده ويراد بما في السماوات
الملائكة وتكرير ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لأنهم أطوع الخلق وأعبدهم ويجوز أن يراد بما في
السماوات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم فإن قلت ـــــ سجود المكلفين مما انتظمه
هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد قلت ـــــ المراد بسجود المكلفين طاعتهم
وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لإرادة الله وأنها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك
جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد فإن قلت ـــــ فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم قلت ـــــ

لأنه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم إرادة العموم
يخافون يجوز أن يكون حالا من الضمير في لا يستكبرون أي لا يستكبرون خائفين وأن يكون بيانا لنفي الاستكبار وتأكيدا
له لأن من خاف الله لم يستكبر عن عبادته من فوقهم إن علقته بيخافون فمعناه يخافونه أن يرسل عليهم
عذابا من فوقهم وإن علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وإنا
فوقهم قاهرون وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وأنهم
بين الخوف والرجاء فإن قلت ـــــ إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي
رجال ثلاثة وأفراس أربعة لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فأما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان
فيهما دلالة على العدد فلا حاجة إلى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله تعالى إلهين اثنين قلت ـــــ
الاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فإذا أريدت الدلالة على أن المعني به منهما
والذي يساق إليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد إليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت إنما هو إله ولم
تؤكده بواحد لم يحسن وخيل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية فإياي فارهبون نقل للكلام عن الغيبة إلى التكلم
وجاز لأن الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو أبلغ في الترهيب من قوله وإياه فارهبوه ومن أن يجيء ما
قبله على لفظ المتكلم الدين الطاعة واصبا حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لأن كل نعمة منه فالطاعة
واجبة له على كل منعم عليه ويجوز أن يكون من الوصب أي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا أو وله الجزاء دائما
ثابتا سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب وما بكم من نعمة وأي شيء حل بكم أو اتصل بكم من نعمة فهو من الله فإليه تجأرون
فما تتضرعون إلا إليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الأعشى يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا
جؤارا وقرئ تجرون بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الجيم وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو أقوى من
كشف لأن بناء المغالبة يدل على المبالغة فإن قلت ـــــ فما معنى قوله إذا فريق منكم بربهم يشركون قلت ـــــ يجوز
أن يكون الخطاب في قوله وما بكم من نعمة عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وأن يكون الخطاب للمشركين ومنكم
للبيان لا للتبعيض كأنه قال فإذا فريق كافر وهم أنتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله تعالى فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد
ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة فتمتعوا فسوف تعلمون تخلية
ووعيد وقرئ بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز أن يكون ليكفروا فيتمتعوا من الأمر الوارد في معنى
الخذلان والتخلية واللام لام الأمر لما لا يعلمون أي لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها أنهم يسمونها آلهة ويعتقدون
فيها أنها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها أنها جماد لا يضر ولا ينفع فهم إذا جاهلون بها وقيل
الضمير في لا يعلمون للآلهة أي لأشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها نصيبا في أنعامهم وزروعهم أم لا وكانوا

يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم لتسألن وعيد عما كنتم تفترون من الافك في زعمكم انها الهة وانها اهل للتقرب اليها كانت خزاعة وكنانة تقول الملايكة بنات الله سبحانه تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على ان يكون معطوفا على البنات اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور ظل بمعنى صار كما يستعمل بات واصبح وامسى بمعنى الصيرورة ويجوز ان يجي ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما لذلك مسود الوجه من الكآبة والحيا من الناس وهو كظيم مملو حنقا على المراة يتوارى من القوم يستخفي منهم من اجل سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر ايمسك ما بشر به على هون على هوان وذل ام يدسه في التراب ام يئده وقرئ ايمسكها على هون ام يدسها على التانيث وقرئ على هوان الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ ولله المثل الاعلى وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض من دابة قط ولاهلكها كلها بشوم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن ادم او من دابة ظالمة وعن ابن عباس رضي من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك الاباء بكفرهم لم تكن الابناء ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له ارذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها وتصف السنتهم مع ذلك ان لهم الحسنى عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال لرجل من ذوي اليسار كيف تكون يوم القيمة اذا قال الله هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الي فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له اما تستحيي من ذلك الموقف وقرا هذه الاية وعن مجاهد ان لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وان لهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة مفرطون قرئ مفتوح الراء ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات وما يلزمهم فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها او فهو وليهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين او يجعل فهو وليهم اليوم حكاية للحال الاتية وهي حال كونهم معذبين في النار اي فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هولاء لانهم منهم ويجوز ان يكون

على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل والذي اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب واشياء من التحريم والتحليل والانكار والاقرار لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم لا يسمع ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله في كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه واذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استيناف كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث ودم اي يخلق الله تعالى اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله تعالى لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رايحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتامل وسيل شقيق رحمة الله عليه عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم سايغا سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص احد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين ولين فان قلت اي فرق بين من الاولى والثانية قلت الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها كقولك اخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقاء الذي منه يبتدي فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كاينا من بين فرث ودم الا ترى انه لو تاخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى ان المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك البول بهذه الاية وانه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا فان قلت بم تعلق قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب قلت بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقاء او تعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد في الدار فيها ويجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفي كان من ارمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر فان قلت فالام يرجع الضمير في منه اذا جعلته ظرفا مكررا قلت الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله تعالى او هم قايلون الى الاهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال

تجاوزا بهم سكرا علينا فاجلى اليوم والسكران صاحي . وفيه وجهان احدهما ان تكون منسوخة وممن قال به الشعبي والنخعي والثاني ان يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة رحمة الله عليه الى حد السكر ويحتج بهذه الآية وبقوله عليه السلام الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار جمة ولقد صنف شيخنا ابو علي الجبائي قدس الله روحه غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شيخ واخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فسمج في المروة وقيل السكر الطعم وانشد . جعلت اعراض الكرام سكرا . اي تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا ابترك في اعراض الناس فكانه تخمر بها والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن . واوحى . الايحاء الى النحل الهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو اعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه والا فنيقتها في صنعتها ولطفها في تدبير امرها واصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على ان الله تعالى اودعها علما بذلك وفطنها كما اولى اولي العقول عقولهم وقرأ يحيى بن وثاب الى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل وتانيثه على المعنى ان اتخذي هي ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول وقرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء ويعرشون بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التي تعسل فيها والضمير في يعرشون للناس فان قلت ما معنى من في قوله ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال وفي الشجر قلت اريد معنى البعضية وان لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها . من كل الثمرات احاطة بالثمرات التي تجرسها النحل وتعتاد اكلها اي ابني البيوت ثم كلي من كل ثمرة تشتهيها فاذا اكلتها . فاسلكي سبل ربك اي الطرق التي الهمك وافهمك في عمل العسل او فاسلكي ما اكلت في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك ومنافذ ما كلك او اذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد في طلب النجعة او اراد بقوله تعالى ثم كلي ثم اقصدي اكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك . ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله ذللها ووطاها وسهلها كقوله عز وجل هو الذي جعل لكم الارض ذلولا او من الضمير في فاسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به غير ممتنعة . شراب يريد العسل لانه مما يشرب . مختلف الوانه منه ابيض واصفر واحمر واسود فيه شفاء للناس لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء الذي فيه او لان فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبي عليه السلام ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرا

كانما انشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود رض العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفائين القرآن والعسل ومن بدع تاويلات الرافضة ان المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم انه قال عند المهدي انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه اضحوكة من اضاحيكهم والى ارذل العمر الى اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة عن علي رضي الله عنه وكرم وجهه وتسعون سنة عن قتادة رض لانه لا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولة في النسيان وان يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيئا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه . والله فضل انه جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم افضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغي ان تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما روي عنه بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت . افبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه للذين جعلوا له شركاء فقال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى ان الموالي والمماليك انا رازقهم جميعا فهم في رزقي سواء فلا يحسبن الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق فانما ذلك رزقي اجريه اليهم على ايديهم وقرئ تجحدون بالتاء والياء من انفسكم من جنسكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد وقال . حفد الولائد بينهن واسلمت باكفهن ازمة الاجمال واختلف فيهم فقيل هم الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد المراة من الزوج الاول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة اي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة البنون انفسهم كقوله تعالى سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا هم بنون وهم حافدون اي جامعون بين الامرين . من الطيبات يريد بعضها لان كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا الا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه شيء معلوم مستيقن ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا تتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم . الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت المصدر نصبت به شيئا كقوله او اطعام يتيما على لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز ان يكون تاكيدا للا يملك اي لا يملك شيئا من الملك ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض

شيئاً او صفة اي بان ايماً لما يرزق والشيئية ولا يستطيعون لما لانه في معنى الآلهة بعد ما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز ان يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون اولو الالباب من ذلك شيئاً فكيف بالجماد الذي لا حس به فان قلت ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما الا شيء واحد قلت ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم اصلاً لانهم موات الا ان يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد او يراد انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتأتى ذلك فيهم ولا يستقيم فلا تضربوا لله الامثال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالاً بحال وقصة بقصة ان الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم لان العقاب على مقدار الاثم وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذلك هو الذي جركم اليه وجرأكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوّى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله تعالى مالاً فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء فان قلت لم قال مملوكاً لا يقدر على شيء وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف قلت اما ذكر المملوك فليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعاً لانهما من عباد الله واما لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له لانهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر انه لا يصح له فان قلت من في قوله ومن رزقناه ما هي قلت الظاهر انها موصوفة كأنه قيل وحراً رزقناه ليطابق عبداً ولا يمتنع ان تكون موصولة فان قلت لم قيل يستوون على الجمع قلت معناه هل يستوي الاحرار والعبيد الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح هل يستوي هو ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته والطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع وقرئ اينما يوجه بمعنى اينما يتوجه من قولهم اينما اوجه القى سعداً وقرأ ابن مسعود اينما يوجه على البناء للمفعول ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه او اراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على ان علمه غائب عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم الا كلمح البصر او هو اقرب اي هو عند الله وان تراخى كما تقولون انتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر او هو اقرب اذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون اي هو عنده دان وهو عندكم بعيد وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين يكون في اقرب وقت واوحاه ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل

على قدرته بما بعده فقرئ امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في امات كما زيدت في اراق فقيل اهراق وشذت زيادتها في الواحدة قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئاً في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئاً من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وقوله تعالى وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذا لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى وقرئ الم تروا بالتاء والياء مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك والجو الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو واللوح مثله ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر والاخبية وغيرها والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف بيوتاً هي القباب والابنية من الادم والانطاع تستخفونها ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم ويوم اقامتكم اي يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها او هي خفيفة عليكم في اوقات السفر والحضر جميعاً على ان اليوم بمعنى الوقت ومتاعاً وشيئاً ينتفع به الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان يبلى ويفنى او الى ان تموتوا وقرئ يوم ظعنكم بالسكون مما خلق من الشجر وسائر المستظلات اكناناً جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف سرابيل هي القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم وقلما يهمهم البرد لكونه يسيراً محتملاً وقيل ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد وسرابيل تقيكم بأسكم يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع على ما كان من حديد وغيره لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمته الفاشية فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما اديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب يعرفون نعمة الله التي عددناها حيث يعترفون بها وانها من الله تعالى ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما اصبت كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد انها وانه اجراها على يد فلان وجعله سبباً في نيلها واكثرهم الكافرون اي الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد عليه السلام كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عناداً واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم فان قلت ما معنى ثم قلت الدلالة على ان انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر شهيداً نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار والمعنى

لاحجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر ولذا عن الحسن رحمة الله عليه ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون
اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الاخرة ليست بدار عمل فان قلت فما معنى ثم هذه قلت معناها انهم يمنون بعد
شهادة الانبياء عليهم السلم بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يوذن لهم في القاء معذرة ولا ادلاء بحجة وانتصاب
اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك اذا راى العذاب بغتهم وتثقل عليهم فلا
يخفف عنهم ولا هم ينظرون كقوله تعالى بل تاتيهم بغتة فتبهتهم الاية ان ارادوا بالشركاء الهتهم فمعنى شركاؤنا الهتنا التي
دعوناها شركاء وان ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغي وندعو بمعنى نعبد فان قلت لم قالوا
انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الحقيقة قلت لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة والدليل
عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا او كذبوهم في
تسميتهم شركاء والهة تنزيها لله تعالى من الشريك وان اريد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما
يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا يعني الذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله تعالى
وحكمه بعد الاباء والاستكبار في الدنيا وضل عنهم وبطل عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون
لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا في انفسهم وحملوا غيرهم على الكفر يضاعف الله تعالى عقابهم كما ضاعفوا
كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين
خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين الناس بصدهم
عن سبيل الله وشهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على
امتك تبيانا بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القران فان قلت كيف كان
القران تبيانا لكل شيء قلت المعنى انه بين كل شيء من امور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر
فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين
وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اتباع اصحابه والاقتداء باثارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد
اجتهدوا وقاسوا ووطؤوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والقياس والاجماع والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب
فمن ثم كان تبيانا لكل شيء العدل هو الواجب لان الله عز وجل عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت
طاقتهم والاحسان الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمن علمه الفرائض فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت افلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال
عليه السلم استقيموا ولن تحصوا فلا ينبغي ان يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل والفحشاء ما جاوز حدود الله تعالى والمنكر ما
تنكره العقول والبغي طلب التطاول بالظلم وحين اسقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المومنين علي رضي الله عنه اقيمت

هذه الاية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه
وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون رضي الله عنه بعهد الله هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ولا تنقضوا ايمان البيعة بعد توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله واكد ووكد
لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل كفيلا شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه ولا تكونوا
في نقض الايمان كالمراة التي انحت على غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي
ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت
تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن تتخذون حال ودخلا احد مفعولي اتخذ يعني ولا
تنقضوا ايمانكم متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا ان تكون امة بسبب ان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى من
امة هي ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة المومنين انما يبلوكم الله به الضمير لقوله ان تكون امة لانه في معنى المصدر
اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول
الله صلعم ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المومنين وفقرهم وضعفهم وليبينن لكم انذار وتحذير من مخالفة
ملة الاسلام ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة حنيفة مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك ولكن
الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم عليه ويهدي من يشاء وهو ان يلطف
بمن علم انه يختار الايمان يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب
ولم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك وحققه بقوله ولتسالن عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر الى الضلال
والاهتداء لما اثبت لهم عملا يسالون عنه ثم كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تاكيدا عليهم واظهارا لعظم ما يركب فيه
فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء في الدنيا بصدودكم عن سبيل الله
وخروجكم من الدين او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها ولكم
عذاب عظيم في الاخرة كان قوما ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما راوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم
لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله ولا تشتروا
ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا
انما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الاخرة خير لكم ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد وما عند الله من خزائن رحمته
باق لا ينفد وقرئ لنجزين بالنون والياء الذين صبروا على اذى المشركين ومشاق الاسلام فان قلت لم وحدت
القدم ونكرت قلت لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة
فان قلت من متناول في نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما قلت هو مبهم صالح على

واعلم ان عيش المؤمن في الدنيا اطيب من عيش الكافر لوجوه الاول انه لما عرف ان رزقه انما حصل بتدبير الله وعرف انه تعالى محسن كريم لا يفعل الا الصواب كان راضيا بكل ما قضاه وقدره وعرف ان مصلحته في ذلك واما الجاهل فلا يعرف هذه الاصول فكان ابدا في الحزن والشقاء وثانيها ان المؤمن يستحضر ابدا في عقله انواع المصايب والمحن ويقدر وقوعها لا يستعظمها عند وقوعها ويرضى بها لان الرضى بقضاء الله واجب فلان الجاهل فانه يكون غافلا عن تلك المعارف فعند وقوع المصايب تعظم تاثيره في قلبه وثالثها انها معرفة الله والقلب اذا كان مملوا من هذه المعارف لم يتسع للاحزان الواقعة

الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا حيوة طيبة يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله تعالى ولنجزينهم وعده الله ثواب الدنيا والاخرة لقوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال فيه وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه وعن ابن عباس الحيوة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن رحمه الله القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ لقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم وكقولك اذا اكلت فسم الله فان قلت لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل قلت لان الفعل يوجد عند القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود رض قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي يا ابن ام عبد قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ ليس له سلطان اي تسلط وولاية على اولياء الله يعني انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته انما سلطانه على من يتولاه ويطيعه به مشركون الضمير يرجع الى الشيطان على معنى بسببه تبديل الاية مكان الاية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لانها مصالح وما كان مصلحة امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة والله تعالى عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر فجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا يسخر من اصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فياتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاهون والاهون بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة فان قلت هل في ذكر تبديل الاية بالاية دليل على ان القران انما ينسخ بمثله ولا ينسخ بغيره من السنة والاجماع والقياس قلت فيه ان قرآنا ينسخ بمثله وليس فيه نفي نسخه بغيره على ان السنة المكشوفة المتواترة مثل القران في ايجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله واما الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا ينسخ نسخ القران بها في ينزل وينزله وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب المصالح كالتنزيل وان ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة في خروجه عن الحكمة روح القدس جبريل عليه السلام اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس المطهر من الماثم وقرئ بضم الدال وسكونها بالحق في موضع الحال اي نزله ملتبسا بالحكمة يعني ان النسخ من جملة الحق ليثبت الذين امنوا ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمانينة القلوب على ان الله

حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب وهدى وبشرى مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ارادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه واسمه عايش او يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التورية والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمني وقيل هو سلمان الفارسي رض واللسان اللغة ويقال الحد القبر ولحده فهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان اعجمي غير بين وهذا القران لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف اللسان فان قلت الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها قلت لا محل لها لانها مستانفة جواب لقولهم ومثله قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اي يعلم الله تعالى منهم انهم لا يؤمنون لا يهديهم الله لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الاخرة لا من اهل اللطف والثواب انما يفتري الكذب رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه واولئك اشارة الى قريش هم الكاذبون اي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون او الى الذين لا يؤمنون اي اولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله اعظم الكذب او اولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا يحجبهم عنه مروة ولا دين او اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على ان يجعل واولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب من الله ويجوز ان يكون بدلا من المبتدا الذي هو اولئك على ومن كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز ان ينتصب على الذم وقد يجوز ان يكون من كفر بالله شرطا مبتدا ويحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب روي ان ناسا من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فاما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا فان قلت — أي الأمرين أفضل أفعل عمار أم فعل أبويه قلت بل فعل أبويه لأن في ترك التقية والصبر على القتل إعزازا للإسلام وقد روي أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال أنت أيضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد فقال رسول الله قال ما تقول في قال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثا فأعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الأول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك إشارة إلى الوعيد وأن الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم أولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة الذين لا أحد أغفل منهم لأن الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها ثم إن ربك دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك وهم عمار وأصحابه ومعنى إن ربك لهم أنه لهم لا عليهم يعني أنه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور من بعد ما فتنوا بالعذاب والإكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل أي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي وأشباهه من بعدها من بعد هذه الأفعال وهي الهجرة والجهاد والصبر يوم تأتي منصوب برحيم أو باضمار اذكر فان قلت — ما معنى النفس المضافة إلى النفس قلت — يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الأولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكأنه قيل يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء أضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك وضرب الله مثلا قرية أي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله تعالى عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته فيجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله تعالى مثلا لمكة إنذارا من مثل عاقبتها مطمئنة لا يزعجها خوف لأن الطمأنينة مع الأمن والانزعاج والقلق مع الخوف رغدا واسعا والأنعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس وفي الحديث نادى منادي النبي عليه السلام بالموسم بمنى إنها أيام طعم ونعم فلا تصوموا فان قلت — الإذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة إيقاعها عليه قلت — أما الإذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر والبشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الإحاطة بهما فإن الاستنكاف لا يقع إلا لمن تقدرها أحدهما أن ينظروا فيه إلى المستعار له كما نظر إليه ههنا ونحوه قول كثير غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا

غلقت لضحكته رقاب المال استعار الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا إلى المستعار له والثاني أن ينظروا فيه إلى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا أخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر أراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر إلى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر إليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء إذا تبسم ضاحكا وهم ظالمون في حال التباسهم بالظلم كقوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم نعوذ بالله من مفاجأة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف عطفا على اللباس أو على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما أتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك الفاء في قوله فكلوا صدهم عن أفعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بأن أمرهم بأكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر إنعامه بذلك ثم قال إن كنتم إياه تعبدون يعني تطيعون أو إن صح زعمكم أنكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لأنها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله تعالى على لسان أنبيائه وانتصاب الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير استناد ذلك الوصف إلى وحي من الله تعالى أو إلى قياس مستند إليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما أحل الله هو حرام وقوله تعالى هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز أن يتعلق بتصف على إرادة القول أي ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام ولك أن تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أي لا تحرموا ولا تحللوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول في أفواهكم لا لأجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة فان قلت — ما معنى وصف ألسنتهم الكذب قلت — هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه فإذا نطقت به ألسنتهم فقد حليت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للألسنة وبالنصب على الشتم أو بمعنى الكلم الكواذب أو هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جني واللام في لتفتروا من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض متاع قليل خبر مبتدأ محذوف أي منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم ما قصصنا عليك يعني في سورة الأنعام بجهالة في موضع الحال أي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه أو غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم من بعدها من بعد التوبة كان أمة فيه وجهان أحدهما أنه كان وحده أمة من الأمم لكماله في جميع صفات الخير كقوله وليس على الله بمستنكر أن يجمع

العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثاني ان يكون امة بمعنى مأموم اي يؤمه الناس ليأخذوا
منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء من فُعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله تعالى اني
جاعلك للناس اماما وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود رضه انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله
فقلت غلطت انما هو ابرهيم عليه السلم فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضه
انه قال حين قيل له الا تستخلف لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة قانت لله ليس بينه وبين الله تعالى
يوم القيامة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله تعالى لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى اي كان اماما في الدين
لان الائمة معلمو الخير والقانت القائم بما امره الله تعالى والحنيف المائل الى ملة الاسلام غير الزائل عنه ونفى عنه الشرك
تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة ابيهم ابرهيم شاكرا لانعمه روى انه كان لا يتغدى الا مع ضيف
فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما
فقال الآن وجبت مواكلتكم شكرا لله تعالى على انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم
الى ملة الاسلام حسنة عن قتادة هي تنويه الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال والاولاد
وقيل قول المصلي منا كما صليت على آل ابرهيم لمن الصالحين لمن اهل الجنة ثم اوحينا اليك في ثم هذه ما فيها من تعظيم
منزلة رسول الله صلعم واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله ابرهيم عليه السلم من الكرامة واجل ما اولي من
النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر
النعوت التي اثنى الله عليه بها السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال
السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان
الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى
في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو الانذار من سخط الله تعالى على العصاة
والمخالفين لاوامره والخالعين ربقة طاعته فان قلت ما معنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين او محرمين
قلت معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى ووجه اخر وهو
ان موسى عليه السلم امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي
فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم في السبت لان
بعضهم اختاروه وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن لهم الله تعالى في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع
امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون فيه واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله تعالى دون اولئك

وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك
الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت على البناء للفاعل وقرا عبد الله انا انزلنا السبت الى سبيل ربك الى
الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى
عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القرآن اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة
وجادلهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ان ربك
هو اعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكانك تضرب
منه في حديد بارد سمي الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله
ولا تزيدوا عليه وقرئ وان عقبتم فعقبوا كما تقول واتبعت مثل ما تبعه اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم
روى ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة
بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروي فرآه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني
الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي
عنها حتى بالكلب العقور اما ان يرجع الضمير في لهو الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون اي ولئن
صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء عليهم من الله بانهم صابرون على الشدائد او وصفهم بالصفة
التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما ان يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم
كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسوله عليه السلم
واصبر انت فعزم عليه بالصبر وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه ولا تحزن عليهم اي على
الكافرين كقوله تعالى فلا تاس على القوم الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون ولا تك في ضيق وقرئ ولا تكن في
ضيق اي ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اي في امر ضيق ويجوز ان يكون الضيق والضيق
مصدرين كالقيل والقول ان الله مع الذين اتقوا اي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي وولي الذين هم محسنون في اعمالهم
وعن هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لي واوصيكم بخواتيم سورة النحل
عن النبي عليه السلم من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان
له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير
سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل
فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها اليه اعداء الله واسرى وسرى لغتان وليلا نصب على

الظرف فان قلت الاسرا لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسرا وانه اسري به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعض الليل كقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك يعني الامر بالقيام في بعض الليل واختلف في المكان الذي اسري منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروي عن النبي عليه السلام بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النايم واليقظان اذ اتاني جبريل عليه السلام بالبراق وقيل اسري به من دار ام هاني بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحرم كله مسجد وروي انه كان نايما في بيت ام هاني بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هاني وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هاني بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسرا فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان امن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق ومنهم من سافر الى ثم فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قايل منهم هذه والله الشمس قد اشرقت فقال اخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السما في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما راى في السما من العجايب وانه لقي الانبيا وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسرا فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعث واختلف في انه كان في اليقظة ام في المنام فعن عايشة رضها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلعم ولكن عرج بروحه وعن معاوية انما عرج بروحه وعن الحسن رحمه الله كان في المنام رؤيا راها واكثر الاقاويل بخلاف ذلك والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينيذ وراه مسجد باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبيا من وقت موسى عليه السلام ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقرا الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغايب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم من اياتنا ثم انه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة انه هو السميع لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم البصير بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك ۞ ان لا تتخذوا قري بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على اي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وكيلا ربا تكلون اليه اموركم ذرية من حملنا نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرا لا تتخذوا بالتاء على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا اي لا تجعلوهم

اربابا كقوله عز وعلا ولا يامركم ان تتخذوا الملايكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير وقري ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا وقرا زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروي عنه انه فتحها بوزن الوليد ذكرهم الله تعالى النعمة في انجاء ابايهم من الغرق انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا قيل كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظماني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو شاء حبسه وروي انه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من امن به فان وجده محتاجا اثره به فان قلت قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملايمته لما قبله قلت كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وانتم ذرية من امن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله اباوكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستاهلوا لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد ۞ وقضينا الى بني اسرايل واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة ويعلون اي يتعظمون ويبغون في الكتاب في التورية ولتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز ان يجري القضا المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح التاء من فسد مرتين اوليهما قتل زكريا عليه السلام وحبس ارمياء حين انذرهم سخط الله تعالى والاخرى قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام وقصد قتل عيسى بن مريم عليه السلام عبادا لنا وقري عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس بخاريب وجنوده وقيل بخت نصر وعن ابن عباس رضي الله عنهما جالوت قتلوا علماهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا فان قلت كيف جاز ان يبعث الله تعالى الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه قلت معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله تعالى اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمهم واسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التورية من جملة الجوس المسند اليهم وقرا طلحة فحاسوا بالحاء وقري فجوسوا وخلل الديار فان قلت ما معنى وعد اوليهما قلت معناه وعد عقاب اوليهما وكان وعدا مفعولا يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل ۞ ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني اسرايل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل هي قتل داود جالوت اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز اي الاحسان والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن علي رضه ما احسنت الى احد ولا اسات اليه فاذا جاء وعد المرة الاخرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم حذف لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية اثار المساءة والكآبة فيها كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا وقري ليسوء والضمير لله عز وجل او للوعد او للبعث

وليتبروا بالتاء وفي قراءة علي رضي الله عنه لنتبرن وليتبرن وقرئ لنتبرن بالنون الخفيفة واللام في ليدخلوا على هذا متعلق
بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا وليتبروا ما علوا مفعول ليتبروا أي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه
أو بمعنى مدة علوهم عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الثانية إن تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصي وإن عدتم مرة ثالثة
عدنا إلى عقوبتكم وقد عادوا فأعاد الله النقمة بتسليط الأكاسرة وضرب الإتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله تعالى
محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك أن بعث الله تعالى عليهم هذا الحي من
العرب فهم منهم في عذاب إلى يوم القيامة حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير
المرمول للتي هي أقوم للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدها أو للملة أو للطريقة وأينما قدرت لم تجد مع الإثبات
ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في إبهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع إيضاحه وقرئ ويبشر بالتخفيف
فإن قلت كيف ذكر المؤمنين الأبرار والكفار ولم يذكر الفسقة قلت كان الناس حينئذ إما مؤمن تقي وإما مشرك وإنما
حدث أصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك فإن قلت علام عطف وأن الذين لا يؤمنون قلت على أن لهم
أجرا كبيرا على معنى أنه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب أعدائهم ويجوز أن يراد ويخبر بأن الذين لا
يؤمنون معذبون أي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله تعالى ولو يعجل الله للناس
الشر استعجالهم بالخير وكان الإنسان عجولا يتسرع إلى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر
وعن النبي عليه السلام أنه دفع إلى سودة بنت زمعة أسيرا فأقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا ألم القد فأرخت من كتافه
فلما نامت أخرج يده وهرب فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به فأعلم بشأنه فقال عليه السلام اللهم اقطع يديها فرفعت سودة
يديها تتوقع الإجابة وأن يقطع الله يديها فقال النبي عليه السلام إني سألت الله أن يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من أهلي
رحمة لأني بشر أغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز أن يريد بالإنسان الكافر وأنه يدعو بالعذاب استهزاء
ويستعجل به كما يدعو بالخير إذا مسته الشدة وكان الإنسان عجولا يعني أن العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن
عباس يعني بها النضر بن الحارث قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية فأجيب له فضربت عنقه صبرا
فيه وجهان أحدهما أن يراد أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كإضافة العدد
إلى المعدود أي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة والثاني أن يراد وجعلنا نيري الليل
والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل أي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا
يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا أي تبصر فيه الأشياء وتستبان أو فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم
يخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الأشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا
فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار إلى استبانة أعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين

وجنس الحساب وما تحتاجون إليه منه ولولا ذلك لما علم أحد حسبان الأوقات ولتعطلت الأمور وكل شيء مما تفتقرون
إليه في دينكم ودنياكم فصلناه بيناه بيانا غير ملتبس فأزحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا طائره عمله وقد
حققنا القول فيه في سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولك طار له سهم إذا خرج يعني ألزمناه ما طار من عمله والمعنى
أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل لا يفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا
ربقة في رقبته وعن الحسن رحمه الله يا ابن آدم بسطت لك صحيفة إذا بعثت قلدتها في عنقك وقرئ في عنقه بسكون
النون وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر
أي يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول ويلقاه منشورا صفتان للكتاب
أو يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه اقرأ على إرادة القول وعن قتادة رضي يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وبنفسك
فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه وعلى متعلق
به من قولك حسب عليه كذا ويجوز أن يكون بمعنى الكافي ووضع موضع الشهيد فعدي بعلى لأن الشاهد يكفي المدعي ما
أهمه فإن قلت لم ذكر حسيبا قلت لأنه بمنزلة الشهيد والقاضي والأمير لأن الغالب أن هذه الأمور
يتولاها الرجال فكأنه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز أن تتأول النفس بالشخص كما يقال ثلاثة أنفس وكان الحسن إذا
قرأها قال يا ابن آدم أنصفك والله من جعلك حسيب نفسك أي كل نفس حاملة وزرا فإنما تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى
وما كنا معذبين وما صح منا صحة تدعو إليها الحكمة أن نعذب قوما إلا بعد أن نبعث إليهم رسولا فتلزمهم الحجة فإن قلت
الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل لأن معهم أدلة العقل التي بها يعرف الله وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم
العذاب لإغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لإغفال الشرائع التي لا سبيل إليها إلا بالتوقيف والعمل بها لا يصح إلا بعد الإيمان
قلت بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر والإيقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين فلولا بعثت إلينا
رسولا ينبهنا على النظر في أدلة العقل وإذا أردنا وإذا دنا وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان إمهالهم إلا قليل
أمرناهم ففسقوا أي أمرناهم بالفسق ففعلوا والأمر مجاز لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون
فبقي أن يكون مجازا ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات فكأنهم مأمورون
بذلك لتسبب إيلاء النعمة فيه وإنما خولهم إياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الإحسان والبر كما خلقهم أصحاء
أقوياء وأقدرهم على الخير والشر وطلب منهم إيثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول
وهو كلمة العذاب فدمرهم فإن قلت هلا زعمت أن معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا قلت لأن حذف ما لا دليل
عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك أن المأمور به إنما حذف لأن ففسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض
يقال أمرته فقام وأمرته فقرأ لا يفهم منه إلا أن المأمور به قيام أو قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب

ولا يلزم هذا قولهم أمرته فعصاني او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مامورا به فكان محالا ان
يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المامور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره
مامورا به وكانه يقول كان مني امر فلم تكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويامر وينهى غير قاصد الى مفعول فان
قلت هلا كان ثبوت العلم بان الله تعالى لا يامر بالفحشاء وانما يامر بالقسط والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير
ففسقوا قلت لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار خلافه فكان صرف الامر
الى المجاز هو الوجه ونظير امرنا شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لاحسن اليك ولو
شاء لاساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما اظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه
المشيئة انه من اهل الاحسان او من اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال صاحب
المشيئة لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فامر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي
الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اي كثيرة النتاج وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلعم
اني ارى امرك هذا حقيرا فقال صلعم انه سيامر اي سيكثر وسيكبر وقرئ آمرنا من امر وامره غيره وآمرنا بمعنى
امرنا او من امر امارة وامره الله اي جعلناهم امراء وسلطناهم ﴿كم﴾ مفعول اهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له
كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله تعالى وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا على ان
الذنوب هي اسباب الهلكة لا غير وانه عالم بها فمعاقب عليها ﴿من كان يريد العاجلة﴾ فهمه ولم يرد غيرها كالكفرة واكثر
الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الامر بقيدين احدهما تقييد المعجل بمشيئته والثاني تقييد المعجل له
بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد
حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الاخرة واما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الاخرة فما يبالي اوتي
حظا من الدنيا او لم يؤت فان اوتي فبها والا فربما كان الفقر خيرا له واعون على مراده وقوله تعالى لمن نريد بدل من له
بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة وقرئ يشاء وقيل الضمير لله عز وجل فلا فرق اذن بين
القراءتين في المعنى ويجوز ان يكون للعبد على ان للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك وقيل
هو من يريد الدنيا بعمل الاخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امراة يتزوجها
فهجرته الى ما هاجر اليه ﴿مدحورا﴾ مطرودا من رحمة الله تعالى ﴿سعيها﴾ حقها من السعي وكفاءها من الاعمال
الصالحة اشترط ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الاخرة بان يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما
كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت

ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية وشكر الله الثواب على الطاعة ﴿كلا﴾ كل واحد من الفريقين والتنوين عوض
من المضاف اليه ﴿نمد هؤلاء﴾ نزيدهم من عطايانا ونجعل الآنف منه مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا
على وجه التفضل ﴿وما كان عطاء ربك﴾ وفضله ﴿محظورا﴾ اي ممنوعا لا يمنعه من عاص لعصيانه ﴿انظر﴾ بعين الاعتبار
كيف جعلناهم متفاوتين في التفضل وفي الاخرة التفاوت اكبر لانها ثواب واعواض وتفضل وكلها متفاوتة وروي
ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل
بن عمرو انما اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا الى الاسلام فاسرعوا وابطانا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الاخرة ولئن
حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر وقرئ اكثر تفضيلا وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس
الدنيا اما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الاخرة وهي اكبر وافضل ﴿فتقعد﴾ من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت
كانها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من الهك والخذلان والعجز عن النصرة
ممن جعلته شريكا له ﴿وقضى ربك﴾ وامر امرا مقطوعا به ﴿ان لا تعبدوا﴾ ان مفسرة ولا تعبدوا نهي او بان لا تعبدوا ﴿وبالوالدين
احسانا﴾ واحسنوا بالوالدين احسانا او بان تحسنوا بالوالدين احسانا وقرئ ووصى وعن ابن عباس رضي الله عنه ووصى وعن بعض
ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك ولا يجوز ان تتعلق الباء في قوله بالوالدين بالاحسان لان المصدر لا يتقدم عليه صلته ﴿اما﴾
هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان
تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه واحدهما فاعل يبلغن وهو فيمن قرا يبلغان بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما
عطف على احدهما فاعلا وبدلا فان قلت لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فما لك زعمت انه بدل
قلت لانه معطوف على ما لا يصح ان يكون مؤكدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان يكون مثله فان قلت ما
ضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل قلت لو اريد توكيد التثنية لقيل
كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول ﴿اف﴾ صوت يدل على تضجر وقرئ اف
بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على اصل البناء والفتح تخفيف للضمة والتشديد والضم اتباع كمنذ فان قلت
ما معنى عندك قلت هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك اشق
عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة فهو مامور بان يستعمل معهما وطاءة الخلق
ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما اذا اضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مؤنهما اف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ
سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في
مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع احوال لا يكاد يدخل صبر
الانسان معها في الاستطاعة ﴿ولا تنهرهما﴾ ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر والنهم اخوات ﴿وقل لهما﴾

بذل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا كما يقتضيه حسن الأدب والنزول على المروءة وقيل هو أن يقول يا أبتاه يا أماه
كما قال إبراهيم عليه السلام لأبيه يا أبت مع كفره ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفاء وسوء الأدب وعادة الدعار قالوا ولا بأس
به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني أبو بكر كذا وقرئ جناح الذل والذل بالضم والكسر فإن قلت
ما معنى قوله جناح الذل قلت فيه وجهان أحدهما أن يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال تعالى واخفض
جناحك للمؤمنين فأضافه إلى الذل أو الذل كما أضيف حاتم إلى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل أو الذلول والثاني
أن تجعل لذله أو لذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما من
الرحمة من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما إلى من كان أفقر خلق الله تعالى إليهما بالأمس ولا تكتف برحمتك
عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بأن يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك فإن قلت
الاسترحام لهما إنما يجوز إذا كانا مسلمين قلت وإذا كانا كافرين فله أن يسترحم لهما بشرط الإيمان وأن يدعو الله لهما بالهداية
والإرشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل إليه
ولا شيء أنفع له من الاستغفار ولو كان شيء أفضل منه لأمركم به في الأبوين ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين وعن
النبي عليه السلام رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما شاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق
ما شاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب أن البار لا يموت ميتة السوء وقال رجل لرسول الله صلعم إن أبوي
بلغا من الكبر أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك
وأنت تريد موتهما وشكى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أباه وأنه يأخذ ماله فدعا به فإذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله
فقال إنه كان ضعيفا وأنا قوي وفقيرا وأنا غني فكنت لا أمنعه شيئا من مالي واليوم أنا ضعيف وهو قوي وأنا فقير وهو غني
ويبخل علي بماله فبكى عليه السلام وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى ثم قال للولد أنت ومالك لأبيك أنت ومالك لأبيك وشكا
إليه آخر سوء خلق أمه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر قال إنها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أرضعتك
حولين قال إنها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين أسهرت لك ليلها وأظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها
على عاتقي قال ما جزيتها ولو طلقة وعن ابن عمر رضه أنه رأى رجلا في الطواف يحمل أمه ويقول إني لها مطية لا تذعر
إذا الركاب نفرت لا تنفر ما حملت وأرضعتني أكثر الله ربي ذو الجلال الأكبر تظنني جزيتها يا ابن عمر قال
لا ولو زفرة واحدة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم وعقوق الوالدين فإن الجنة يوجد ريحها من مسيرة ألف عام
ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار إزاره خيلاء إن الكبرياء لله تعالى وقال الفقهاء لا يذهب بأبيه إلى
البيعة وإذا بعث إليه منها ليحمله لم يفعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الإناء منه إذا شربها وعن أبي يوسف إذا أمره أن يوقد تحت
قدره وفيها لحم الخنزير أوقد وعن حذيفة رضه أنه استأذن رسول الله صلعم في قتل أبيه وهو في صف المشركين فقال دعه يليه

غيرك وسئل الفضيل بن عياض رحمة الله عليه عن بر الوالدين فقال أن لا تقوم إلى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال أن
لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا إليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما
إذا ماتا وتقوم بخدمة أودائهما من بعدهما فعن النبي عليه السلام إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بما في نفوسكم
بما في ضمائركم من قصد البر إلى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير إن تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر
ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر ما لا يخلو منه البشر أو لحمية الإسلام هنة تؤدي إلى أذاهما ثم
أبتم إلى الله تعالى واستغفرتم منها فإن الله غفور للأوابين للتوابين وعن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون من الرجل
إلى أبيه لا يريد بذلك إلا الخير وعن سعيد بن المسيب الأواب الرجل كلما أذنب بادر بالتوبة ويجوز أن يكون هذا عاما لكل
من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على أبويه التائب من جنايته لوروده على أثره وآت
ذا القربى وصى بغير الوالدين من الأقارب بعد التوصية بهما وأن يؤتوا حقهم وحقهم إذا كانوا محارم كالأبوين والولد فقراء
عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا أن ينفق عليهم عند أبي حنيفة والشافعي رضي الله عنهما لا يرى النفقة إلا على الولد
والوالدين فحسب وإن كانوا مياسير أو لم يكونوا محارم كأبناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة
على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك والمسكين وابن السبيل يعني وآت هؤلاء حقهم من الزكاة وهذا دليل على أن المراد
بما يؤتى ذوي القرابة من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل أراد بذي القربى أقرباء رسول الله صلعم التبذير تفريق المال فيما لا
ينبغي وإنفاقه على وجه الإسراف وكانت الجاهلية تنحر إبلها وتتياسر عليها وتبذر أموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في
أشعارها فأمر الله تعالى بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله هو إنفاق المال في غير حقه وعن مجاهد
لو أنفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير
وعن عبد الله بن عمر رضه مر رسول الله صلعم بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال أوفي الوضوء سرف قال نعم
وإن كنت على نهر جار إخوان الشياطين أمثالهم في الشرارة وهو غاية المذمة لأنه لا شر من الشيطان أو هم إخوانهم وأصدقاؤهم
لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف أو هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا فما
ينبغي أن يطاع فإنه لا يدعو إلا إلى مثل فعله وقرأ الحسن رحمه الله إخوان الشيطان وإن أعرضت عن ذي القربى
والمسكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين إذا سألوك فكان النبي عليه السلام إذا سئل شيئا
وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء وقوله تعالى ابتغاء رحمة من ربك إما أن يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه أي
فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك أي ابتغ رحمة الله التي
ترجوها برحمتك عليهم وإما أن يتعلق بالشرط أي وإن أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك فسمي الرزق
رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لأن فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا

موضع المسبَّب موضع السبب ويجوز ان يكون معنى وإما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة
ولا تريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل
ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم ييسّر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذا
ميسور وهو اليسر اي دعاء فيه يسر هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امرا بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير
فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله تعالى لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني
ويقول المستغني ما يحسن تدبير امر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت محسورا منقطعا بك لا شيء عندك
من حسره السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسألة وعن جابر رضي الله عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اتاه صبي فقال ان
امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلوة
وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصين فجاء عباس بن مرداس وانشا يقول
اتجعل نهبي ونهب العبيد * بين عيينة والاقرع * وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في مجمع * وما كنت دون امرئ منهما
ومن تضع اليوم لا يرفع فقال صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلت ثم سلّى رسول الله صلعم
بما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيئته في بسط الارزاق وقدرها
تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز ان يريد ان البسط والقبض انما هما من امر الله الذي الخزائن في يده فاما العبيد فعليهم ان
يقتصدوا ويحتمل ان الله عز وعلا يبسط لعباده او يقبض فانه يراعي اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض
عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته * قتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة وهي الاملاق

ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا

فنهاهم الله تعالى وضمن لهم ارزاقهم وقرئ خشية بكسر الخاء وقرئ خطاء وهو الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وخطاء
وهو ضد الصواب اسم من اخطأ وقيل هو والخطأ كالحذر والحذر وخطاء بالكسر والمد وخطاء بالفتح والمد وخطأ بالفتح
والسكون وعن الحسن خطا بالفتح وحذف الهمزة كالخبء وعن ابي رجاء بكسر الخاء غير مهموز فاحشة قبيحة زائدة
على حد القبح وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو ان يغصب على غيره امرأته او اخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن
وهو الصهر الذي شرعه الله تعالى * الا بالحق الا باحدى ثلث الا ان تكفر او تقتل مؤمنا عمدا او تزني بعد احصان

ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا

مظلوما غير راكب واحدة منهن لوليه للذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه
سلطانا تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه او حجة يثبت بها عليه فلا يسرف الضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين
والقاتل واحد كعادة الجاهلية كانوا اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن عباد
بؤ بشسع نعل كليب وقال * كل قتيل في كليب غرة * حتى ينال القتل آل مرة * وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء
وقيل الاسراف المثلة وقرأ ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة ليست في الامر

وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولي او قاتل المظلوم وفي قراءة ابي فلا تسرفوا ردّه على
ولا تقتلوا انه كان منصورا الضمير اما للولي يعني حسبه ان الله تعالى قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد
على ذلك وبان الله تعالى قد نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم
لان الله تعالى ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف
في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف * بالتي هي احسن بالخصلة او الطريقة التي هي احسن وهي حفظه
عليه وتثميره * ان العهد كان مسؤلا اي مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال
للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤلا
* قرئ بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغير او كبير من موازين الدراهم وغيرها * واحسن
تاويلا واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول اليه * ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا
اثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده
فهو ضال والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته
من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورايته
يفعل وسمعته ولم تره ولم تسمع وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة
الخبال حتى ياتي بالمخرج وانشد * ومثل الدمى شم العرانين ساكن * بهن الحياء لا يشعن التقافيا * اي التقاذف وقال
الكميت * ولا ارمي البريء بغير ذنب * ولا اقفو الحواصن ان قفينا * وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من
العلم فقد اقام الشرع غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل اولئك اشارة الى السمع والبصر والفؤاد كقوله * والعيش
بعد اولئك الايام * وعنه في موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد منها كان مسؤلا عنه مسؤل مسند الى الجار والمجرور
كالمغضوب في قوله تعالى غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك
النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه وقرئ والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في
الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتح * مرحا حال اي ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل
لما فيه من التاكيد * لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطئك وقرئ لن تخرق بضم الراء * ولن
تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال * قرئ سيئة وسيئه على اضافة سيّ الى ضمير كل وسيئا وفي بعض المصاحف
سيئاته وفي قراءة ابي بكر الصديق رضي الله عنه كان شانه * فان قلت كيف قيل سيئة مع قوله مكروها قلت
السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتانيثه ولا فرق بين من قرأ سيئة وسيئا
الا ترى انك تقول الزنى سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومؤنث فان قلت فاذكر

من الخصال بعضها سيئ وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالإضافة فما وجه من قرأ سيئة قلت كل ذلك إحاطة
بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة ذلك إشارة إلى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله إلها آخر إلى هذه الغاية وسماه
حكمة لأنه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها
لا تجعل مع الله إلها آخر قال الله تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التوراة ولقد جعل الله
عز وعلا فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لأن التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه حكمه وعلومه
وإن بذّ فيها الحكماء وحكّ بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم أفأصفاكم
خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للإنكار يعني أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون
لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ أدونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فإن العبيد لا
يؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها من الشوب ويكون أرداها وأدونها للسادات إنكم لتقولون قولا عظيما بإضافتكم إليه
الأولاد وهي خاصة بالأجسام ثم بأنكم تفضلون عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بأن تجعلوا الملائكة وهم أعلى خلق الله
وأشرفهم أدون خلق الله وهم الإناث ولقد صرفنا في هذا القرآن يجوز أن يريد بهذا القرآن إبطال إضافتهم إلى الله تعالى
البنات لأنه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى أو أوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا
للتكرير ويجوز أن يشير بهذا القرآن إلى التنزيل ويريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير
لأنه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك ليذكروا وقرئ ليذكروا مشددا ومخففا أي كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا إلى
ما يحتج به عليهم وما يزيدهم إلا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة إليه وعن سفيان رحمة الله عليه كان إذا قرأها قال زادني
لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا كما تقولون بالياء والتاء وإذن دالة على أن ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة
المشركين وجزاء للو ومعنى لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا لطلبوا إلى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل
الملوك بعضهم مع بعض كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقيل لتقربوا إليه كقوله تعالى أولئك الذين يدعون
يبتغون إلى ربهم الوسيلة علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة عن ذلك والنزاهة ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة
في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به المراد أنها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكأنها
تنطق بذلك وكأنها تنزه الله تعالى مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها فإن قلت فما تصنع بقوله تعالى ولكن لا تفقهون
تسبيحهم وهذا التسبيح مفقوه معلوم قلت الخطاب للمشركين وهم وإن كانوا إذا سئلوا عن خالق السماوات والأرض
قالوا الله إلا أنهم لما جعلوا معه آلهة مع إقرارهم فكأنهم لم ينظروا ولم يقروا لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت
خلاف ما كانوا عليه فإذن لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق فإن قلت من فيهن يسبحون
على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السماوات والأرض فما وجهه قلت التسبيح المجازي حاصل

في الجميع فوجب الحمل عليه وإلا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز إنه كان حليما غفورا حين
لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم حجابا مستورا ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو إفعام وقيل
هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز أن يراد أنه حجاب من دونه حجاب أو حجب فهو مستور بغيره أو حجاب يستر أن يبصر فكيف
يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب
كأنه قال وإذا قرأت القرآن جعلنا على زعمهم أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه أو لأن قوله تعالى وجعلنا على قلوبهم أكنة فيه
معنى المنع من الفقه فكأنه قيل ومنعناهم أن يفقهوه يقال وحده يحده وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة ووحده من
باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في أنه مصدر ساد مسد الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده والنفور
مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعد وقعود أي يحبون أن تذكر معه آلهتهم لأنهم مشركون فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا
بما يستمعون به من الهزء بك وبالقرآن ومن اللغو كان يقوم عن يمينه إذا قرأ رجلان من عبد الدار ورجلان
منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار وبه في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزء أي هازئين
وإذ يستمعون نصب بأعلم أي أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون وإذ هم نجوى وبما يتناجون به إذ هم ذوو نجوى
إذ يقول بدل من إذ هم مسحورا سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة أي هو بشر مثلكم ضربوا لك الأمثال مثلوك
بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في أمره
لا يدري ما يصنع لما قالوا أئذا كنا عظاما قيل لهم كونوا حجارة أو حديدا فرد قوله كونوا على قولهم كنا كأنه قيل كونوا حجارة
أو حديدا ولا تكونوا عظاما فإنه يقدر على إحيائكم والمعنى أنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ويرده إلى حال الحياة وإلى
رطوبة الحي وغضاضته بعد ما كنتم عظاما يابسة مع أن العظام بعض أجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبني
عليه سائره فليس ببدع أن يردها الله بقدرته إلى حالتها الأولى ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحياة ومن رطوبة الحي
ومن جنس ما ركب منه البشر وهو أن تكونوا حجارة يابسة أو حديدا مع أن طباعها الجساوة والصلابة لكان قادرا على
أن يردكم إلى حال الحياة أو خلقا مما يكبر في صدوركم يعني أو خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحياة ويعظم في زعمكم
على الخالق إحياؤه فإنه يحييه وقيل ما يكبر في صدورهم الموت وقيل السماوات والأرض فسينغضون فسيحركونها
نحوك تعجبا واستهزاء والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون
وقوله بحمده حال منهم أي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويتمنع
ستركبه وأنت حامد شاكر يعني أنك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى أنك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد
بن جبير ينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وتظنون وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم
في الدنيا وتحسبونها يوما أو بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا في أنفسهم حين عاينوا الآخرة وقل لعبادي وقل

المؤمنين يقولوا للمشركين الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوهم كقوله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن وفسر التي هي
احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار
وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله تعالى ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض يعني يلقي بينهم
الفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة وما ارسلناك عليهم وكيلا اي ربا موكولا اليك امرهم تقسرهم
على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة وذلك
قبل نزول اية السيف وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فامره الله تعالى بالعفو وقيل افرط ايذاء المشركين المسلمين
فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وقرأ طلحة ينزغ
بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون هو رد على اهل مكة في انكارهم واستبعادهم ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون
العراة الجوع اصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون ان يكون ذلك في بعض اكابرهم وصناديدهم يعني وربك اعلم
بمن في السموات والارض وباحوالهم وبمقاديرهم وبما يستأهل كل واحد منهم وقوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة
الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وان امته
خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود عليه السلام قال الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون
وهم محمد عليه السلام وامته فان قلت هلا عرف الزبور كما عرف في قوله ولقد كتبنا في الزبور قلت يجوز ان يكون
الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد وآتينا داود بعض الزبر وهي الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الزبور فسمى ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمى بعض القرآن قرآنا هم الملائكة وقيل عيسى بن مريم
وعزير صلوات الله عليهما وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اي ادعوهم فهم
لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى آخر او يبدلوه والذين
يدعون صفة ويبتغون خبر يعني ان الهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله تعالى وايهم بدل من واو
يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة الى الله تعالى فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون الوسيلة
معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم اقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم
من عباد الله تعالى فكيف يزعمون انهم الهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبي مرسل
فضلا عن غيرهم مهلكوها بالموت والاستيصال او معذبوها بالقتل وانواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة
والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة
بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا
في الكتاب في اللوح المحفوظ استعير المنع لترك ارسال الآيات من اجل صارف الحكمة وان الاولى منصوبة والثانية

مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال الآيات الا تكذيب الاولين والمراد الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا
ومن احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله في الامم ان من اقترح منهم آية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب
الاستيصال فالمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على
قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا
العذاب المستأصل وقد عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيمة ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الاولون
ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح عليه السلام لان آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها
صادرهم وواردهم مبصرة بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم فظلموا بها فكفروا بها وما نرسل بالآيات ان اراد بها الآيات
المقترحة فالمعنى لا نرسلها الا تخويفا من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان
اراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة
واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك
قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كان قد كان ووجد فقال احاط
بالناس على عادته في اخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش مع ابي بكر رضي الله عنه كان يدعو
ويقول اللهم اني اسألك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر
ولعل الله تعالى اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي
الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر
بدر وما اري في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله تعالى
ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر
وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما انكروا ان يجعل الله تعالى الشجرة من جنس لا تأكله النار فهذا وبر السمندل وهو
دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار
وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحمر كالجمر باحماء النار فلا تضرها ثم اقرب من ذلك انه خلق في كل شجرة نارا فلا تحرقها
فما انكروا ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الآيات انما يرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب
الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما اريناك منه في منامك بعد الوحي اليك الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا
بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال ونخوفهم اي ونخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة فما يزيدهم التخويف الا
طغيانا كبيرا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي الاسراء وبه تعلق من يقول كان
الاسراء في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها

ذريّاتهما وخيال خيل الملك استبعاداً منهم كما سمّى انساناً باسميهما عند الفرق نحو قوله تعالى فراح الى الجنتم ابن شرّ كأنّي ذق
إنك أنت العزيز الكريم وقيل هي رؤياه أنه سيدخل مكة وقيل رأى في المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان
الكرة فإن قلت ـــ أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن قلت ـــ لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة
والظلمة لأن الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وإنما وصفت باللعن لأصحابها على المجاز وقيل وصفها الله تعالى
باللعن لأن اللعن الإبعاد من الرحمة وهي في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار
ملعون وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس رضي الله عنه هي الكشوث الذي يتلوى بالشجر يجعل
في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل أبو جهل وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على أنها مبتدأ محذوف الخبر كأنه قيل والشجرة
الملعونة في القرآن كذلك ـــ طيناً حال إما من الموصول والعامل فيه أسجد على أأسجد له وهو طين أي أصله طين أو من
الراجع إليه من الصلة على أأسجد لمن كان في وقت خلقه طيناً ـــ أرأيتك الكاف للخطاب وهذا مفعول به والمعنى أخبرني عن
هذا الذي كرمته علي أي فضلته لم كرمته علي وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال لئن أخرتني واللام
موطئة للقسم المحذوف ـــ لأحتنكن ذريته لأستأصلنهم بالإغواء من احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلاً وهو من الحنك
ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم أحنك الشاتين أي آكلهما فإن قلت ـــ من أين علم أن ذلك يتسهل له وهو من الغيب قلت ـــ
إما أن سمعه من الملائكة صلوات الله عليهم وقد أخبرهم الله به أو خرّجه من قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها أو نظر إليه فتوسم
في مخايله أنه خلق شهواني وقيل قال ذلك لما عملت وسوسته في آدم عليه السلام والظاهر أنه قال ذلك قبل أكل آدم من الشجرة
اذهب ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء وإنما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذلاناً وتخلية وعقبه بذكر ما جرّه
سوء اختياره في قوله تعالى فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم كما قال موسى عليه السلام للسامري فاذهب فإن لك في الحياة أن
تقول لا مساس فإن قلت ـــ أما كان من حق الضمير في الجزاء أن يكون على لفظ الغيبة ليرجع إلى من تبعك قلت ـــ
بلى ولكن التقدير فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم ويجوز أن يكون للتابعين على
طريقة الالتفات وانتصب جزاءً موفوراً بما في فإن جهنم جزاؤكم من معنى تجازون أو بإضمار تجازون أو على الحال لأن
الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فِر لصاحبك عرضه فرة ـــ استفزز استخفف والفز الخفيف ـــ وأجلب
من الجلبة وهو الصياح والخيل الخيالة ومنه قول النبي عليه السلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب
والصحب وقرئ ورجلك على أن فعلاً بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه أيضاً فيكون
مثل حدث وحدث وندس وندس وأخوات لهما يقال رجل رجل وقرئ ورجالك ورجالك فإن قلت ـــ ما معنى
استفزاز إبليس بصوته وإجلابه بخيله ورجله قلت ـــ هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من
يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوّت بهم صوتاً يستفزهم من أماكنهم ويقلقلهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة

ورجالته حتى استأصلهم وقيل بصوته بدعائه إلى الشر وبخيله ورجله كل راكب وماش من أهل العبث وقيل يجوز
أن يكون لإبليس خيل ورجال ـــ وأما المشاركة في الأموال والأولاد فكل معصية يحملهم عليها في بابهما كالربا والمكاسب
المحرمة والبحيرة والسائبة والإنفاق في الفسوق والإسراف ومنع الزكاة والتوصل إلى الأولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد
بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحارث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والأعمال المحظورة وغير ذلك
ووعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله تعالى بالأنساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب
بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من النار بعد أن يصيروا حمماً وإيثار العاجل على الآجل
إن عبادي يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان أي لا تقدر أن تغويهم ـــ وكفى بربك وكيلاً لهم يتوكلون به في الاستعاذة
منك ونحوه قوله تعالى إلا عبادك منهم المخلصين فإن قلت ـــ كيف جاز أن يأمر الله تعالى إبليس بأن يتسلط على
عباده مغوياً مضلاً داعياً إلى الشر صاداً عن الخير قلت ـــ هو من الأوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية
كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم ـــ يزجي يجري ويسير ـــ والضر خوف الغرق ـــ ضل من تدعون إلا إياه ذهب عن أوهامكم
وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك الوقت ولا تعتقدون برحمته
نجاتكم ولا تخطرون ببالكم أن غيره يقدر على إغاثتكم أو لم يهتد لإنقاذكم أحد غيره من سائر المدعوين ويجوز أن يراد
ضل من تدعون من الآلهة عن إغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع ـــ أفأمنتم الهمزة
للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض فإن قلت ـــ بم انتصب جانب
البر قلت ـــ بنخسف مفعولاً به كالأرض في قوله تعالى فخسفنا به وبداره الأرض وبكم حال والمعنى أن نخسف جانب
البر أي نقلبه وأنتم عليه فإن قلت ـــ فما معنى ذكر الجانب قلت ـــ معناه أن الجوانب والجهات كلها في
قدرته سواء وله في كل جانب براً كان أو بحراً سبب مرصد من أسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصاً بذلك بل إن
كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لأنه تغييب تحت التراب كما أن الغرق تغييب تحت
الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل أن يستوي خوفه من الله تعالى في جميع الجوانب
وحيث كان ـــ أو يرسل عليكم حاصباً وهي الريح التي تحصب أي ترمي بالحصباء يعني إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف
أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون أشد عليكم من الغرق في البحر وكيلاً من يتوكل
بصرف ذلك عنكم ـــ أم أمنتم أن يقويكم دواعيكم ويوفر حاجتكم إلى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذي نجاكم منه فأعرضتم
فينتقم منكم بأن يرسل عليكم قاصفاً وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف أي تتكسر وقيل التي
لا تمر بشيء إلا قصفته ـــ فيغرقكم وقرئ بالتاء أي الريح وبالنون وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم قرئت بالياء والنون
التبيع المطالب من قوله عز وجل فاتباع بالمعروف أي مطالبة قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع يقال فلان على فلان

تبيعا اي مسيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجدوا احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله تعالى ولا يخاف عقباها بما كفرتم بكفرانكم النعمة يريد اعراضهم حين نجاهم

قيل في تكرمة ابن آدم كرمه الله تعالى بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شيء يأكل بفيه الا ابن آدم وعن الرشيد رحمه الله انه احضر طعاما فدعي بالملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم اصابع يأكلون بها فاحضرت الملاعق فردها واكل باصابعه على كثير ممن خلقنا هو ما سوى الملائكة صلوات الله عليهم وحسب بني آدم تفضيلا ان ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله تعالى منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله تعالى امرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا اين اسكنهم وانى قربهم وكيف نزلهم من انبيائه منزلة انبيائه من اممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى ان لفقوا اقوالا واخبارا منها قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ورووا عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال المؤمن اكرم على الله تعالى من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم انهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على ان معنى قولهم على جميع ممن خلقنا اشجى لحلوقهم واقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تمحلهم وتشبثهم بالتأويلات البعيدة في عداوة الملأ الاعلى كأن جبريل عليه السلام غاظهم حين اهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم قرئ يدعو بالياء والنون ويدعى كل اناس على البناء للمفعول وقرأ الحسن يدعو كل اناس على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو والظرف نصب باضمار اذكر ويجوز ان يقال انها علامة الجمع كما في واسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لانها غير ضمير ليست الا علامة بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا وكتاب كذا وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير وفي قراءة الحسن رحمه الله بكتابهم ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيمة بامهاتهم وان الحكمة في الدعاء بالامهات دون الآباء رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين رضي الله عنهما وان لا يفتضح اولاد الزنى وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه ام بهاء حكمته فمن اوتي من هؤلاء المدعوين كتابه بيمينه فاولئك يقرءون كتابهم كأن اصحاب الشمال لا يقرءون كتابهم قلت بلى ولكن اذا اطلعوا على ما في كتابهم اخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه امام التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكأن قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين فامرهم على عكس ذلك لا جرم انهم يقرءون كتابهم احسن قراءة وابينها

فلا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم اقرءوا كتابيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شيء كقوله ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما معناه من كان في الدنيا اعمى فهو في الآخرة اعمى كذلك واضل سبيلا من الاعمى والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة اما في الدنيا فلفقد النظر واما في الآخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك اعمالكم واما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت الفه واقعة في الطرف معرضة للامالة روي ان ثقيفا قالت للنبي صلعم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند رأس الحول وان تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله تعالى امرني به وجاءوا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عمر بن الخطاب رضه فسل سيفه وقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلم اياك انما نكلم محمدا فنزلت وروي ان قريشا قالوا له اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت وان كادوا ليفتنونك ان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشأن قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا لتتقول علينا ما لم نقل يعني ما ارادوه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من ان تضيف الى الله تعالى ما لم ينزل عليه واذا لاتخذوك اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا لقد كدت تركن اليهم لقاربت ان تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله تعالى وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين اذا لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اي لاذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين فان قلت كيف حقيقة هذا الكلام قلت اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حيوة الآخرة وهو عذاب النار والضعف يوصف به نحو قوله تعالى فآتهم عذابا ضعفا من النار بمعنى مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات ويجوز ان يراد بضعف الحيوة عذاب الحيوة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف

في الدارين دليل بيّن على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل
والتوحيد نسبة المجبرة القبائح الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على أن أدنى مداهنة للغواة مضادة لله تعالى
وخروج من ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا هذه الآية أن يجثو عندها ويتدبرها فهي جديرة
بالتدبر وبأن يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله تعالى وعن النبي عليه السلام أنها لما نزلت كان يقول اللهم
لا تكلني الى نفسي طرفة عين ٭ وإن كادوا وإن كاد أهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم وليخرجوك من الأرض من
أرض مكة وإذن لا يلبثون لا يبقون بعد إخراجك إلا زمانا قليلا فإن الله تعالى مهلكهم وكان كما قال فقد أهلكوا ببدر بعد إخراجه
بقليل وقيل معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم ولم يخرجوه بل هاجر بأمر ربه وقيل من أرض العرب وقيل من أرض
المدينة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا أبا القسم
إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر إبرهيم عليه السلام فلو خرجت الى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا
أنه لا يمنعك من الخروج إلا خوف الروم فإن كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميال من
المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين
الله فنزلت فرجع وقرئ لا يلبثون وفي قراءة أبي لا يلبثوا على إعمال إذن فإن قلت ما وجه القراءتين قلت
أما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم وأما قراءة أبي ففيها الجملة برأسها
التي هي إذن لا يلبثوا عطف على جملة قوله تعالى وإن كادوا ليستفزونك وقرئ خلافك قال عفت الديار خلافهم فكأنما
بسط الشواطب بينهن حصيرا أي بعدهم ٭ سنة من قد أرسلنا يعني أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله تعالى
أن يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد أي سن الله ذلك سنة ٭ دلكت الشمس غربت وقيل زالت وروي عن
النبي عليه السلام أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لأن الإنسان يدلك عينه
عند النظر اليها فإن كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وإن كان الغروب فقد خرجت منها الظهر
والعصر والغسق الظلمة وهو وقت صلوة العشاء وقرآن الفجر صلوة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لأنها ركن كما سميت
ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة على ابن علية والأصم في زعمهما أن القراءة ليست بركن مشهودا تشهده ملائكة الليل والنهار
ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار أو تشهده الكثير من المصلين في العادة أو من حقه
أن يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز أن يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلوة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس
القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر أطول الصلوات قراءة ٭ ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به والتهجد
ترك الهجود للصلوة ونحوه التأثم والتحرج ويقال أيضا في النوم تهجد نافلة لك عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس
وضع نافلة موضع تهجدا لأن التهجد عبادة زائدة فكأن التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى أن التهجد زيد لك على

أقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا

الزعم بالاعتقاد والزعم باللسان

الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لأنه تطوع لهم مقاما محمودا نصب على الظرف أي عسى أن يبعثك يوم
القيمة فيقيمك مقاما محمودا أو ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز أن يكون حالا بمعنى أن يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود
المقام الذي يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة
وهو نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما مقاما يحمدك فيه الأولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسل
فتعطى وتشفع فتشفع ليس أحد إلا تحت لوائك وعن أبي هريرة رضه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المقام الذي أشفع فيه
لأمتي وعن حذيفة رضه يجمع الناس في صعيد فلا تكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر
ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت
قال فهذا قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا وقرئ مدخل ومخرج بالفتح والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح
أدخلني فأدخل مدخل صدق أي أدخلني القبر مدخل صدق إدخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات وأخرجني منه
عند البعث إخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على أثر ذكر البعث وقيل نزلت حين أمر بالهجرة
يريد إدخال المدينة والإخراج من مكة وقيل إدخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح وإخراجه منها آمنا من المشركين وقيل إدخاله
الغار وإخراجه منه سالما وقيل إدخاله فيما حمله من عظيم الأمر وهو النبوة وإخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير
تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان سلطانا حجة تنصرني على من خالفني
أو ملكا وعزا قويا ناصرا للإسلام على الكفر مظهرا له عليه فأجيبت دعوته بقوله تعالى والله يعصمك من الناس ألا إن
حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الأرض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على أهل الله تعالى فكان
شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلوة في جماعة إلا ضربت عنقه فإنه لا يتخلف
عن الصلوة إلا منافق فقال أهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على أهل الله تعالى عتاب بن أسيد أعرابيا جافيا فقال عليه السلام
إني رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها
فأعز الله تعالى به الإسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير ٭ كان حول البيت
ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت لقبائل العرب يحجون اليها وينحرون لها
فشكى البيت الى الله تعالى فقال أي رب حتى متى تعبد هذه الأصنام حولي دونك فأوحى الله تعالى الى البيت أني سأحدث
لك توبة جديدة فأملأك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك
بالتلبية ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم ألقها فجعل يأتي صنما

قال اليوم رجاله أي ... وأعطي كل واحد ...

صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم
خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره
فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا رجلا اسحر من محمد ونشأة البيت والوحي تمثيل وتخييل وزهق الباطل وذهب
وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت والحق الاسلام والباطل الشرك كان زهوقا كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت
وننزل قرئ بالتخفيف والتشديد من القرآن من للتبيين كقوله تعالى من الاوثان او للتبعيض اي كل شيء نزل من القرآن
فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزيد به الكافرون الا خسارا اي نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم كقوله تعالى فزادتهم
رجسا الى رجسهم ۞ واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله تعالى كانه مستغن عنه مستبد
بنفسه ونأى بجانبه تأكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه
ويوليه ظهره او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المتكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل
كان يؤسا شديد اليأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على
العين لقولهم راء في رأى ويجوز ان يكون ناء بمعنى نهض قل كل احد يعمل على شاكلته اي على مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله
في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تتشعب منه والدليل عليه قوله تعالى فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا
اي اسد مذهبا وطريقة ۞ الاكثر على انه الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله تعالى اي
مما استأثر بعلمه وعن ابي بريدة لقد مضى النبي عليه السلام وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل
جبريل عليه السلام وقيل القرآن ومن امر ربي اي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود الى قريش ان سلوه عن
اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي
فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية فندموا على سؤالهم وما اوتيتم الخطاب عام وروي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم تؤتوا من العلم
الا قليلا فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما
في الارض من شجرة اقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف الشيء بالقلة مضافا الى ما
فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها العبد خير كثير في نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله تعالى فهي
قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي عليه السلام قد اوتينا التورية وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التورية قليل في جنب علم الله تعالى لنذهبن جواب قسم محذوف مع

نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف
فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده واعادته
محفوظا مسطورا الا رحمة من ربك الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع
بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة
في تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه
في صدره ومنته عليه في بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة واخر ما تفقدون
الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه
في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع
المصاحف وينزع ما في القلوب ۞ لا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله
لا غائب مالي ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا اي لو تظاهروا على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه وتأليفه
وفيهم العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم ان القرآن قديم مع
اعترافهم بانه معجز وانما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله تعالى قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه
واما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك
لجاز وصف الله تعالى بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان رأس ما لهم
المكابرة وقلب الحقائق ولقد صرفنا رددنا وكررنا من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه والكفور
الجحود فان قلت كيف جاز فابى اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا زيدا قلت لان ابى متأول
بالنفي كانه قيل لم يرضوا الا كفورا ۞ لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات ولزمتهم الحجة
وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتعثر في اذيال الحيرة فقالوا لن نؤمن لك حتى
تفجر تفجر وقرئ تفجر بالتخفيف من الارض يعنون ارض مكة ينبوعا عينا غزيرة من شأنها ان تنبع بالماء لا تنقطع
يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء كما زعمت يعنون قول الله تعالى ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم
كسفا من السماء وقرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحها قبيلا كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى
او تأتي بالله قبيلا والملائكة قبيلا كقوله كنت منه ووالدي بريا واني وقيار بها لغريب او مقابلا كالعشير بمعنى
المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا او جماعة حالا من الملائكة من زخرف من ذهب في السماء في معارج
السماء فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك ولن نؤمن لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا من
السماء فيه تصديقك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال عبد الله بن ابي امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر

حتى تأتينا بهم او تأتي بمعقل بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات
الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال الله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من
السماء فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي
اعظم لم يكن الى تبصرتهم سبيل قل سبحان ربي اي قال الرسول وقرئ قال سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم عليه هل كنت الا
رسولا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله تعالى عليهم من الآيات فليس امر الآيات
اليّ انما هو الى الله تعالى فما بالكم تتخيرونها عليّ ان الاولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له
والهدى الوحي اي وما منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم
ان يرسل الله تعالى البشر والهمزة في ابعث الله للانكار وما انكروه فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل
ملك الوحي الا الى امثاله او الى الانبياء ثم قرر ذلك بانه لو كان في الارض ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا
يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه مطمئنين ساكنين في الارض قارين لنزلنا عليهم من
السماء ملكا رسولا يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم
ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم فان قلت ___ هل يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا قلت
وجه حسن والمعنى له اجوب شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده
المنذرين والمنذرين خبيرا عالما باحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفرة وشهيدا
تمييز او حال ومن يهد الله ومن يوفقه ويلطف به فهو المهتد لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه
ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم اولياء انصارا على وجوههم كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم
عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون
ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ويجوز
ان يحشروا مؤوفي الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم في موضع آخر انهم يقرؤون ويتكلمون
كلما خبت كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كأنهم لما كذبوا بالاعادة
بعد الافناء جعل الله تعالى جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد
ذلك في تحسيرهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم الى قوله أئنا لمبعوثون
خلقا جديدا فان قلت ___ علام عطف قوله تعالى وجعل لهم اجلا قلت ___ على قوله اولم يروا لان المعنى
قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا

مبين كما قال تعالى أأنتم أشد خلقا أم السماء وجعل لهم أجلا لا ريب فيه وهو الموت أو القيامة فأبوا مع وضوح الدليل إلا جحودا
لو حقها أن تدخل على الأفعال دون الأسماء فلا بد من فعل بعدها في لو أنتم تملكون وتقديره لو تملكون تملكون فأضمر تملك إضمارا
على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فأنتم
فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الإعراب فأما ما يقتضيه علم البيان فهو أن أنتم
تملكون فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني
وقول المتلمس ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل المفسر برز الكلام في صورة
المبتدأ والخبر ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل
هو لأهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والأنهار وغيرها وأنهم لو ملكوا خزائن الأرزاق لبخلوا بها قتورا
ضيقا بخيلا فإن قلت هل تقدر لأمسكتم مفعول قلت لا لأن معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك
عن ابن عباس رضي الله عنهما هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه
على بني إسرائيل وعن الحسن رحمه الله الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر
بن عبد العزيز أنه سأل محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه إلا هكذا أخرج يا غلام ذلك
الجراب فأخرجه فنفضه فإذا بيض مكسور نصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان
بن عسال أن بعض اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن قل لبني إسرائيل
لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا
ببريء إلى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وأنتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فسل بني
إسرائيل فقلنا له سل بني إسرائيل أي سلهم من فرعون وقل له أرسل معي بني إسرائيل أو سلهم عن إيمانهم وعن حال دينهم أو
سلهم أن يعاضدوك وتكون قلوبهم وأيديهم معك ويدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل بني إسرائيل على لفظ
الماضي بغير همز وهي لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني إسرائيل وهم عبد الله بن سلام وأصحابه عن
الآيات ليزدادوا يقينا وطمأنينة قلب لأن الأدلة إذا تظاهرت كان ذلك أقوى وأثبت كقول إبراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن
قلبي فإن قلت بم تعلق إذ جاءهم قلت أما على الوجه الأول فبالقول المحذوف أي فقلنا له سلهم
حين جاءهم أو بسال في القراءة الثانية وأما على الأخير فبآتينا أو بإضمار اذكر أو يخبروك ومعنى إذ جاءهم إذ جاء آباءهم
مسحورا سحرت فخولط عقلك لقد علمت يا فرعون ما أنزل هؤلاء الآيات إلا الله عز وجل بصائر بينات مكشوفات
ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمت بالضم على معنى أني لست بمسحور
كما وصفتني بل أنا عالم بصحة الأمر وأن هذه الآيات منزلها رب السماوات والأرض ثم قارع ظنه بظنه كأنه قال

ان ظننتني مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا وظني اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك
لآيات الله تعالى بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة امري اني لاظنك مسحورا قول كذاب وقال
الفراء مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقرأ ابي بن كعب وان اخالك
يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة فاراد فرعون ان يستفز موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم منها
او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستيصال فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه اسكنوا الارض التي اراد فرعون
ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة يعني قيام الساعة جئنا بكم لفيفا جميعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين
سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى ٥٥ وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية
لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير او وما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد
من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وما ارسلناك الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار
ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين او نحو ذلك وقرآنا منصوب بفعل يفسره فرقناه وقرأ ابي فرّقناه بالتشديد اي جعلنا
نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قرأ مشددا وقال لم ينزل في يومين او ثلاثة بل كان بين اوله وآخره عشرون سنة
يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب وعلى مكث بالفتح والضم على تمهل وتؤدة وتثبت ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث
قل آمنوا به او لا تؤمنوا امر بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشأنهم وان لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم
عنه وانهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين
قرؤوا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود
في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة
محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا ويزيدهم خشوعا
اي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فان قلت ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا قلت
يجوز ان يكون تعليلا لقوله تعالى آمنوا به او لا تؤمنوا وان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلعم وتطييب نفسه
كأنه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم فان قلت ما معنى
الخرور للذقن قلت السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد اول ما يلقى به الارض
من وجهه الذقن فان قلت حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في
خر لذقنه ولوجهه قال فخر صريعا لليدين وللفم قلت معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام
للاختصاص فان قلت لم كرر يخرون للاذقان قلت لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم
ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين ٥٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا

ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله تعالى في التوراة هذا
الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء
عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى واو للتخيير فمعنى ادعوا الله او ادعوا الرحمن سموا
بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا واما هذا والتنوين في ايا عوض من المضاف اليه وما صلة للابهام المؤكد لما في اي اي
اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم فله الاسماء الحسنى والضمير في فله ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما
وهو ذاته عز وعلا لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى
للضمير في فله لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة
بمعاني التمجيد والتقديس والتعظيم بصلاتك بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة
صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة افعال واذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا
سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين ولا تخافت حتى لا تسمع
من خلفك وابتغ بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته
ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر رضي الله عنه يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان
فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك
سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى ان الآية منسوخة
بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة ولي من الذل ناصر من
الذل ومانع له منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته فان قلت كيف لاق وصفه
بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد قلت لان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي
يستحق جنس الحمد وكان النبي عليه السلم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف
اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا
الحمد لله الذي لقن الله تعالى عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام
وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له عوجا ولم يجعل
له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج
شيء منه من الحكمة والاصابة فيه فان قلت بم انتصب قيما قلت الاحسن ان ينتصب بمضمر

ولم يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل
بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له
الاستقامة فان قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي احدهما غنى عن الآخر قلت
فائدته التاكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو عن ادنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب
مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيما انذر متعد الى مفعولين كقوله
انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا باسا شديدا والباس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس
العذاب وبؤس الرجل باسا وباسة من لدنه صادرا من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر
النون ويبشر بالتخفيف والتثقيل فان قلت لم اقتصر على احد مفعولي انذر قلت قد جعل المنذر
به هو الغرض المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار في قوله تعالى وينذر الذين قالوا
اتخذ الله ولدا متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله تعالى ان لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره
والاجر الحسن الجنة ما لهم به من علم اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط
وتقليد للاباء وقد اشتملته اباؤهم من الشيطان وتسويله فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قال
ما لهم به من علم قلت معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق
الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به وقرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع
على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد
استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون
به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم بل يكظمون عليه تشورا من اظهاره فكيف
بمثل هذا المنكر وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة فان قلت الام يرجع الضمير في كبرت قلت
الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من
الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم
وتلهفا على فراقهم وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرأ ان لم
يؤمنوا بهذا الحديث بالقرآن اسفا مفعول له اي لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف المبالغة في الحزن
والغضب يقال رجل اسف واسيف ما على الارض يعني ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا
وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها
بقوله تعالى وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء

معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار
ونحو ذلك ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله
كان لم يكن ثم قال ام حسبت يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة والكهف الغار
الواسع في الجبل والرقيم اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم
في الكهف همد وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا
حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان
وايلة دون فلسطين كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا بالمصدر او على ذات عجب من لدنك رحمة اي رحمة من
خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا
حتى نكون بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رايت منك اسدا فضربنا على آذانهم اي ضربنا
عليها حجابا من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع
ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة سنين عددا ذوات عدد
فيحتمل ان يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله تعالى لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج
اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج ان يعد واذا كثر احتاج الى ان يعد اي يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم
يعمل فيه وقرئ ليعلم وهو معلق عنه ايضا لان ارتفاعه بالابتداء لا بالاسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كانه
مفعول نعلم اي الحزبين المختلفين منهم في مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله تعالى قال قائل منهم كم
لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم
قد تطاول او اي الحزبين المختلفين من غيرهم واحصى فعل ماض اي ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم فان قلت
فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل قلت ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس
بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ولان امدا
لا يخلو اما ان ينتصب بافعل فافعل لا يعمل واما ان ينصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت اني انصبه باضمار
فعل يدل عليه احصى كما اضمر في قوله واضرب منا بالسيوف القوانسا على نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو قريب
حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره فان قلت كيف جعل الله تعالى
العلم باحصائهم المدة غرضا في الضرب على آذانهم قلت الله عز وعلا لم يزل عالما بذلك وانما اراد ما
تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفاره وزدناهم
هدى بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى

بعض العيدان وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير
مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض شططا قولا ذا شطط وهو الافراط
في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه اشط في السوم وفي غيره هؤلاء مبتدا وقومنا عطف بيان واتخذوا
خبر وهو اخبار في معنى انكار لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف بسلطان بيّن وهو تبكيت
لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وانه لا بد في الدين من الحجة فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه ۝ واذ اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار

واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا

بدينهم وما يعبدون نصب عطف على الضمير يعني واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبودهم الا الله يجوز ان يكون استثناء متصلا
على ما روي انهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما اهل مكة وان يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى
عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله مرفقا قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به اي ينتفع به انما قالوا ذلك ثقة بفضل
الله تعالى وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان يخبرهم به نبي في عصرهم واما ان يكون بعضهم نبيا اصلا
تتزاور تخفيف بادغام التاء في الزاي او حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور وهو
الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين تقرضهم
تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة الى ظعن يقرضن اقواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس
وهم في فجوة منه وهم في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم
في مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله تعالى يحجبها عنهم وقيل في متسع من غارهم ينالهم فيه روح الهواء
وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من آيات الله اي ما صنعه الله تعالى بهم من ازورار الشمس وقرضها
طالعة وغاربة آية من آياته يعني ان ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل
باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقناة ابدا ومعنى ذلك من آيات الله ان شأنهم وحديثهم من آيات الله من
يهد الله فهو المهتدي ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله واسلموا له وجوههم فلطف بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك
الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة وان كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح واهتدى

وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا

الى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده بعد خذلان الله تعالى ۝ وتحسبهم ايقاظا بكسر السين وفتحها
خطاب لكل احد والايقاظ جمع يقظ كانكاد في نكد قيل عيونهم منفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقيل
لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقليبتان في السنة وقيل تقليبة واحدة في يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله عز وجل
وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم
وقرا جعفر الصادق رضه وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان

في معنى المضي واضافته اذا اضيف حقيقية معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية والوصيد الفناء
وقيل العتبة وقيل الباب وانشد بارض فضاء لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر وقرئ ولملئت بتشديد
اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء رعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذي يرعب الصدر اي يملأه
وذلك لما البسهم الله تعالى من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية
انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضه ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من
هو خير منك فقال تعالى لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال
لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو ۝ وكذلك
بعثناهم وكما انمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم اذكارا بقدرته على الاماتة والبعث جميعا ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا
حالهم وما صنع الله تعالى بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم وكرموا
به قالوا لبثنا يوما او بعض يوم جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وانه
لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطأ قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم من بعضهم وان الله تعالى اعلم بمدة لبثهم كان هؤلاء
قد علموا بالادلة او بالهام من الله تعالى ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله تعالى وروي انهم دخلوا
الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك فان
قلت كيف وصلوا قولهم فابعثوا بتذاكر حديث المدة قلت كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق
لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم فابعثوا احدكم بورقكم والورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة ومنه الحديث ان عرفجة
اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فامره رسول الله صلعم ان يتخذ انفا من ذهب وقرئ بورقكم بسكون الراء وبالواو
مفتوحة او مكسورة وقرا ابن كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن انه اسكن الواو واسكن
الراء وادغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق
عند فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح المسافر هو رأي المتوكلين على الله تعالى دون المتكلين على الاتفاقات
وعلى ما في اوعية القوم من النفقات ومنه قول ام المؤمنين عائشة رضها لمن سألها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق
عليك نفقتك وما يحكى عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديد الحنين الى ان يرزق حج بيت الله تعالى ويقول منه ذلك
فكان مياسير اهل بلده كلما عزم منهم فوج على الحج اتوه فبذلوا له ان يحجوا به والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد اليهم
ربهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن ايها اي اهلها
فحذف الاهل كما في قوله واسأل القرية ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص وليتلطف وليتكلف اللطف
والنيقة فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا يعني ولا يفعلن

ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا فيعني ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه الضمير في انهم راجع الى الاهل
المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم او يدخلوكم في ملتهم
بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها والعود في معنى الصيرورة اكثر شي في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون
ابتداء الفعل ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في دينهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا
عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وهو البعث لان حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث واذ يتنازعون متعلق
باعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح
دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع الاختلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة
فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فقالوا حين توفى الله تعالى اصحاب الكهف ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا
يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة قال الذين
غلبوا على امرهم من المسلمين وملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم لنتخذن على باب الكهف مسجدا يصلي فيه المسلمون
ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اي يتذاكر الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر
الله تعالى من الاية فيهم او يتنازعون امرهم بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا
ابنوا على باب كهفهم بنيانا روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا
على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على
الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال ما تريدون مني انا
احب احباء الله فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله
فيه ثم ضرب الله تعالى على اذانهم وقبل ان يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف اهل
مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسال ربه ان
يبين لهم الحق فالقى الله تعالى في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة
من بعثوه لابتياع الطعام واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص
عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله تعالى على الاية الدالة على البعث ثم قالت
الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله تعالى انفسهم فالقى
الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فراهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى
على باب الكهف مسجدا ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم
ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في

حديثهم من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب سيقولون
الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلعم من اهل الكتاب والمؤمنين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فاخر
الجواب الى ان يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وان المصيب منهم من يقول سبعة
وثامنهم كلبهم قال ابن عباس رضي الله عنهما انا من اولئك القليل وروي ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال
العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين
وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلعم عن لسان جبريل عليه السلام وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه هم سبعة نفر
اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هولاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش
وكان يستشير هولاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم
افسوس واسم كلبهم قطمير فان قلت لم جاء بسين الاستقبال في الاول دون الاخرين قلت فيه
وجهان ان تدخل الاخرين في حكم السين كما تقول قد اكرم وانعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وان تريد بيفعل
معنى الاستقبال الذي هو صالح له رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله تعالى ويقذفون بالغيب اي ياتون به
او وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق
عندهم فرق بين العبارتين الا ترى الى قول زهير وما هو عنها بالحديث المرجم اي المظنون وقرئ ثلاث رابعهم بادغام
الثاء في تاء التانيث وثلاثة خبر مبتدا محذوف اي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدا وخبر
واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم فان قلت فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة
ولم دخلت عليها دون الاوليين قلت هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على
الجملة الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه اخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله عز وجل وما
اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر
ثابت مستقر وهذه الواو هي التي اذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوا عن ثبات علم وطمانينة نفس
ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه ان الله تعالى اتبع القولين الاوليين قوله تعالى رجما بالغيب واتبع القول
الثالث قوله تعالى ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس رضي الله عنهما حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق
بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات وقيل الا قليل من اهل
الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في
قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين فلا تمار فيهم فلا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير

نتحقق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله إليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم
كما قال الله تعالى وجادلهم بالتي هي أحسن ولا تستفت ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيئا
فترده عليه وتزيف ما عنده لأن ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لأن الله تعالى قد أرشدك
بأن أوحى إليك قصتهم ۞ ولا تقولن لشيء ولا تقولن لأجل شيء تعزم عليه إني فاعل ذلك الشيء غدا أي فيما يستقبل
من الزمان ولم يرد الغد خاصة ۞ إلا أن يشاء الله متعلق بالنهي لا بقوله إني فاعل لأنه لو قال إني فاعل كذا إلا أن يشاء الله كان
معناه إلا أن تعترض مشيئة الله تعالى دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين أحدهما ولا
تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه والثاني ولا تقولنه إلا بأن يشاء الله أي إلا بمشيئته وهو في
موضع الحال يعني إلا ملتبسا بمشيئة الله تعالى قائلا إن شاء الله وفيه وجه ثالث وهو أن يكون إن شاء الله في معنى كلمة تأبيد
كأنه قيل ولا تقولنه أبدا ونحوه قوله تعالى وما كان لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله لأن عودهم في ملتهم مما لن يشاءه وهذا
نهي تأديب من الله تعالى لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه
فقال ائتوني غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش ۞ واذكر ربك أي مشيئة ربك
وقل إن شاء الله إذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى إذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن
عباس رض ولو بعد سنة ما لم تحنث وعن سعيد بن جبير رض ولو بعد يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة وعن طاوس هو
على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن رحمة الله عليه نحوه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند
عامة الفقهاء أنه لا أثر له في الأحكام ما لم يكن موصولا ويحكى أنه بلغ المنصور أن أبا حنيفة خالف ابن عباس في الاستثناء
المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له أبو حنيفة رحمه الله هذا يرجع عليك إنك تأخذ البيعة بالأيمان أفترضى أن يخرجوا من عندك
فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت
كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك إذا تركت ما أمرك به وقيل واذكره إذا اعتراك
النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها وهذا إشارة إلى نبأ أصحاب الكهف ومعناه لعل
الله يؤتيني من البينات والحجج على أني نبي صادق ما هو أعظم في الدلالة وأقرب رشدا من نبأ أصحاب الكهف وقد فعل
ذلك حيث آتاه من قصص الأنبياء والإخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك وأدل والظاهر أن يكون المعنى إذا نسيت
شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه أن تقول عسى ربي أن يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب منه رشدا وأدنى
خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله تعالى أو ننسها نأت بخير منها ۞ ولبثوا في كهفهم يريد ثلثمائة سنين يريد
لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما أجمل في قوله تعالى فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا
ومعنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك به وعن قتادة أنه حكاية

لكلام أهل الكتاب وقيل الله أعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلثمائة وسنين بالإضافة
على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كقوله تعالى بالأخسرين أعمالا وفي قراءة أبي ثلثمائة سنة تسعا تسع سنين لأن
ما قبله يدل عليه ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والأرض وخفي فيها من أحوال أهلها ومن غيرها وأنه هو وحده
العالم به وجاء بما دل على التعجب من إدراكه للمسموعات والمبصرات للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عن حد ما
عليه إدراك السامعين والمبصرين لأنه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها كما يدرك أكبرها حجما وأكثفها جرما ويدرك البواطن
كما يدرك الظواهر ما لهم الضمير لأهل السموات والأرض من ولي من متول لأمورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه أحدا منهم
وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي ۞ كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له واتل ما أوحي إليك
من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك أي لا يقدر أحد على تبديلها وتغييرها إنما
يقدر على ذلك هو وحده وإذا بدلنا آية مكان آية ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل إليه إن هممت بذلك ۞ قال قوم
من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالي الذين كأن ريحهم ريح الضأن وهم صهيب وعمار وخباب
وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح عليه السلام أنؤمن لك واتبعك الأرذلون فنزلت واصبر نفسك واحبسها
معهم وثبتها قال أبو ذؤيب فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو إذا نفس الجبان تطلع بالغداة والعشي دائبين على الدعاء
في كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة أجود لأن غدوة علم في أكثر الاستعمال وإدخال اللام
على تأويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل في كلامهم يقال عداه إذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاء
القوم عدا زيدا وإنما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه إذا اقتحمته
ولم تعلق به فإن قلت أي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك أو لا تعل عيناك عنهم قلت
الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك ولا تقتحمهم
عيناك مجاوزتين إلى غيرهم ونحوه قوله عز وجل ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم أي ولا تضموها إليها آكلين لها وقرئ ولا تعد عينيك
من أعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله فعد عما ترى إذ لا ارتجاع له لأن معناه فعد همك عما ترى نهى رسول الله صلعم
أن يزدري بفقراء المؤمنين وأن تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا إلى زي الأغنياء وحسن شارتهم تريد زينة الحيوة
الدنيا في موضع الحال من أغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان أو وجدناه غافلا عنه كقولك أجبنته
وأفحمته وأبخلته إذا وجدته كذلك أو من أغفل إبله إذا تركها بغير سمة أي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في
قلوبهم الإيمان وقد أبطل الله تعالى توهم المجبرة بقوله تعالى واتبع هواه وقرئ أغفلنا قلبه أسند الفعل إلى القلب
على معنى حسبنا قلبه غافلين من أغفلته إذا وجدته غافلا فرطا متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من
قولهم فرس فرط متقدم للخيل ۞ وقل الحق من ربكم الحق خبر مبتدإ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل

فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك وجيء بلفظ الأمر والتخيير لأنه لما مكن
من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ما شاء من النجدين شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهي الحجرة التي تكون
حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم
يغاثوا بماء كالمهل كقوله فأعتبوا بالصيلم وفيه تهكم والمهل ما أذيب من جواهر الأرض وقيل دردي الزيت يشوي الوجوه
إذا قدم ليشرب انشوى الوجه من حرارته عن النبي عليه السلام هو كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه بئس
الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ من المرتفق وهذا لمشاكلة قوله تعالى وحسنت مرتفقا وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ولا
اتكاء إلا أن يكون من قوله إني أرقت فبت الليل مرتفقا كأن عيني فيها الصاب مذبوح أولئك خبر إن وإنا لا نضيع اعتراض
ولك أن تجعل إنا لا نضيع وأولئك خبرين معا أو تجعل أولئك كلاما مستأنفا بيانا للأجر المبهم فإن قلت إذا جعلت
إنا لا نضيع خبرا فأين الضمير الراجع منه إلى المبتدأ قلت من أحسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما
معنى واحد فقام من أحسن مقام الضمير أو أردت من أحسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم من الأولى للابتداء
والثانية للتبيين وتنكير أساور لإبهام أمرها في الحسن وجمع بين السندس وهو ما رق من الديباج وبين الإستبرق وهو الغليظ
منه جمعا بين النوعين وخص الاتكاء لأنه هيئة المتنعمين والملوك على أسرتهم واضرب لهم مثلا رجلين أي
ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين في بني إسرائيل أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا
وقيل هما المذكوران في سورة الصافات في قوله تعالى قال قائل منهم إني كان لي قرين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها
فاشترى الكافر أرضا بألف دينار فقال المؤمن اللهم أخي اشترى أرضا بألف دينار وأنا أشتري منك أرضا في
الجنة بألف فتصدق به ثم بنى أخوه دارا بألف فقال اللهم إني أشتري منك دارا في الجنة بألف فتصدق به ثم تزوج أخوه
امرأة بألف دينار فقال اللهم إني جعلت ألفا صداقا للحور ثم اشترى أخوه خدما ومتاعا بألف فقال اللهم إني اشتريت
منك الولدان المخلدين بألف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده
ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لأخوين من بني مخزوم مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد وكان زوج أم
سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الأسود بن عبد الأسد جنتين من أعناب بستانين من كروم وحففناهما بنخل
وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم أن يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة يقال حفوه
إذا طافوا به وحففته بهم أي جعلتهم حافين حوله وهو متعد إلى مفعول واحد فيزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته
وغشيته به وجعلنا بينهما زرعا جعلناها أرضا جامعة للأقوات والفواكه ووصف العمارة بأنها متواصلة متشابكة لم
يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الأكل من غير نقص ثم بما هو
أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها والأكل الثمر وقرئ بضم الكاف

ولم تظلم ولم تنقص وآتت حمل على اللفظ لأن كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز وقرئ وفجرنا على
التخفيف وقرأ عبد الله كل الجنتين آتى أكله برد الضمير على كل وكان له ثمر أي أنواع من المال من ثمر ماله إذا كثره وعن
مجاهد الذهب والفضة أي كانت له إلى الجنتين الموصوفتين الأموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما فكان وافر اليسار
من كل وجه متمكنا من عمارة الأرض كيف شاء وأعز نفرا يعني أنصارا وحشما وقيل أولادا ذكورا لأنهم ينفرون معه دون
الإناث يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع وسألته فما أحار كلمة يعني قطروس أخذ بيد المسلم يطوف
به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره بما ملك من المال دونه فإن قلت لم أفرد الجنة بعد التثنية
قلت معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه
في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بما أوتي مفتخر به كافر لنعمة
ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله تعالى وهو أفحش الظلم إخباره عن نفسه بالشك في بيدودة جنته لطول أمله واستيلاء
الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب أمثاله وترى أكثر الأغنياء من المسلمين
وإن لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم فإن ألسنة أحوالهم ناطقة به منادية عليه ولئن رددت إلى ربي إقسام منه على أنه
إن رد إلى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله تعالى
وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وأنه ما أولاه الجنتين إلا لاستحقاقه واستئهاله وأن معه هذا الاستحقاق أين
توجه كقوله تعالى إن لي عنده للحسنى لأوتين مالا وولدا وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة
وانتصابه على التمييز أي منقلب تلك خير من منقلب هذه لأنها فانية وتلك باقية خلقك من تراب أي خلق أصلك
لأن خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له ثم سواك عدلك وكملك إنسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله تعالى
جاحدا لأنعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا لكنا هو الله ربي أصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت
حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الإدغام ونحوه قول القائل وترمينني بالطرف أي أنت مذنب وتقلينني لكن
إياك لا أقلي أي لكن أنا لا أقليك وهو ضمير الشأن والشأن الله ربي والجملة خبر أنا والراجع منها إليه ياء الضمير وقرأ ابن عامر
بإثبات ألف أنا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الألف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها إلا في الوقف
وعن أبي عمرو أنه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح أنا وقرأ أبي بن كعب لكن أنا على
الأصل وفي قراءة عبد الله لكن أنا لا إله إلا هو ربي فإن قلت هو استدراك لماذا قلت لقوله أكفرت
قال لأخيه أنت كافر بالله تعالى لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر ما شاء الله يجوز أن تكون ما موصولة
مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره الأمر ما شاء الله أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى
أي شيء شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت

عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله تعالى منها الأمر ما شاء الله اعترافا بأنها وكل خير فيها إنما حصل بمشيئة الله تعالى
وفضله وأن أمرها بيده إن شاء تركها عامرة وإن شاء خربها وقلت لا قوة إلا بالله إقرارا بأن ما قويت به على عمارتها
وتدبير أمرها هو بمعونته وتأييده إذ لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله تعالى وعن عروة بن الزبير أنه كان
يثلم حائطه أيام الرطب فيدخل من شاء وكان إذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج من قرأ أقل بالنصب فقد جعل
أنا فصلا ومن رفع جعله مبتدأ وأقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترن وفي قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالأولاد
في قوله تعالى أعز نفرا والمعنى إن ترن أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله تعالى أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى
فيرزقني لإيماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك والحسبان مصدر كالغفران والبطلان
بمعنى الحساب أي مقدارا قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان
حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق صعيدا زلقا أرضا بيضاء يزلق عليها
لملاستها زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر وأحيط به عبارة عن إهلاكه وأصله من أحاط به العدو لأنه إذا أحاط
به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل إهلاك ومنه قوله تعالى إلا أن يحاط بكم ومثله قولهم أتى عليه إذا أهلكه من
أتى عليهم العدو إذا جاءهم مستعليا لهم وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لأن النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كني
عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولأنه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كأنه قيل فأصبح يندم على ما أنفق فيها
أي أنفق في عمارتها وهي خاوية على عروشها يعني أن كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم
وقيل أرسل الله تعالى عليها نارا فأكلتها يا ليتني تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن
مشركا حتى لا يهلك الله تعالى بستانه ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الإيمان وقرئ
ولم تكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله عز وجل فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة فإن
قلت ما معنى قوله ينصرونه من دون الله قلت معناه يقدرون على نصرته من دون الله أي هو
وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره أن ينصره إلا أنه لم ينصره لصارف وهو استيجابه أن يخذل وما كان
منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله تعالى هنالك الولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد
قرئ بهما والمعنى هنالك أي في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريرا لقوله
ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله أو هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه أو في مثل تلك الحال الشديدة
يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعني أن قوله يا ليتني لم أشرك بربي أحدا كلمة ألجئ إليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم
كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز أن يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم
ويشفي صدورهم من أعدائهم يعني أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربي أن يؤتين خيرا

من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا أي لأوليائه وقيل هنالك إشارة إلى الآخرة
أي في تلك الدار الولاية لله كقوله تعالى لمن الملك اليوم وقرئ الحق بالرفع والجر صفة للولاية أو لله وقرأ عمرو بن
عبيد بالنصب على التأكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من
أفصح الناس وأنصحهم وقرئ عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة فاختلط
فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف رفيفا وكان
حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الأرض ووجه صحته أن كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه
والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة وقرئ تذروه الريح وعن ابن عباس رضي الله عنهما تذريه الرياح من أذرى
شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون أخضر وارفا ثم يهيج فتطيره
الرياح كأن لم يكن وكان الله على كل شيء من الإنشاء والإفناء مقتدرا الباقيات الصالحات أعمال الخير التي تبقى ثمرتها
للإنسان ويفنى عنه كل ما تطمح إليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد
لله ولا إله إلا الله والله أكبر وعن قتادة كل ما أريد به وجه الله تعالى خير ثوابا أي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق
بها من الأمل لأن صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ونصيبه في الآخرة وقرئ تسير من سيرت ونسير من
سيرنا وتسير من سارت أي تسير في الجو ويذهب بها بأن تجعل هباء منبثا وقرئ وترى الأرض على البناء للمفعول
بارزة ليس عليها ما يسترها مما كان عليها وحشرناهم وجمعناهم إلى الموقف وقرئ فلم نغادر بالنون والياء يقال غادره
وأغدره إذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين
على السلطان صفا مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما ترى كل واحد لا يحجب أحد أحدا لقد جئتمونا أي قلنا
لهم لقد جئتمونا وهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير ويجوز أن ينتصب بإضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما
أنشأناكم أول مرة وقيل جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم أولا كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى فإن قلت
لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى قلت للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك
الأهوال والعظائم كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك موعدا وقتا لإنجاز ما وعدتم على ألسنة الأنبياء من البعث
والنشور الكتاب للجنس وهو صحف الأعمال يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات
صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الإحاطة يعني لا يترك شيئا من المعاصي إلا أحصاها أي
أحصاها كلها كما تقول ما أعطاني قليلا ولا كثيرا لأن الأشياء إما صغار وإما كبار ويجوز أن يريد وما كان
عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الصغيرة
المسيس والكبيرة الزنى وعن الفضيل كان إذا قرأها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر إلا أحصاها إلا ضبطها

وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يعمل
او يزيد في عقابه المستحق او يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله في تعذيب اطفال المشركين بذنوب آبائهم
كان من الجن كلام مستانف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كان قائلا قال ما له لم يسجد فقيل
كان من الجن ففسق عن امر ربه والفاء للتسبيب ايضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه يعني انه لو كان ملكا كسائر من سجد
لآدم لم يفسق عن امر الله لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال تعالى لا يسبقونه بالقول
وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله تعالى لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد البون بين ما
تعمده الله وبين قول من ضاده وزعم انه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس
ومعنى فسق عن امر ربه خرج عما امره به ربه من السجود قال فواسقا عن قصدها جوائرا او صار فاسقا كافرا بسبب
امر ربه الذي هو قوله تعالى اسجدوا لآدم افتتخذونه الهمزة للانكار والتعجب كانه قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه
وذريته اولياء من دوني وتستبدلونهم بي بئس البدل من الله تعالى ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته ما
اشهدتهم وقرئ ما اشهدناهم يعني انكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية
فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا
اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله عز وجل ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين عضدا بمعنى وما كنت متخذهم عضدا
اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذ لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة
وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم وقرا
علي بن ابي طالب رضي الله عنه متخذا المضلين بالتنوين على الاصل وقرا الحسن رحمه الله عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها الى
العين وقرئ عضدا بالفتح وسكون الضاد وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد
من عضده اذا قواه واعانه يقول بالياء والنون واضافة الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم واراد الجن والموبق المهلك من
وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه غيره ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا
من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن رحمه الله موبقا عداوة
والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل اي وجعلنا
تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ويجوز ان يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم عليهم السلام وبالموبق البرزخ البعيد اي
وجعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان فظنوا فايقنوا
مواقعوها مخالطوها واقعون فيها مصرفا معدلا قال ازهير هل عن شيبة من مصرف اكثر شيء جدلا اكثر الاشياء التي
يتاتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني ان جدل الانسان

اكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره
وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار ان تاتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك او انتظار ان ياتيهم العذاب
يعني عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا ليدحضوا ليزيلوا
ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها عن موطئها وما انذروا يجوز ان تكون ما موصولة ويكون الراجع من
الصلة محذوفا اي وما انذروه من العقاب او مصدرية بمعنى وانذارهم وقرئ هزؤا بالسكون اي اتخذوها موضع استهزاء
وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك بآيات ربه بالقرآن ولذلك رجع اليها
الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر
والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم مدة التكليف كلها
باذا اخبروا وجواب تدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول عليه السلام بمعنى انهم جعلوا ما يجب ان يكون سبب وجود الاهتداء
سببا في انتفائه وعلى انه جواب للرسول على تقدير قوله مالي لا ادعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن
يهتدوا الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة اهل مكة عاجلا من
غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله صلعم بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجى ولا ملجأ يقال
وال اذا نجا ووال اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يريد قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار لهم اليها
ليعتبروا تلك مبتدا والقرى صفة لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس واهلكناهم خبر ويجوز ان يكون تلك القرى نصبا
باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا
وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم
بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة اي لهلاكهم والموعد وقت او مصدر لفتاه لعبده وفي الحديث ليقل
احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي وقيل هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان
ياخذ منه العلم فان قلت لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان
بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر قلت هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه اما
الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون
المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه آخر وهو ان يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى ابلغ على
ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب
الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه
ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى

و و سلطان محمد خان غازی عسق

نحو فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع التفاسير ان البحرين موسى والخضر عليهما السلام لانهما
كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهو في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل او امضي حقبا او اسير زمانا
طويلا والحقب ثمانون سنة روى انه لما ظهر موسى عليه السلام على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط
امره الله تعالى ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله تعالى وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا
فاي الناس اعلم قال انا فعتب الله تعالى عليه حين لم يرد العلم الى الله تعالى فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين
وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى عليه السلام وقيل ان
موسى سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع
الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان
كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي
به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب
الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى
بثوبه فسلم عليه موسى فقال واني بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله تعالى وانت على علم علمكه الله
لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار
ما اخذ هذا العصفور من البحر نسيا حوتهما اي نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي
يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يامره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل
فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحيوة ونام موسى عليه السلام فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت وروى
انهما اكلا منها وقيل توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء سربا امسك الله تعالى جرية
الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى عليه السلام او للخضر عليه السلام فلما جاوزا
الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد امر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع ان يذكر لموسى ما راى من حيوته ووقوعه
في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى النصب والجوع حين جاوزا الموعد ولم
ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة فان قلت كيف
نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حيوة السمكة
المملوحة الماكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف
استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت قلت قد شغله
الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك انه ضري بمشاهدة امثاله عند موسى من

الحايب واستانس باخواته فاعان الالف على قلة الاهتمام ارايت بمعنى اخبرني فان قلت ما وجه التيام هذا
الكلام فان كل واحد من ارايت واذ اوينا وفاني نسيت الحوت لا متعلق له قلت لما طلب موسى الحوت ذكر
يوشع ما راى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش وطفق يسال موسى عن سبب ذلك كانه قال ارايت ما دهاني
اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت وان اذكره بدل من الهاء
في انسانيه اي وما انساني ذكره الا الشيطان وفي قراءة عبد الله ان اذكركه عجبا ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني
واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبه السرب او قال عجبا في اخر كلامه تعجبا من حاله في روية تلك العجيبة ونسيانه
لها او مما راى من المعجزتين وقوله تعالى وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه
وقيل ان عجبا حكاية لتعجب موسى وليس بذاك ذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا اي ذلك الذي كنا نطلب لانه امارة الظفر بالطلبة
من لقاء الخضر عليه السلام نبغ بغير يا في الوصل واثباتها احسن وهي قراءة ابي عمرو واما الوقف فالاكثر فيه
طرح الياء اتباعا لخط المصحف فارتدا فرجعا في ادراجهما قصصا يقصان قصصا اي يتبعان اثارهما اتباعا او فارتدا
مقتصين رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة من لدنا مما يختص بنا من العلم وهو الاخبار عن الغيوب رشدا
قرئ بفتحتين وبضمة وسكون اي علما ذا رشد ارشد به في ديني فان قلت اما دلت حاجته الى التعلم
من اخر في عهده انه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لان النبي عليه السلام يجب ان يكون اعلم اهل زمانه وامامهم
المرجوع اليه في ابواب الدين قلت لا غضاضة بالنبي في اخذ العلم من نبي مثله وانما يغض منه ان ياخذ
ممن دونه وعن سعيد بن جبير رضي الله عنهما ان نوفا ابن امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى وان موسى
هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله نفى استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل
ذلك بانه يتولى امورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف اذا كان نبيا لا يتمالك ان يشمئز ويمتعض ويجزع اذا
راى ذلك وياخذ في الانكار وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك فنصبه نصب المصدر ولا اعصي في
محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او لا في محل عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلام
لحرصه على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عليه السلام عن حقيقة الامر فوعد بالصبر معلقا
بمشية الله تعالى علما منه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي تاخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا
مع علمه ان النبي المعصوم الذي امره الله تعالى بالمسافرة اليه واتباعه واقتباس العلم منه بري من ان يباشر ما فيه غميزة
في الدين وانه لا بد لما يستغرب ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم فلا تسلني بالنون الثقيلة يعني
فمن شرط اتباعك لي انك اذا رايت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحميت وانكرت في
نفسك ان لا تفاتحني بالسوال ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من ادب المتعلم مع العالم والمتبوع

مع التابع «فانطلقا» على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال أهلها هما من اللصوص وأمروهما بالخروج
فقال صاحب السفينة أرى وجوه الأنبياء، وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا أخذ الخضر الفأس فخرق
السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول أخرقتها لتغرق أهلها
وقرئ لتغرق أهلها بالتشديد وليغرق أهلها بالرفع «جئت شيئا إمرا» أتيت شيئا عظيما من أمر الأمر إذا عظم قال
داهية دهياء إدًّا إمرا «بما نسيت» بالذي نسيته أو بشيء نسيته أو بنسياني أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي
أو أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه أنه قد نسي ليبسط عذره في الإنكار وهو من معاريض
الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل إلى الغرض كقول إبراهيم عليه السلام هذه أختي وإني سقيم أو أراد بالنسيان الترك أي
لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة يقال رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه أي ولا تغشني عسرا من أمري
وهو اتباعه إياي يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالإغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين «فقتله»
قيل كان قتله فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وعن سعيد بن جبير أضجعه ثم ذبحه بالسكين فإن قلت لم قيل
حتى إذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى إذا لقيا غلاما فقتله بالفاء قلت جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من
جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال أقتلت فإن قلت فلم خولف بينهما قلت لأن الخرق لم
يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام وقرئ زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب إما لأنها طاهرة عنده
لأنه لم يرها قد أذنبت وإما لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث «بغير نفس» يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس رضي الله عنهما
أن نجدة الحروري كتب إليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب إليه إن علمت
من حال الولدان ما علمه عالم موسى عليه السلام فلك أن تقتل «نكرا» وقرئ بضمتين وهو المنكر وقيل النكر أقل من الإمر لأن قتل
نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة وقيل معناه جئت شيئا أنكر من الأول لأن ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد
وهذا لا سبيل إلى تداركه فإن قلت ما معنى زيادة لك قلت زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية
والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية «بعدها» بعد هذه الكرة أو المسألة «فلا تصاحبني» فلا تقاربني وإن طلبت صحبتك فلا
تتابعني على ذلك وقرئ فلا تصحبني فلا تكن صاحبي وقرئ فلا تُصحبني أي فلا تُصحبني إياك ولا تجعلني صاحبك «من
لدني عذرا» قد أعذرت وقرئ لدني بتخفيف النون ولدني بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضد عضْد وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي موسى استحيا فقال ذلك وقال عليه السلام رحمة الله علينا وعلى أخي موسى لو لبث مع صاحبه
لأبصر أعجب العجائب «أهل قرية» هي أنطاكية وقيل أيلة وهي أبعد أرض الله من السماء «أن يضيفوهما»
وقرئ يضيفوهما يقال ضافه إذا كان له ضيفا وحقيقته مال إليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار
وأضافه وضيفه أنزله وجعله ضيفه وعن النبي عليه السلام كانوا أهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها

ولا يعرف

ولا يعرف لابن السبيل حقه «يريد أن ينقض» استعيرت الإرادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال
الراعي: في مهمه قلقت به هاماتها ... قلق الفؤوس إذا أردن نصولا. وقال: يريد الرمح صدر أبي براء ... ويعدل عن
دماء بني عقيل. وقال حسان: إن دهرا يلف شملي بجمل ... لزمان يهم بالإحسان. وسمعت من يقول عزم
السراج أن يطفى وطلب أن يطفى وإذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والإباء
والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الإرادة قال: إذا قالت الأنساع للبطن الحق
تقول سني للنواة طني ... لا ينطق اللهو حتى ينطق العود. وشكا إلي جملي طول السرى. فإن يك ظني صادقا وهو صادقي
ولما سكت عن موسى الغضب. تمرد مارد وعز الأبلق. وبعضهم يأبى على إخوانه إعضالا. فإذا أنكشف الهموم
تمردا. أبت الروادف والثدي لقمصها ... مس البطون وأن تمس ظهورا. قالتا أتينا طائعين. ولقد بلغني أن
بعض المحرفين لكلام الله تعالى ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لأن ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم أراه أعلى
الكلام طبقة أدناه منزلة فتمحل ليرده إلى ما هو عنده أصح وأفصح وعنده أن ما كان أبعد من المجاز كان
أدخل في الإعجاز. وانقض إذا أسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض
كاحمر من الحمرة وقرئ أن ينقض من النقض وأن ينقاص من انقاصت السن إذا انشقت طولا قال ذو الرمة
منقاص ومنكثب بالصاد غير معجمة «فأقامه» قيل أقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل أقامه بعمود عمده
به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار إلى المطعم وقد
لجأتهما الحاجة إلى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم يجدا مواسيا فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس
الحاجة أن قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا وطلبت على عملك جعلا حتى ننتعش به وندفع به الضرورة وقرئ
لتخذت والتاء في تخذ أصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الأخذ في شيء فإن قلت هذا
إشارة إلى ماذا قلت قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام إن سألتك عن شيء بعدها
فلا تصاحبني فأشار إليه وجعله مبتدأ وأخبر عنه كما تقول هذا أخوك فلا يكون هذا إشارة إلى غير الأخ ويجوز أن يكون
إشارة إلى السؤال الثالث أي هذا الاعتراض سبب الفراق والأصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرأ به ابن أبي عبلة فأضيف
المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به «لمساكين» قيل كانت لعشرة إخوة خمسة منهم زمنى وخمسة
يعملون في البحر «وراءهم» أمامهم كقوله عز وجل ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه
وما كان عندهم خبره فأعلم الله تعالى به الخضر وهو جلندى فإن قلت قوله فأردت أن أعيبها مسبب عن خوف
الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم قدم عليه قلت النية به التأخير وإنما قدم للعناية
ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وقيل في قراءة أبي

وغيّد ابنه رضيعا لكل سفينة صالحة وقرأ الجحدري فكان ابواه مؤمنان على ان كان فيه ضمير الشان فخشينا ان يرهقهما
طغيانا وكفرا فخشينا ان يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا
وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله
فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله تعالى اعلمه بحاله واطلعه على سر امره
وامره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حيوته وفي قراءة ابي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء
عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا كقوله تعالى لاهب لك وقرئ
يبدلهما بالتشديد والزكوة الطهارة والنقاء من الذنوب والرحم الرحمة والعطف فروي انه ولدت لهما جارية تزوجها
نبي فولدت نبيا هدى الله تعالى على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما
قيل اسما الغلامين اصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحيسن واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب
وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب
وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف
يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر لاطلاقه انه مال وعن قتادة احل الكنز
لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا اراد قوله عز وجل والذين يكنزون الذهب الاية وكان
ابوهما صالحا اعتداد بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد رضي الله عنه كان بين الغلامين وبين الاب
الذي حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسن بن علي رضي الله عنه انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ
الله تعالى الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه فقال قد انبأنا الله تعالى انكم قوم خصمون رحمة مفعول له
او مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت ما رايت عن امري عن اجتهادي ورايي وانما
فعلته بامر الله سبحانه وتعالى ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان
وكافران نمرود وبختنصر وكان بعد نمرود واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله تعالى الارض واعطاه العلم
والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل
نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما
رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب
وبسط له النور وسئل عنه فقال احب الله فاحبه وساله ابن الكواء ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك
ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله تعالى فمات ثم بعثه الله تعالى فضرب على قرنه الايسر
فمات فبعثه الله تعالى فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى وعن النبي

صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان
وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب لانه ملك الروم والفارس وروي الروم والترك وعنه كانت صفحتا
راسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على راسه ما يشبه القرنين ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى
الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود لعنهم الله سالوه
على جهة الامتحان وقيل سأله ابو جهل واشياعه والخطاب في عليكم لاحد الفريقين من كل شيء اي
من اسباب كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه سببا طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود
من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه حتى بلغ وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا وقرئ
فاتبع سببا قرئ حمئة من حمئت البئر اذا صارت فيها الحمأة وحامية بمعنى حارة وعن ابي ذر رضي
الله عنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال يا ابا ذر اتدري اين تغرب
هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر وابن عمرو والحسن
رحمة الله عليهم وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما حمئة وكان ابن عباس عند معوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس
حمئة فقال معوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد
الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة وروي في ثاط فوافق قول ابن عباس رضي الله عنهما وكان ثم رجل
فانشد قول تبع فرأى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثاط حرمد اي في عين ماء ذي طين
وحمأ اسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز ان تكون العين جامعة للوصفين جميعا كانوا كفرة فخيره الله
بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال اما
من دعوته فابى الا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذلك هو المعذب في الدارين واما من آمن وعمل ما
يقتضيه الايمان فله جزاء الحسنى وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل فله جزاء الحسنى
فله ان يجازى المثوبة الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى اي فله الفعلة الحسنى جزاء وعن
قتادة كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن اعطاه وكساه من امرنا يسرا اي لا نأمره بالصعب
الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكوة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله تعالى قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين
وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله كان مجر الرامسات ذيولها
يريد كان آثار مجر الرامسات على قوم قيل هم الزنج والستر الابنية وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب
فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين
فسالت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب

وهو سلطان محمد خان غازي

يعرف لسانهم فقالوا له جئنا ننظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض ❊ كذلك اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره وقد احطنا بما لديه من الجنود والالات واسباب الملك خبرا تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه الى من امن منهم ❊ بين السدين بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله تعالى وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على انه مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافة في قوله تعالى هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله تعالى لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التي تستعمل اسماء وظروفا وهذا المكان في منقطع ارض الترك مما يلي المشرق من دونهما قوما هم الترك لا يكادون يفقهون قولا لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون اي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة ❊ ياجوج وماجوج اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرا روبة آجوج وماجوج وهما من ولد يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم مفسدون في الارض قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفتهم لا يموت احد منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر قرئ خرجا وخراجا اي جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم ❊ ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة بي اليه كما قال سليمان عليه السلام فما آتاني الله خير مما آتاكم قرئ بالادغام وبفكه فاعينوني بقوة بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالالات ردما حاجزا حصينا موثقا والردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع ❊ قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين

الثخين مائة فرسخ وقرئ سُوِيَ وسُوّي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا أخبره به فقال كيف رأيته قال
كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين لأنهما يتصادفان أي يتقابلان
وقرئ الصُدُفين بضمتين والصُدْفين بضمة وسكون والصَدُفين بفتحة وضمة والقطر النحاس المذاب لأنه يقطر
وقطرا منصوب بأفرغ وتقديره آتوني قطرا أفرغ عليه قطرا فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وقرئ قال
ائتوني أي جيئوني فما اسطاعوا بحذف التاء للخفة لأن التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا
بقلب السين صادا وأما من قرأ بإدغام التاء في الطاء فلاقى بين ساكنين على غير حده أن يظهروه أن يعلوه أي
لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته هذا إشارة إلى السد أي هذا السد
نعمة من الله تعالى ورحمة على عباده أو هذا الإقدار والتمكين من تسويته فإذا جاء وعد ربي يعني فإذا دنى مجيء يوم
القيامة وشارف أن يأتي جعل السد دكا أي مدكوكا مبسوطا مسوى بالأرض وكل ما انبسط بعد الارتفاع فقد اندك ومنه
الجمل الأدك المنبسط السنام وقرئ دكاء أي أرضا مستوية وكان وعد ربي حقا آخر حكاية قول ذي القرنين
وتركنا وجعلنا بعضهم بعض الخلق يموج في بعض أي يضطربون ويختلطون إنسهم وجنهم حيارى
ويجوز أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وأنهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وروي
أنهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس
ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله تعالى نغفا في أقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون
وعرضنا جهنم وأبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها عن ذكري عن آياتي التي ينظر إليها فأذكر بالتعظيم
أو عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمي وكانوا لا يستطيعون سمعا يعني وكانوا صما عنه
إلا أنه أبلغ لأن الأصم قد يستطيع السمع إذا صيح به وهؤلاء كأنهم صمت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع
عبادي من دوني أولياء هم الملائكة يعني أنهم لا يكونون لهم أولياء كما حكى عنهم سبحانك أنت ولينا
من دونهم وقرأ ابن مسعود رض أفظن الذين كفروا وقرأ علي رض أفحسب الذين كفروا أي أكافيهم وحسبهم
أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر أو على الفعل والفاعل لأن اسم الفاعل إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في
العمل كقولك أقائم الزيدان والمعنى أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله تعالى كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة النزل
ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب أليم ضل سعيهم ضاع وبطل وهم الرهبان عن علي بن
أبي طالب رضي الله عنه لقوله تعالى عاملة ناصبة وعن مجاهد أهل الكتاب وعن علي كرم الله وجهه أن ابن الكواء سأله
عنهم فقال منهم أهل حروراء وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يأتي ناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم
كجبال تهامة فإذا وزنوها لم تزن شيئا فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فنزدري بهم فلا يكون لهم عندنا وزن ومقدار

٧٤٧

وقيل لا نقيم لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء فان
قلت الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ما محله قلت الاوجه ان يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه
جواب عن السؤال ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل ۞ جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم ۞ الحول
التحول يقال حال من مكانه حولا لقوله عادني حبها عودا يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم
وامانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي
التحول وتاكيد الخلود ۞ المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد
الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد قبل ان تنفد الكلمات
ولو جئنا بمثل البحر مددا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة ومددا تمييز لقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو
ما يمد به وعن ابن عباس رضي بمثله مدادا وقرأ الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهو ما يستمده الكاتب فيكتب به
وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤن
وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله ۞ فمن كان
يرجو لقاء ربه فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضا وقبول وقد فسرنا اللقاء او فمن كان يخاف سوء
لقائه والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به الا وجه ربه خالصا لا يخلط به غيره
وقيل نزلت في جندب بن زهير رضي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه
سرني فقال ان الله تعالى لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك
اذا قصد ان يقتدى به وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال عليه السلام
الرياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت
له نورا من الارض الى السماء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له في
مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا
يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ صدق رسول الله

فرغ من تحريره العبد الضعيف النحيف الراجي عفو ربه العافي
عبد الله بن احمد بن محمد الخلاطي غفر الله له ولوالديه
وللناظر فيه بحسن النظر وللداعي لكاتبه
في عاشر شهر المبارك رجب
سنة سبع واربعين
وسبعمائة تمام

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı: Fatih
Yeni kayıt No.:
Eski kayıt No.: 341